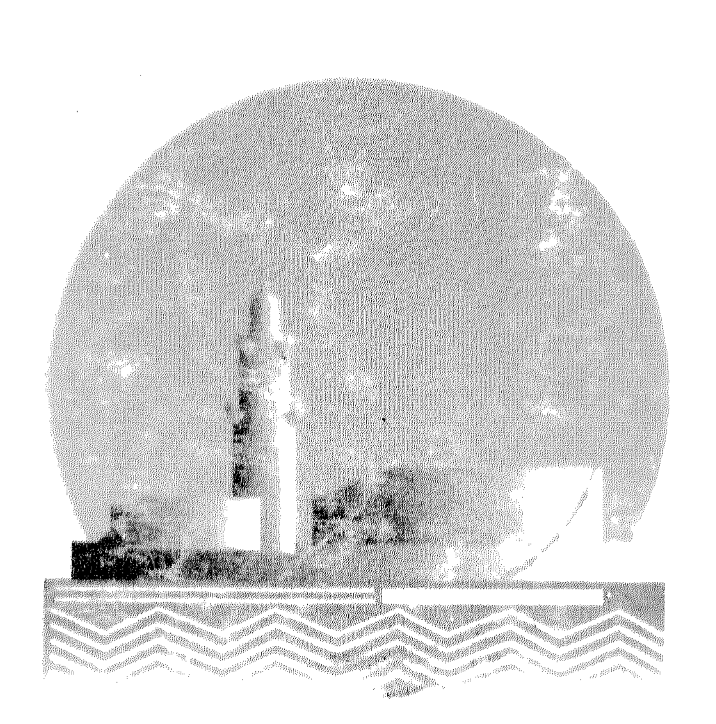
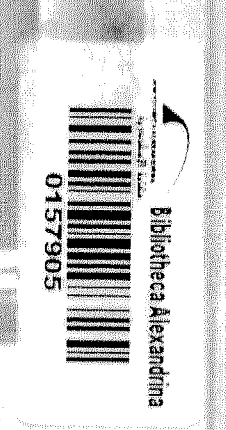
أضواء على مكتبة الاسكندرية

من خلال

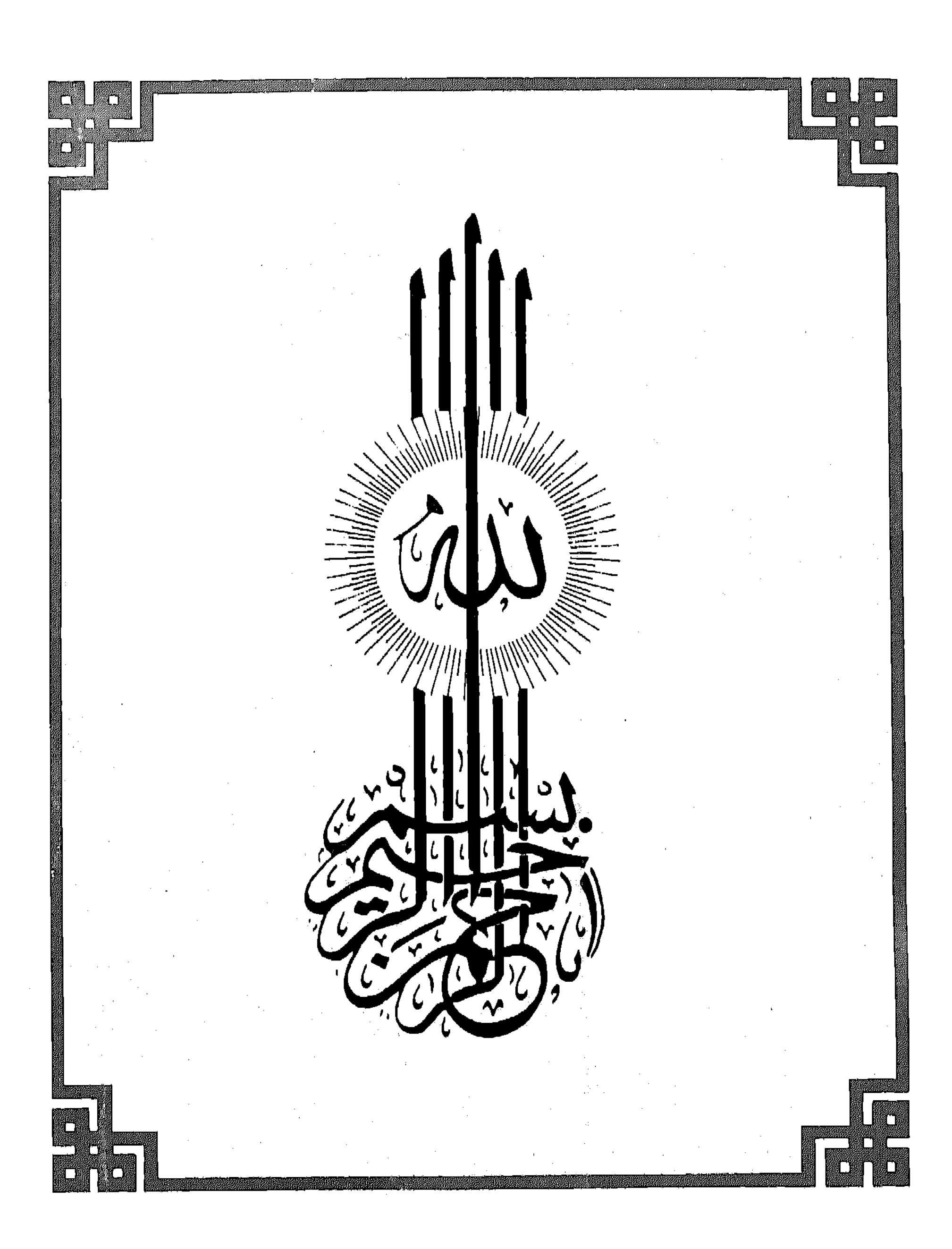
إطلالة على التاريخ القديم



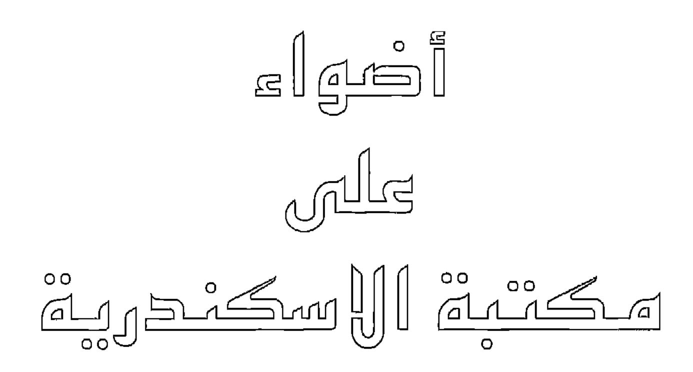


الدكتور عمر عباس العيدروس




الله
بسم الله الرحمن الرحيم





من خلال
إطلالة على التاريخ القديم

الدكتور / عمر عباس العيدروس

موافقة وزارة الاعلام والثقافة - أبوظبي
بتاريخ ١٤١٥/٨/٢١ هـ الموافق ١٩٩٥/١/٢٥
تحت رقم ١/١٦





صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان
رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة

لقد ساهم سموه بمبلغ عشرين مليون دولار لمشروع إحياء مكتبة الاسكندرية
إضافة إلى تبرعاته السخية في المشاريع العملاقة في مختلف الاقطار العربية والاسلامية



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



سيادة الرئيس محمد حسني مبارك
رئيس جمهورية مصر العربية

في عهده تم إقرار مشروع إحياء مكتبة الاسكندرية
حيث وضع أساس المشروع في ٢٦ يونيو ١٩٨٨





الاهداء

الى

مكتبة الاسكندرية الجديدة
الصرح الثقافي الشامخ
الذي أيقظ التاريخ من سباته

محتويات الكتاب

الفصل الثالث
آفاق الفكر اليوناني

الفصل الرابع
عهد الاسكندر والبطالمة والرومان

الفصل الخامس
الاسكندرية قديما

الفصل السادس

المكتبات

الفصل السابع

مكتبة الاسكندرية القديمة

الفصل الثامن
الروايات عن حريق مكتبة الاسكندرية

الفصل التاسع

احياء مكتبة الاسكندرية القديمة

شكر وتقدير

بمزيد من التقدير والامتنان، وأنا أشعر بدين كبير على عاتقي، لابد لي أن أؤكد بأني أدين بأكثر من الكثير إلى أولئك الذين ساهموا بتزويدي ببعض المصادر، مقرونة بعبارات التمني والتشجيع، وأخصهم بالذكر سفارة جمهورية مصر العربية بدولة الامارات، ممثلة بسفيرها ورجال السفارة الناهضين، الذين تفضلوا بتزويدي ببعض المعلومات الأولية عن مكتبة الاسكندرية الجديدة، وما أسدوه من معاونة وتشجيع وتسهيلات.

ولا يفوتني أن أذكر بالتقدير والثناء الى الأستاذ الدكتور مصطفى العبادي الذي استطاع خطابي اللحاق به حيثما توجه لتزويدي بكتابه القيم Life and Fate of The Ancient "Library of Alexandria" وهو النص الاصلي المؤلف باللغة الانجليزية الذي أعياني البحث في الحصول عليه، فكان أن أهدى لي بنسخة منه مشكورا.

كما أوجه شكري وامتناني الى منظمة اليونسكو في باريس (برنامج الامم المتحدة للتنمية) على تفضلها بارسال نسخة من ترجمة كتاب الدكتور العبادي الى العربية، وكانت بعنوان "مكتبة الاسكندرية القديمة، سيرتها ومصيرها".

وبخالص من الشكر والامتنان، أزجي عميق تقديري أيضا الى الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية في شخص مديرها الاستاذ الدكتور محسن زهران بارسال ما استجد من المنشورات التي تصدرها الهيئة، وما لقيته من موازرة وتعاون بهذا الصدد.

وأخيرا وليس آخرا، اذا جاز للوالد أن يشيد بضناه حين يحتضن آثاره، فلا أجدر من أن أغمر إبني (طه) بالاشادة الجميلة لما بذله من جهود مباركة في إستكمال مستلزمات هذا الكتاب من تصميم للغلاف وإشراف وتنظيم على الطبع، سائلا المولى تعالى له دوام التوفيق ،،،،

وأسأل الله تعالى السداد والتوفيق في هذا المجهود الفردي المتواضع.

المؤلف/ د. عمر عباس العيدروس

كلمة لابد منها

لم يكن العمل ميسورا ولا الجهد قليلا، فقد استغرق وقتا غير قصير، والبحث عن المصادر الموثوقة الوافية ليست كلها متاحة. وكانت المشقة أيضا هي في الحصول على المصادر الأجنبية التي توسعت بعض الشيء في الشرح والتفصيل وإزاحة بعض المغاليق، فالموضوع عميق ومتشعب ويتناول فترة بعيدة ولمدة طويلة من الزمن، ولابد، لذلك، من عدم اغفال بعض المراحل المهمة التي مرت. وهكذا أجدني قد توغلت الى التطرق في العديد من هذه المراحل بقدر ما يمس الموضوع بشكل مباشر أو غير مباشر، مع ذكر أبطالها وعمالقها ومحاولة الاستيفاء بشكل موجز عن سيرهم وأعمالهم، وعن الآراء والأفكار التي يحملونها، والأحداث التي إجتاحت في بعض المراحل مما أثارتها مكتبة الاسكندرية القديمة. ولأجنب القارىء مشقة تذكر الأسماء اللامعة التي ورد ذكرها في هذا الكتاب، فقد عمدت الى ايضاح ذلك في الهوامش الخاصة بكل فصل من فصول هذا الكتاب.

ولكي يكون مفهوم المكتبة واضحا منذ القدم، فقد عمدت الى شرح نشوء الكتابة وصناعة الكتاب ابتداء لكي نتعرف مسبقا كيفية تدوين الكتب ونسخها وتخزينها وتصنيفها، والتي كانت ولا شك تأخذ حيزا كبيرا، إضافة الى قيام المكتبة القديمة بمهام البحث والتدريس.

ولابد لي بعد ذلك من استعراض الحضارات القديمة التي مرت بها المنطقة بصورة عامة، خاصة الحضارات اليونانية والرومانية والغربية والفينيقية والمصرية، وذلك بغية التعرف على كيفية تفاعل هذه الحضارات وتأثر البعض منها بالبعض الآخر.

ولما كان التراث الفكري اليوناني هو المعين الذي نبعت منه مختلف الآراء والعقائد والفلسفات التي تغذت منه المنطقة، فاقتضى الأمر لذلك القيام بجولة من جذور ملامح هذا التراث والوقوف على المذاهب والمدارس التي نشأت وما حصل فيها من تطور وتنوّع.

ثم جاء عهد الاسكندر والبطالمة والرومان ليضفي بواعث النهضة الفكرية وفي مصر بصورة خاصة، والاسكندرية على نحو أخص، مما حملنا على أن نلم الماما شاملا بهذه العهود التي مرت والرؤوس التي هيمنت على إحداث التغييرات فيها، وتأثير كل ذلك على المجتمعات التي تعيش فيها.

ولما كانت الاسكندرية هي الأرض المختارة لإحداث هذه التغييرات وبناء الحضارة الجديدة، فمن المفيد، لذلك من الاطلاع على ما دونته بعض الكتب عن أوصاف هذه المدينة قديما، بنصوصها الاصلية وما فيها من تشابه أو اختلاف، وما يصح الأخذ به كمدخل الى التعرف على أسباب النهضة وما واكبها من أحداث، وذلك بشيء من التفصيل الذي يزيل الغموض، ومن هذا المنطلق يمكن التعرف على مدرسة الاسكندرية الشهيرة، وما دونته بعض المصادر عنها، في مختلف العصور، والمدارس المختلفة التي انطلقت منها.

ويأتي التطرق بعد ذلك الى البحث عن مفهوم كلمة المكتبة ومدلولاتها وجذورها التاريخية وتطورها وأنواعها وأهدافها، مع ذكر أشهرها ووظائف كل منها، وصولا الى فكرة اعتبار المكتبة من حيث أنها وعاء للفكر الانساني والحضارة الانسانية وملتقى الماضي بالحاضر واطلالة الحاضر على المستقبل.

ويتطلب الأمر بهذا الصدد الى الاحاطة بمكتبة الاسكندرية القديمة احاطة شاملة من حيث موقعها وذخائرها وأهميتها وأبعادها الحضارية وأنشطتها وآثارها على الفكر والثقافة، وبالتالي ما تعرض لها من أحداث لحين اختفائها وزوال آثارها.

ويتوالى الحديث بعد ذلك عن الروايات التي تطرقت عن حريق مكتبة الاسكندرية القديمة بشيء من الاسهاب، لا من حيث أنها تعرضت لحدث وقع فحسب، بل لأنها قد اتخذت كذريعة أو دليل لتشويه التاريخ العربي الاسلامي بصورة خاصة، ومحاولة لصق المسلمين بتهمة العداء للثقافة وعدم الاهتمام بها.

ولكي يكون الحديث موضوعيا قائماً على كشف الحقائق بكل صورها بشكل كامل، فقد عمدنا الى عرض ما دونته بعض المصادر عند الصاقها هذه التهمة بنصوصها الاصلية من غير تحريف، ثم تتوالى الردود بعد ذلك، بشكل مفصل وبنفس العبارات التي وردت فيها وما تضمنته من أدلة وأسانيد، من مختلف المصادر، العربية والاجنبية، لتخرج المناقشة بعد ذلك كشفا وتقييما لما ورد من شروح وايضاحات وتحليلات.

وينبغي القول بهذا الصدد، أن مكتبة الاسكندرية القديمة رغم طمس معالمها الاثرية، إلا أنها أتاحت للعقول المفكرة التي تصبو الى العلوم والمعرفة أن تغوص الى أعماق جذور هذه الخزائن الثقافية لتستخرج من فروع وشعاب معينها الثري ما يوقظ الفكر ويلهم روح البحث والتنقيب في شرايينها للتعرف على كيفية تطور ونضوج الثقافة والحضارة في المراحل السابقة واللاحقة.

ويزاح الستار، بعد طي قرون من الزمن، عن مشروع إحياء مكتبة الاسكندرية القديمة، فيأتي الذكر و،هو في مرحلته الانشائية الى سرد فكرة إحياء المكتبة وكيف نبتت، ووضع البذرة الاولى للمشروع، واختيار الاسكندرية موقعا له، والنموذج المقترح له، وأهداف المكتبة وآفاقها والمساهمين في تمويلها ودعمها، مع استعراض عناصرها الوظيفية وتشكيلاتها الادارية واختصاصاتها وكل ما له علاقة بانهاض هذا المشروع واحتضانه وتوسيع أنشطته وخدماته.

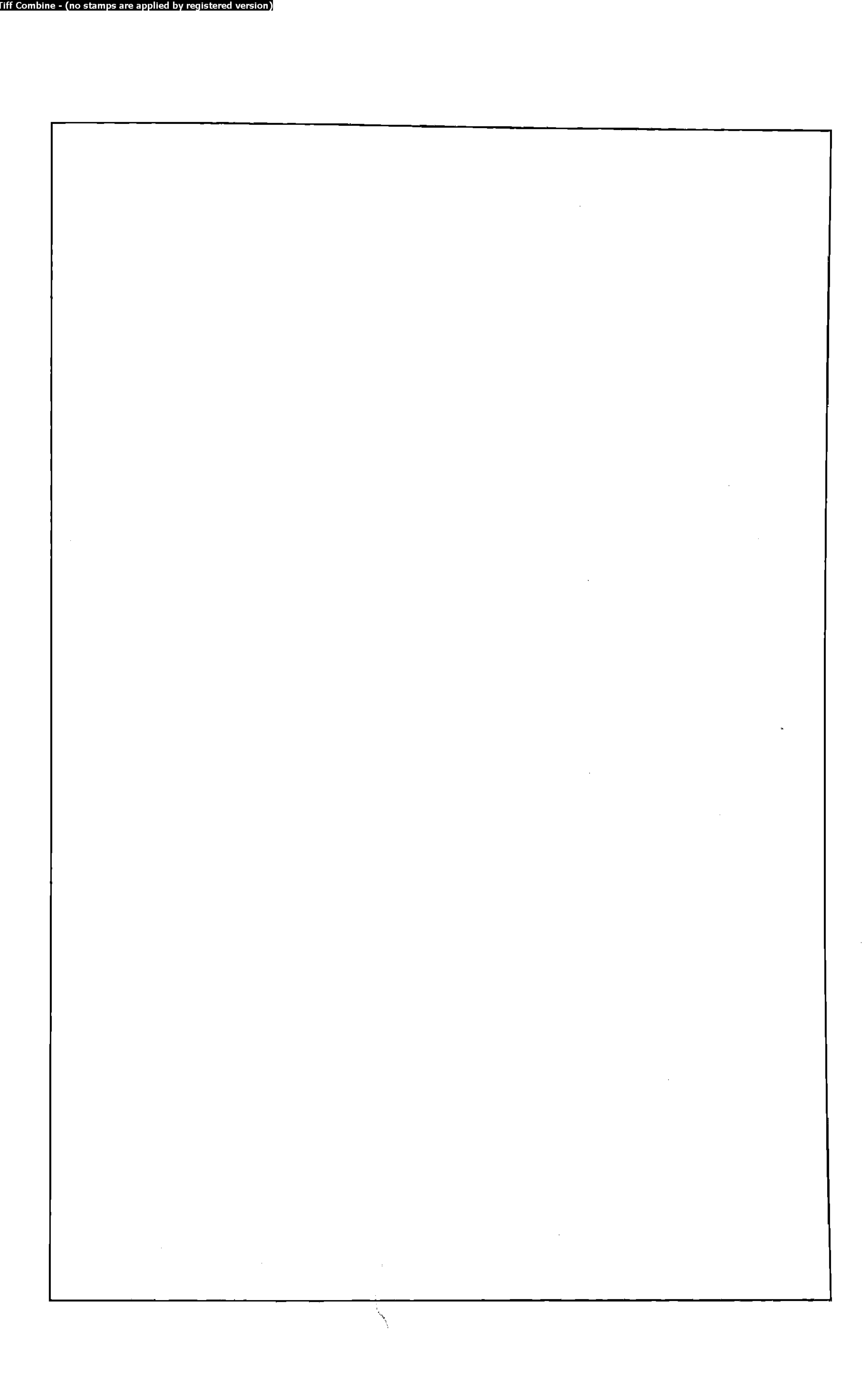
ومما يجدر ذكره أن مكتبة الاسكندرية الجديدة بصرحها الشامخ المزود بكل المستلزمات الحديثة، ليست مجرد دار للكتب لتكديس المجلدات والمخطوطات وتنظيم محاضرات وندوات، واعداد مركز للبحوث والدراسات من أجل بناء نخبة من العلماء والباحثين، فهي ليست مصنعا تديره الآلات والمكائن لاستخراج ما يحلو من المنتجات، فأكثر الجامعات في العالم تمتلك أقساما للمختبرات والدراسات في شتى العلوم والفنون، فالملكات الشخصية والجهود الفردية وتشبثاتها لابد أن تأخذ حيزها في المقام الاول، وتساهم بشكل ايجابي متبادل لاثراء هذا الهرم الثقافي الحضاري العظيم وصولا الى تحقيق الاهداف الطموحة التي تسعى اليها المكتبة.

ولا شك أن مكتبة الاسكندرية الجديدة ستوسع هذه الآفاق وتحتضن الملكات الفردية وتبث اشعاعات العلم والمعرفة الى العالم كله من خلال أنشطتها وما تختزنه في خزائن المعرفة واثرائها وتوفير المناخ الملائم لخدمة ما صنعه ويصنعه الانسان في مختلف عصوره في العصور القديمة والحديثة وما يمكن أن يصنعه في العصر المستقبلي.

وكلنا أمل ونحن على أبواب افتتاح هذا المشروع الكبير أن تتدفق اشعاعاته المتألقة في مشارق الارض ومغاربها، وان يلقى الدعم الكامل المستمر من جميع الدول والهيئات، العربية منها بصورة خاصة، وذلك في تعاضد متواصل ومشاركة فعالة لاحياء هذا التراث الثقافي العظيم وتنشيط دوره وتمكينه من تحقيق أهدافه ومواصلة تنفيذ رسالته واثرائه بكل مستلزماته الضرورية لتوسيع عطائه، وان تقوم هذه الجهات بتسخير امكاناتها المتوفرة وخبراتها العلمية والعملية، كما فعلت عند احتضان فكرة المشروع وتنفيذه وتأمين نهوضه وتقدمه من تشجيع مادي ومعنوي.

المؤلف

د. / عمر عباس العيدروس



الفصل الأول

نشوء الكتاب وصناعة التاريخ

محتويات الفصل الأول

نشوء الكتابة وصناعة الكتاب

«شيء من التاريخ»

- تمهيد
- تاريخ نشوء الأبجدية
- أصول الكتابة العربية
- أقدم الكتابات
- الأبجدية العربية
- تاريخ صناعة الكتاب
- الكتب المصنوعة على ألواح فخارية
- أدراج قصب البردي
- الرق بنوعيه
- اكتشاف أوراق البردي في الأردن
- الطباعة
- الحبر
- تجليد الكتب
- تقدّم صناعة الكتب في التكنولوجيا الحديثة
- تاريخ نشوء الموسوعة أو دائرة المعارف
- هوامش الفصل الأول

الفصل الأول

نشوء الكتابة وصناعة الكتاب
«شيء من التاريخ»

«يطيب لي أن أغيب أحياناً مع نفسي في عقول الآخرين عند ما لا أعمل أو أقرأ، فأنا لا أستطيع أن أجلس وأفكر، فالكتب هي التي تفكّر لي».

«تشارلز لام»(١)

تمهيـــد

ونحن نعيش في عرس ثقافي حافل، ومهرجانات فكرية متميّزة، تتمثّل في البرامج والأنشطة التي يقيمها معارض الكتاب، يجدر بنا أن نقف موقف المتأمل لحظة لنفكر كيف يمكن أن يكون حالنا وحال العالم لولا هذا الكتاب الذي استطاع أن يختزن التاريخ والعلم والفن في شتى الفروع والحقول، فأتاح لنا الإطلالة على الماضي، ونبش معالمه، والتعرّف على ما واكبه من تطور وتقدم، والوقوف على الجهود الجبارة التي بذلت لاستكشاف كنوزه، حتى غدا ما لدينا من المعرفة والعطاء مديناً لهذا الكتاب الذي ضمّ هذا الكمّ الهائل من المعلومات بمختلف اللّغات. ولا شك اننا الآن أوفر حظّاً من أسلافنا عندما أتاحت لنا وسائل التقنية الحديثة تطوير صناعة الكتاب الى الحد الذي نستطيع معه اختزان المعلومات في أصغر الأحجام وبأدق الوسائل.

ولا شك أن معرفة أصول نشأة الكتاب ستكون أكثر عمقاً وتكاملاً لو امتد استقصاؤنا الى معرفة نشأة اللغة والأبجدية والأدوات المستعملة فيها والاستنساخ والطباعة وأنواعها وتطورها. وغنيّ عن البيان ان التطرّق الى هذه المواضيع كلها بشكل مفصّل يستغرق وقتاً طويلاً ومجلدات ضخمة لا يتسع ذكرها في هذا المقال الضيّق، غير أن الاشارة اليها قد تفتح لنا دروب التوسّع في الولوج الى مغاليق العلم والأدب والفن منذ أقدم الأزمنة وصولاً الى إحياء التراث وتطويره.

ولا معنى لأن نتحدث عن مكتبة الاسكندرية القديمة، دون أن نلمّ الماماً مكثفا عن اكتشاف

الكتابة وصناعة الكتاب منذ القدم وما حصل فيها من تطور ولنتعرف بعد ذلك كيف يمكن الحفاظ على ذخائر العلم والمعرفة وتنميتها على مدى العصور.

تاريخ نشوء الأبجدية

الأبجدية (الألفباء ALPHABET): هي مجموعة الرموز، وخاصة الحروف، التي تكتب بها لغة ما. ومن أقدم ضروب الأبجدية، الهيروغليفية HIEROGLYPHIC[٢] التي استخدمها المصريون القدماء والمايانيون MAYAS والأزتكيون AZTEC، وفيها يمثّل رمزا من الرموز، هو عادةً صورة شخص أو حيوان أو شيء ما، كلمة أو مقطعاً أو صوتاً، وكانت هذه الرموز كثيرة تبلغ المئات عداً. ثم جاء الفينيقيون فطوّروا الهيروغليفية المصرية وابتكروا أبجدية جديدة قصّروها على عدد محدود من الحروف يمثّل كلّ حرف منها صوتاً بسيطاً. وكان ذلك حوالي السنة ١٤٠٠ قبل الميلاد. ومن العلماء من يعتقد أن الكنعانيين سبقوا الفينيقيين الى هذا الابتكار. وان الابجدية الفينيقية هي بنت الابجدية الكنعانية[٣]. ومن الفينيقيين أخذ الاغريق أبجديّتهم (حوالي القرن الثامن قبل الميلاد). وعن الاغريق أخذ الرومان بدورهم أبجديّتهم اللاتينية. ومن ثم انتشرت هذه الابجدية، الفينيقية الأصل، في أوربا الغربية فكتبت بها الانكليزية والفرنسية وغيرها. أما الابجدية السيريلية CYRILLIC ALPHABET[٤] المستخدمة في اللغة الروسية والبلغارية وغيرهما من اللغات السلافية SLAVONIC[٥] فقد تطوّرت بشكل مستقل عن الابجدية اليونانية.

أصول الكتابة العربية:

لقد تناول العديد من المؤرخين منابت الكتابة العربية وأصولها. وكان ممن تطرق اليه الباحث «سيد خميس» في مقال له بعنوان «جذور الكتابة العربية». نسرد فيما يلي مقتطفات منه:

«على الرغم من أن الكتابة العربية، جاءت متأخرة قروناً طويلة عن النظم التي عرفتها الحضارات القديمة، كالكتابة (الهيروغليفية) في مصر القديمة، والكتابة المسمارية البابلية، والكتابة الصينية، إلا ان الكتابة العربة لم تلبث أن احتلت المرتبة الثانية من ناحية الانتشار، بعد الابجدية الرومانية ومازالت منتشرة حتى اليوم.

ويرجع هذا التأخر النسبّي الى طبيعة حياة العرب الشماليين كقبائل بدوية تعتمد على تقاليدها العريقة الشفوية في حفظ المعلومات واقامة الاتصالات وتداول المعرفة.

وقد ظلّ الاعتماد على التقاليد الشفهية هو السمة الغالبة على الثقافة العربية القديمة في

عصور ما قبل الاسلام، على الرغم من معرفة العرب بطرق التدوين والكتابة عند الشعوب المجاورة والتي تربطهم بها علاقات ثقافية وتجارية قديمة، كاليهود وخطّهم العبراني والرومان ومن يليهم من أهل الغرب وخطهم المقلوب الذي يكتب من اليسار الى اليمين.

ولعل تدوين «المعلّقات السبع» وكتابتها بالأحرف الذهبية وتعليقها على جدران الكعبة – كما تقول بعض الروايات – هو الاستثناء الوحيد في تلك الفترة الزمنية التي سبقت ظهور الاسلام. ولقد اصبح القرآن الكريم هو كتاب العرب الأول والمقدم على غيره من النصوص العربية بعد الاسلام، لكنه ظلّ ينتقل شفويا حسب التقاليد العربية العريقة الى ان شعر العرب بضرورة تدوين لغتهم حيث بدأت حينئذ الكتابة العربية في التطوّر.

لقد ارتبطت الكتابة العربية بالقرآن الكريم الذي جاهد العرب في نشره بلغته العربية بين الشعوب المجاورة، فانتشرت اللغة والخط في ارتباط بالدين الجديد بين هذه الشعوب، إلاّ أن انتشار الخط العربي كان أبعد مدى من انتشار اللغة العربية ليصبح رابطة ثقافية ودينية بين الشعوب الاسلامية في آسيا وأفريقيا وأوربا.

أقدم الكتابات:

«يصف العلماء الأبجدية العربية ضمن مجموعة الأبجديات الآسيوية (السامية) وهناك وجهات نظر متعددة حول علاقة جذور الأبجدية العربية بالأبجديات السامية، لكن المتفق عليه الآن بين الدارسين الجادين، ان الكتابة العربية التي دوّن بها القرآن الكريم تعود بشكل مباشر الى «الكتابة النبطية التي ترجع بدورها الى الكتابة الآرامية».

لقد كان «الأنباط» وهم قبائل شبه بدوية ملاصقين للقبائل العربية الأخرى، كما كانوا صلة الوصل الثقافية والتجارية بين هذه القبائل بحكم موقعهم الممتد من سيناء وشمال الجزيرة العربية الى جنوب سوريا، حيث أسسوا دولتهم التي تمركزت حول مدنهم الرئيسية: البترا، وبصرى والحجر، والتي استمرّت من العام ١٥٠ قبل الميلاد، الى أن حطمها الرومان حوالي العام ١٥٠ بعد الميلاد.. وتسجل اللغة والكتابة النبطيين الأشكال المبكرة للكتابة العربية. ولحسن الحظ فقد ترك «الأنباط» عدداً من الآثار الكتابية في المنطقة التي كانوا يعيشون فيها. ولعل أهم هذه الصفات، ما وجد في منطقة «أم الجمال» والتي يعود تاريخها الى حوالي عام ٢٥٠ ميلادية، و «نقوش نمارد» عن الشاعر الجاهلي المعروف امرئ القيس والتي يعود تاريخها الى ٣٢٨ ميلادية التي تظهر اتجاه تحوّل الكتابة النبطية الى كتابة عربية.

وتضيف نقوش «زاباد» ٥١٢ ميلادية، وحران ٥٦٨ ميلادية، والنقوش الثانية التي عثر عليها في «ام الجمال» والتي تعود الى بدايات القرن السادس الميلادي، تضيف كل هذه الآثار المزيد

من التأكيد حول تطور الكتابة النبطية الى الكتابة العربية... وترجع المصادر العربية ظهور «الكتابة العربية» والتي اطلق عليها تسمية «الكتابة العربية الشمالية» والتي تبلورت أولا في شمال شرق الجزيرة العربية، ثم انتشرت وخاصة في القرن الخامس الميلادي بين القبائل العربية التي كانت تعيش في الحيرة والأنبار، ومن هناك انتقلت في آواخر القرن القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلاديين الى الحجاز. وتذكر هذه المصادر ان «بشر بن عبدالملك» هو الذي نقل هذه الطريقة في الكتابة الى مكة المكرمة، وساعده في ذلك «حرب بن أمية» وسرعان ما تعلمت ارستقراطية قريش الكتابة على يد بشر وحرب... ومن أوائل من تعلموا الكتابة العربية الرعيل الأول من الذين أصبحوا صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام، بعد الاسلام... كما لعبوا دوراً هاماً في تاريخ الاسلام والعرب، وتذكر المصادر العربية من هؤلاء الكتبة الأوائل: عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، طلحة بن عبدالله، أبوعبيدة بن الجراح، معاوية بن أبي سفيان.

وبعد استقرار الكتابة العربية في مكة أخذت في الانتشار، في الأماكن القريبة كالمدينة. وأقبل الأوس والخزرج وثقيف على تعلم فن الكتابة بحماس عظيم. وكان من أشهر كتبه المدينة زيد بن ثابت، والذي كلف بكتابة القرآن الكريم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

كانت الكتابة العربية الأولى تعتمد على ما عرف باسم «خط الجزم» وهو الخط الذي تطور غالبا عن أشكال الحروف النبطية متأثرا بالخط السوري الذي كانت أكثر استخداما وخاصة في الحيرة والأنبار، في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلاديين.

لقد استمر خط الجزم في التطور ليصبح تدريجيا الخط المعتمد عند العرب جميعا حتى مجيء الاسلام...

الأبجدية العربية:

هي أوسع الأبجديات العالمية انتشاراً بعد الأبجدية اللاتينية. وضعت في الاصل للكتابة العربية ثم انتشرت، مع الفتح الاسلامي، في كثير من أقطار نصف الكرة الشرقي فتبنّاها الفرس والاتراك وبعض اقاليم الهند وجنوب شرقي آسيا وغيرهم. وقد نشأت الأبجدية العربية في القرن الرابع الميلادي عن الأبجدية النبطية NABATAEN ALPHABET[٦]، على الأغلب، ولكن أصولها وتاريخها القديم لا تزال موضوع تكهّن العلماء. والابجدية العربية تتألف من ٢٨ حرفاً، وهي تكتب من اليمين الى اليسار. وكانت في الأصل غير منقوطة وغير مشكولة، ولكنها سرعان ما وضعت عليها النقط وشكلّت في صدر الاسلام. أما أقدم نص وصل إلينا مدوّناً بالحروف العربية فيرقى الى العام ٥١٢ للميلاد.

أما الأرقام العربية الحالية، فهي هندية الأصل، وقد كانت في السابق ترسم على نحو ما يستعمله الغرب حالياً أي 1,2,3,4,5 الخ. أدخلها العرب الى أوربا منذ القرن التاسع للميلاد فحلّت محل الأرقام الرومانية فيها. وكانت الارقام الرومانية عبارة عن حروف من الالفباء الرومانية استخدمت لتقوم مقام الارقام حتى القرن التاسع للميلاد، حين استعيض عنها بالارقام العربية. وهي تستخدم اليوم في صناعة الساعات وفي رؤوس الكتب ولأغراض التصنيف والتبويب.

تاريخ صناعة الكتاب:

يعود تاريخ صناعة الكتاب الى أكثر من ٥٠٠٠ سنة مضت، والى ٥٠٠ سنة تاريخ المخطوطة MANUSCRIPT أو الكتاب المكتوب باليد.

ومن سوء الحظ ان المعلومات المتعلّقة عن آلاف السنين الاولى كانت ضئيلة بل ومشكوك فيها. وقد أتى الكتاب أول مرة من الشرق، غير انه من الصعوبة معرفة من أين أتى وكيف تمّ ذلك. ومن المحتمل ان الكتب ظهرت في عدة أماكن في وقت واحد حيثما وجد المجتمع المتمدين الحاجة الى كتابة مجموعات من التشريعات والأوامر والارشادات الدينيّة والنصوص الاخرى ذات العلاقة بالمصلحة العامة.

وقد كانت المواد المستعملة في صناعة الكتب تختلف باختلاف الزمان والمكان المستخدمة فيهما. وما تم الحصول عليه في الاصل فان المادة المصنوعة كانت من ورق النخيل PALM, TREE أو لحاء الشجر TREE BARK، أو الصخر الذي يسهل قطعه الى ألواح (الاردواز SLATE)، أو الرقّ PARCHMENT، أو الجلود LEATHER.

وتعني كلمة ليبر LIBER اللاتينية، الجزء الداخلي من لحاء الشجرة والممتد الى الجذور، ومنه اشتقت كلمات كثيرة عن الكتاب مثل: المكتبة LIBRARY و LIBRETTO، والكلمة الفرنسية LIVRE، والاسبانية والايطالية LIBRO لكلمة الكتاب. وتعني الكلمة اليونانية BIBLOS نفس المعنى أي الجزء الداخلي من لحاء الشجرة والتي منها صنعت الكتابة ومنها الكتبة المقدسة BIBLE.

إن أقدم النماذج التي تمّ الحصول عليها كانت مكتوبة على الفخار CLAY أو الحجر STONE، علماً بأن أكثر المواد المستعملة في الكتابة كانت هشة فزالت الكتابة عنها. اما موقع هذه الكتب المكتوبة على ألواح فخارية فكان أقدمها في أرض ما بين النهرين MESOPOTAMIA أو في مصر بشكل أدراج ROLLS (لفائف) من ورق البردي PAPYRUS. وهناك نماذج لكليهما يعود تاريخها الى ما قبل ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

الكتب المصنوعة على ألواح فخارية:

كان السومريون والبابليون والآشوريون والحيثيون يكتبون على ألواح من الفخار بعد أن يتم تغليفها بالماء. وبالرغم من اختلاف هذه الالواح في الاحجام والابعاد، الا ان شكلها العام كان مربعاً بطول خمسة انشات تقريبا. ويستغل الكاتب رطوبة هذه الالواح للحفر عليها بنقوش مسمارية بواسطة أداة مستدقّة الرأس. وبالكتابة على كامل السطح برموز صغيرة فانه يحصل بذلك على نصّ متين. وإذا كانت النصوص المطلوبة كتابتها طويلة، فانه يعمد عندئذ الى استخدام عدة ألواح تربط ببعضها بالارقام أو بالاشارة الى الكلمات الاخيرة في كل صفحة CATCHWORDS كما هو مألوف في بعض الكتب الحديثة.

وقد استمرّت صناعة الكتب المكتوبة على الالواح الفخارية لمدة تقرب من ٢٠٠٠ سنة. وقد ظلت نوعية وحجم السجلات المحفوظة على مدى الاهتمام بالحفاظ على الكتابة والكتاب، فعن طريق التجفيف تحت أشعة الشمس، أو التحميص في الفرن، استطاعت الالواح الفخارية مقاومة التلف لفترة طويلة، وهذه العملية الاخيرة كانت تتبّع في النصوص القيّمة والتشريعات القانونية والسجلات التاريخية الملكية والملاحم البطولية. ورغم مرور آلاف السنين على هذه

الالواح المدفونة في مدن مجهولة، قد تم استخراجها سليمة في الحفريات التي أجريت على الآثار، وقد بلغ عدد الالواح الفخارية التي استخرجت الى ما يقرب ٥٠٠ر٠٠٠ لوحة ويتزايد هذا العدد مع استمرار التنقيبات الحديثة. وأكثر هذه الالواح كانت تخصّ الوثائق التجارية الخاصة والسجلات الحكومية، ومنها نصوص مكررة.

إن الالواح الفخارية كانت تكتب عليها بالحروف المسمارية، وقد اخذ اسمها الحديث من شكلها الوتدي (من اللاتينية WEDGE" CUNEUS") وتكتب بواسطة أداة مستدقّة الرأس مصنوعة من الفخار STYTUS. وعندما ظهرت اللغة الآرامية والابجدية في القرن السادس قبل الميلاد، أخذت هذه الكتب المصنوعة من ألواح الفخار طريقها الى الزوال لأنها لا تناسب كثيرا اللغة الآرامية قياساً الى قصب البردي PAPYRUS.

أدراج قصب البردي:

البردي PAPYRUS نبات مائي شبيه بالقصب، يبلغ ارتفاعه نحواً من عشرة أقدام (حوالي ثلاثة أمتار). وتنمو مزارع قصب البردي بصورة خاصة في وادي النيل، حيث كان قدامى المصريين يصنعون من أعواد هذا النبات بيوتاً وزوارق، كما اتخذوا من أليافه حبالاً ونعالاً، وبعد تسطيح أوراقها بترقيقها اتخذوا منها قراطيس يكتبون عليها.

وعن المصريين أخذ اليونان قراطيس البردي. ومنذ عام ١٧٧٨ اكتشفت في مقابر مصر تحت انقاض مدنها القديمة آلاف من هذه القراطيس التي يعتقد ان بعضها يرقى الى ما قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة. والقراطيس التي صنعها المصريون من البردي لم تكن تزيد على قدمين طولا وعلى عشرة انشات (حوالي ٢٥ سنتيمترا) عرضا، ولكنهم كثيراً ما كانوا يلصقون بعضها ببعض ويجعلون منها أدراجا ROLLS، وقد عثر علماء الآثار على درج منها يبلغ طوله ١٣٣ قدما (حوالي ٤٠ مترا) وهو محفوظ في المتحف البريطاني.

ومعظم قراطيس البردي التي تم الحصول عليها يحمل كتابات باللغة اليونانية. وهذه الكتابات تمثل بعض ما ألّفه مفكرو اليونان والرومان واجزاء من أسفار الكتاب المقدس وبعض الدعوات الرسمية.

وفي العهود السابقة لظهور النصرانية، ولسنوات عديدة بعد ذلك، كان صنع القراطيس من البردي حكرا على مدينة الاسكندرية بصورة خاصة، وكانت كل ورقة تدمغ بعلامة تشير الى نوعيتها.

هذا وقد عثر العلماء في أحد القبور المصرية التي ترقى الى عام ٢٤٠٠ قبل الميلاد على درج

يبلغ طوله ٧٠ قدما (حوالي ٢١ مترا) ويبلغ عرضه ١٥ انشاً (حوالي ٣٨ سنتيمترا)، وهذا الدرج هو الذي يعرف بـ «كتاب الموتى BOOK OF THE DEAD»[٧].

وحيث ان البردي أخف وزنا وأكثر ملاءمة من الفخار، فقد أخذت مصر تصدره الى مختلف بلدان الشرق الأدنى، وعن المصريين افتبس الاغريق «الكتاب الدرجي» وعن الغريق اقتبسه الرمان بدورهم.

ومن لفظة PAPYRUS (البردي) اشتقّت لفظة PAPER (الورق)، ومن اسم مدينة جبيل BYBLOS في لبنان[٨]، وهي الميناء الفينيقي الذي اصبح فميا بعد مركزا لتصدير البردي، اشتق الاغريق لفظة BIBLION وهو اسم الكتاب في لغتهم. ومن كلمة BIBLION هذه، نشأت كلمة BIBLE ومعناه الكتاب المقدس «العهدان القديم والجديد»[٩] أما كلمة BIBLIOGRAPHY فتعني فن وعلم وصف الكتب والمخطوطات او التعريف بها.

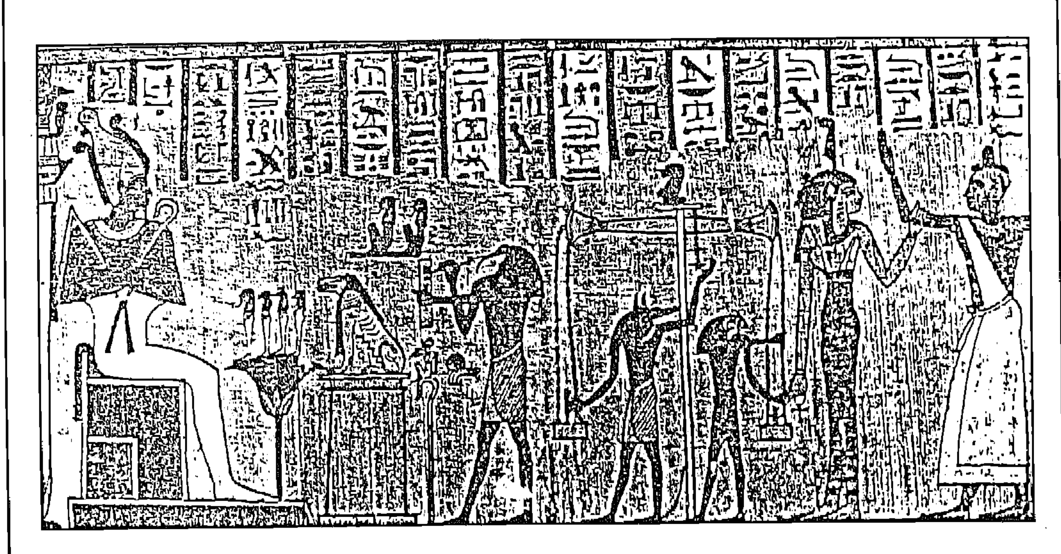
واما الرومان فقد دعوا ادراج البردي أو اللفائف «فولومن»، ومنها اشتقت كلمة «فولوم» أو مجلد أو كتاب "VOLUME".

الرق بنوعيه VELLUM and PARCHMENT:

الرق العادي PARCHMENT والرق الناعم VELLUM : هما المادتان المصنوعتان من جلود الحيوانات (الخروف أو الماعز أو الغزال أو العجل). وتشير المصادر المصرية الى وثائق كتبت على جلود مدبوغة يرقى تاريخها الى ٢٤٥٠ قبل الميلاد، على ان الجلود قلّما كانت تستعمل في مصر لتوفر ورق البردي، بيد ان اليهود كانوا يستعملون الجلود المدبوغة في صناعة كتبهم.

وقد دلّت الاكتشافات في البحر الميت عام ١٩٤٠ على وجود مجموعة من ادراج ولفائف من الجلود والرق مخزونة في آوان مدفونة في الكهوف على امتداد بحر الميت لقرون عديدة، وكانت الكتابات المتعلقة بالتوراة فيها تعود الى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد و ٦٨ للميلاد.

ان الرقّ العادي قد تم اختراعه كنتيجة للمنافسة التي كانت قائمة بين الملك المقدوني الذي حكم مصر «بطليموس الخامس PTOLEMY V ٢٠٤ – ١٨٠ قبل الميلاد» والملك أيومينس الثاني ١٩٧ – ١٥٩ قبل الميلاد EUMENUS II» ملك برغاموم PER GAMUM (مملكة يونانية قديمة شملت أراضيها القسم الأعظم من آسيا الصغرى) حوالي العام ١٩٠ قبل الميلاد. وقد خاف بطليموس أن تسبق مكتبة برغاموم مجموعات الاسكندرية فوضع حظراً على البردي لمنع منافسه من صنع كتب أخرى، فقام أيومينس عندئذ بصنع الرق.



من «كتاب الموتى»: رسم يمثل حسنات الموتى وسيئاتهم عند وضعها في الميزان

ومما يجدر ذكره، أن اليونانيين عرفوا البردي في القرن السابع قبل الميلاد، واستمر استعماله حتى القرن الخامس، وبعد ان وجدوا أعباء ثقيلة في التصدير كرسوم الاصدار ونفقات النقل مما جعل السعر باهظا، اضافة الى ان البردي كانت له عيوبه، حيث انه كان هشا قابلا للكسر وحساسا للرطوبة والحرارة، كما ان امكانية الكتابة عليه مقتصرة على جانب واحد فقط، لذا فقد جربت مادة اخرى مختلفة مصنوعة من الجلود مقاومة للرطوبة والحرارة وقوية، ويمكن لفها وطيها بسهولة، الى جانب امكان تقطيعها الى الاحجام المطلوبة، والكتابة على وجهيها، ثم امكان اعادة استعمالها بعد كشطها وغسلها. وكانت في البداية تستعمل بشكل أدراج ROLLS، ثم تطوّر بعد ذلك الى شكل صفائح SHEETS. وكانت هذه الصفائح تجمع في أغلفة لتؤلف كتابا أو مخطوطة CODEX حيث يسهل حينئذ فتحه أو غلقه كما هو الحال في الكتب الحديثة.

وقد ظلّت مادتا البردي والرق لعدة قرون وعلى امتداد عصر الامبراطورية الرومانية (٢٧ ق. م - ٤٧٦ م) هما المادتان اللتان كانتا تستخدمان في الكتابة، ولكن في عصر الامبراطورية البيزنطية ٣٩٥ - ١٤٥٣ أخذ رق المخطوطة PARCHMENT CODEX يكتسب شكلاً أساسيا في الكتابة.

لقد عاش الكتاب في شكل مخطوطة لمدة عشرة قرون اخرى، فقد كان السمة المميزة للمدنية المسيحية وفي عصر النهضة الكارولينجية CAROLINGIAN RENAISSANCE(١٠). وبدعوة

من كبار مؤسسي الأوامر والتعليمات الدينية، خاصة «القديس بينديكت ST. BENEDICT[11] ٤٨٠ – ٥٤٧» فقد كرّس الرهبان أنفسهم في ايرلندة وبريطانيا وايطاليا وأسبانيا وشواطئ الراين النسخ وتجميع وتصنيف وزخرفة وتجليد الكتب الدينية التي كتبها القساوسة وتفسيرات الانجيل والمسارد والشعائر والطقوس الدينية وما الى ذلك.

ومع حلول القرن الثاني عشر، أصبحت صناعة الكتاب مقتصرة على الكنائس ودير الرهبان CONVENTS ABBEYS، على ان ظهور الجامعات في نفس القرن قد غيّر من الاذواق بالتخصصات، وأصبحت مصانع الكتب تدار من قبل مهنيين متخصّصين لتغدو فناً انتقل الى المدن خارج الدير، وكان هناك أيضا ناسخون يتنقّلون من قرية الى اخرى عارضين خدماتهم في هذا المجال.

وقد بقيت مشكلة ارتفاع الكلفة تمثل عائقا لنشر الثقافة لفترة غير قصيرة، ولم يتم حلها الا بظهور المادة الجديدة وهو الورق، التي ظهرت في ايطاليا من قِبل المسلمين في صقلية، والتي لعبت دوراً حيويا في اكتشاف الطباعة.

اكتشاف أوراق البردي في الأردن:

تم اكتشاف مخطوطات قديمة على ما يقارب خمسين لفافة من البردي، وهي الاولى من نوعها، وسوف تساهم هذه المخطوطات الفريدة بالقاء الضوء على تاريخ العرب الأنباط في الفترات المتأخرة كما تلقي أضواء جديدة على تاريخ المنطقة.

وقد تمّ هذا الاكتشاف اثناء اعمال التنقيب والقائمة في موقع الكنيسة البيزنطية في البتراء والتي يشرف على أعمال التنقيب فيها المركز الامريكي للأبحاث الشرقية في عمان بتمويل من الوكالة الامريكية للانماء الدولي بالتعاون مع دائرة الآثار العامة.

إن هذه الاكتشافات الجديدة تضاهي في أهميتها مخطوطات البحر الميت الشهير وانها الاولى من نوعها التي يتم اكتشافها والعثور عليها في البتراء.

لقد تم العثور على هذه اللفائف في أحد مرافق الكنيسة البيزنطية في البتراء وكانت محفوظة في خزانة خشبية بعضها في علب من الخشب المطعم بالزجاج، والبعض الآخر ملفوف حول قضيب من الخشب ينتهي بحلقات نحاسية أو في قطعة من القماش. ومن الصعب قراءة هذه اللفائف حاليا بسبب تفحمّها، وقد يكون ذلك عائدا الى ان حريقاً هائلاً قد تسبّب في تدمير الكنيسة اثر زلزال عام ٥٥١م، إلاّ أن الكتابات لاتزال واضحة ويمكن تحليلها

بعد تصويرها بالاشعة ما تحت البنفسجية ومعالجتها بالطرق العلمية الحديثة على أيدي الخبراء.

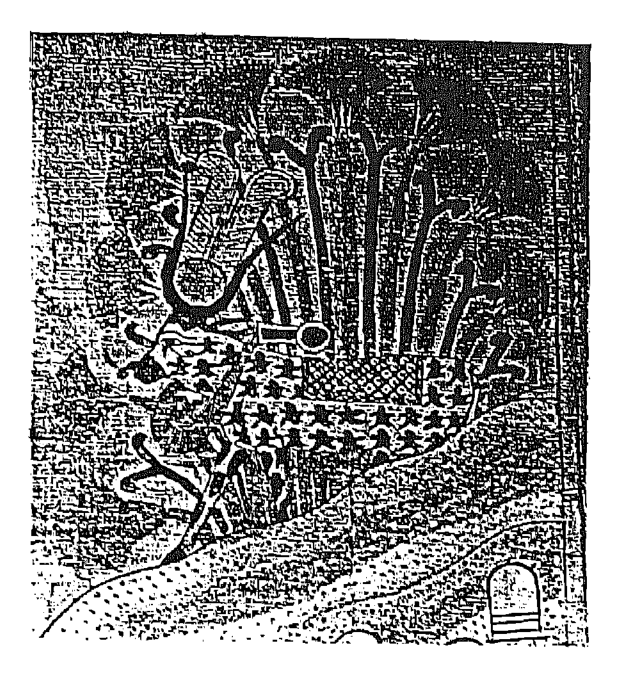
ويشير المختصون في علم الكتابات القديمة بأن هذه المخطوطات مدونة باللغة اليونانية ولغة اخرى يعتقد انها العربية المتأخرة، وهي في الغالب وثائق سكان المنطقة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين".

«من حديث للدكتور محمد عفاف العدوان، وزير السياحة والآثار الاردني والدكتور صفوان التل، مدير عام دائرة الآثار العامة والدكتور بيير بتاعي مدير المركز الأميركي للأبحاث الشرقية في عمان»

(صحيفة الاتحاد ١٣/١٢/١٩٩٣)

* راجع أيضا كتاب ?WHO WROTE THE DEAD SEA SCROLLS للمؤلف NORMAN GOLB

لفيفة من رق الجلود عليها كتابة باللاتينية واليونانية
يرجع أصلها الى البيزنطيين



ساعد المناخ الجاف لمصر، على الاحتفاظ ببعض أوراق البردى
سليمة الى الآن، ويرجع تاريخ البردية الموضحة في الشكل الى ما
قبل عام ١٢٠٠ قبل الميلاد، ويظهر عليها أحد مصانع انتاج ورق
البردى



كتاب من رق الجلود يرجع تاريخه
الى القرن الثامن، وقد عثر عليه
في دير "سان جون" بإحدى الجزر
اليونانية

الطباعة PRINTING:

كان المؤلف في القدم، يقضي أشهرا في اخراج نسخ معدودة من كتابه، في حين ان الطباعة يسّرت له في الوقت الحاضر الحصول على عشرات الالوف من النسخ في مدة وجيزة.

ويرقى تاريخ الطباعة الى القرن الثاني للميلاد عندما شرع الصينيون ينقشون النصوص الدينية على الحجر، ثم يحبّرون السطوح المرتفعة ويأخذون عنها عدداً من «الطبعات IMPRESSIONS» حتى اذا أطلّ القرن السادس للميلاد عرفوا الرواسم أو «الكليشيهات» الخشبية.

ولعلّ أقدم أثر «مطبوع» كان صلاة بوذية طبعت عن روسم خشبي أعدّ نزولا عند رغبة الامبراطورة اليابانية «شوتوكو SHOTOKU» حوالي العام ٧٧٠ للميلاد.

وكانت العملية الشائعة في العصور الوسطى أن يتم حفر الحروف في الالواح الخشبية او الحجرية بصورة معكوسة واضافة الحبر اليها. وكان الملوك والامراء يحفرون تواقيعهم على الاخشاب أو المعادن لتوقيع الوثائق والمستندات. وقد تطوّرت هذه الطريقة الى سبك الحروف المنفردة من المعدة ومن نفس الحجم وبالشكل الذي يراد أن يطبع به. وكانت فائدة الاحرف المتحركة هي امكان استخدامها بصورة دائمة بتنظيم وترتيب الحروف.

أما الطباعة بمفهومها المتعارف عليه اليوم، فبدأت مع المخترع الالماني «جوهان غوتنبرغ JOHANNES GUTENBERG ١٤٠٠ – ١٤٦٨» (١٢) الذي اخترع الطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة (١٤٣٦ – ١٤٣٨). ومنذ ذلك الحين انتشرت هذه الطريقة في أوروبا وعمّ استخدامها بعد ذلك في أرجاء العالم كله.

وفي الوطن العربي، ظهرت الطباعة في لبنان عام ١٧٣٤، وفي مصر عندما غزاها نابليون بونابرت عام ١٨٩٨ وحمل اليها مطبعة مزوّدة بحروف عربية واخرى فرنسية.

الحبر INK:

ترقى أحبار الكتابة الى حوالي العام ٢٥٠٠ قبل الميلاد. وقد استخدمت، أول ما استخدمت، في مصر والصين. وكانت تصنع من سناج (والسناج هو سخام المصابيح LAMPBLACK) ممزوج بالصمغ وتجمع على شكل عيدان ثم تترك لتجفّ. وكانت هذه العيدان تمزج بالماء قبيل الكتابة.

وطوال بضعة قرون، اتخذت أحبار الكتابة من مزيج من أملاح الحديد الذوّابة وخلاصة العفص أو حامض التنيك TANNIN (TANNIC ACID). ولا يزال ذلك هو أساس صناعة الاحبار

السوداء الزرقاء BLUE - BLACK الحديثة.

والواقع ان الاحبار الحديثة تشتمل عادة على كبريتات الحديدوز FERRCUS SULFATE ومقدار ضئيل من حامض عضوي معدني.

اما الحبر الهندي INDIA INK الذي يعرف أيضا بالحبر الصيني CHINESE INK فهو عبارة عن كربون أسود CARBON BLACK مذوّب في الماء ومثبّت بالهلام JELLY أو الجلاتين GELATINE والصمغ GUM وغيرهما، وهو يستخدم في الرسم بصورة خاصة.

وبعد اختراع المطبعة، نشأت الحاجة الى أحبار الطباعة. وبظهور الطباعة بالألوان، بدأ انتاج الأحبار الطباعية الملونّة. وأحبار الطباعة أقلّ سيولة من أحبار الكتابة، ويتفاوت تركيبها ولزوجتها وقدرتها على الانتشار تبعاً لسرعة الآلة الطابعة وللمادة المراد طبع الكلام أو الرسوم عليها.

تجليد الكتب BOOKBINDING:

كان التجليد، في السابق، عبارة عن أدراج ROLLS من ورق البردي PARYRUS. وعلى الرغم من أن المقصود من التجليد في الاصل هو صيانة صفحات الكتاب من التبعثر أو الاختلاط أو الضياع، فانه غدا بعد ذلك فناً من فنون الابداع والمهارة.

كان الاغريق والرومان يصونون «كتبهم الدرجية» في أنابيب خشبية أو معدنية، ثم اتخذت صيانة الكتب شكلاً جديدا على أساس تغليفها بألواح من الخشب المكسوّ بالجلد المزخرف أو المذهب، وبعد ظهور الطباعة حلّ الورق المقوّى محل الالواح الخشبية كما هو الشأن في الوقت الحاضر.

يمكن اعتبار رهبان الاديرة القبطية في مصر أول من استحدث تغليف الكتب بالجلد المزخرف. وفي القرون الوسطى تفنّن العرب والمسلمون في تجليد الكتب بما يدل على تقديرهم للكتاب. ثم استعيض عن الجلد بالقماش أقلّ كلفةً وأرخص ثمناً. وكان فنّ التجليد بادئ الامر يدويا، ثم أصبح نصف آليّ، ليكون اليوم آليّاً كله تقريبا.

تقدّم صناعة الكتب في التكنولوجيا الحديثة:

لقد تفجرت ثورة المعلومات في السنوات العشر الأخيرة، وحقّقت تقدّماً مذهلاً، بحلول أسهل، وتكلفة وجيز أقل، مع السرعة في استقاء المعلومات وبشكل منظم، حيث ظهرت فكرة الكتاب

الالكتروني الذي لا يختلف عن أي كتاب عادي إلاّ بتفوّقه في مجالات البحث والتتبع، بدلاً من استخدام الفهرس وأرقام الصفحات بالاسلوب التقليدي من خلال برامج خاصة تعمل على أجهزة الكمبيوتر.

لقد شاع خلال السنوات الاخيرة استخدام أجهزة الكمبيوتر الشخصية في قراءة الكتب الالكترونية. وقد تم تطوير ذلك الى ظهور اختراع جديد لأجهزة صغيرة يمكن حملها بسهولة، ولايزيد حجمها عن حجم الكتاب وسمّيت بـ (NOTEBOOK). كما تمّ استخدام أقراص الليزر لغرض مطالعة الكتب الكترونياً مع اضافة شاشة لا تزيد أبعادها عن أبعاد المحركات الخاصة لتشغيل اقراص الليزر بما يسهل حملها وقراءتها دون عناء.

وفي ظهور آخر، تمّ اختراع أجهزة زودّت بشاشات بمساحة صفحة الكتاب العادية بحيث يمكن قراءة الكتاب صفحة صفحة مثلما تتم قراءة أيّ كتاب عادي، كما يمكن وصلها بأجهزة التلفزيون لمطالعة الصفحات على شاشته.

هذا التطور الكبير، وإن كان من شأنه أن يقلّل التفكير والتأمل والغوص في أعماق المادة بتحليل الكلمات والعبارات بسبب اختصار الجهود التي تبذل لذلك، إلاّ انه لاشك سيحدث ثورة كبرى في عالم الفكر والثقافة في جميع مناحي العلم والمعرفة وانتشارها بين جميع الناس في العالم.

تاريخ نشوء الموسوعة أو دائرة المعارف ENCYCLOPEDIA

تعني كلمة موسوعة أو انسكلوبيدا ENCYCLOPEDIA باليونانية «التعليم في الحلقة الكاملة ALL - ROUND EDUCATION» وهي في الواقع تعني «جميع الأشياء التي تستحق معرفتها ALL THOSE THINGS WORTH KNOWING»، وكان أول من استعملها بالانكليزية «السير توماس اليوت THOMAS ELYOT» عام ١٥٣١.

وقد كان تلميذ أفلاطون الذي يدعى «سبيوسيبس SPEUSIPPUS (٣٩٤ - ٣٣٦ ق. م) وهو فيلسوف يوناني كتب أول موسوعة في العالم الغربي في القرن الراعب قبل الميلاد. على أن هذه الموسوعة، وتلك الموسوعة اللاتينية الاولى التي كتبها العالم الروماني «ماركوس ترنتيوس فارّو MARCUS TERENTIUS VARRO (١١٦ - ٢٧ ق.م) عن الفنون العقلية LIBERAL ARTS (اللغات والعلوم والفلسفة والتاريخ الخ.) باسم LIBRE XI THE DISCIPLINARUM لم يتح لهما البقاء.

إن أقدم موسوعة التي بقت حتى الآن، هي تلك التي وضعها المؤرخ الروماني الشهير

بلينيوس PLINY ٢٣ – ٧٩م»[١٣] في القرن الاول بعد الميلاد، والذي تسمّي بـ «التاريخ الطبيعي NATURAL HISTORY» وقد غطت كل المواضيع المهمة بالنسبة لليونانيين، وتضمّنت علم الفلك ASTRONOMY وعلم الارصاد الجوية، وعلم الحيوانات ANIMALS، الطيور والحشرات BIRDS and INSECTS، وعلم التشريح ANATOMY، وعلم الانسان ANTHROPOLOGY، وعلم النبات BOTANY، وعلم زرع الغابات والاعتناء بها FORESTRY وعلم الزراعة AGRICULTURE، وعلم الطب MEDICINE، وعلم المعادن MINERALOGY، وعلم استخراج المعادن وخلطها METALLURGY، وتاريخ الفن THE HISTORY OF ART، مع مواضيع ممتعة عن العجائب MARVELS والفأل PORTENTS وكانت هذه الموسوعة تتألف من ٣٧ مجّلداً، وفيها اكثر من ٢٠ الف مادة، وقد اقتبس بلينيوس من أكثر من ٤٥٠ مؤلفاً. وقد اعتبر هذا الكتاب قيّماً للغاية بحيث صورت منه حتى عام ١٥٣٦، ٤٣ طبعة.

في أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر، أخذت الموسوعات تنشر حسب الحروف الأبجدية وقد ظهرت أولاها عام ١٧٠٤. وكان أفضل التحسينات التي جرت هي تلك الموسوعة الكبيرة التي نشرت في باريس والمسماة ENCYCLPEDIE OU DICTIONNAIRE RAISONNE DES SCIENCES, DES ARTS ET DES METIERS في ١٧ مجلّداً و ١١ مجلداً من الجداول وذلك بين عام ١٧٥١ و ١٧٧٢، وتبعتها خمس مجلدات من الملحقات في عام ١٧٧٧ واثنان من الفهارس في عام ١٧٨٠. وتلك هي في الواقع الموسوعة بمعناها الموسوعي ENCYCLOPEDIA كمشروع جماعي، لم تتم كتابته من قبل مؤلف واحد ولكن من قبل عدد من الخبراء، مع السياسة العامة ونظام اجمالي موضوع من قبل المحرّرين.

إن الموسوعة التي كان لها أعظم الأثر في التفكير المعاصر بدأت مع ترجمة الموسوعة التي وضعها العالم الانجليزي افرايم شامبرز EPHRAIM CHAMBERS (١٦٨٠ – ١٧٤٠) والتي نشرت عام ١٧٢٨، ولكن الناشر «اندريه لي بريتون ANDR'E LE BRETON» نقل مسؤولية العمل الى الفيلسوف الفرنسي «دوني ديدرو DENI'S DIDEROT ١٧١٣ – ١٧٨٤» والفيلسوف والرياضي الفرنسي «جين دالامبير JEAN D'ALEMBERT ١٧١٧ – ١٧٨٣» اللذين سبق لهما ان قاما بتنقيح وترجمة المواد التي وضعها (شامبرز)، فكانت الموسوعة الفرنسية ENCYCLOPEDIE التي وضعها الفيلسوفان المذكوران بمعاونة كبار رجال الفكر أمثال فولتير VOLTAIRE ومونتسكيو MONTESQUIEU وروسو ROUSSEAU وغيرهم.

لقد ظهرت الموسوعة المشهورة «بريتانيكا ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA» تقريبا في نفس الوقت الذي ظهرت فيه الموسوعة الفرنسية ENCYCLOPEDIE. فالطبعة الاولى كانت في

١٧٦٨ - ١٧٧١ وقد نشرت من قبل مجموعة من الرجال في اسكتلنده، وان الطبعة الكبيرة الحادية عشرة نشرت في ١٩١٠ - ١٩١١. وانتقلت هذه الموسوعة في عام ١٩٢٩ من بريطانيا الى الولايات المتحدة الاميركية. وكانت الموسوعة الاولى الكاملة في مجلد واحد باللغة الانكليزية ثم نشرها من قبل مطبعة جامعة كولومبيا في نيويورك في عام ١٩٣٥.

في فرنسا، استخدم الناشر CHARLES JOSEPH PANCKOUCKE الموسوعة الفرنسية ENCYCLOPEDIA كأساس لموسوعته النظامية الضخمة في ١٦٦ مجلّدا، أربعين منها عبارة عن خرائط جغرافية وجداول. وكان كل موضوع يعالج موضوعاً مختلفاً ساهم فيه معظم العلماء اللامعين في ذلك العصر. وبدأ المجلد الأول في عام ١٧٨١ وظهر المجلد الأخير في عام ١٨٣٢.

لقد انتشرت كتابة الموسوعات خلال القرن التاسع عشر، وكان لجميع الاقطار الرئيسية لها موسوعاتها الخاصة مع منتصف القرن العشرين.

فالموسوعة الايطالية INCICLOPEDIA ITALIANA التي وضعت فيعام ١٩٢٥ بمبادرة من الفيلسوف والسياسي الايطالي «جيوفاني وجنتليه GIOVANNI GENTILE ١٨٧٥ - ١٩٤٤» نشرت من قبل مؤسسة TRECCANI.

والاقطار التي تتحدث باللغة الأسبانية لها موسوعتها الفخمة المسماة THE ENCICLOPEDIA UNIVERSAL ILUSTRADA والمعروفة باسم ESPASACALPE وهو اسم الناشرين، وهي تتألف من ٧٠ مجلداً اضافة الى المقدمات والفهارس والملحقات.

كما ان الأقطار التي تتحدث باللغة البرتغالية لها موسوعتها المسماة THE GRANDE ENCICOPEDIA PORTUGUESE Y BRASILEIRA.

وهناك أيضا موسوعة THE ENCYCLOPEDIE BELGE التي وضعت عام ١٩٣٨، وموسوعة THE ENCYCLOPEDIA AMERICANA في ٣٠ مجلداً.

أما الطبعة الثانية من الموسوعة الروسية THE RUSSIAN-BOLSHAYA SOVETSKAYA ENTSIKLOPEDIA في ٥٣ مجلداً فقد وضعت بين عام ١٩٥٧ وعام ١٩٦٠.

وقد ظلت ألمانيا أمينة لموسوعتها القائمة على تقاليد القرن ١٨ والمسماة THE GROSSE BROCKAUS وهي الآن في طبعتها السادسة عشرة واتخذت لها العنوان BROCKAUS CONVERSATIONSLEXICON.

اضافة الى هذه الموسوعات وغيرها، فان هناك عدداً لا يحصى من الموسوعات المتخصصة التي تنشر في مختلف أنحاء العالم وذلك تمشّياً مع ازدياد التخصصات في مختلف العلوم، وفي

الوقت ذاته، فان انتشار الثقافة ومتطلبات تزايد الجمهور، قد أدّيا الى ظهور موسوعات شعبية POPULAR ENCYCLOPEDIAS. هذا وان التقدم الحاصل في الطباعة والاكتشافات التكنولوجية قد ساعد كل ذلك على القيام بالأعمال الجذّابة مع رسوم توضيحية ملوّنة. وكان العامل الآخر في هذا النجاح يعود الى الاتقان والجودة في معالجة جميع المواضيع.

ومما يجذر ذكره في هذه الصدد أن أكبر موسوعة وضعت حتى الآن هي الموسوعة الصينية الثالثة التي أمر بتصنيفها الامبراطور الصيني HSUAN - YEH (١٦٦١ - ١٧٢٢) حيث تألفت المجموعة من ٥٠٢٠ مجلداً.



هوامش
الفصل الأول

١- تشارلز لام CHARLES LAMB (١٧٧٥ - ١٨٣٤):

كاتب وناقد انكليزي. يعتبر أحد أبرز كتّاب المقالة ESSAY في الأدب الانكليزي. نشرت المجموعة الاولى من مقالاته بعنوان «مقالات ايليا ESSAYS OF ELIA عام ١٨٢٣، والمجموعة الثانية بعنوان «مقالات ايليا الاخيرة THE LAST ESSAYS OF ELIA عام ١٨٣٣.

٢- الهيروغليفية HEIROGLYPHICS:

طريقة في الكتابة استعملها المصريون والمايانيون MAYAS(١/٢) والازتكيون AZTEC(٢/٢)، وفيها يمثل رمز من الرموز، هو صورة عادة، كلمة أو مقطعا أو صوتا.

أما الهيروغليفية المصرية، فهي سلسلة من صور منمنمة لأشخاص وحيوانات وأشياء، وقد انتشرت حوالي العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، وحلّت رموزها (١٨٢١ - ١٨٢٢) بعد اكتشاف حجر رشيد ROSETTA STONE.(٣/٢)

وأما الهيروغليفية المايانية والازتيكة، فلم تحلّ رموزها حتى الآن، ومن المعروف أن الكتابة السينية كانت في الاصل شكلاً من أشكال الهيروغليفية.

١/٢ - المايانيون MAYAS:

عرق من الهنود الحمر في الجزء الجنوبي من المكسيك وفي غواتيمالا GUATEMALA وبيليز BELIZE (هندوراس البريطانية BRITISH HONDURAS سابقا).

يرقى تاريخهم الى العام ١٠٠٠ قبل الميلاد أو ما قبل ذلك. وفي القرون الأخيرة السابقة للميلاد أنشأ المايانيون حضارة ما لبثت أن بلغت أوجها حوالي العام ١٠٠٠ للميلاد، ولكنها أخذت في الاضمحلال لتزول من الوجود في القرن ١٦.

وقد أتقن المايانيون فنّي النحت والرسم، وشيدوا معابد فخمة من حجر الكلس، وبنوا أهرامات ضخمة، وابتكروا أبجدية هيروغليفية خاصة بهم، ونظاما رياضياً مكّنهم من ابتداع تقويم مبنيٍّ على حركات الشمس والقمر والزهرة.

وقد استخدم المايانيون كتاباتهم الهيروغليفية من القرن الثالث للميلاد تقريباً الى أواخر القرن السابع عشر، أي الي ما بعد اكتشاف الاسبان لأميركا بمائتي سنة، وهي تتألف من نحو ثمانمائة وخمسين حرفاً هيروغليفيا. ورغم الجهود التي بذلها العلماء لحلّ رموز هذه الابجدية الا انهم لم ينجحوا في ذلك حتى الآن.

وهناك مدينة قديمة تسمى «مايابان MAYAPAN» في ولاية يوكاتان YUCATAN بالمكسيك، تقع على مبعدة ٣٥ ميلا الى الجنوب الشرقي من مدينة ماريدا MERIDA الحديثة. كانت عاصمة المايانيين القدماء. كشفت الحفريات التي أجريت فيها عن ٣٦٠٠ مبنى، وعن هرم ضخم وهيكل دائري أيضا.

٢/٢ - الأزتك، الأزتيكون AZTEC:

شعب هندي أحمر استقرّ في المكسيك (أواخر القرن الثاني عشر) وأنشأ امبراطورية أطاع بها الفاتح الاسباني كورتيز CORTES عام (١٥٢١). وقد ابتكر الأزتكيون نوعاً من الكتابة الهيروغليفية، ووضعوا تقويماً دقيقا، وكانت لهم حضارة تميّزت بتقدم نسبي في العلوم والفنون. وكانوا يعبدون آلهة متعدّدة ويقدّمون على مذبحها قرابين بشرية.

٣/٢ - حجر رشيد ROSETTA STONE:

حجر بازلتي أسود يرقى الى العام ١٩٥ قبل الميلاد، طوله ١١٤ سنتيمترا وعرضه ٧٢ سنتيمترا. اكتشفه بعض جنود نابليون بونابرت في اغسطس ١٧٩٩ بمدينة رشيد المصرية. وهو يحمل نقوشاً متوازية باليونانية، وبالخط الديموطيقي DEMOTIC SCRIPT، وبالهيروغليفية المصرية، مما ساعد مؤسس علم الآثار المصرية العالم الفرنسي جان فرانسوا شامبوليون JEAN FRANCOIS CHAMPOLLION (١٧٩٠ - ١٨٣٢) والطبيب الانكليزي المتخصّص بالآثار المصرية توماس يونغ THOMAS YOUNG (١٧٧٣ - ١٨٢٩) اللذين درساه كلاً على حدة، على حل رموز الهيروغليفية المصرية. وحجر رشيد محفوظ اليوم في المتحف البريطاني.

٣- الكنعانيون CANAANITES:

شعب سامي سكن فلسطين (وفينيقيا أيضا) ابتدا من العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد تقريباً وعرفه الاغريق باسم «الشعب الفينيقي». وقد أقام الكنعانيون في فلسطين عدداً من المدن المسورة، وأنشأوا حضارة اقتبسها عنهم العبرانيون فيما بعد. ويذهب بعض العلماء الى ان الكنعانيين كانوا أسبق الشعوب الى استعمال الألفباء، وان الألفباء الفينيقية جاءت من الالفباء الكنعانية. وعن الالفباء الكنعانية نشأت الالفباء العبرية أيضا. وقد أطلق القدماء اسم «كنعان» أو «أرض كنعان» CANAAN (أي أرض الارجوان)، على فلسطين لأن صبغ الأرجوان كان السلعة الرئيسية المنتجة فيها.

٤- الأبجدية السيريلية CYRILLIC ALPHABET:

وهي أبجدية وضعت في القرن التاسع للميلاد لتكون وسيلة للكتابة عند الشعوب السلافية(١/٤) وينسب اختراعها الى القديسين اليونانيين الاخوية سيريل CYRIL ٨٢٧ - ٨٦٩م وميثوديوس MITHODIUS ٨٢٥ - ٨٨٤م المعروفين بـ «رسولي السلافين APOSTLES OF THE SLAVS»، وهي مبنية على أساس من الحروف اليونانية، وقد بلغ عدد حروفها عند وضعها ٤٣ حرفاً. وكان أول أثر دوّن بها ترجمة للكتاب المقدس. أما الأبجديات السيريلية المعاصرة - الروسية والاوكرانية والبلغارية والصربية - فلا تعدو أن تكون صوراً معدّلة عن الأبجدية السيريلية القديمة ويتراوح عدد حروفها ما بين ٣٠ حرفاً و ٣٣ حرفاً.

١/٤ - السلافيون (السلاف) SLAVS:

مجموعة من شعوب شرق أوروبا تنتسب لغويا الى الأسرة الهندية الأوربية. ويقسّم السلاف عادة الى الشعوب السلافية الشرقية (وأهمها الروس والاوكرانيون والبيلوروسيون)، والشعوب السلافية الغربية

(وأهمها البولنديون والتشيكيون والسلوفاكيون)، والشعوب السلافية الجنوبية (وأهمها الصرب والكرواتيون والسلوفينيون والمقدونيون والبلغار).

ومن الناحية الدينية يقسّم السلاف، تقليدياً، الى قسمين رئيسيين: السلاف التابعين للكنيسة الارثوذكسية الشرقية (كالروس والصرب والمقدونيين ومعظم الاوكرانيين وبعض البيلوروسيين)، والسلاف التابعين للكنيسة الكاثوليكية (كالبولنديين والتشيكيين والسلوفاكيين والكرواتيين والسلوفينيين ومعظم البيلوروسيين وبعض الاوكرانيين) ويعتبر السلاف أكبر مجموعة عرقية في أوربا إذا يبلغ عددهم ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة تقريبا.

٥- اللغات السلافية (السلافونية) SLAVONIC (SLAVIC) LANGUAGES:

هي فرع مستقل من أسرة اللغات الهندية الاوربية INDO - EUROPEAN LANGUAGES. موطنها الاصلي المنطقة الواقعة بين نهر دنيبر DNIEPER ومنها امتدت الى البلقان وأواسط أوربا وشرقها، والاجزاء الشمالية من آسيا.

٦- الأبجدية النبطية NABATAEAN ALPHABET:

هي ألفباء استخدمها الأنباط في الفترة الممتدة من حوالي العام ١٥٠ قبل الميلاد الى العام ١٥٠ للميلاد لكتابة اللغة الآرامية. وهي تعتبر أحد الاصول التي نشأت عنها الالفباء العربية. وكانت مثل أسلافها الساميات مؤلفة من ٢٢ حرفاً ليس فيها حرف لين VOWEL واحد، وكانت كتب من اليمين الى اليسار.

أما الأنباط فهم قبائل عربية أنشأت في المملكة الاردنية الهاشمية الحالية مملكة تعرف بالملكة النبطية NABATAEA وعاصمتها (سلع أو البتراء PETRA). وقد ازدهرت هذه المملكة في الفترة الممتدّة من القرن الرابع قبل الميلاد الى القرن الأول للميلاد. ولا يعرف المؤرخون كثيراً عن الأنباط، ولكن من الثابت لديهم أنهم مدينون بازدهار مملكتهم لموقعها على طريق القوافل التجارية الوافدة من بلاد العرب الجنوبية الى سوريا. وقد احتل الأنباط حوران، وبسطوا سلطانهم بعد عام ٨٥ قبل الميلاد على دمشق. وبعد ذلك بفترة يسير أطاح الامبراطور تراجان TRAJAN بمملكتهم واحتلّ عاصمتها (عام ١٠٦ للميلاد).

٧- كتاب الموتى BOOK OF THE DEAD:

هو مجموعة من النصوص التي تتألف من رقى وتعاويذ وترانيم دينية كان قدامى المصريين يضعونها الى جانب المومياء أو فوق التابوت لتكون دليل الموتى في رحلتهم الى العالم الآخر ويرقى أقدمها الى العام ٢٤٠٠ قبل الميلاد، وعلى الاغلب انها جُمعت وأعيدت صياغتها خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد، وان الناسخين كانوا يقومون بتدوينها على ورق البردي ويزيّنونها بالرسوم الملوّنة ثم يبيعونها للافراد لكي يضعوها الى جوارهم في مثواهم الأخير. وقد عثر علماء الآثار على نسخ متعدّدة من «كتاب الموتى» في مختلف القبور المصرية. وكان العالم الالماني المتخصص بدراسة الآثار المصرية «ليبسيوس LEPSIUS» (١٨١٠ - ١٨٨٤) أولّ من نشر نسخة منه عام ١٨٤٢*.

(*) وقد طبع حاليا هذا الكتاب في طبعات أنيقة ملونة مصورة، مترجمة الى اللغة الانجليزية، وآخر ما حصلناه عليه هو :-

THE EGYPTIAN BOOK OF THE DEAD
(THE ANCIENT PAPYRUS OF ANI)
CHRONICLE. BOOKS
.SAN FRANCISCO, CA. 1991

٨- جبيل (بيبلوس) BYBLOS:

بلدة لبنانية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط على الطريق بين بيروت وطرابلس. وتعتبر أقدم المدن الفينيقية على الاطلاق. وقد بقيت حتى الالف الثاني قبل الميلاد أهمها وأعظمها. يرقى تاريخها الى الألف الرابع قبل الميلاد، وفيها كثير من الآثار الفينيقية والرومانية.

٩- الكتاب المقدس BIBLE:

كتاب النصارى المقدس، وهو يتألف من:

أ - العهد القديم OLD TESTAMENT الذي يقدّسه اليهود والنصارى معاً. وينتظم ٣٩ سفراً معظمها كتب في الاصل بالعبرية وبعضها كتب في الاصل بالآرامية، وهي تشتمل على تاريخ اليهود وتعاليم أنبيائهم.

ب- العهد الجديد NEW TESTAMENT ويعترف به النصارى دون اليهود، وينتظم ٢٧ سفراً كتبت كلها باليونانية، وهي تشتمل على سيرة السيد المسيح ونشأة الكنيسة النصرانية.

١٠- الكارولنجيون CAROLINGIANS:

سلالة من الحكام الفرنجة أو الفرنكيين FRANKS. خلفت أسرة الميروفنجيين MEROVINGIANS. أسسها الملك بيبين القصير PEPIN THE SHORT عام ٧٥١ للميلاد واستمرت حتى عام ٩٨٧ للميلاد في فرنسا، وحتى عام ٩١١ للميلاد في ألمانيا.

بلغت أوج مجدها في عهد شارلمان CHARLEMAGNE الذي أصبح بلاطه في أكس لا شابل AIX - LA - CHAPELLE مركزا فكريا وسياسيا واداريا بعد عام ٧٩٤ للميلاد. ويعرف أيضا بـ (شارل الكبير CHARLES THE GREAT).

١١- القديس بنيديكت SAINT BENEDICT: (٤٨٠ - ٥٤٧م).

راهب ايطالي، ضاق ذرعا بالاحوال الاجتماعية والسياسية والدينية السائدة في عصره، فاعتزل الحياة في كهف يقع على مبعدة أربعين ميلاً عن روما (حوالي ٦٤ كيلومترا). ومن ثم أنشأ ديراً في مونت كاسينو MONTE CASSINO في أواسط ايطاليا مؤسّساً بذلك، فيما بين عام ٥٣٥ وعام ٥٤٠ للميلاد، الرهبنة التي تحمل اسمه.

وقد وضع لهؤلاء البنديكيتون أو رجال الرهبنة البنديكتية BENEDICTINES التي أسّسها، دستور حياة لايزال متبعاً حتى الآن في كثير من الرهبنات الاوربية. ومن ابرز ما يفرضه هذا الدستور نذْر بالبقاء في الدير حتى الموت والعيش على الكفاف والقيام بمختلف الاعمال اليدوية.

١٢- جوهان غوتنبرغ JOHANN GUTENBERG (١٤٠٠ - ١٤٦٨):

مخترع ألماني، اخترع طريقة للطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة أو المتحركة (١٤٣٦ - ١٤٣٨) استخدمت من غير أن يطرأ عليها اي تغيير جذري حتى مطلع القرن العشرين، ويعتقد انه أتمّ طبع الكتاب المقدس عام ١٤٥٥. ولم تبق لنا الايام من هذه الطبعة الفريدة غير عشرين نسخة. وقد وجدت أولها في مكتبة الكاردينال مازارين MAZARIN (١٦٢٠ - ١٦٦١) - كبير وزراء الملك لويس الرابع عشر - في باريس فنُسبت اليه.

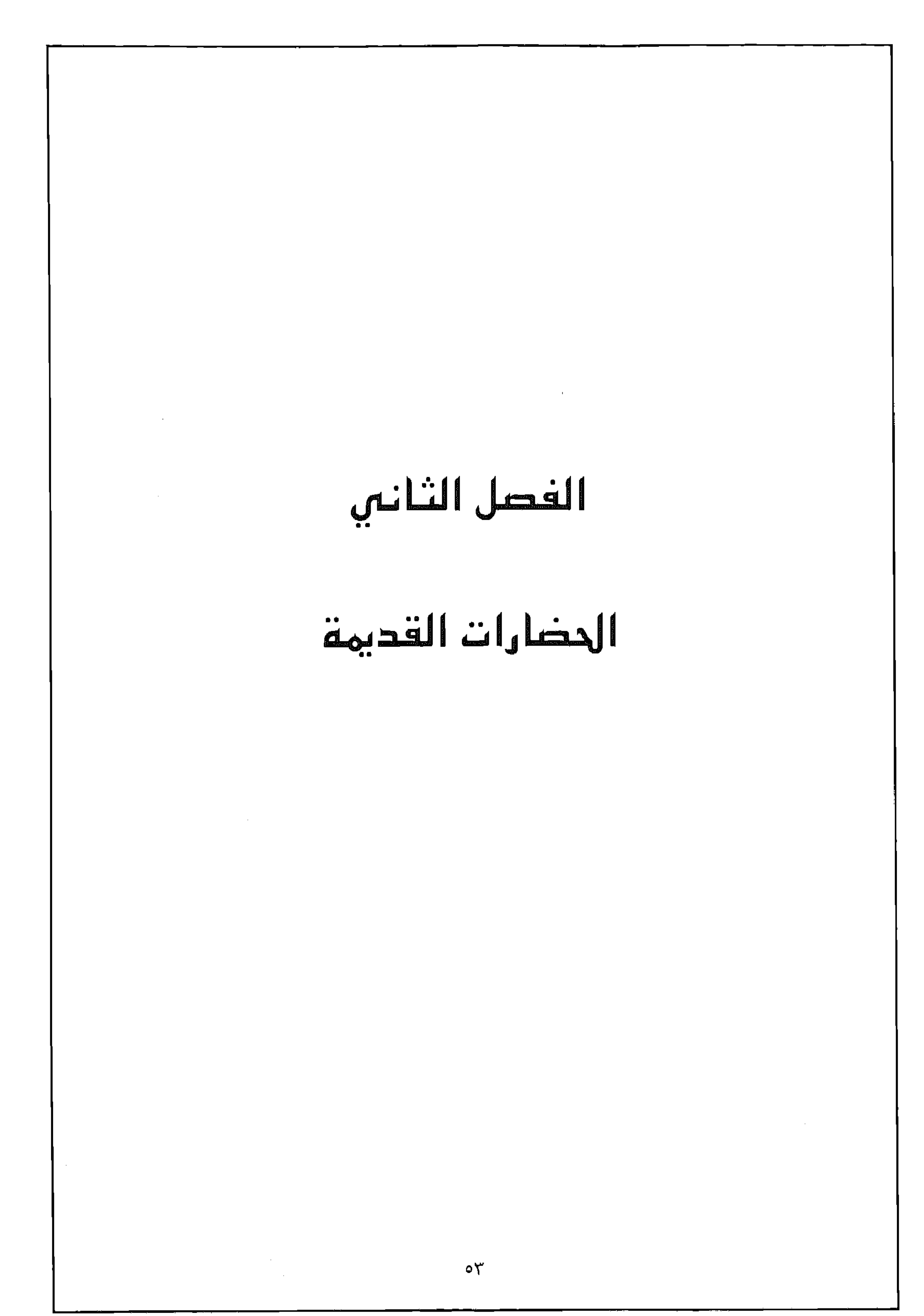
طباعة الكتب (من توارة غوتنبرغ)

١٣- بلينيوس PLINY (٢٣ - ٧٩م) «الأرشد»

موسوعي روماني، عم بلينيوس الأصغر(١٣/١) صاحب موسوعة «التاريخ الطبيعي HISTORIA NATURALIS»، قضى نحبه اختناقا قرب بومبي POMPEII بايطاليا عندما ثار بركان فيزوف VESUVIVS عام ٧٩ للميلاد يعرف بـ «الأرشد THE ELDER».

١٣/١ - بلينيوس الأصغر (٦٢ ١١٣م) PLINY:

قنصل ومؤلف روماني، تقوم شهرته على «رسائله EPISTULAE» التي تقع في عشرة مجلدات، والتي تصوّر الحياة العامة والخاصة في الامبراطورية الرومانية في عهده. يعرف بـ «الأصغر THE YOUNGER».



الفصل الثاني

الحضارات القديمة

محتويات الفصل الثاني

التاريخ عبر الزمن
الحضارات القديمة

الفصل الثاني

- التاريخ عبر الزمن -

ونحن نضع هذا الكتاب بين يدي القارئ الكريم، علينا أن نتذكر ان الأحداث التي تتناوب فصولها هي عبارة عن شريحة من التاريخ، قد تكون متقطعة بعض الشيء، ولكنها في كل الأحوال تصب في معين واحد. فالتاريخ، كما هو معلوم هو قصة ماضي الانسان بأوسع معانيه، أو هو عرض منظم مكتوب للأحداث، وخاصة تلك التي تؤثر في أمة، أو نظام، أو علم، أو فن. وهو لا يسجل الأحداث الماضية باعتبارها خطوات في التقدم البشري فحسب، بل يسعى الى ايضاح أسباب هذه الأحداث، ويعرضها على نحو يدل على تشابكها معاً في قصة واحدة، ويستعين التاريخ في ذلك بالآثار والروايات والمعاهدات والمذكرات والأساطير.. الخ.

ويقسم التاريخ عادة الى: قديم، ووسيط، وحديث. ولكن المؤرخين اصطلحوا على تسمية العصر الذي لا توجد له سجلات بشكل منظم بعصر ما قبل التاريخ. وقد ظهرت السجلات التاريخية عقب ظهور الكتابة. وأقدم الحضارات التي وصلتنا هي حضارات مصر القديمة وبابل والصين.

إن الملوك الغابرين أخذوا يسجلون انتصاراتهم من أجل أن تقرأها الأجيال القادمة، كما رغب الخلف في تسجيل أعمال السلف المجيدة وتخليد ذكراهم. كما ظهر منذ العصور القديمة لون من الاهتمام بالشؤون الدينية. كما يشاهد مثلاً في الأسفار الأولى من التوراة، وكتب الهنود الدينية.

وقد فتح كشف شامبليون لمغاليق الكتابة الهيروغليفية تاريخ مصر منذ أربعين قرناً قبل الميلاد، كما كشف حل رموز الخط المسماري تاريخ سومر وبابل منذ عصور سحيقة. غير ان التاريخ لم يكتب على نحو منظم الاّ في العصر الاغريقي.

ويعتبر هيرودوت HERODOTUS (٥٨٤ - ٥٢٤ ق. م) بحق «أبا التاريخ» لأنه لم يكتف بتدوين الأحداث، بل قام أيضا بتسجيل الأساطير، ووصف العادات والتقاليد، وذكر الآراء والتخمينات.

وكان ثيوكيديديس THUCYDIDES (٤٦٠ - ٤٠٠ ق. م) ثاني عظماء المؤرخين الاغريق، وكتابه في «الحرب البيولوبونيزية»(*) لايزال مرجعاً تاريخياً هاما، لا من حيث سرد الأحداث وشؤون الحكم والحرب فحسب، بل لما حوى من فلسفة واجتماع.

وكان المؤرخ الاغريقي العظيم الثالث هو اكسينوفون XENOPHON (٤٣٥ - ٣٥٤ ق.م) الذي كان دقيقاً في رواية الأحداث التاريخية، وقد أكمل ما كتبه ثيوكيديس عن الحرب في الاعوام ٤١٠ - ٤٠٤ ق. م.

وقد اتخذت مؤلفات هؤلاء المؤرخين الكبار نماذج احتذاها المؤرخون الاغريق الذين جاءوا بعدهم. وتوالى بعد ذلك ظهور مؤرخين أفذاذ في مختلف العصور ليس هنا موضع ذكرهم.

على أننا نود أن نشير هنا، اتماماً للفائدة، الى أنه تم تصنيف المراحل الزمنية للتاريخ كما يلي:

١- العالم القديم THE ANCIENT WORLD ٤٠,٠٠٠ الى ٥٠٠ ق. م.
٢- العالم الكلاسيكي THE CLASSICAL WORLD ٤٩٩ الى ٥٠٠ ب. م.
٣- العصور المظلمة THE DARK AGES ٥٠١ الى ١١٠١.
٤- العصور الوسطى THE MIDDLE AGES من ١٠٠١ الى ١٤٦٠.
٥- الانبعاث (النهضة الأوروبية) THE RENAISSANCE ١٤٦١ الى ١٦٠٠.
٦- التجارة والامبراطورية TRADE AND EMPIRE ١٦٠١ الى ١٧٠٧.
٧- الثورة والاستقلال REVOLUTION AND INDEPENDENCE ١٧٠٨ الى ١٨٣٥.
٨- التوحيد والاستعمار UNIFICATION AND COLONIZATION ١٨٣٦ - ١٩١٤.
٩- العالم في حالة حرب THE WORLD AT WAR ١٩١٤ - ١٩٤٩.
١٠ العالم الحديث THE MODERN WORLD ١٩٥٠ حتى الوقت الحاضر.

(*) ١- شبه جزيرة البيلوبونيز PELOPONNESUS:

شبه جزيرة جبلية تقع الى الجنوب من خليج كورنث GULF OF CORINTH وتشكّل الشطر الجنوبي من البر اليوناني الرئيسي، كانت تعرف، خلال القرون الوسطى باسم «موريا MOREA».

٢- الحرب البيلوبونيزية PELOPONNESIAN WAR:

حرب بين اثينا واسبرطة وحلفائهما (٤٣١ - ٤٠٤ ق. م). نشبت بسبب من مخاوف اسبرطة من تعاظم قوة اثينا وامبراطوريتها البحرية. انتهت بانتصار الاسبرطيين واحتلالهم اثينا عقب معركة ايغوسبوتاموس البحرية الحاسمة.

ويذهب المؤرخون الى ان هذه الحرب تشكّل منطعفاً هاماً في تاريخ الاغريق وتعتبر بداية لسقوط الحضارة اليونانية.

٣- ايغوسبوتاموس AEGOSPOTAMI:

نهر في تراقيا THRACE القديمة، يصبّ في مضيق الدردنيل. جرت عند مصبّه معركة بحرية حاسمة بين الاسولين الاسبرطي والاثيني عام ٤٠٥ ق. م.

٤- معركة ايغوسبوتاموس BATTLE OF AEGOSPOTAMI:

موقعة بحرية دارت رحاها في مضيق الدردنيل (عام ٤٠٥ ق. م.) بين الاسطول الاسبرطي بقيادة ليساندر LYSANDER والاسطول الاثيني بقيادة كونون CONON. وتعتبر آخر معارك الحرب البيلوبونيزية انتصر فيها الاسبرطيون انتصاراً حاسماً مكّن ليساندر من التقدم الى اثينا واكراه الاثينيين على الاستسلام (٤٠٤ ق. م.).



الحضارات القديمة

حضارات البحر الأبيض المتوسط

CIVILIZATION ALONG THE MEDITERRANEAN SEA

يتميـز البحـر الأبيـض المتوسط بوقوعه بين قارات ثلاث: هي أوروبا وآسيا وأفريقيا. وينعـم المقيمون على سواحلـه وجزره بمنـاخ معتدل وأحوال ملاحيـة ملائمـة. وقد ساعدهم ذلك على انشاء حضارات متعدّدة اقتبسوها من حضارتي مصر وبلاد الرافدين على الأغلب.

وأقدم هذه الحضارات، الحضارة الايجية AGEAN CIVILIZATION[1] التي نشأت حوالي العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد في بحر ايجة. ففي كريت CRETE بنى المينويون MINOANS[٢] مدناً جميلة مثل كنوسوس CNOSSOS عرفت نظاماً متقدماً لجرّ المياه الى المنازل ورسوماً جدرانية رائعة. وقد حل العلماء مؤخراً رموز أبجديتهم.

وقد اتسع نطاق الحضارة الايجية فشملت البرّ اليوناني نفسه. وتعرف الحضارة الايجية في البرّ اليوناني باسم الحضارة المسّينية MYCENAEN CIVILIZTION[٣] نسبة الى عاصمتها مسّينا MYCENAE.

وأهم حضارات البحر الأبيض المتوسط: الحضارة اليونانية GREEK CIVILIZATION، والحضارة الرومانية ROMAN CIVILIZATION.

الحضارة اليونانية GREEK CIVILIZATION:

يرقى تاريخ اليونان الى عهد الأخاويين ACHAEANS[٤] الذين غزوا شبه جزيرة اليونان من أوربا الوسطى حوالي العام ٢٠٠٠ قبل الميلاد.

ظهرت هذه الحضارة حوالي العام ١٢٠٠ قبل الميلاد، واستمرّت حتى انقضاء العصر الهليني HELLENISTIC AGE عام ٢٧ قبل الميلاد، وهو العام الذي قامت فيه الامبراطورية الرومانية بارتقاء أوغسطوس AUGUSTUS عرش روما.

وقد نشأت هذه الحضارة عن مزيج من الحضارة الايجية وثقافة الرافدين الغزاة. ومن أهم ما يذكر لها تأكيدها على مشاركة المواطن الفرد في الحياة العامة.

لقد أعطت الحضارة اليونانية التراث الانساني آثاراً خالدة في فنّي العمارة والنحت وفي الأدب والفلسفة، وقدمت الى العالم مجموعة من المصنّفات الرائدة في العلم والتاريخ (٥).

وقد بلغت أوج ازدهارها في القرن الخامس قبل الميلاد في عهد بيريكليس PERIGLES.

ويطلق اسم الهلّينية على الحضارة اليونانية التي نشأت خارج بلاد اليونان نفسها والتي امتدّت باتجاه الشرق خلال القرن الرابع قبل الميلاد اثر فتح الاسكندر المقدوني لسوريا ومصر وأجزاء من آسيا.

وتعتبر الحضارة اليونانية الحضارة الأوربية الأم، وعلى أساس منها قامت الحضارة الرومانية والحضارة الغربية المعاصرة.

وتجدر الاشارة الى أن العرب هم الذين عرفوا أوربا بحضارة اليونان ونقلوا اليها العلم اليوناني والفلسفة اليونانية.

الحضارة الرومانية ROMAN CIVILIZATION:

نشأت الحضارة الرومانية بنشوء مدينة روما ROME[٦] وبسيطرتها على أواسط ايطاليا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، واستعت رقعتها بقيام الامبراطورية الرومانية[٧] التي امتدت من بريطانيا الى سوريا.

وقد استمدّ الرومان عناصر حضارتهم من الاتروريين ETRUSCANS[٨] واليونان والمصريين وغيرهم. وأنشأوا من هذه العناصر وحدة متميزة.

ولعلّ من أبرز ما يميّز الحضارة الرومانية عناية أصحابها بشق الطرق وانشاء القنوات واقامة الجسور وتدوين الشرائع CODEFICATION، الى جانب عنايتهم بفنّ العمارة حيث يتم التركيز على القوس ARC أكثر من التركيز على العمود COLUMN الذي كان أبرز ما ميّز فن العمارة الاغريقية.

ومن أهم مقوّمات الحضارة الرومانية أيضاً الأدبي اللاتيني الذي دخل عصره الذهبي، فلمع في هذا العصر نجوم مثل: «فيرجيل VIRGIL صاحب ملحمة الانايدة AENEID المشهورة» و «هوراس HORACE الذي يعتبر أول من نظّم القصيدة ODE في الأدب اللاتيني» و «أوفيد OVID صاحب قصيــدة المسخ METAMORPHOSES المفعمة بالأساطير اليونانية والرومانية»

و «جوفينال JUVENAL كبير شعراء الهجاء الرومان» و «تاسيتوس TACITUS الخطيب والمؤرخ الذي يعدّ أبلغ كتّاب اللغة اللاتينية» وغيرهم.

ويعتبر سقوط روما عام ٤٧٦م نهاية عصر الحضارات القديمة.

الحضارة الغربية WESTERN CIVILIZATION:

لقد نشأت الحضارة الغربية في أوربا مستمّدة عناصرها من الحضارتين اليونانية والرومانية بالدرجة الأولى، أما ديانتها النصرانية فقد انبثقت من فلسطين.

وقد مرّت الحضارة الغربية بمراحل متعدّدة. فالمرحلة الوسيطية أو مرحلة القرون الوسطى عقبت سقوط روما عام ٤٧٦ للميلاد، وفيها ساد سلطان الكنيسة وهيمنت مفاهيمها على الفكر والحياة.

وخلال هذه الفترة أيضاً تمازجت العناصر الحضارية اليونانية والرومانية بالعناصر السلتية CELTIC[٩] والجرمانية[١٠].

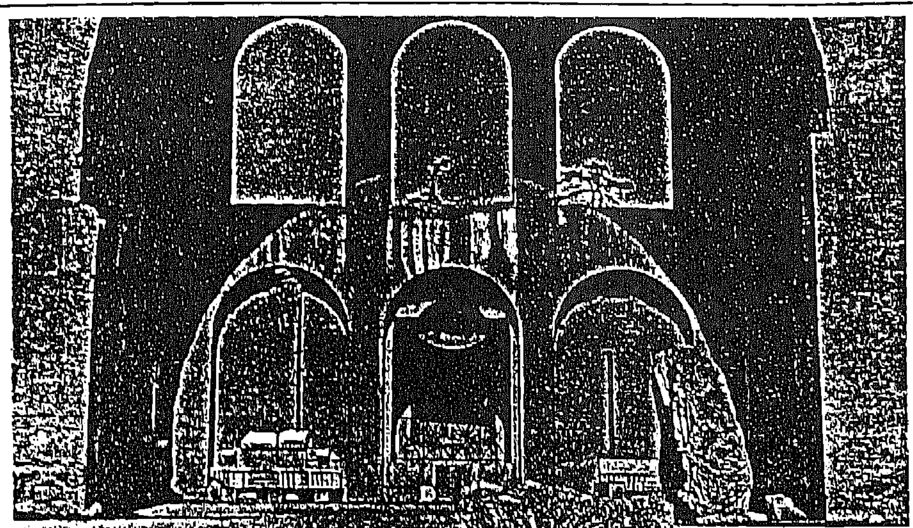
وفي أثناء الحرب الصليبية، تعرّف الغرب المسيحي الى حضارة العرب والمسلمين. وسرعان ما تغيّرت انماط الحياة والتفكير. ومع انبثاق عصر النهضة RENAISSANCE (التي نشأت في ايطاليا في القرن الرابع عشر للميلاد واستمرّت حتى مطلع القرن السابع عشر، وامتدت الى أنحاء مختلفة من أوربا، وتعتبر مرحلة انتقالية بين القرون الوسطى والعصر الحديث)، اخترع الأوربيون الأسلحة النارية والطباعة بمفهومها الحديث، وأبحروا خلال عصر الاكتشافات الجغرافية الى مختلف بقاع الأرض.

وفي الثامن عشر انبثقت الثورة الصناعية INDUSTRIAL REVOLUTION، ومن ثم خطا العلم خطوات واسعة في أوربا وأميركا، وانتشرت الحضارة الغربية بشكل أو بآخر في معظم أرجاء العالم.

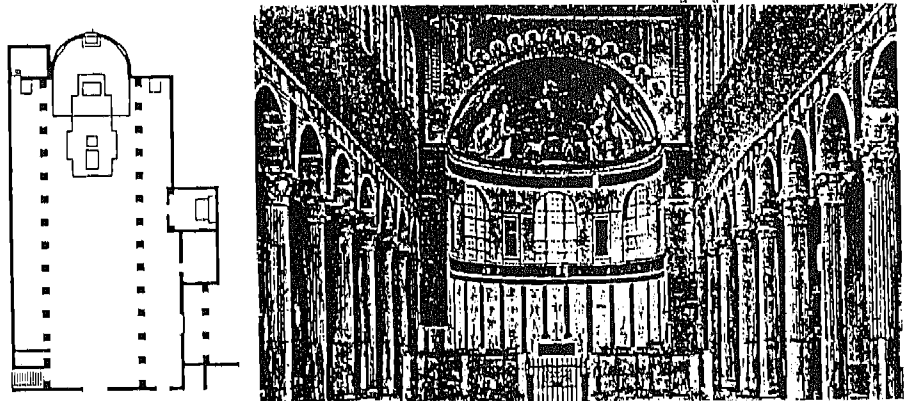
الحضارة الفينيقية PHOENICIAN CIVILIZATION:

فينيقيا PHOENICIA:

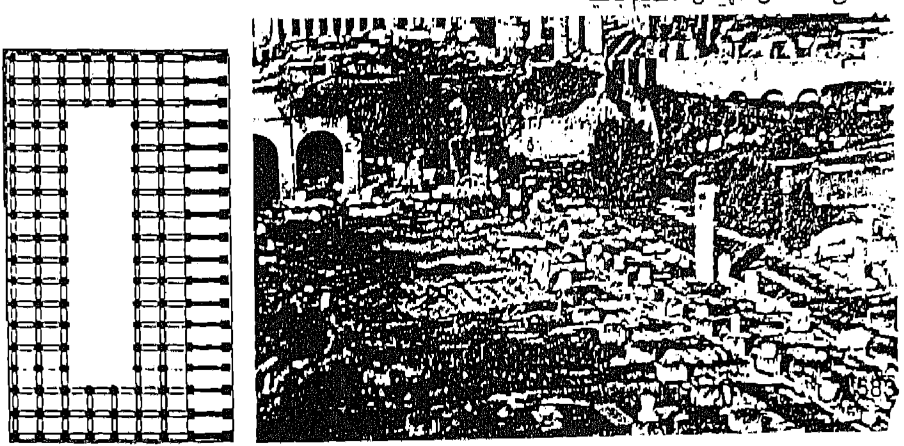
فينيقيا: اسم قديم أطلق على المنطقة الواقعة شرقي البحر الأبيض المتوسط والتي تشمل اليوم لبنان وبعض الأجزاء المجاورة من سوريا وفلسطين. نزلها الفينيقيون حوالي العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، وأنشأوا فيها عدداً من الدول المدينيّة CITY - STATES أهمها جُبَيل (التي كانت تعتبر



اعلى : باسيليكا كسنتيوس في روما (٣٠٦ - ٣١٢م). أسفل : باسيليكا سانتا سابينا (٤٢٢ - ٢٤٣م) النموذج الوحيد الباقي في روما لباسيليكا المسيحيين



أسفل : خرائب باسيليكا جوليان في البارحة الرومانية في القرن الاول قبل الميلاد، رغم استعادة واعادة الاسس فقد ظلّ الهيكل القديم باقياً



مركز فينيقيا الديني الرئيسي) وصيدا SIDON وصور TYRE وعكا ACRE وبيروت BEI-RUT. وكثيراً ما كانت تنشب بين هذه المدن منازعات طويلة.

الفينيقيون PHOENICIANS:

شعب سامي قديم سكن فينيقيا حوالي العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد كما ذكرنا. ويذهب كثير من المؤرخين الى أنهم وفدوا الى فينيقيا من منطقة الخليج العربي. وكانت الدول المدينيّة التي أنشأوها في موطنهم الجديد تحتفظ بقدر من الاستقلال المحلّي.

وبسبب من ندرة الأرض الزراعية، انصرف الفينيقيون الى النشاط التجاري البحري، فكانت سفنهم تجوب البحر الأبيض المتوسط حاملةً الى بلدانه خشب الأرز والصبغ الأرجواني والزجاج والمنسوجات النفيسة.

وقد أسّسوا عدّة مستعمرات أو محطات تجارية أهمها قرطاجة CARTHAGE، ووصلوا الى الجزر البريطانية وشواطئ أوربا الغربية، وأبحروا حول القارة الأفريقية.

اللغة الفينيقية PHOENICIAN:

هي احدى اللغات من مجموعة اللغات السامية SEMITIC LANGUAGES[١١] «الشعبة الشمالية الغربية» التي كانت ينطق بها الفينيقيون.

يرقى أقدم النقوش الفينيقية التي حلّت رموزها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد عندما حلّت الآرامية[١٢] تدريجياً، محل الفينيقية. وقد انتشرت الفينيقية في المستعمرات التي أنشأها الفينيقيون فيما وراء البحار وخاصة في قرطاجة CARTHAGE حيث سادت اللغة البونية PUNIC، وهي شكل متأخر من أشكال اللغة الفينيقية، وأصبحت لغة الامبراطورية القرطاجية.، والواقع ان البونية ظلّت حيّة على ألسنة الفلاحين في افريقيا الشمالية حتى القرن السادس للميلاد.

مظاهر الحضارة الفينيقية:

اشتهر الفينيقيون بالتجارة، ولقد أنشأوا في فينيقيا بضع دول مدينيّة CITY - STATES ولكن

ندرة الأراضي الزراعية في بلادهم جعلهم يتطلعون الى ما وراء شواطئها. ومن هنا أخذت سفنهم تجوب البحر الأبيض المتوسط حاملةً الى بلدانه أنواعاً مختلفة من السلع. وكما ذكرنا فانهم أسسوا عدة محطّات تجارية أهمها «قرطاجة»، ووصلوا الى الجزر البريطانية وشواطئ أوربا الغربية، وأبحروا حول القارة الافريقية. ويذهب بعض الباحثين الى حدّ انهم عبروا المحيط الأطلسي واكتشفوا اميركا قبل كريستوفس كولمبس بألف وثمانمائة عام أو يزيد، وذلك استناداً الى بعض الآثار والنقوش التي اكتشفت فيها والتي يعتقد أنها فينيقية.

ليس هذا فحسب، بل أن من الباحثين من يقول إن الفينيقيين اكتشفوا نجم القطب POLARIS أو POLESTAR وأدركوا أهميته في تحديد الجهات، وانهم استنبطوا خطوط الطول والعرض واستخدموها في الخرائط الجغرافية فساعدتهم على تحديد مواقع محطاتهم التجاريّة في دقة بالغة. ويذكر المؤرخ الأميركي «بريستد BREASTED»[١٣] أن القرطاجيين أصدروا نقوداً من جلد مختومة بخاتم الدولة ضماناً لقيمتها، فكانت نقودهم هذه أقدم نقد ورقي ممّا نعرفه اليوم.

وعلى أي حال، فمن الثابت ان الفينيقيين اكتشفوا الصباغ الأرجواني، وبرعوا في بناء السفن، وصناعة الزجاج، وصناعة الخزف، والأختام المعدنية، وفن العمارة. ولكن مما لاشك فيه أن أعظم مآثرهم الحضارية هوا استنباطهم الأبجدية الفينيقية ونشرها في العالم.

الحضارة المصرية

مقدمة:

لا شك أن الحديث عن الحضارة المصرية حديث ذو شجون، فهو يمتد الى جذور الحضارة الفرعونية التي زهت وازدهرت في مصر منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد وعمرت نحواً من ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة.

وغنّي عن القول ان الاستمرار لا يعنى عدم التبدل، فقد عرفت مصر أكثر من تبدّل وتغيّر وتطوّر في جميع نواحي الحياة وفي جميع المجالات.

وخلال الخمسة والثلاثين قرناً التي استطالت لها الحضارة الفرعونية، لم تحافظ على مستوى

واحد من الحيوية والنشاط. فقد مرّت بها عهود ازدهار وتوسّع واشعاع، كما عرفت عهوداً أخرى من الانحطاط والخسف والسبات. فقد تعاقب على الوادي، منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، ثلاث امبراطوريات، من الأسرتين الثالثة والرابعة - أي من بناة الأهرام - حتى أواخر القرن الثالث عشر قبل المسيح، تاريخ زوال السلالة التاسعة عشرة التي ينتمي اليها رمسيس الثاني[١٤].

لقد عاش قدامى المصريين على ضفاف النيل ونقلوا بواسطة هذا النهر العظيم سلعهم شمالاً وجنوباً. وزرعوا القمح وغيره في أراضيهم الغنيّة بالطمي المترسّب من جراء فيضان النيل السنوي.

ومع مرور الأيام نشأت القرى على طول ضفاف النهر، ثم اتحدت هذه القرى لتؤلف مملكتين شمالية وجنوبية. واتحدت بعد ذلك هاتان المملكتان حوالي العام ٣١١٠ قبل الميلاد.

إن الحضارة المصرية، في الواقع، كانت حضارة شاملة للحياة. فهناك الزراعة «المهندسة» والتي تركزت في محاصيل الشتاء، ولكنها لم تلبث أن شملت بعض محاصيل الصيف من الخضر والفاكهة وهي زراعة عرف أصحابها فنون الهندسة المائية. ثم انتقلوا بالتدريج خلال العصور الى تقسيم السنة الى فصول زراعية للمحاصيل، وهي ما أصبح ما يسمى فيما بعد الفصل «النيلي» (مع الفيضان) والفصل «الشتوي» (ويبدأ في الخريف)، ثم الفصل الصيفي (ويبدأ في الربيع).

كما قام المزارع المصري بتقسيم السنة الى اثني عشر شهراً، وتعرّف على مواقع بعض النجوم ومطالعها. وعرف «التقويم» بمعناه التاريخي، وتفنّن في معرفة ميلان الأرض ومسارات المياه وحركات الرياح وسخرها من أجل اجراء المراكب والأشرعة.

لقد أتخذت الحضارة المصرية طابعاً مميزاً طيلة ٢٥٠٠ عام تقريباً، فشيّد المصريون المعابد الحجرية الضخمة، وبنوا الاهرامات التي عدّها القدماء احدى عجائب الدنيا السبع THE SEV-EN WONDERS OF THE WORLD (والتي سنتحدث عنها بشيء من الاسهاب نظراً الى أنها تمثل رموز الحضارة وصروحها في العصر القديم).

إن ضخامة الاهرام وجمال هندستها، في الواقع، تبيّن مدى ما بلغه قدامى المصريين من تقدّم عظيم في حقل الهندسة المعمارية. ولقد آمن المصريون بالبعث والحياة بعد الموت، ومن أجل ذلك أنفقوا الأموال بسخاء على مقابرهم وعملوا على حفظ جثث موتاهم سليمةً عن طريق التحنيط EMBALMING[١٥].

ومن أهم مآثرهم الحضارة إسهامهم في ابتكار الأبجدية واستحداثهم أدوات الكتابة من حبر وورق وأقلام وما الى ذلك. كما عُني المصريون بعلم الفلك، فقادهم ذلك الى اختراع التقويم السنوي، اضافة الى اهتمامهم بالحساب والطب والجراحة، وبالأدب والرسم والنحت أيضاً.

اللغة المصرية القديمة ANCIENT EGYPTIAN LANGUAGE:

اللغة المصرية القديمة، هي لغة قد انقرضت وتنتسب الى أسرة اللغات الآسيوية الأفريقية AFRO - ASIATIC LANGUAGES[١٦] التي تُعرف أيضا بأسرة اللغات الحاميّة (نسبة الى حام بن نوح) السامية HAMITO - SEMETIC - LANGUAGES وينقسم تاريخها الى خمس مراحل:

١- المصرية القديمة OLD EGYPTIAN (من عهد غير محدّد سابق للعام ٣٠٠٠ الى حوالي العام ٢٢٠٠ قبل الميلاد).

٢- المصرية المتوسطة MIDDLE EGYPTIAN (من حوالي العام ٢٢٠٠ الى العام ١٦٠٠ قبل الميلاد).

٣- المصرية المتأخرة LATE EGYPTIAN (من حوالي العام ١٥٥٠ الى حوالي العام ٧٠٠ قبل الميلاد).

٤- المصرية الديموطية DEMOTIC EGYPATIAN (من حوالي العام ٧٠٠ قبل الميلاد الى حوالي العام ٤٠٠ للميلاد).

٥- المصرية القبطية COPTIC (من حوالي القرن الثاني للميلاد الى القرن السابع عشر للميلاد على الأقل).

وعلى ذكر اللغة القبطية ومدى علاقتها بلغة الأقباط اليوم، يجدر القول بأن اللغة القبطية هي لغة حامية HAMITIC منحدرة من اللغة المصرية القديمة، ويذهب الباحثون الى أنها تمثل المرحلة الأخيرة من هذه اللغة. وقد نُطِق بها في مصر منذ (حوالي القرن الثالث) وهي تنقسم الى ست لهجات: أربع منها انتشر في مصر العليا، واثنتان انتشرتا في مصر السفلى.

والقبطية تُكتب - على خلاف اللغة المصرية القديمة - بأحرف يونانية، وتشتمل على عدد من الألفاظ الاغريقية.

وعلى الرغم من أن الكنيسة القبطية لاتزال تستخدم اللغة القبطية في طقوسها، فان مفهومها مقصور اليوم أو يكاد على فئة ضئيلة من العلماء. وترقى آخر النصوص القبطية المعروف الى القرن الرابع عشر للميلاد.

مقوّمات الحضارة المصرية:

يتميّز تاريخ المجتمع في أرض مصر بظاهرتين أساسيتين: القدم والاستمرار.

ا - القدم:

إن أرض مصر باجماع الباحثين من أقدم مواطن الحضارة التاريخية، وترجع بعض عناصرها الأولى الى عهود طويلة قبل فجر التاريخ، فهي تمتد الى العصر المعروف بالعصر الحجري (STONE AGE (PALEOLITHIC PERIOD، عندما كان الانسان يعيش على التقاط الأثمار، وجمع الحبوب والنباتات، وصيد البرّ والبحر، ينتقل من مكان الى آخر، دون ان يعرف له وطناً ولا مستقراً.

٢- التجدد والاستمرار:

يعتبر التاريخ المصري من أطول التاريخ. ورغم حدوث فترات انقطاع فيه، كما حدث في عهد الاقطاع الأول، الذي حدث بين الدولة الفرعونية القديمة والدولة الوسطى، وكعهد الاقطاع الثاني بين الدولتين الوسطي والحديثة، وعهد الاضمحلال الأخير بعد عصر الفراعنة، وعهد غزوة الأتراك، فان جميع تلك العصور إذا ما أضيف بعضها الى بعض، لا تمثل إلا جزءاً محدوداً من تاريخ الحضارة والمدنية في أرض مصر.

وقد استطاعت مصر أن تنهض أكثر من مرة بعد اضمحلالها. ورغم أدوار الصعود والهبوط، وذلك بالحفاظ على طابع حضارتها العام، وان كان الحفاظ على القديم منصبّاً على أساس المدنية المادية ونظم الحياة الاجتماعية أكثر من انصبابه على مظهر الثقافة الذي تغيّر من عصر الى آخر.

ويلاحظ انه على الرغم من تفكك الحياة السياسية في مصر من وقت لآخر، فان الحياة

الزراعية التي بدأت في هذه الأرض، مع ظهور حرفة الزراعة في العصر الحجري الحديث قرب نهاية الألف السادس قبل الميلاد، قد استمرّت على مرّ العصور دون انقطاع، واستمرّ معها استقرار السكان، وبالتالي قيامهم باستثمار خير الأرض مع تكاثرهم على جوانب النهر دون انقطاع.

ويعزى هذا القدم، وذلك التجدّد والاستمرار، الى أن كلاً من البيئة والانسان يتمّم أحدهما الآخر، اضافة الى أثر التطوّر الفيزيوغرافي والمناخي في تكييف البيئة ونشأة الحضارة. علماً بأن بيئة مصر في وادي النيل الأدنى لم تكن مقتصرة على أرض الوادي وما يحيط بها من صحار على الجانبين فحسب، وإنما شملت البيئة أيضا كل ما في الوادي من نبات وحيوان، وما طرأ عليها من تحسينات واضافات.

وقد دلّت الاكتشافات على أن الشعير والقمح كانا من أقدم نباتات الحبوب المزروعة في وادي النيل الأدنى، فعند اكتشاف بعض حبوب الشعير بين آثار العصر الحجري الحديث بالفيوم (حوالي ٥٠٠٠ قبل الميلاد)، ظهر عند الفحص انها لاتكاد تختلف في فصيلتها عن الشعير الذي يزرع اليوم بالفيوم ومنطقة مريوط.

أما القمح، فقد تمّ اكتشاف حبوبه أيضا بين آثار العصر الحجر الحديث في مصر السفلى والعليا، وكذلك بين الآثار المعاصرة تقريباً في جنوب غرب آسيا.

ويتجه الرأي بين الباحثين أن يكون وطنه الأصلي غرب آسيا وجنوبها الغربي، فقد وجدت بعض أنواعه تنمو وتتكاثر بريّة في منطقة جبال ايران والأناضول، وكذلك المنطقة الجبلية الى الغرب من حوران (جنوب غرب سوريا وشمال فلسطين)، وبالتالي الى ترجيح انتشار زراعته من هناك الى وادي النيل الأدنى في مطلع العصر الحجري الحديث.

وتكتمل الثروة الحيوانية مع صورة البيئة الريفية في وادي النيل الأدنى، حيث عرف الوادي البقر الأفريقي ذا القرون الطويلة منذ أول العصر الحجري الحديث، ثم البقر الآسيوي ذا القرون القصيرة الذي دخل من جنوب غربي آسيا في أواخر الدولة الفرعونية القديمة.

وبالنسبة للحيوانات، فقد عرف سكان وادي النيل الأدنى الحمير منذ عصر ما قبل الأسرات، ثم الجمال حيث عثر على بعض صور ومجسّمات من الطين المحروق شبيهة بهذا الحيوان وترجع الى عصر ما قبل الاسرات. كما تمّ العثور على قطعة حبل من الوبر ترجع الى الأسرة الفرعونية الثالثة، ويقال إنها تدلّ على أن الجمل كان قد استؤنس حول ذلك التاريخ، ولكن المعروف ان هذا

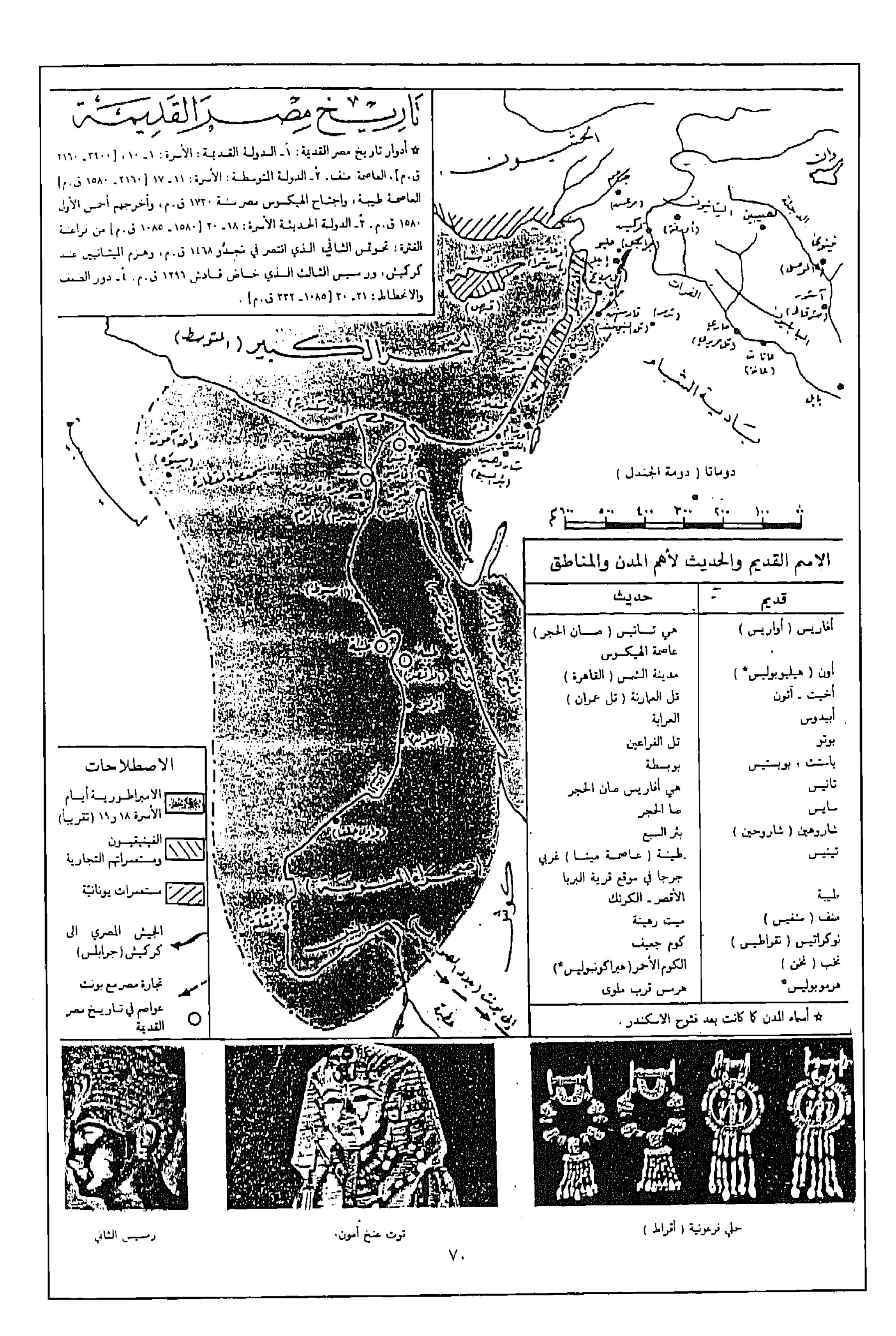
الحيوان لم يستخدم بصفة ظاهرة في صحارى مصر الاّ في العهد الاغريقي الروماني.

واما الخيول فقد استؤنست أول الأمر في داخل آسيا، حتى أدخله الهكسوس الى مصر حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد.

ومع تطوّر الحياة الزراعية في أرض الكنانة، تطوّرت الوسائل والأدوات الزراعية، كالساقية التي بدأ ظهورها في العهد الاغريقي الروماني، والفؤوس التي تطوّرت من فؤوس حجرية عرفت في أواخر العصر الحجري واستخدمت في الزراعة منذ العصر الحجري الحديث، أصبحت فؤوساً معدنية في أوائل عهد الأسرات، ثم تطوّرت الى المحراث الذي تجرّه البهائم، وقد بدأ استخدامه منذ الأسرة الثامنة تقريباً، وكان سلاحه حجرياً أول الأمر، ثم أصبح من البرونز ثم من الحديد. كذلك حلّ المنجل المعدني محل المنجل الحجري بالتدريج.

هذا ولم ينقطع استعمال الآلات الحجرية دفعةً واحدة، فلاتزال المطاحن والرحوات الكبيرة تدور حجارتها في قرى الوادي حتى اليوم.

هذا ولا ينبغي التغاضي عن الموقع الجغرافي وأثره في تاريخ مصر العام، فهناك موقع مصر واتصالاتها ببقية العالم المجاور، فقد اتصلت مصر بالعالم المجاور منذ عصور ما قبل التاريخ وبقيت هذه الاتصالات مستمرّة، وان كانت الصحارى والبحار قد نظمت تلك الاتصالات وحدّدتها بحيث استطاعت مصر ان تحتفظ بدورها الخاص داخل الاطار العام. الى جانب الموقع العالمي الذي تتميز به مصر، فهي كانت مجمع قارتين (أوراسيا وأفريقيا) ومفرق بحرين داخليين: يمتدّ أحدهما الى المحيط الهندي ومناطقه الحارة، ويمتدّ الآخر الى المحيط الأطلسي ومناطقه الباردة. ومن أجل ذلك كانت مصر أرض الزاوية التي تجمتع عندها مسالك الشرق والغرب، ولكن قيمة هذا الموقع الجغرافي العالمي لم تظهر الاّ بعد أن تواصلت تلك الجهات جميعاً، وامتدّت بينها أسباب التجارة وصلات السياسة والثقافة.



الاسم القديم والحديث لأهم المدن والمناطق

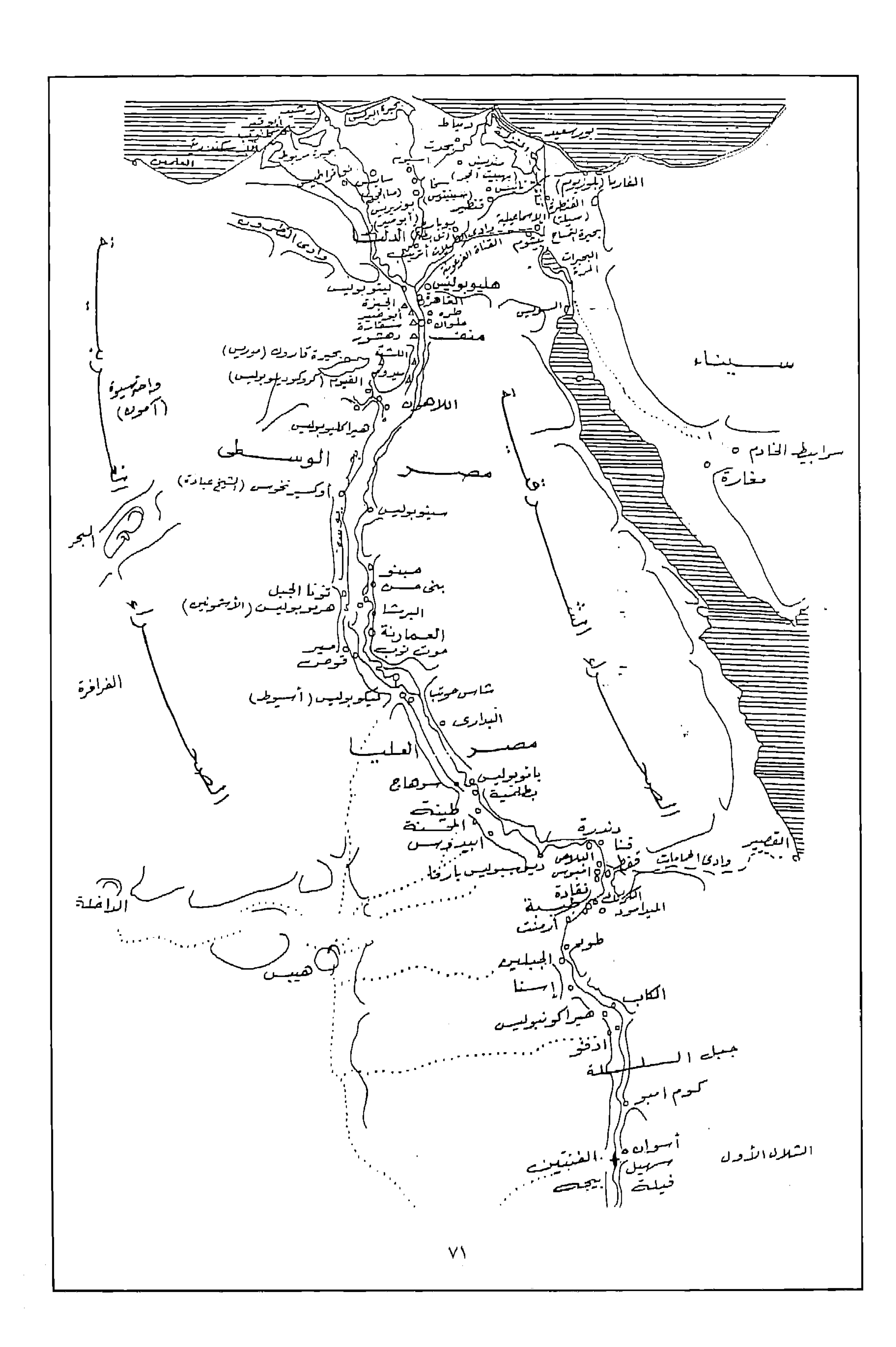
قديم	حديث
أفاريس (أواريس)	هي تانيس (صان الحجر) عاصمة الهكسوس
أون (هيليوبوليس*)	مدينة الشمس (القاهرة)
أخيت ـ آتون	تل العمارنة (تل عمران)
أبيدوس	العرابة
بوتو	تل الفراعين
باست ، بوبستيس	بوبسطة
تانيس	هي أفاريس صان الحجر
سايس	صا الحجر
شاروهين (شاروحين)	بئر السبع
تينيس	طينة (عاصمة مينا) غربي جرجا في موقع قرية البربا
طيبة	الأقصر ـ الكرنك
منف (منفيس)	ميت رهينة
نوكراتيس (نقراطيس)	كوم جعيف
نخب (نخن)	الكوم الأحمر (هيراكونبوليس*)
هرموبوليس*	هرمس قرب ملوى

☆ أسماء المدن كما كانت بعد فتوح الاسكندر.

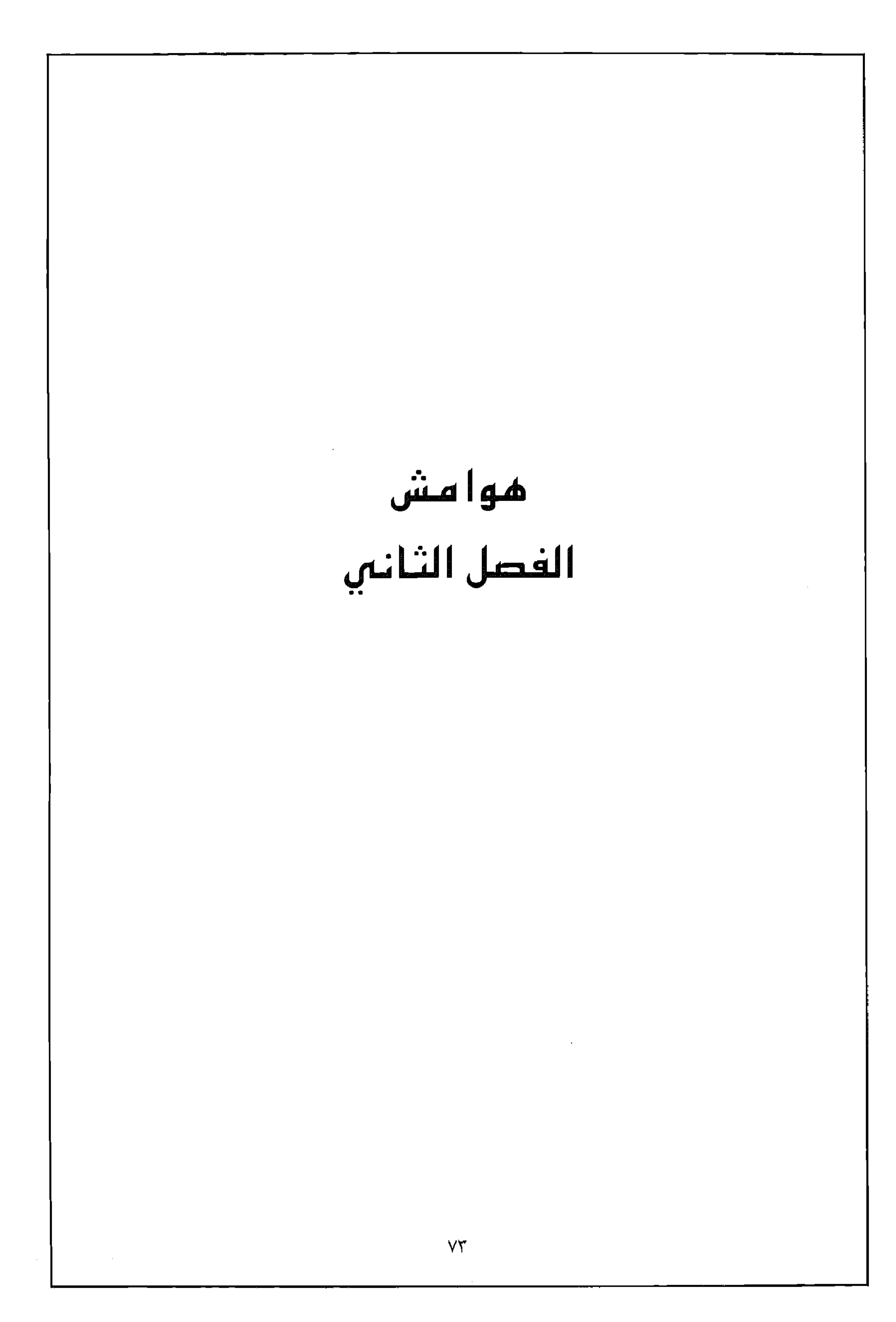
رمسيس الثاني

توت عنخ أمون

حلي فرعونية (أقراط)


رشيد
أبو قير
الإسكندرية
العلمين
بحيرة مريوط
بحيرة البرلس
دمياط
بورسعيد
سمنود
منديس
بوزيريس
قنطير
الفرما (بلوزيوم)
القنطرة
الإسماعيلية
بحيرة التمساح
البحيرات المرة
هليوبوليس
ليتوبوليس
القاهرة
الجيزة
أبو صير
سقارة
دهشور
طره
حلوان
منف
اللشت
بحيرة قارون (موريس)
الفيوم (كروكوديلوبوليس)
اللاهون
هيراكليوبوليس
واحة سيوة (آمون)
الوسطى
مصر
سينوبوليس
بني حسن
تونا الجبل
هرموبوليس (الأشمونين)
البرشا
العمارنة
القوصية
ليكوبوليس (أسيوط)
البداري
مصر العليا
الفرافرة
سوهاج
طينة
أبيدوس
دندرة
قنا
قفط
نقادة
طيبة
أرمنت
الجبلين
إسنا
الكاب
هيراكونبوليس
ادفو
جبل السلسلة
كوم امبو
أسوان
الفنتين
سهيل
فيلة
بيجة
الشلال الأول
الداخلة
هيبس
سيناء
سرابيط الخادم
مغارة
القصير
وادي الحمامات





هوامش
الفصل الثاني

هوامش الفصل الثاني

١- الحضارة الايجية AGEAN CIVILIZATION:

وهي تعبير يُطلق على الحضارات التي ظهرت في حوض بحر ايجه قبل الحضارة اليونانية، وذلك في الفترة الممتدة من حوالي العام ٣٠٠٠ ق. م. الى العام ١٠٠٠ ق. م.

وأبرز هذه الحضارات اثنتان:

٢- الحضارة المينوية MINOAN CIVILIZATION:

وهي حضارة ايجية AGEAN قديمة ازدهرت في كريت CRETE (حوالي ٣٠٠٠ - ١١٠٠ ق. م). دُعيت بذلك نسبةً الى ملك كريت الخرافي (في الميثولوجيا اليونانية) «مينوس MINOS». وقد كشفت الحفريات عن بقايا هذه الحضارة التي بلغت شأواً بعيداً في مجال الفن، وبخاصة فن النحت، وعن قصر ضخم يرقى الى العام ٢٠٠٠ ق.م.

٣- الحضارة المسّينّية MYCENAEAN CIVILIZATION:

وهي ايضا حضارة ايجية قديمة نشأت في مدينة مسيني MYCENAE(١/٣)، ثم امتدّ نفوذها الى أجزاء مختلفة من منطقة البحر الأبيض المتوسط. تأثرت بحضارة كريت المينوية وبلغت أوج ازدهارها بين العام ١٤٠٠ والعام ١١٠٠ ق. م. قضى عليها الدُّوريون DORIANS(٢/٣) وقد كشفت الحفريات التي أجريت في مدينة مسّيني (١٨٧٦ - ١٨٧٨) عن قصر وأسوار ضخمة، وقبور ملكية كثيرة فضلاً عن «باب الأسود GATE OF LIONS».

١/٣ - مسّيني MYCENAE:

مدينة يونانية خربة تقع في الجزء الشمالي الشرقي من شبه جزيرة البيلوبونيز PELOPONNESUS عاصمة الحضارة المسّينية.

٢/٣ - الدوريون DORIANS:

شعب اغريقي قديم غزا بلاد اليونان حوالي عام ١١٠٠ ق. م واستقر في الأجزاء الجنوبية والشرقية من شبه جزيرة البيلوبونيز، وجزائر بحر ايجة الجنوبية وجزر الدوديكانيز DODECANESE وجزيرة كريت والأجزاء الجنوبية الغربية من آسيا الصغرى.

٤- الأخاويون ACHAEANS:

أقدم شعوب بلاد الاغريق (اليونان). ظهر اسمهم، أول ما ظهر، في نقش حيثي HITTITE ويرقى الى القرن الرابع عشر ق. م. وقد أطلق الشاعر اليوناني هوميروس HOMER (النصف الثاني من

القرن الثامن ق. م).، وتنسب اليه ملحمتا الالياذة ILIAD والادويسا ODYSSEY اسم الاخاياويين على الاغريق كلهم ولكن الاسم اقتصر فيما بعد على سكان أخيا ACHAEA (اقليم في بلاد الاغريق القديمة).

٥- بيركليس PERECLES (٤٩٥ - ٤٢٩ ق. م.):

سياسي اثيني، حكم أثينا من عام ٤٦١ الى عام ٤٢٩ ق. م. حكماً مستنيراً بلغت معه هذه الدولة المدينية CITY - STATE(*) ذروة قوتها.

عزّز الأسطول الأثيني، واستحدث اصلاحات ديمقراطية واسعة، وأسبغ رعايته على العلوم والفنون. وعاش كثيرون من العلماء والفلاسفة في عصره الذي سمّي بعصر بركليس AGE OF PERECLES، منهم الفيلسوف اليوناني سقراط SOCRATES (٤٧٠ - ٣٩٩ ق. م.)، والمؤلف المسرحي اليوناني سوفوكليس (سوفوكل) SOPHOCLETES (٤٩٦ - ٤٠٦ ق. م.)، والشاعر التراجيدي اليوناني يوريبيدز EURIPIDES (٤٨٤ - ٤٠٦ ق. م.)، والشاعر الغنائي اليوناني بندار PINDAR (٥٢٢ - ٤٣٨ ق. م.)، والنحات اليوناني البارع فيدياس PHIDIAS (ازدهر بين عام ٤٩٠ وعام ٤٣٠ ق. م.) وغيرهم.

(*) الدولة المدينية CITY - STATE:

أو دولة المدينة، وهي عبارة عن دولة ذات سيادة مؤلفة من احدى المدن المستقلة وبعض المناطق الخاضعة لسلطانها المباشر مثل: أثينا ATHENS واسبارطة SPARTA وكورنث CORINTH وميغارا MEGARA في اليونان.

٦- روما القديمة ANCIENT ROME:

مؤسسها الأول، كما تقول الميثولوجيا هو روميولوس ROMULUS (عام ٧٥٣ ق. م) ابن الاله مارس MARS (وأخذ اسمها من اسمه).

٧- الامبراطورية الرومانية ROMAN EMPIRE:

أنشأها الامبراطور أوغسطوس AUGUSTUS عام ٢٧ ق. م. وعاصمتها روما، اعتمدت اللغة اللاتينية لغة رسمية في جميع أنحاء الامبراطورية، واستمرت في الازدهار، ثم أخذت في التدهور في عهد كومودوس COMMODUS (١٨٠ - ١٩٢م). وبعد وفاة الامبراطور ثيوديوس الأول THEODOSIUS (عام ٣٩٥م)، انقسمت الى شطرين:

(١) الامبراطورية الرومانية الغربية WESTERN ROMAN EMPIRE:

وعاصمتها روما وكان أول أباطرتها هونوريوس HONORIUS (٣٨٤ - ٤٢٣م) ابن ثيوديوس الأول. أطاح بها الزعيم الجرماني أودوقاسر ODOACER عام ٤٧٦م.

(٢) الامبراطورية الرومانية الشرقية (الامبراطورية البيزنطية) BYZANTINE EMPIRE:

وعاصمتها بيزنطة أو القسطنطينية، وأول أباطرتها أركاديوس ARCADIUS (٣٧٧ – ٤٠٨م) – ابن ثيودوسيوس وأخ هونوريوس.

عمّرت الامبراطورية البيزنطية أكثر من ألف سنة (٣٩٥ – ١٤٥٣م) وشملت في القرن السادس للميلاد شبه جزيرة البلقان وايطاليا وآسيا الصغرى وسوريا ومصر وليبيا. وعندما دخلت الامبراطورية البيزنطية في صراع مع العرب انتزعوا منها سوريا ومصر وشمال أفريقيا، فاقتصرت ممتلكاتها على آسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان ثم دخلت في صراع مع الأتراك العثمانيين انتهى بسقوطها نهائياً عام ١٤٥٣م) عندما استولى السلطان محمد الفاتح على القسطنطينية.

وقد صانت الامبراطورية البيزنطية أوربا الغربية من غزوات القبائل الجرمانية، وحفظت التراث الثقافي الاغريقي من الضياع. وكانت اللغة السائدة فيها هي اللغة اليونانية، على الرغم من ان اللاتينية كانت معتمدة رسمياً. .

٨- الاتروريون ETRUSCANE:

شعب اتروريا القديمة(*) يرجح أن أصوله ترجع الى شعب غزا أتروريا من آسيا الصغرى قبل عام ٨٠٠ ق. م. وقد اجتاح الأتروريون جزءاً كبيراً من ايطاليا، وأنشأوا حضارة ازدهرت بدرجة كبيرة في القرن السادس ق. م. ثم اعتراهم الضعف في القرن الخامس ق.م. وسرعان ما تغلّب عليهم الرومان.

اشتهر الاتروريون بالملاحة والتجارة والزراعة، وبرعوا في البناء والموسيقى وصناعتي المعادن والفخار. وقد عبدوا آهلةً متعدّدة، وجعلوا قبورهم على شكل بيوت مزوّدة بالأثاث والأدوات المنزلية والملابس والحلي.

(*) اتروريا ERTUTIA:

بلاد قديمة في وسط ايطاليا، تشمل اليوم منطقة توسكانيا TUSCANY وجزءاً من منطقة امبريا UMBRIA، نشأت فيها حضارة مزدهرة. وقد أسس فيها عام ١٨٠١م مملكة عُرفت بـ «مملكة اتروريا KINGDOM OF ETRORIA»، وقد ضُمّت هذه المملكة عام ١٨٠٨م الى الامبراطورية الفرنسية.

٩- السلتيون (الكلتيون) CELTS (KÉLTS):

مجموعة من الشعوب الناطقة باللغات السلتية، وهي مجموعة من اللغات الهندية الأوروبية تشمل الايرلندية والويلزية والاسكتلندية والكورنولية CORNISH. وقد انقرضت هذه اللغة في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

ويعتبر جنوب غرب ألمانيا مهد السلتين (حوالي ١٥٠٠ ق. م.) ومن هناك انتشروا عبر فرنسا في شمال اسبانيا وفي الجزر البريطانية (القرن السابع ق. م.).

وقد غزا السلتيون بوهيميا وهنغاريا وشمال ايطاليا (في القرن الرابع ق. م.) ثم غزوا آسيا الصغرى أيضا (في القرن الثالث ق. م.).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٠- الجرمانيون:

شعب آري، هاجر من جنوبي سكنديناڤيا واستقرّ في سهول أوربا في القرن الأول ق. م.، وغزا ايطاليا منذ القرن الثاني ق. م. وهم في الواقع، يمثلون مجموعة الأجناس بأوربا، وقد ازداد خطر الجرمان على الامبراطورية الرومانية في القرون الأولى للميلاد.

وقد احتفظ الجرمانيون بعصبيّتهم حتى القرن الثاني أو الثالث ثم تفرقوا شعوباً كثيرة أهمها الألمان والانكلوساكسون والساكسون واللومبارد وغيرهم.

١١- اللغات السامية SEMITIC LANGUAGES:

هي مجموعة من اللغات تنقسم الى ثلاث شعب:

شعبة شمالية شرقية: تمثلها اللغة الأكادية.

شعبة شمالية غربية: تمثلها اللغات الكنعانية والأمورية والفينيقية والآرامية والسريانية والعبرية.

شعبة جنوبية: تمثلها اللغتان العربية والأمهرية (أو الحبشية).

١٢- الآرامية ARAMAIC: لغة الأراميين:

وهي لغة سامية شمالية غربية وثيقة الصلة بالعبرية والفينيقية، ولكنها تتكشّف عن بعض الشبه باللغة العربية. وقد عمّ انتشارها في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد في أرجاء الشرق الأدنى كله، ثم أصبحت فيما بعد لغة الامبراطورية الفارسية، واستخدمها اليهود بدلاً من لغتهم العبرية نفسها. والواقع أن أجزاء من سفر دانيال DANIEL وسفر عَزرا EZRA، وهما من أسفار «العهد القديم» كُتبت باللغة الآرامية، وان المسيح والرسل APOSTLES تكلموا بها أيضا. وقد بلغت الآرامية قمتها في الفترة الممتدة من حوالي العام ٣٠٠ قبل الميلاد الى حوالي العام ٦٥٠ للميلاد عندما حلّت العربية محلها. والأبجدية الآرامية تتألف من ٢٢ حرفاً، وهي تكتب من اليمين الى الشمال.

١٣- جيمس هنري بريستد JAMES HENRY BREASTED ١٨٦٥ - ١٩٣٥:

عالم آثار أميركي، يعتبر مرجعاً في الدراسات التاريخية القديمة، لا سيما الدراسات الخاصة بتاريخ مصر القديمة. من آثاره: «تاريخ مصر HISTORY OF EGYPT» عام ١٩٠٥، و «نشوء الدين والفكر في مصر القديمة DEVELOPMENT OF RELIGION AND THOUGHT IN ANCIENT EGYPT» عام ١٩١٢ و «العصور القديمة ANCIENT TIMES» عام ١٩١٦.

١٤- رمسيس الثاني (فوي عام ١٢٣٧ ق. م.) RAMESES:

ثالث ملوك الأسرة المصرية التاسعة عشرة (١٣٠٤ - ١٢٣٧ ق. م.). ويعتبر أعظم فراعنة مصر قاطبة. احتلّ خلالها (عام ١٢٩٤ ق. م.) جزءا من امبرطوريتهم وقد اتسم عهده الطويل بالازدهار وبحركة عمرانية واسعة.

اكتشف مومياءه عالم الآثار الفرنسي، ماسبيرو MASPERO (عام ١٨٨١م) ويعرف ايضا بالكبير THE GREAT.

وقد قام رمسيس الثاني بقيادة معركة قاديش الشهيرة BATTLE OF KADESH والتي نشبت من أجل السيطـــرة على سوريا بين القوات المصـــرية بقيـادته، والقـــوات الحـيثـيـة بقيـادة الملك مورواتاليّس MOWATALLIS عند مدينة قادش KADESH (مدينة قديمة في سوريا) عام ١٢٩٩ أو ١٢٩١ ق. م.

١٥- التحنيط EMBALMING:

هو حفظ أجساد الموتى من الفساد، وقد برع فيه قدامى المصريين بسبب من اعتقادهم بأن الانسان يعود الى الحياة في قبره بعد الموت في صورة جسمانية لا تختلف كثيراً عن صورته في هذه الدنيا. ومن هنا ظهرت الحاجة لديهم الى جسد يستقبل الروح عند عودتها اليه. وعن هذه الحاجة نشأ التحنيط حفظاً للأجساد من الفساد.

وقد أتقن المصريون القدامى فن التحنيط مما حيّر العلماء عن سرّ هذه العملية البارعة التي مكنتهم من صيانة أجساد الموتى من الانحلال بضعة آلاف من السنين. وأيا ما كان فالذي تمت معرفته أنهم كانوا يُفرغون الجسد من كل ما يشتمل عليه، كالرئتين والقلب والكبد والأحشاء وما الى ذلك، ثم يطهّرون الجوف بالعطر والنبيذ، ويحشونه بمسحوق المرّ MYRRH «وهو صمغ راتنجي»، ويقومون بعد ذلك بتنقيع الجسد سبعين يوماً ببعض المحاليل حتى يتيبّس، ثم يلفون الأصابع واليدين والقدمين وسائر الجسد بنسيج الكتان، ويحفظون المومياء MUMMY (وهو الاسم الذي يطلق على الجثة المحنطة) في موضع حصين جاف يجعلها بمنجاة عن اللصوص ومن الرطوبة في آنٍ معاً وحيث ان الجثث كثيرا ما تتحلل برغم التحنيط، فقد كانوا ينحتون التماثيل للميت ويضعونها في قبره على أمل أن تحل محل المومياء عند الاقتضاء.

١٦- اللغات الآسيوية الافريقية AFRO - ASIATIC LANGUAGE:

هي أسرة من اللغات واسعة الانتشار في جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، تشمل اللغات السامية، والمصرية القديمة والبربرية BERBER، والصومالية SOMALI وغيرها.



الفصل الثالث

آفاق الفكر اليوناني

محتويات الفصل الثالث

الفصل الثالث

آفاق الفكر اليوناني

ملامح الفكر اليوناني

لقد وجد العقل مع الانسان، وبقي في جوهره كما هو. وفي الماضي السحيق، قامت الأمم الشرقية باستخدام العقل لاستحداث الصناعات والعلوم والفنون، وكانت لديهم أيضاً قصص دينية وأفكار في العلم والحياة. كما نظروا في المسائل العليا كالوجود والتغيير والخير والشر والأصل والمصير وغير ذلك، فكان التوحيد والشرك، وكانت الثنائية الفارسية DUALISM (مثل الزرداشتية ZOROASTRIANISM) نسبة الى مؤسسها زاردشت ZORONSTER الذين يقولون بوجود الهين احدهما يمثل الخير والآخر يمثل الشر)، وكانت وحدة الوجود عند الهنود PANTHEISM (الذين يقولون بأن الله والطبيعة شيء واحد وان الكون المادي ليس غير مظاهر للذات الالهية) وغير ذلك. وقد نجد لكل فكرة يونانية مثيلة شرقية تقدّمتها، أو أصلا من الجائز قد نبتت منه.

هذه الأقوال ومناهج البحث عند الشرقيين الأقدمين، يمكن أن تدعى ما قبل العلم والفلسفة، ولم تكن علماً وفلسفة، كما يرى ذلك العلماء المحدثون، فعلومهم جميعاً، من حساب وهندسة وفلك وغيرها، لم تكن تعدو ملاحظات تجريبية أدّت اليها حاجات عملية، ولم يكن لدى أصحابها أية فكرة عامة عن المبادئ والعلل والبراهين.

ويحتمل القول عن البابليين والمصريين والعبرانيين انهم جهلوا الفلسفة، رغم بلوغ علمائهم درجة عالية من الثقافة، ولكنها لا تبدو أكثر من معارف عامة ومختلطة بالدين في الألوهية والنفس والعالم الآخر. فهم قد عالجوها بالبداهة والخيال دون الاستدلال.

اما الفرس والهنود والصينيون فقد أخذوا بالنظر العقلي المجرد الى حدّ بعيد، ولكنهم قصروا مهمة هذا النظر الى تمحيص الدين واصلاحه، ولم يوفقوا الا قليلاً في توضيح ما هية الفلسفة واقامتها كعلم مستقل. فقد كان قصدهم الأول النجاة من الشرّ، ولم يتخذوا العلم غاية لذاته بل وسيلة لهذه النجاة.

وبالنسبة لبدء تاريخ الفلسفة فقد أقرت البحوث والمناقشات(*) تأييداً لأرسطو بأن الفلسفة لم تبدأ إلاّ من القرن السادس قبل الميلاد على يد طاليس الملطي THALES OF MILETUS (٦٤٠ – ٥٤٦ ق. م.)، وأن الفلسفة اليونانية، بالتالي، لم تنشأ متأثرة بأفكار شرقية، وإنما نشأت نشأة

طبيعية من خصائص الشعب اليوناني نفسه، ومن الظروف الحضارية التي وجدت في القرن السادس قبل الميلاد في بلاد اليونان. وفي مقدمة من قال بهذا الرأي العالم اللاهوتي والفيلسوف الالماني «ادوارد اتسلر ED. ZELLER ١٨١٥ - ١٩٠٨».

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ظهر هناك من يرى أن نشأة الفلسفة اليونانية تعود الى التصوّف، وأول من قال بذلك، الفيلسوف الألماني «فردريك نيتشه F. NIETZSH ١٨٤٤ - ١٩٠٠» في كتابة (الفلسفة في العصر التراجيدي من عصور اليونان)، وسار من بعده آخرون في هذا الاتجاه.

ملاحظة:

سيلاحظ القارئ الكريم، في هذا الفصل بصورة خاصة، كثيراً من الأسماء الغريبة عليه، والتي قد يعتبرها هامشية وغير ضرورية أو مبتورة، مما قد يثير لديه النفور أو الامتعاض، غير أننا قد عمدنا الى ذكرها وعدم تجاهلها، لأنها قد تثير انتباهه في حالة التوسع في البحث، أو ورود ذكرها في بحوث ومصادر أخرى. وهي على أي حال فيها نفع لا ضرر، علماً بأننا قد عمدنا الى شرح الكثير منها في الهوامش الملحقة بكل فصل حسب الأهمية لازالة ما قد يعتريها من غموض، مع عدم اغفال ما يكتب منها بالحروف الاجنبية، تسهيلاً للقارئ عندما يرغب التوسع من المصادر الأجنبية. لذا فنستميح العذر في ذلك.

«المؤلف»

(*) - ربيع الفكر اليوناني: عبدالرحمن بدوي - ط ٥/١٩٧٩ وكالة المطبوعات / الكويت ودار القلم بيروت.

- تاريخ الفلسفة اليونانية: وولترستيس، ترجمة: مجاهد عبدالمنعم مجاهد - دار الثقافة / القاهرة ١٩٨٤.

- تاريخ الفلسفة اليونانية: د. ماجد فخري - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٩١.

- تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم - دار القلم / بيروت ط ٣.

خصائص الفلسفة وتطوّرها:

لقد اختلف محتوى الفلسفة اختلافاً كبيراً في حقب التاريخ المتباينة، وأخذ مجالها يضيق مع تقدم المعرفة، حيث استُبعد ما كان يتضمن الفلسفة في السابق. ففي أيام افلاطون مثلاً كان الفيزياء والفلك يعتبران كجزء من أجزاء الفلسفة، بينما هما الآن يشكلان علمين منفصلين. وعلى أي حال، فان مدارس الفكر المختلفة تنظر الى المحتوى الدقيق للفلسفة نظرات متباينة، لذا فلا يمكن تقدير أي تعريف للفلسفة بدون معرفة الأهداف الخاصة لتلك المدارس. على أنه لابد من العلم بأن الفلسفة تتميز عن فروع المعرفة الأخرى، بأن هذه الأخيرة تتناول قسماً جزئياً من العالم لدراستها، بينما الفلسفة لا تتخصص على هذا النحو، فهي تتناول الكون ككل، وتنظر الى هذا الكون كنسق متآزر واحد للأشياء.

وللتوضيح، نجد مثلاً ان العلوم الفيزيائية تسلم بوجود المادة، ولكن الفلسفة هنا تتساءل عن ما هية المادة، فاذا قيل لها وبالبرهان أنها مثلا أثيراً وكهرباء أو ذرات، فان هذه الاجابة ليست مما تبحث عنه الفلسفة، لأنها لم توضح الا انواع مختلفة للمادة كأشكال من وجود فيزيائي واحد، ولكن المطلوب معرفته ما هية هذا الوجود الفيزيائي نفسه، والاجابة بأن نوعا معيناً من المادة هو نوع آخر منها لا يخبرنا بالطبيعة الجوهرية للمادة، وهذه المسألة لا يبحث بها العلم، ولكن الفلسفة تعنى بنها، فهي محاولة للارتفاع مما هو حسّي الى الفكر اللاحسي المحض.

وكذلك نجد مثلا أن جميع العلوم تفترض وجود الكون كقضية مسلّم بها، إلاّ أن الفلسفة هنا تتساءل عن معرفة السبب الى وجود هذا الكون – وعلى سبيل المثال، هل يوجد هناك واقع أقصى واحد ينتج جميع الأشياء؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هي طبيعة هذا الواقع؟ هل هو المادة أو العقل أو شيء مختلف عنهما؟ هل هو خيرٌ أم شرٌّ؟ وان كان خيراً، فكيف وجد الشرّ في العالم؟

إن لفظ فلسفة (PHILOSOPHY بالانكليزية أو PHILOSOPHIA باللاتينية) وأصله (فيلا – صوفيا)، ومعناه (محبة الحكمة). ويطلق على العلم بحقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح.

كانت الفلسفة عند القدماء مشتملة على جميع العلوم، وهي قسمان:

١– النظري: وينقسم الى:

أ – العلم الالهي: وهو العلم الأعلى.

ب – العلم الرياضي: وهو العلم الأوسط.

جـ– العلم الطبيعي: وهو العلم الأسفل.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢- العملي: وينقسم الى:

أ - سياسة الرجل نفسه، ويسمّى بعلم الأخلاق.

ب - سياسة الرجل أهله، ويسمّى بتدبير المنزل.

جـ- سياسة المدينة والأمة والملك.

ومع ان العلوم قد استقلّت عن الفلسفة واحداً بعد الآخر، فان بعض الفلاسفة ظلّ يطلق الفلسفة على جميع المعارف الانسانية، مثل الفيلسوف الفرنسية ديكارت DESCARTES(*) الذي قال: إن الفلسفة أشبه شيء بشجرة، جذروها علم ما بعد الطبيعة، وجذعها علم الطبيعة، وأغصانها العلوم الأخرى كالطب، وعلم الميكانيكا، وعلم الأخلاق.

والصفات التي تتميز بها الفلسفة هي: الشمول، والوحدة، والتعمق في التفسير والتعليل، والبحث عن الأسباب القصوى والمبادئ الأولى. لذلك عرّفها (ارسطو) بقوله: انها العلم بالأسباب القصوى، او علم الموجود بما هو موجود. وعرّفها (ابن سينا) بقوله انها الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الانسان أن يقف عليه.

أما في العصور الحديثة، فان لفظ الفلسفة يطلق على دراسة المبادئ الأولى التي تفسّر المعرفة تفسيراً عقلياً كفلسفة العلوم، وفلسفة الاخلاق، وفلسفة التاريخ، وفلسفة الحقوق الخ.، أو تطلق على كل معرفة تامة التوحيد.

بخلاف المعرفة العلمية SCIENTIFIQUE المشتملة على توحيد غير تام، والمعرفة العامية VULGAIRE التي لا توحيد فيها (تعريف سبنسر)، أو تطلق على مجموع الدراسات المتعلقة بالعقل من جهة ما هو متميّز عن موضوعاته، أو من جهة ما هو مقابل للطبيعة.

فإذا دلت الفلسفة على دراسة العقل البشري من جهة ما هو متميز عن موضوعاته انقسمت الى قسمين:

(*) رينيه ديكارت RENÉ DESCARTES (١٥٩٦ - ١٦٥٠).

فيلسوف وفيزيائي ورياضي فرنسي يعتبر في رأي كثير من الباحثين أبا للفلسفة الحديثة ومؤسّسها. اكتشف الهندسة التحليلية ANALYTIC GEOMETRY. واشتهر بكتابه «مقالة في المنهج DISCOURS DE LA METHODE» في عام ١٦٣٧، وفيه اطّرح كل المعتقدات السابقة ليعاود البحث عن الحقيقة شاكّاً في كل شيء الاّ حقيقة واحدة وهي انه يشكّ، ومن هناك كلمته المشهورة: أنا أشكّ فاذن أنا أفكرّ، وأنا أفكرّ فاذن أنا موجود du-bito ergo cogito: cogito ergo sum.

١- قسم يشمل البحث في أصل المعرفة وقيمتها، وفي مبادئ اليقين، وأسباب حدوث الأشياء، وهو ما يحاول كل فيلسوف أن يجيب به عن سؤالنا: ماذا يمكننا أن نعلم.

٢- قسم يشمل البحث في قيمة العمل، وهو الاجابة عن سؤالنا. ماذا يجب أن نفعل.

والفرق بين الفلسفة والعلم ان العلم يتقدم ويتسع نطاقه بازدياد الحقائق التي يحصل عليها، على حين ان الفلسفة تظل محصورة في دائرة واحدة من الحقائق، وان كانت الصور التي تعبر بها عن هذه الحقائق مختلفة ومتفاوتة. ولذلك قيل: ان الفلسفة نظرية القيم (Th'eorie des valeurs) وتشتمل على ثلاثة أقسام، وهي: المنطق، وموضوعه البحث في قيمة الحقيقة، وعلم الجمال، وموضوعه البحث في قيمة الفن، وعلم الاخلاق، وموضوع البحث في قيمة العمل. وتسمى هذه العلوم الثلاثة بالعلوم المعيارية (Sciences normatives)، وموضوعها دراسة مظاهر العقل البشري من حيث قدرته على تأليف أحكام القيم.

ومن معاني الفلسفة اطلاقها على الاستعداد الفكري الذي يجعل صاحبه قادراً على النظر الى الأشياء نظرة متعالية، قادرا على تقبل طوارق الحدثان بكل ثقة وسكينة واطمئنان، والفلسفة بهذا المعنى مرادفة للحكمة.

وقد يطلق لفظ الفلسفة على مذهب فلسفي معين، كفلسفة افلاطون، أو فلسفة كانت، أو يطلق على مجموعة المذاهب الفلسفية في امة معينة كالفلسفة اليونانية، والفلسفة العربية. أو في زمان معين كفلسفة القرون الوسطى، وفلسفة القرن السابع عشر.

وإذا اضيف لفظ الفلسفة الى الموضوع دل على الدراسة النقدية لمبادئ هذا الموضوع واصوله، تقول فلسفة العلوم (Philosophie des Sciences) اي الدراسة النقدية لمبادئ العلوم واصولها العامة، وهي الابستمولوجيا(*).

وتقول أيضا فلسفة التاريخ (Philosophie de lhistoire) وهي دراسة المبادئ والقوانين العامة المؤثرة في تطور وقائع التاريخ، ومن قبيل ذلك ايضا قولهم فلسفة الاخلاق، وفلسفة الأديان.

(*) الأبستمولوجيا EPISTEMOLOGY (أو نظرية المعرفة THEORY FO KNOWLEDGE أو GNOSIOLOGY). فرع من الفلسفة يبحث في المعرفة KNOWLEDGE طارحاً ثلاثة أسئلة هامة، أولها: ما المعرفة؟ وثانيها: ما أصل المعرفة ومصدرها؟ (وبكلمة اخرى كيف نصل الى المعرفة؟)، وثالثها: هل يستطيع العقل البشري الوصول الى المعرفة؟ وقد اختلفت اجابات الفلاسفة عن هذه الأسئلة تبعاً لاختلاف مذاهبهم:

فبالنسبة للسؤال الاول: قال بعض الفلاسفة إن المعرفة هي ادراك الاشياء كما هي في الواقع بواسطة آلات

البدن والعقل. وقال بعضهم الآخر إن المعرفة هي ادراك الأشياء وفق ما يظهر لنا، لأن كل ما نعرفه عن العالم والاشياء الخارجية، سواء كان ذلك عن طريق الحواس أو عن طريق التأمل الفكري، ليس إلاّ خيالاً يولده العقل.

وبالنسبة الى السؤال الثاني: قال الفلاسفة التجريبيون إ مصدر المعرفة هو الادراك بالحواس، وان المعرفة كلها تنبع من التجربة. وقال الفلاسفة العقليون إن التجربة التي تحصل بواسطة الحواس موهمة ومضلّلة لأن ما يظهر للعقل بواسطة الحواس لا يعدو أن يكون مظهر الأشياء الخارجي الخدّاع لا ماهيّتها الحقة، وان المعرفة انما تحصّل عن طريق الفكر.

وبالنسبة الى السؤال الثالث: أكد الفلاسفة التجريبيون والعقليون جميعاً ثقتهم بقدرة العقل البشري على معرفة الاشياء،و برغم اختلافهم في تعيين السبل الى هذه المعرفة ومن هناك جاز القول انهم يمثلون بالنسبة الى هذه المسألة، مذهب اليقين.

ولكن فريقا آخر من الفلاسفة آثر الأخذ بأحد مذهبين آخرين: مذهب الشك، وهو ينكر قدرة العقل على الوصول الى المعرفة ويكتفي بهذا الانكار، ومذهب النقد، وهو لا يكتفي بمجرد الانكار أو الشك من غير تعليل، بل يعمد الى البحث في حدود المعرفة ويحاول اقامة الدليل على امكان الفوز بها.

أصول الشعب اليوناني وجذوره:

لم يكن اليونانيون شعباً أصيلاً في جزيرتهم، حيث أنهم في الحقيقة قد جاءوا من آسيا، فهم آريون ARYANS[١] أو هنديون أوربيون INDO - EUROPEANS – وهو اسم جامع يطلق على الناطقين باللغات الهندية الأوروبية –[٢] على اختلافها.

كانوا أربع قبائل كبرى مختلفة خلقاً ولهجة: الأيوليون AEOLIANS[٣] والدوريّون DO-RIANS[٤] في الشمال، والآخيون أو الأخاياويون ACHAEANS[٥] والأيونيون IONIANS[٦] في الجنوب. ولكن هذا التقسيم اضطرب في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، إذ أغار أهل تساليا THESSALIA[٧] على شمال اليونان، فهاجر الأيوليون الى آسيا واحتلّوا جزيرة لسبوس LES-BOS[٨] والشاطئ من الدردنيل الى خليج أزمير، فسمّيت هذه المنطقة أيولية. أما الدوريّون فهبطوا المورة[٩] واخضعوا الأخاويين وهددوا الأيونيين، فجلا هؤلاء: فريق منهم صعد الى الأتيك «أتيكا ATTICA»[١٠] في شمال المورة، وفريق أبحر الى آسيا فاحتل جزيرتي خيوس وساموس SAMOS[١١] والشاطئ من أزمير الى نهر منديرس MENDERES[١٢]، فعرفت هذه المنطقة باسم (أيونية)، وقامت فيها مدن شهيرة، أهمها أزمير (اغتصبوها من الأيوليين)، وأفسوس EPHESUS[١٣] وملَطْية MALATYA[١٤]. ولم يقتصر الدوريّون على فتح المورة. بل استمروا في استعمار الجزر الممتدّة الى رودس وقسم من الشاطئ الآسيوي الى جنوب أيونية، وسمّي هذا القسم بالدورية. وفي اغارتهم هذه دمروا حضارة مادية عظيمة كانت مزدهرة في شبه الجزيرة وفي بعض الجزر وعلى الخصوص كريت، وهي المذكورة في الأساطير وفي بعض وقائع طروادة.

وفي القرنين الثامن والسابع نشبت حروب أهلية بين الشعب والاشراف، انتهت في أثينا واسبرطة بديمقراطية مقيّدة نظمها في الأولى دستور سولون SOLON[١٥] والثاني ليكورغ -LY CURGUS[١٦]. أما في غيرهما من المدن فكانت الخطوط متباينة واضطر المغلوبين للهجرة، ولكنهم لم يذهبوا شرقاً هذه المرّة، بل قصدوا الى مناطق ثلاث:

١- منهم من صعد الى الشمال فحلّ شواطئ تراقيا وخلقيدية أي الروملّي الحالية.

٢- ومنهم من رحل الى الغرب فاستعمر ايطاليا الجنوبية (و قد سمّاها الرومان لذلك باليونان الكبرى) وصقلية والأندلس وجنوب فرنسا حيث أنشأوا مرسيليا.

٣- ومنهم من يمّم الجنوب فنزل قبرص ومصر وشمال افريقيا.

وفي هذا العصر بنى بعض الدوريين مدينتين على ضفتي البوسفور: واحدة على الضفة الشرقية هي خلقيدونية «اشقودرة»[١٧]، والأخرى على الضفة الغربية هي بيزنطة (اسطمبول).

وكانت هذه المدن والمستعمرات مستقلّة في السياسة والادارة، ولكنها، مع ذلك كانت تؤلّف عالماً واحداً هو العالم اليوناني، تجمع بين أجزائه وحدة الجنس واللغة والدين، فكانوا كلهم يعبدون زيوس ZEUS (اله الآلهات في الميثولوجيا اليونانية) ويحجّون الى هيكله الأكبر في أولمبيا[١٨] بالمورة (موريا MOREA)، كما كانوا يأتون دلف في سفح جبل برناس -PAR NASSUS[١٩] يستنزلون وحي أبولو APOLLO[٢٠] ويبعثون بالمندوبين في الأعياد الكبرى يحملونهم الهدايا والقرابين. وكانت تلك الأعياد أزمنة حُرُماً تتوقف فيها الحروب، وتقام الألعاب الرياضية، وأسواق الأدب والفن، فينشد الشعراء، ويغنّي المغنّون، ويعرض المصورون والمثّالون أعمالهم، ويشارك المهاجرون في كل ذلك. فكان هذا الاتصال المستمر بالوطن الأول، ويتلاقى الجميع في أوقات معينة، وتتبادل الأفكار والسلع، فكان كل ذلك عاملاً قوياً في انضاج الحضارة اليونانية. وكان الفضل في ذلك الى الأيونيين بصورة خاصة، فكانت بلادهم مهد الثقافة اليونانية، فيها نظّمت القصائد الهوميرية(*) ومنها خرج العلم والفلسفة.

(*) القصائد الهوميرية أقدم ما وصل الينا من شواهد الفكر (اليوناني) وهي تؤلف قصتين كبيرتين هما الإلياذة والأوذيسا، وتنسبان الى هوميروس منذ زمن بعيد. غير أن الشك قديم في حقيقته وفي نسبة القصتين جميعا لشاعر واحد. وقد ذهب بعض النقاد المتأخرين الى انهما لطبقتين من الشعراء، بحيث ترجع الإلياذة الى القرن التاسع، وترجع الأوذيسا الى أواخره والنصف الاول من القرن الثامن، وأن هوميروس أشهر أولئك الشعراء او انه احدثهم عهدا، حفظ القصائد وانشدها فنُسبت اليه باعتباره الجامع لها، فان اسمه يعني «المنسق». ويذهب فريق آخر من النقاد الى أن هوميروس ناظم القصائد. وليس من شأننا الموازنة بين هذين الرأيين وحسم الخلاف. وانما الذي يعنينا تعرف أفكار اليونان في ذلك العهد. ونحن نجد في القصتين أفكاراً في الطبيعة والآلهة والانسان والاخلاق.

التراث اليوناني في العلوم والفلسفة:

عندما تحقق النصر لشعب اليونان على الفرس والفينيقين الذين غزوا البلاد اليونانية بقيادة «داريوس الأول الكبير DARIOUS 1 THE GREAT ٥٥٠ – ٤٨٦ ق. م.»[٢١] ثم ابنه «احشو يروش الأول AHASUERUS 1 ٥١٩ – ٤٦٥ ق. م.»[٢٢] عام ٤٧٩ ق. م. اشتعلت نيران المنافسة والحروب بين المدن اليونانية بسبب تردّي الأوضاع السياسية والاجتماعية في البلاد. وعندما لمس اليونانيون التقدم العلمي والنبوغ الفكري عند الفرس ابان الاحتلال، هبّوا بدورهم لنيل العلم والمعرفة، فظهر في بادئ الأمر أناس تميّزوا بمعلوماتهم السطحية لقبوا أنفسهم بـ «سوفيتيس» أي المعلمين البلغاء أو معلّمي الحكمة، غير ان الأمر تغيّر بعد ذلك حيث ظهر أناس يؤمنون بالمثالية الخلقية والحقيقة العلمية من أجل اصلاح المجمتع، وكان على رأس هؤلاء آخر السفسطائيين SOPHISTS (٢٢) «سقراط SOCRATES» (٤٧٠ – ٣٩٩ ق. م.) القائل بأن الفضيلة هي المعرفة والذي أضحى معلماً لمدرسة الحكمة والفكر الاجتماعي المثالي. وقد ضمت مدرسته مختلف الطبقات والطوائف أمثال الفيلسوف الكبير «افلاطون PLATO» (٤٢٨ – ٣٤٧ ق. م.) و «أنتيسينس ANTISTHENES» (٤٤٤ – ٣٦٥ ق.م.) و «أريستيبوس ARISTIPPE» (٤٣٥ – ٣٦٦ ق. م.).

ولا شك أن هنالك فلاسفة أتوا قبل سقراط أمثال: طاليس المالطي THALES OF MI-LETUS» (٦٤٠ – ٥٤٦ ق. م.)، و «هرقليطس HERACLITUS» (٥٤٠ – ٤٨٠ ق. م.)، و «فيثاغورس PYTHAGORAS» (٥٨٠ – ٥٠٠ ق. م.) ، «امبيدوكليس EMPEDOCLES» (٤٩٠ – ٤٣٠ ق. م.) وغيرهم ممن بحثوا عن الأمور الطبيعية الخارجية عن قوانين العالم المادي القابل للقياس وعن جواهره، ولكن جاء سقراط لينادي بما هو أهم من ماهية الأشجار والكواكب والنجوم. لقد نادى بأن الفلسفة الحقيقية هي البحث عن ذات الانسان وعن كنه نفسه.

وبعد رحيل سقراط، جاء بعده (افلاطون) الذي يعدّ هو وسقراط من واضعي الأسس الفلسفية للثقافة الغربية، وعندما مات هذا الأخير، قام تلامذته بتأسيس مذهب فلسفي عُرف بـ «الافلاطونية الجديدة أو المحدثة NEOPLATONISM»[٢٤]. وكانت فلسفة هذا المذهب عبارة عن تجارب لايجاد فلسفة دينية منطلقة من أصول أفلاطونية تجسّد عناصر مستقاة من جميع المذاهب، فلسفية ودينية، يونانية وشرقية، بما في ذلك السحر والتنجيم والعرافة.

العمالقة اليونانيون في الفلسفة:

سنتناول أدناه نبذة مختصرة عن اولئك الذين ذكرنا أسماءهم من عمالقة الفلسفة اليونانيين:

١ - سقراط SOCRATES (٤٧٠ - ٣٩٩ق. م.).

فيلسوف يوناني، أعمق فلاسفة اليوناني تأثيرا في الفكر اليوناني، به ينقسم تاريخ الفلسفة الى ما قبل سقراط وما بعده، يعتبر هو وافلاطون وأرسطو واضعي أسس الثقافة الغربية.

لم يترك أي أثر مكتوب، لكن سجّل حياته وتعاليمه تلميذه افلاطون PLATO في «محاوراته» PLATO'S DIALOGUES واكسينونوف في «مذكراته» MEMORABILIA. أهمل شؤونه الخاصة وجال في الطرقات والاسواق والملاعب يتحدث الى الناس في الفضيلة والعدل والتقوى وما اليها. وكان قوام منهجه ان يقابل بين الآراء، ثم يستخلص بالاستقراء INDUCTION فكرة عامة تكون بمثابة تعريف للموضوع المنشود، وهذا التعريف هو فرض برسم التحقق من صحته وليس يقيناً مطلقاً.

كان يتّبع في حواره منهج «التوليد المعنوي - استكشاف المعرفة بالتفكير الشخصي» بأن يعاون من يحاوره على استخراج المعرفة من دخيلة نفسه، فاذا كان سفسطائيا تهكم عليه، ورغم ذلك فقد صوّره «أريستوفان ARISTOPHANES ٤٥٠ - ٣٨٨ ق. م»[٢٥] في مسرحيته «الغيوم THE CLOUDS» التي يعود تاريخ تأليفها عام ٤٢٣ ق. م. سفسطائيا.

لقد اتُّهم بافساد عقائد شبان أثينا بالتحدث إليهم والى الشعراء والسياسيين عن الخير والشر، وازدراء الآلهة، فسجن وهو في السبعين من عمره وحُكم عليه بالموت. وقد توسّل اليه أصدقاؤه أن يفرّ من السجن ناجياً بنفسه، ولكنه أبى، فتناول السمّ بينما تلاميذه يجهشون بالبكاء وهو ينهرهم ويذكرهم بأن الموت خيرٌ وحق، ثم غلبه الموت فأسلم الروح.

وبعد رحيله راج أدب المحاورات السقراطية، وفي محاورة «الدفاع APOLOGY» لأفلاطون وصفٌ لمحاكمته، كما ان في محاروتي «اقريطون CRITO» و «فيدون PHAEDO» وصف لسجنه وموته.

كان شعار سقراط هو «إعرف نفسك" الذي قرأه على معبد دلف فكان يبدأ مع محدثيه بالسؤال عما يعنونه بالخير والشرّ، أو الشجاعة والجبن، أو العدل والظلم، ويطلب من محدثه اجابة جامعة.

وهو ينأى عن الطبيعيات والرياضيات، ويؤثر الانسان بنظره، وشغل بالأخلاق باعتبارها ماهية الانسان، وهذا ما قصد اليه السياسي والخطيب الروماني «شيشرون CICERO ١٠٦ - ٤٣ ق. م» عندما قال ان سقراط أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض، أي أنزل الفلسفة من البحث في الأفلاك والعناصر الى البحث في النفس وفيما يؤدي الى خيرها. فأصالته الحقيقية تتجلّى في مفهومه الجديد للنفس. فعن طريق التأمل والاستبطان يستطيع الانسان أن يدرك أبعاد شخصيته ويحقّق لذاته التفوّق، بسيطرة النفس على شهوة البدن واتجاهات العقل،

ولا تقوم سعادة النفس على الجاه والسلطان، لكنها تقوم بالعلم كما ينبغي عمله، والحكمة هي كمال العمل القائم على كمال العلم، فالفضيلة علم والرذيلة جهل، بمعنى ان من يعلم نفسه يعلم خيرها ويعمل بمقتضاه، والشرير جاهل بنفسه وبالناس لا يعرف خيرها.

لقد وُلد سقراط قبل مولد المسيح عليه السلام بأربعمائة وتسعة وستين عاماً، ولم يسمع شيئاً عن الرسل أو الأنبياء الذين كانوا قبله. وقد وُلد في عصر كان قدماء الاغريق فيه يؤمنون بوجود عدد غير قليل من الآلهة حيث أطلق أجدادهم وآباؤهم أوصافاً واسماء مختلفة فتوارثوها جيلاً بعد جيل. وفي ذلك مصداقٌ لقوله تعالى على لسان نبيّه يوسف عليه السلام.

«أأربابٌ متفرّقون خيرٌ أم اللهُ الواحدُ القهَّار؟. ما تعبدون من دينه إلاّ أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنْزَل اللهُ بها من سلطان إن الحُكْمُ إلا لله أمر ألاّ تعبُدوا إلاّ إيّاه، ذلك الدّينُ القيّمُ ولكنَّ أكثر الناسِ لا يعلَمون»

(سورة يوسف : الآيتان ٣٩ - ٤٠)

لم يكن القدماء الاغريق يؤمنون بخلود الروح THE IMMORTALITY OF THE SOUL، غير ان سقراط الذي كفر بآلهتهم المتعدّدة، نادي بخلود الروح، فقال «إن الموت ليس نهاية الانسان، فالروح هي أهمّ أمر في تكوين الانسان، وما الجسم إلاّ مجرد آلة INSTRUMENT تستعملها الروح الخالدة. وقال أيضا عن الموت «إنه إما أن يكون (نوماً بلا أحلام) أو انتقالاً بالروح الى لون جديد من الحياة.

وكانت نظرياته الفلسفية الجديدة هذه سبباً في محاكمته واتهامه بالكفر بآلهة (أثينا) وإفساد معتقدات الناس فصدر عليه الحكم بالاعدام، كما أشرنا الى ذلك.

ولقد شرح أفلاطون (الذين سنأتي على ذكره فيما بعد) بشيء من التفصيل هذه النظريات وإن كان قد أدخل عليها الكثير من التعديلات.

ومن آراء سقراط المأثورة أن جهل الانسان هو الذي يدفعه الى الايمان بتعدّد الآلهة، والى الخوف من الموت، لأن الجهل يدفع الانسان الى الاعتقاد بأن الموت أقسى ألوان الشرور في هذه الدنيا.

وهناك عدد من فلاسفة العرب أُعجب بفلسفة سقراط وبما ردّده عنه كل من أفلاطون وأرسطو وقالوا تقريب بعض النظريات مما ذُكر في القرآن الكريم عن وحدانية الله سبحانه وتعالي، وعدم فناء الروح بالموت وبحتميّة خلودها.

من هؤلاء الفلاسفة «الفارابي ٨٧٨ - ٩٥٠م»[٢٦] و «ابن رشد ١١٢٦ - ١١٩٨م»[٢٧] وقد لاقى هذا الأخير الأمرّين بسبب المحاولات التي قام بها للتقريب بين فلسفة «سقراط» والمبادئ التي أقرّها القرآن الكريم، حيث أمضى في السجن فترة طويلة من الزمن.

٣- أفلاطون PLATO (٤٢٨ - ٣٤٧ق. م.):

فيلسوف يوناني، يعدّ هو وسقراط وأرسطو واضعي الأسس الفلسفية للثقافة الغربية. معظم مؤلفاته محاورات DIALO GUES عالج فيها موضوعات مختلفة كالرياضيات والسياسة والتربية والحب والصداقة والفضيلة.

ولد أفلاطون في أثينا وعاش بها معظم سنوات حياته التي تجاوزت الثمانين ولم يغادرها الاّ لفترات بلغت في مجموعها نحواً من ست سنوات، قضى منها ثلاثا في (فيغارا) بعد موت سقراط. وكان قد أنشأ ما يشبه المدرسة حيث تجمّع السقراطيون حوله، ورحل الى «سراقرطة SYRACUSE» بصقلية، وكان قد اعتلى عرشها الملك «ديونيسيوس الكبير DIONYSIUS THE ELDER»[٢٨] الذي يعتبر من أهل الفكر رغم انه كان طاغية مستبدا، وكان له صهر يدعى (ديون)، ربطت الصداقة بينه وبين افلاطون، وكان أفلاطون يطرق باب الملوك لعلّه يجد أذناً صاغية لأفكاره في الحكومة العادلة. وحدث أن أوقع الوشاة بين الملك وصهره فنقم عليه، ثم استولى عليه الغضب عندما تدخّل افلاطون، ونفى الملك ديون، وارسل افلاطون الى من باعوه رقيقاً في أجينا AEGINA[٢٩] لولا أن افتداه أحد معارفه.

وعندما استبدّت الحكومة التي آل اليها الحكم، ناله الأذى خصوصاً عندما قضت باعدام معلمه سقراط.. واتّجه تفكيره بعد ذلك الى الشروط التي ينبغي توافرها لاقامة حكومة عادلة، عن طريق التربية والتعليم، فأنشأ مدرسته الشهيرة التي كانت تطلّ على بستان البطل أكاديموس ACADEMUS، وسميت لذلك الأكاديمية ACADEMY[٣٠] وقد انضم اليها أرسطو في السابعة عشرة من عمره، وظلّ بها نحواً من عشرين سنة، كما ظلّ يدرّس بها أفلاطون أربعين سنة حتى وافته المنيّة.

إن مؤلفات أفلاطون عبارة عن محاورات تقسّم في مجموعات ثلاث حسب زمان تأليفها وهي:

أولاً: المجموعة الأولى:

وهي المعروفة باسم (المحاورات السقراطية) وهي: الدفاع APOLOGY: دفاع سقراط عن نفسه أمام المحكمة. و«هيبياس الكبرى (ماهية الجمال) HIPPIAS MAJOR»، و«هيبياس الصغرى (الفضيلة والمعرفة) HIPPIAS MINOR»، و«خرميدس CHARMIDES» وموضوعها العفّة أو الفضيلة باعتبارها معرفة الانسان لنفسه. و«لاخس LACHES» وموضوعها الشجاعة أو الفضيلة باعتبارها بسالة النفس. و«ليسيس LYSIS» في الصداقة. و«يوثيفرو EU- THYPHRO» في التقوى. و«كريتون CRITO» في طاعة القانون أو الرغبة في الموت. و «بروتاغوراس PROTAGORAS» في الفضيلة باعتبارها المعرفة. و«أيون ION» في الوحي الشعري. و«منكسينوس MENEXENUS» في الرثاء.

ثانياً: المجموعة الثانية:

وتتألف من «فيدروس PHAEDRUS» في حلول النفس في الجسد، و «غورجياس GOR-GIAS» في الصواب والخطأ بمعناهما المطلق، و «مينون MENON» في صعوبة تحصيل المعرفة، و «يوثديموس EUTHYDEMUS» في المنطق المغلوط، و «ثياتيتوس THEAETETUS» في معنى المعرفة، و «سوفيسيطي (السفسطائي) SOPHISTES»، و «بوليتيكوس (السياسي) POLIT-ICUS» في المفاضلة بين حكم الكثيرة وحكم القلّة، و «بارمينيدس PARMENIDES» في الواحد والكثير، و «كرايتلوس CRATYLUS» في طبيعة الاسماء.

ثالثاً: المجموعة الثالثة

وتتألف من:

«المأدبة أو النادي SYMPOSIUM» في ماهية العشق أو حب الجمال، و «فيدون PHAEDO» في الموت والخلود، و «فيليبوس PHILEBUS» في ان الوسط هو غاية الاخلاق، و «الجمهورية REPUBLIC» في الدولة المثلى القائمة على العدل، و «تيماوس TIMAEUS» في خلق الكون، و «كريتياس CRITIAS» في أسطورة انطلتيس، و «القوانين LAWS» في بنية الدولة الاجتماعية والدستورية.

ولعلّ أشهر ما يمكن تناوله من أفلاطون نظريته في المثل THEORY OF FORMS، وقد بدأ بطرحها في ايجاز في «المأدبة»، وناقشها باسهاب في «فيدو»، واستغلّها في «الجمهورية»، ودافع عنها في «تيماوس».

ويُرجع أفلاطون المعرفة الى مصادر أربعة:

أولها – الاحساس: والمعرفة الحسّية نسبيّة وجزئية ومتغيّرة.

وثانيها – الحكم: وهو ظني وتخميني، والمعرفة الظنية قد تكون صادقة أو كاذبة.

وثالثها – الاستدلال: وهو علم يستخدم الصور المحسوسة لكن ليس كموضوع له، بل بصفتها وسيلة لبلوغ المعاني الكلية المقابلة التي يتخذها موضوعه، ومجاله علوم الحساب والهندسة والفلك والموسيقى.

ورابعها – التعقل: وهو ادراك الماهيات الخاصة.

والخلاف في المحاورات يدور حول معانٍ كلية، كالعدالة والفضيلة، والمعاني الكلية معانٍ ثابتة لا تتغير، أبدية لا تتعلق بظواهر مؤقتة واحدة، فمن بين الكثرة والتنوّع في الأفعال والمواقف والأشخاص، هناك عدل واحد فقط يجمع بين كل الأفعال والمواقف العادلة.

ويرى أفلاطون ان الفلاسفة بما لهم من علم أقدر الناس على حكم العالم وتوجيهه نحو

الخير، فالذي يعرف، حتى وان معرفته ظنّية، أفضل من الذي لا يعرف.

والحكومة التي ينهض عليها فلاسفة يعرفون، ستكون هي الحكومة الفاضلة، وهي الحكومة التي يتم فرز الأفراد فيها طبقا لذكائهم، وتناط بهم الأعمال طبقا لقدراتهم، ولا يسأل فيها الفلاسفة عن تصرفاتهم طالما أنهم وحدهم المطّلعون على عالم المثل، ومعرفتهم يتناقلونها فيما بينهم، بينما تقتصر معرفة العامة على المعرفة الحسيّة، ومعرفة الطبقة التي تليها على المعرفة الظنية. وهذه الطبقات الثلاث هي: الجند والشعب والحكام، وهم يتلقون جميعاً تربية واحدة حتى الثامنة عشرة، ثم يميّز من بينهم أصحاب الأجسام القوية والاستعداد الحربي ليزاولوا التمرينات العسكرية والرياضة البدنية. فاذا ما بلغوا العشرين يميز الأذكى منهم لدراسة الحساب والهندسة والفلك والموسيقى.

ومهمة الجند: الادارة والدفاع، وهم ذكور واناث، يعيشون ويأكلون معاً، ولا يحتاجون لذهب ولا فضة، ويحظر عليهم التملك، ولا تكون لهم أسرة، والزواج على المشاع، والأطفال ملك الدولة.

اما الانتاج فهو عمل المزارعين والتجّار والصنّاع، وهم يمتلكون ولهم أسرهم لكن الملكية محدودة، وتفرض عليهم الضرائب حتى تقلّ الفوارق الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء.

واذا ما بلغ الجند الثلاثين من العمر تميّز من بينهم محبّو الحق والشرف وضعاف الشهوة، ليدرسوا الفلسفة ويتمرّسوا بالادارة.

فاذا ما بلغوا الخمسين يرقى أفضلهم الى مرتبة المحاربين الكاملين، وهم الفلاسفة الذين يتفوّقون في النظر العقلي، ولهم القدرة على تصوّر القوانين العادلة تصوّراً علميّاً، ويتناوبون الحكم فيما بينهم.

ولقد راجع أفلاطون صورة مدينته الفاضلة في كتابه «القوانين»، فجاء تعديلاً وتنقيحاً لكتابه «الجمهورية»، فالصفوة أو النخبة (الجند) يمكن أن تقتني وتمتلك وتكون لها أسرتها. والطبقات الدنيا لها بعض النفوذ السياسي وتمارس بعض الحقوق، وان كان ذلك لا يرقى بها الى حدّ بلوغ سدّة الحكم. ولم يعد مطلوباً من الحكام أن يكونوا فلاسفة، ولا النساء أن يكنّ من الحراس.

ويبدو انه وضع «القوانين» مراعاة لطاقات البشر ومقتضيات الحياة، ولكي يهتدي بها الملك «ديونيسيوس الأصغر DIONYSIUS THE YOUNGER»[٣٢] (ابن الملك ديونيسيس الأكبر أو الأرشد) وهو يصنع دولته الجديدة في سراقوصه SYRACUSE.

وكان تقسيم المدينة الى طبقات ثلاث، تساير تقسيم النفس الى قوى ثلاث هي: الناطقة والغضبية والشهوية.

ويعتقد افلاطون ان النفس بسيطة وثابتة، وانها توجد من قبل الولادة وتبقى بعد الموت، وهي روحية ولا يتحقق خلاصها من المادة إلاّ في عالم روحي.

والفضائل ثلاث تقابل قوى النفس الثلاث: فالحكمة فضيلة العقل، والشجاعة فضيلة الغضب، والعفّة فضيلة الشهوة. وبها يتحقق في النفس التوازن. والتوازن عدالة، والعدالة ليست فضيلة، بل هيه حالة الصلاح المترتبة على التوازن الذي يحدثه اجتماع الحكمة والشجاعة والعفّة في الفرد. والانسان الصالح هو الانسان العادل بهذا المعنى، وينعكس صلاحه أو عدله على الآخرين في تعامله معهم، وبالعدالة تتحقق السعادة.

إن فلسفة افلاطون تعدّ نموذجاً للمذهب المثالي ومعينا لكل مشتغل بالفلسفة. ولقد كانت نزعة أفلاطون السياسية تدفعه دوماً الى التفكير في اصلاح المجتمع واعداد الحاكم الصالح. فالتربية هي الموضوع الاساسي في نظامه الفلسفي. وقد وصف الكاتب والفيلسوف الفرنسي «جان جاك روسو JEAN JACQUES ROUSSEAU ١٧١٢ – ١٧٧٨» كتاب (الجمهورية – ترجم الى العربية – بأنه أجمل ما كتب في التربية، ولا شك أن كتب أفلاطون الأخرى تتضمن أيضاً كثيراً من الأفكار التربوية.

وقد تأثر أفلاطون بتعاليم الفيثاغوريين PYTHAGOREANISM[٣٣]، وبالنظام الاسبارطي (المشهور بنظامه الصارم شبه العسكري)، وباستاذه سقراط. ورسم في الجمهورية صورة للمدينة الفاضلة كما تخيّلها وتمناها.

وأفلاطون معروفٌ لدى الاسلاميين، وكان ممن تأثروا به: مدرسة الرازي ومدرسة المعتزلة ومدرسة الفقهاء الظاهرية والمفكرين السلفيين من الحنابلة، وابن تيمية وابن القيّم والصوفية.

ومن الجدير بالذكر أن هناك من اليونانيين ما لم ترقْهم مباحث افلاطون العلمية ولا مدرسته المعروفة بالأكاديمية، كما لم تعجبهم حكمة أرسطو ومدرسته المشّاءة، وانما أخذوا يتجهون الى نوع من الفلسفة يمنحهم هناء المعيشة وراحة البال. فأُنْشئ في أثينا مدرستان آخريان للفلسفة:

الأولى: أسّسها الفيلسوف اليوناني الفينيقي الأصل «زينون ZENO»[٣٤] كان يعلّم في الرواق المصوّر القديم الشهير بسوق أثينا (PAINTED PORCH "STOA POIKILE") ولذلك لُقّبت مدرسته بالرواقية. وهو يرى أنه يوجد شيء واحد صالح هو الفضيلة، وشيء واحد طالح وهو الرذيلة، وان غاية الحياة يجب أن تكون طمأنينة النفس الناجمة عن الفضيلة والتي يستوي لديها الألم واللذة، واشتهر اتباعه بشدّة الصبر والجلد، ولذلك شاع استعمال لفظة «الرواقيّة» مرادفةً لعدم المبالاة بالألم.

والثانية: هي التي أسّسها الفيلسوف اليوناني «ابيقور EPICURUS ٣٤١ – ٢٧٠ ق.م». الذي قال بأن المتعة (أو السعادة) هي غاية الحياة الانسانية، مؤكداً أن هذه المتعة لا تتم للمرء عن طريق اقتناص اللذات الحسّية، بل عن طريق ممارسة الفضيلة. واعتبر الادراك الحسّي

أساس المعرفة الأوحد. وقال بأن الأشياء المادية تُطلق، على نحو موصول، صوراً ذرّية ATOMIC تنطبع على حواسّنا.

ومما يدعو الى الفخر والاعتزاز، ان صدرت أخيراً المحاورات الكاملة لأفلاطون باللغة العربية تفردت باصدارها «الأهلية للنشر والتوزيع في بيروت» عن المترجم شوقي داود تمراز الذي قام بنقل هذه المحاورات بدقّة بالغة كما وافاه بها النص الانكليزي في سبعة مجلدات تقع في ١٤٠٠ صفحة.

وقد توصّل الى ترجمة كل المحاورات الثماني والعشرين التي وقعت في ستة مجلدات، ثم نهض بعد ذلك الى وضع كتاب يتضمن بعضاً مما جاء في كتاب نشره منذ سنين رئيس أساقفة «ويست مينستر» البريطانية (آدم فوكس). وفيه محاولة جادّة لمقارنة أعمال وأفكار أفلاطون بالأعمال والأفكار التي وردت في الكتاب المقدس، بناء على ما نطق به السيد المسيح، وما خطه الرسل الكرام في العهد الجديد، وما ورد على لسان الأنبياء في العهد القديم.

٣- أرسطو ARISTOTLE (أرسطوطاليس) ٣٨٤ - ٣٢٢ق. م:

ولد في (أسطاجيرا STAGIRA) من مدن تراقيا في شمال اليونان. وعندما بلغ الثامنة عشرة انتقل الى أثينا والتحق بأكاديمية أفلاطون. ولما توفي أفلاطون عام ٣٤٧ ق. م. عهد برئاسة الأكاديمية لابن أخته (سبوسيبوس SPEUSIPPUS) مما حمل أرسطو على مغادرة أثينا والوفود على آسوس ASSOS بدعوة من حاكمها هرمياس HERMEIAS أحد زملائه في الأكاديمية، فأقام فيها ثلاث سنوات وتزوّج بيثياس PYTHIAS ابنة هرمياس بالتبنّي، فأنجبت له فتاة دعاها بيثياس أيضاً. ولما توفيت اتخذ له خليلة من أسطاجيرا تدعى هربيليس HERPYLLIS أنجبت له ابناً دعاه NICOMACHUS، واليه ينسب كتاب الأخلاق النيقوماخية.

أرسل فيليب المقدوني في طلبه حوالي عام ٣٤٣ ق. م. ليعهد اليه تثقيف ابنه الاسكندر البالغ من العمر ثلاث عشرة سنة، واستمر على العناية به أربع سنوات متصلة، حتى اذا ما بلغ الاسكندر السابعة عشرة شارك الجيش في حروبه وذاق لذة النصر، فتباعدت الصلة بينهما ولما ناهز العشرين نودي به ملكا بعد أبيه المقتول غيلةً، فعمل على توطيد حكمه وتوسيع سلطانه. وعاد أرسطو الى أثينا في أواخر عام ٣٣٥.

عندما استقرّ به المقام هناك، أنشأ هناك مدرسة في ملعب رياضي يدعى «لوقيون LYCEUM» فعرفت بهذا الاسم، ولكنه لم يكن صاحبها القانوني لأنه كان أجنبيّاً فسجّلها باسم صديقه وتلميذه. «ثيوفراستوس THEOPHRASTUS ٣٧٢ - ٢٨٦ ق. م.»[٣٥] وكان من

عادته ان يحاضر ماشيا في ممشى بجانب الملعب، فلُقّب لذلك هو واتباعه بـ «المشّائين PERIPATETICS».

وكانت دروسه على نوعين: صباحية مخصصة للتلاميذ تدور على الفلسفة، ومسائية عامة تدور على الخطابة والبلاغة والمواضيع العامة.

ويذكر كذلك انه أنشأ مكتبة كانت الأولى من نوعها في العصر القديم، ومعملاً (مختبراً) للتاريخ الطبيعي.

وعندما توفي الاسكندر عام ٣٢٣ ق. م. رحل أرسطو عن أثينا الى مدينة «خلقيس CHAL-CIS»[٣٦] في جزيرة «يوبيا EUBOCA» خوفاً من نقمة الاثينيّين الذين لفّقوا ضدّه تهمة الفكر والالحاد شبيهة بالتهمة التي كانوا قد لفقّوها ضد سقراط. وتوفي في عام ٣٢٢ ق. م. عن ثلاثة وستين عاماً.

اهتمامات أرسطو الفلسفيّة:

يمكن اختصار اهتمامات أرسطو كفيلسوف بالقضايا الآتية:

١- ماهية فعلنا عندما نفكر.

٢- ماهية الطبيعة الواقعة خارج ذواتنا العاقلة وحركة الأجزاء المنشورة في كل الأشياء.

٣- ماهية الانسان، أي الكائن الوحيد العاقل في العالم - ما عدا الملائكة.

يرى أرسطو أن بداية الفلسفة عند الناس هي التساؤل والتعجب، وان العالم ودور البشر فيه هما موضوع تفكيرهم الطبيعي.

ويتساءل أرسطو: هل يولد الناس عبيداً أم أحراراً بالطبع؟ فيجيب على مبدأ عام هو: ان من طبيعة الأشياء أن بعض الناس مؤهلون أن يكونوا حكّاما، والبعض الآخرين محكومين. وبالنسبة للفرد تحكم النفس الجسد، بينما القوة العاقلة تحكم النفس. ومن يتصف بقوّة الادراك دون ان يمتلكها بالفعل فهو عبد بالطبع، أي ان الحرية جزء من الامتياز العقلي، بينما العبودية صفة لضعفاء المدارك العقلية.

مع ذلك هناك التباس للفظة العبودية، فالعبد بالعرف قد يكون حرّاً بالطبع، والعكس بالعكس، لا سيما إذا كانت العبودية وليدة القوّة العسكرية، كما يحدث في الحروب العدوانية، فكثيراً ما يكون المغلوب (أي الأسير) أفضل من الغالب وأخلق بالحريّة والحكم.

وفي تعريف الدولة يرى أرسطو وجوب الالتفات الى مقوّماتها الثلاثة وهي: المواطنون والحكومة والأرض. ولابد من النظر في أشكال الحكم الصالحة التي من شأنها تنظيم شؤون

المجتمع في سبيل المصلحة العامة، وهي ثلاثة تختلف باختلاف عدد الحكام:

١- الملكية MCNARCHY[٣٧] (حكم الرجل الواحد).

٢- الأرستقراطية ARISTOCRACY (حكم الأفضلية)[٣٨].

٣- الدستورية (حكم الأكثرية)[٣٩] MAJORITY RULE.

فاذا انحرفت جميعها عند هذا السبيل انقلبت الى مضاداتها الثلاث، وهي كما عرّفها أرسطو:

١- النظام الاستبدادي DEPOTISM: وانه ضرب من الملكية (أو حكم الرجل الواحد -MON ARCHEIA) ويهدف الى مصلحة الحاكم نفسه.

٢- الاوليغاركية OLIGARCHY: وتهدف الى مصلحة الأقلّية الغنية.

٣- الديمقراطية DEMOCRACY: وتهدف الى مصلحة الأكثرية الفقيرة، دون أن يتوخّى أيّ منها مصلحة العامة.

وكان أرسطو يميل الى تفضيل النظام الدستوري الذي تحكم فيه الأكثرية وفقاً للقوانين وحجته في ذلك تناقض الحجة التي ساقها أفلاطون في الدفاع عن حكم الأقلّية المتفوّقة (أي الجنود والحكام)، حيث يرى أرسطو أن الأكثرية مؤهلة أكثر من الأقلية أو الفرد، لا سيما لتقرير ما هو خير للمجموع، لأن الأفراد عندما يجتمعون يصبحون كفئة واحدة تمتاز عن فئة الاقلية أو الفرد، لا سيما في ميدان السياسة الذي لا يعتبر وقفاً على أصحاب الاختصاص، كما زعم سقراط، كما ان الاستشهاد بالطب في هذا المقام لا ينقض هذه الحجة، لأن الأطباء كما يقول أرسطو ثلاثة أنواع: الطبيب العادي، والاختصاصي، والرجل المثقف الذي له بعض الالمام بالطب. وفي جميع الفنون والعلوم تسند الى الطبقة الثالثة صلاحية التقرير، كما تسند الى أهل الاختصاص. وبالنسبة الى بناء المنزل مثلاً، ليست المعرفة بما هية المنازل مقصورة على البنّائين، فان صاحب البيت أو مالكه أسدّ رأياً في تقرير مواصفات المنزل الذي يريده من البنّاء.

وفي المقارنة بين أشكال الحكم الثلاثة، يضع أرسطو مبدأً منهجيّاً عاماً، وهو أن فساد الأفضل هو أسوأ أنواع الفساد، لذا كان فساد الملكية، وهو الحكم الاستبدادي، أسوأ أشكال الحكم، وفساد الارستقراطية وهو الأوليغاركية يليه سوءاً، و «الديمقراطية هي أقرب الثلاثة الى المعقول».. والشكل الصالح من الديمقراطية، كما ذكره، هو الحكم الدستوري الذي يفضّله أرسطو بصورة عامة على سائر الأشكال، لأنه وسط بين طرفين، هما حكم الأغنياء كما في الأوليغاركية، وحكم الفقراء كما في الغوغائية (الديمقراطية). آفة الأولى ان الأغنياء أو أبناء الطبقة الارستقراطية، بحكم تمتعهم بالامتيازات المختلفة قلّما يرضخون للسلطة، وهي لا تعرف

الطاعة لذا وجب حكمها بالقوة. أما الطبقة الثانية فهي لا تعرف كيف تحكم، فوجب حكمها كما يحكم العبيد. وهكذا تكون هناك دولة لا تتألف من الأحرار، بل من الأسياد والعبيد، يحتقر الفريق الأول منهم ويحسد الفريق الثاني الأول، وتنعدم فيها رابطة الصداقة أو الألفة التي يجب ان تشدّ أبناء الدولة المتساوين بعضهم الى بعض. لذا فان الدولة التي تتألف من طبقة متوسطة أفضل الدول وأكثرها استقراراً، لأن الفقراء فيها لا يحسدون الأغنياء أو يتآمرون عليهم، ما داموا جميعاً سواسية.. فواضح أن الوسط بين أشكال الدولة هو الأفضل، لأنه أبعدها عن الشقاق. وحيث تكثر الطبقة الوسطى تقلّ أشكال الشقاق والخصومات.

العالم عند أرسطو أنواع وأجناس يندرج فيه الأخص تحت الأعم. فالانسان نوع من الحيوان، والحيوان نوع من الأحياء، والعلم بنوع، معناه العلم بجنسه وفصله الذي يعينه من سائر الأنواع المندرجة معه تحت جنس واحد، والذي يعطي النوع ما هيته هو الصورة التي تجعل المادة نوعاً معيّنا. فللعالم مبدآن أزليان هما الصورة والمادة، فكما أن صورة التمثال تنطبع على البرونز فتجعله تمثالاً لشيء بذاته، فكذلك كل شيء قوامه صورة ومادة، ولا تكون صورة بغير مادة إلا صورة اللّه وصورة النفس الانسانية قبل حلولها في الجسم وبعد مفارقتها له، واتحاد الصورة بالمادة هو سبب الحركة والتغيّر، فالصورة تحرك والمادة تتحرك لتأخذ شكلاً ما. وفي المادة استعداد لتكون أيّ شيء فاذا ما حلّت فيها الصورة جعلتها شيئاً بعينه أي ان المادة (أو الهيولي) تكون أي شيء بالقوة، وبفضل الصورة تصبح شيئا معيّنا بالفعل، واللّه هو المحرك الأول للمادة فهو العلة الغائبة التي تجذب ففي أسفل السلم هيولي خاصة ثم تكتسب الهيولي صورة النبات وهي الاغتذاء والنمو فيكون أرقى من الجماد، ثم يكتسب صورة جديدة هي الحس، فيتكوّن الحيوان وهو أرقى من النبات، ثم يكتسب صورة التفكير فيتكون الانسان وهو أرقى الكائنات، فكل مرحلة تحتوي على ما في المرحلة السابقة وتضيف اليها[٤٠].

وكان لأرسطو أثر في الفلاسفة الاسلاميين فلقبوه بالمعلم الأول (والفارابي هو المعلم الثاني)، وشرحوا فلسفته وأخذها عنهم الغرب فساعدوا بذلك على نقل الفكر اليوناني الى أوربا.

ويمكن بهذا القول أن أرسطو قد خلف بعد وفاته آثاراً متعدّدة تسرّبت الى الاسكندرية والقسطنطينية ومنها دخلت الى البلاد الاسلامية فترجمت الى اللغة العربية، وقام كبار الفلاسفة العرب بشرحها والتعليق عليها، ومن خلال كتب أرسطو ونقده لبعض النظريات الأفلاطونية، وخاصة لنظرية المثل.

وقد عرف المسلمون العرب أرسطو منذ أن اتصل المسلمون بالروم، وفي رواية ان مؤلفات أرسطو كانت محفوظة في الاسكندرية، وانها نقلت فيما نقل من المحفوظات اليونانية الى انطاكيا في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز الأموي، ولكن من المحقق ان نقل مؤلفات أرسطو الى

العربية لم يبدأ إلاّ في الخليفة المأمون العباسي.

وتعدّدت المصادر العربية أسماء المترجمين لكتب أرسطو التي كانت تنقل عادة من اليونانية الى السريانية ومن هذه الى العربية، كما اختص جماعة آخرون بتفسيرها وغيرهم باختصارها، ومن أشهرهم: اسحق بن حنين، وحنين بن اسحق، وحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة، وأبو بشرمتى، والكندي، والرازي، وابن المقفع، وأحمد ابن الطيب.

ويقال إن ١٩ مؤلفاً من مؤلفات أرسطو نقلت في عصر المأمون وقسّم العرب هذه المؤلفات الى أربعة أبواب هي: المنطقيات، والطبيعيات، والالهيات، والخلقيات.

ومن أشهر آثار أرسطو «الأورغانون THE ORGANON OR THE INSTRUMENT» وكتاب «السياسة THE POLITICS» و كتاب «ما وراء الطبيعة THE METAPHYSICS» وكتاب «الطبيعة PHYSICS» وكتاب «الشعر POITECS».

المذاهب الفلسفية بعد أرسطو:

لقد بلغت الفلسفة اليونانية قمة تطوّرها في النظام الارسطوطالي، حيث دوّن أرسطو أقوال وآراء أئمتها، بدءا من «طاليس THALES ٦٤٠ – ٥٤٦ ق. م»[٤١] وانتهاءً بأفلاطون. وقام بمناقشة هذه الأقوال واستخلص منها العبر التي نسّقها في نظامه الفلسفي الخاص.

لقد أصبحت الفلسفة الأرسطوطالية بعد وفاة الاسكندر عام ٣٢٣ ق. م. ركيزة لمعظم المدارس الفكرية في الامبراطورية المقدونية أولاً، ثم الرومانية التي خلفتها.

ونشأت بالفعل في أنحاء الامبراطورية الأولى، لا سيما في الاسكندرية والشرق الأدنى، مدارس عدّة مهدّت لانتشار الفلسفة اليونانية في انحاء العالم القديم. وأهم هذه المدارس:

أولاً - المشائية PERIPATETICS:

اشارة الى طريقة أرسطو في التعليم، إذ يمشي وحوله التلاميذ. ومن أشهر المشّائين. «ثيوفراستوس THEOPHRASTUS» ٣٧٢ – ٢٨٦ ق. م.[٤٢] الذي خلف أرسطو في امامة المدرسة، ثم تلميذه «استراتون STRATON» الملقب بالفيزيائي على مدى ١٨ سنة (أي بين ٢٨٦ – و ٢٦٨ ق. م.).

ومن كبار المشائين الاوائل «يوديموس الروديسي EUDEMUS OF RHODES» أحد تلامذة أرسطو المقربين.

ومن تلامذة ثيوفراستوس «ديمتريوس الفاليروني DEMETRIU,S OF PHALERON» (توفي حوالي ٢٨٠ ق. م.) الذي وضع عدداً من المؤلفات السياسية اتّصفت بالبلاغة الأدبية، كما وضع كتاباً في الحث على الفلسفة PROTREPTICUS اقتدى فيه بكتاب أرسطو الشهير واحتذاه شيشرون والكندي.

أما المشّاؤون المتأخرون، فأهمهم «اندرونيقوس الروديسي ANDRONICUS OF RHODES» (توفي حوالي ٤٠ ق. م.) وعاش في روما أيام شيشرون وحرر المجموعة الارسطوطالية بشكلها المعروف حتى يومنا هذا.

ومن الشـرّاح الذين أدخلوا عناصر أفلاطونية ورواقية على النظام الأرسطوطالي «أرسطوكليس الاسكندراني ARISTOCLES (النصف الثاني من القرن الثاني بعد الميلاد)»، الذي انتقد الفلسفات الشكوكية SKEPTICISM(٤٣) التي راجت في الأوساط الاكاديمية في أواخر الحقبة السابقة للميلاد، وذهب الى أن العقل LOGOS هو العنصر الالهي في الانسان، ولكنه لا يتجرد عن الحس، وبذلك وفّق بين مذهب أرسطو في العقل الفعال، ومذهب الرواقيين الذين كانوا يرون أن هذا العقل الكوني يداخل كل شيء، ولكن تجلّيه في الأشياء يتوقف على طبيعة القابل، وقد تأثر تلميذه «الاسكندر الأفروديسي ALEXANDER OF APHRODISIAS توفي حوالي ٢٠٥ ب. م» بهذا التأويل لنظرية أرسطو في العقل فقد اعتبر العقل الوارد ذكره في كتاب «النفس SOUL»(٤٤) والذي دعاه بالعقل الفعال NOUS POETICUS هو نفس العقل الوارد ذكره في «ما وراء الطبيعة METAPHYSICS»(٤٥) أي المحرّك الذي لا يتحرّك. وقد ألفّ الاسكندر كتاباً شهيراً في العقل كان له أثر كبير في تطّور النظريات الادراكية PER-CEPTION(٤٦)، بله الكوزمولوجيا: COSMOLOGY.. علم الكونيات»(٤٧) في الأوساط العربية واللاتينية في العصور الوسطى.

وتؤكد نظرية الاسكندر الأفروديسي الادراكية على الجانب الاهلي من فلسفة أرسطو، وذلك في نظريته الى العناية الالهية التي لا تتدخّل في شؤون الكون مباشرة، بل بصورة غير مباشرة، وذلك من خلال استغراق الاله في ادراك ومحبّة ذاته.

ويلاحظ ان الاسكندر قد نحا منحىً أفلاطونياً ورواقيّاً في تأويله لفلسفة أرسطو، واستهلّ على هذا النحو مرحلة من التداخل بين فلسفة أرسطو وأفلاطون مهدّت لقيام الافلاطونية المحدثة NEOPLATONISM(٤٨) في القرن الثالث للميلاد.

ومن كبار الشرّاح الذين نحوا هذا المنحنى الافلاطوني ثامستيوس THEMISTIUS(٤٩) (توفي حوالي ٣٩٠ ب. م). اما شراح أرسطو المتأخرين فيؤلّفون عدداً كبيراً من الاعلام، منهم: سيريانوس SYRIANUS (اشتهر عام ٤٣٠ ب. م.)، وأمونيوس AMMONIU,S (اشهر حوالي

٤٨٥، وفيلوبونس PHILOPPONUS المعروف بيحيى النحوي «توفي ٥٣٠»[٥٠]، وسنبلقيوس SIMPLICIUS (اشتهر حوالي ٥٣٢)، والمبيودورس OLYMPIODORUS (اشتهر حوالي ٥٣٥). وقد ورد ذكر معظم هؤلاء الشرّاح في المصادر العربية، ومنها فهرست ابن النديم «توفي ٩٩٥»[٥١] الذي أخذ عنه المتأخرون، أمثال القفطي «توفي ١٢٤٨»[٥٢] صاحب أخبار الحكماء، وابن أبي صبيعة «توفي ١٢٧٠»[٥٣] صاحب طبقات الأطباء.

ثانياً - المدارس السقراطية: (الكلبيون والقورينيون والميغاريون)

أ - الكلبيون CYNICS

اتباع الملعب الكلبي، ولفظه cynic الإنكليزية مأخوذة عن لفظة kynikes اليونانية ومعناها «شبيه بالكلب». ولعل أتباع هذا الملعب إنما عُرفوا بهذا الاسم بسبب من طريقة حياتهم الخشنة و«نباحهم» في وجه المجتمع الفاسد مهيبين به الى التخلي عن حماقاته ومظالمه، والعودة الى «الحياة الطبيعية»، والواقع ان ديوجينس diogrenes - وهو أبرز ممثلي المذهب الأوائل - هزئ بالعادات المتوارثة وهاجم المؤسسات القائمة بما فيها الأسرة ومن أجل ذلك عاش عيش الشحاذين المتشردين فكان يبيت الليل يستجدي طعامه استجداءً لكي يقيم الدليل على ان في ميسور المرء أن يكون سعيداً حتى ولو اتخذ من مثل هذه الممارسات نهج حياة.

ويرى ديوجينس ان سبب تسميته بالكلب عائد الى اسم الملعب الذي كان يدرّس بقربه وهو CYNOSARGES (أي الكلب الأبيض) أو اللقب الذي أطلق عليه شخصياً، وهو الكلب الخالص HAPLOKYON.

أما الكلبية، المذهب فهو Cynicism الكلبيين، مذهب الكلبيين: مذهب أسسه في أثينا الفيلسوف اليوناني انتيستثينيس ANTSTHENES المتوفي عام ٣٦٥ قبل الميلاد، وكان أبرز ممثليه الأوائل ديوجينس Diogenes الذي عاصر الاسكندر المقدوني. وقد دعا أصحاب هذا المذهب الى العودة الى «الحياة الطبيعية»، وقالوا بأن الفضيلة هي الخير الأوحد وبأن ضبط النفس هو وحده السبيل الى تحقيقها. ليس هذا فحسب، بل لقد عمدوا الى نقد المجتمع ومؤسساته القائمة، بما فيها الأسرة، نقدا هداماً، وجاهروا بمعاداتهم للاسترقاق slavery وللولاءات الضيّقة، صادرين في ذلك كله عن ايمان عميق بالحرية الشخصية والمساواة بين الناس، ومن نظرة، عالمية، الى مختلف المشكلات الانسانية.

ب - القوريـنيـّون CYRENAICS

هم أتباع المذهب القوريني الذي أسّسه الفيلسوف اليوناني أريستيبوس Aristippus (٤٣٥ - ٣٦٦ ق. م.). وإنما دُعي هذا المذهب باسم «المذهب القـوريني» أو «المدرسـة القـورينيـة» Cyreynaic school لأن مدينة قورينة cyrene * كانت مركز نشاطه ومسقط رأس كثير من أتباعه. والقورونيون يذهبون الى القول بأن الانسان يدرك وجود الأشياء الخارجية بسبب من الأثر الذي تتركه في ذات نفسه، ولكنه لا يعرف شيئاً عن طبيعتها.. ومن هنا تعيّن أن يكون الشيء الوحيد الذي يجدر بالانسان السعي في سبيله هو المتعة الزائلة. بيد أنهم يضيفون قائلين إن تمتع المرء بـ «الحياة الطيبة»، المؤلفة من أكبر قدر من المُتَع المُعاشة، يتطلّب منه تبصّراً وبُعدَ نظر يجعلانه في نجوة من التهافت عليها أو الانغماس فيها.

* قورينة (شحات):

مدينة Cyrene قديمة أنشأها على الشاطئ الليبي، حوالي العام ٦٣٢ قبل الميلاد، جماعة من المهاجرين الاغريق من جزيرة ثيرا Thira في بحر ايجه. كانت عاصمة برقة Cyrenaica القديمة. فتحها الاسكندر المقدوني عام ٣٣١ قبل الميلاد، ومن ثمّ آلَ حكمها الى بطالمة Ptolemies مصر، ابتداء من عام ٣٢٣ ق. م. فأصبحت مركزاً من أهم المراكز الثقافية في العالم القديم. خضعت لحكم الرومان عام ٩٦ ق. م، وبعد قرنين من الازدهار في ظلهم أخذت في الانحطاط تدريجياً لتزول من الوجود في أواسط القرن السابع للميلاد.

كانت فلسفة القيرونيين تقوم على أن اللذّة هي ما يطلبه جميع الأحياء، والألم ما ينفرون منه. وليست اللذة عندهم الراحة من الألم أو زواله، بل هي حالة ايجابية تتجلّى في عدد من الملذّات الجزئية التي يؤلّف مجموعها السعادة. وكانوا يرون أن اللذة والألم حركتان، فاستحال أن تكون اللذة عبارة عن زوال الألم، أولألم عبارة عن زوال اللذة، وهذان هما الحالة المتوسطة بين اللذة والألم. وعندهم أن الملذّات الجسدية أفضل، والآلام الجسدية أسوأ من الملذّات أو الآلام العقلية، لذلك يعاقب الجاني على جرائمه بعقوبات جسدية. فكان طبيعياً ان يعتنوا بالجسد أكثر من عنايتهم بالعقل.

وفي باب العلوم، ذهب معظم القيروانيّين الى أن دراسة الطبيعة لا فائدة منها وأن المنطقة أو الجدل قد يفيد كوسيلة لحلّ الإشكالات، وأن كل ما يحتاجه الرجل الحكيم هو معرفة الخير والشرّ التي تجرد صاحبها من الخرافات وخوف الموت وأنكروا أن يكون أي شيء عادلاً أو شريفاً أو خسيسا بالطبع، بل بالعادة والعرف. وقالوا ان الرجل الفاضل يتجنّب الأفعال الشريرة خوفاً من العقوبة أو التثريب، وأقرّوا بأن التقدم في تحصيل الفلسفة وسواها من المعارف ممكن.

جـ - الميغاريون MEGARIANS:

أبناء بلدة ميغارا MEGARA اليونانية الحالية، وبخاصة: أبناء مدينة ميغارا القديمة الذين

أسّسوا عدداً من المستعمرات على سواحل صقلية والذين أنشأوا أيضاً مدينة بيزنطة BYZANTIUM.

و «ميغارا» هي مدينة يونانية تقع على بعد ٢١ ميلاً (حوالي ٣٤ كيلومترا) الى الغرب من أثينا. كانت فيما بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السادس قبل الميلاد دولةً مدينيّة - CITY STATE بحرية هامة وعاصمة لمنطقة ميغارس MEGARIS القديمة. وقد أنشأت عدداً من المستعمرات أهمّها بيزنطة (القسطنطينية أو اسطنبول).

وتقع منطقة ميغارس هذه في بلاد اليونان القديمة، بين خليج كورنث GULF OF CORINTH وخليج سارونيك SARONIC GULF على برزخ ISTHMUS OF CORNITH عاصمتها: ميغارا MIGARA.

أما المدرسة الميغارية MEGARIAN SCHOOL، فهي مذهب فلسفي أنشأه في مدينة (ميغارا) اليونانية، اقليدس الميغاري EUCLID OF MEGARA (٤٥٠ - ٣٧٤ ق. م.) ويعتبر أحد تلامذة سقراط الأولين. وقد رُوي انه حين حُظر على الميغاريين دخول أثينا تخفّى في زيّ امرأة وقام بزيارة سقراط.

وقد تأثر هذا المذهب بمنطق سقراط وبالفلسفة الايلية ELEATIC PHILOSOPHY[٥٤] وعُرف الميغاريون بنزوعهم الى الجدل وبنقدهم للمذاهب الفلسفية الأخرى وبخاصة بنقدهم لأرسطو. ولكن مذهبهم لم يعمِّر الى أبعد من نهاية القرن الرابع ومطلع القرن الثالث قبل الميلاد.

وجاء بعد اقليدس الميغاري، (أوبوليدس الملطي EUBULIDE DE MILET) وكان خصماً عنيداً لأرسطو، ووضع حججاً من طراز حجج (زينون الايلي ZENO OF ELEA ٤٩٥ - ٤٣٠ ق. م) حيث استخدام برهان الخلف يقصد بها الى معارضة المنطق الأرسطوطالي.

ثم جاء بعده (استلبون الميغاري STILPON) الذي نحا نحوه معتمداً على برهان الخلف أيضا.

ويمكن القول ان الميغاريين معروفون بـ «الفكاهات المنطقية.. وانهم عنوا بالنقد ولم يعنوا بالانشاء، لذا فلم يمتازوا عن السفسطائيين في شيء.

ثالثاً - الشكوكية SKEPTICISM:

هي مذهب فلسفي أسسه الفيلسوف اليوناني «بيّرو الألسي PYRRHO OF ELIS (توفي عام ٢٧٥ ق. م.)، وعُرف بـ «البيّروية PYRRHONISM».

قال إن الرجل الحكيم هو الذي يمتنع عن المشاركة في الجدل القائم حول قدرة الانسان على

معرفة الحقيقة اليقينية، وان البحث عن الحقيقة عبث لا طائل تحته، ودعا الى الشك في كل شيء، والى قبول الأشياء كما تبدو في ظاهرها. وقدأ أثّرت البيروية في الفكر الفلسفي الاوربي خلال القرن السابع عشر للميلاد، ولاتزال أصداؤها تتردد في فلسفات العصر الحديث.

وقد حاول الشكوكيون منذ أقدم العصور التشكيك في صحة التعاليم الدينية والفلسفية وفي صحة معطيات العلم على اختلافها.

وبعد أن تطوّرت الفلسفة القديمة والعلم القديم نشأت شكوك حول الآراء السياسية المعتمدة في كل ما يتصل بالعالم الذي نعيش فيه.

ان الشكوكيين، في الواقع، تحدّوا، في العصور القديمة، دعاوي الأفلاطونية والأرسطووية والرواقية STOICISM. وفي عصر النهضة RENAISSANCE تحدّوا دعاوي المدْرسين «السكولاستيين»[٥٥] الذين يحاولون اضفاء صفة عقلانية على اللاهوت النصراني واقامة الدليل على أنه لا تعارض بين العقل والدين. كما تحدّوا دعاوي الكالفينيين CALVINISM[٥٦] الذي يؤكدّون ان الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد لشريعة الله وان قدر الانسان مرسوم قبل ولادته. وبعد «ديكارت DESCARTES» (٥٧) شككوا بالديكارتيين، وديكارت معروف بكلمته المشهورة «أنا أشك فاذن أنا أفكر، وأنا أفكّر فاذن أنا موجود». ثم شنّوا هجومهم على فلسفتي «كَنْت KANT» (٥٨) الذي قال بأن العقل البشري عاجز عن ادراك حقائق الأشياء في ذاتها وان كلما نستطيع ان نعرفه هو الظواهر ليس غير. وكذلك على «هيغل HEGEL» صاحب الديالكتيكية أو الجدلية وخلاصتها ان كل فكرة تولّد فكرة مناقضة، ومن تفاعل الفكرتين تنشأ فكرة جديدة تؤلف بينهما.

وأيا ما كان، فقد اتخذت الشكوكية معنى الالحاد منذ حركة التنوير ENLIGHTMENT[٦٠] التي ظهرت في أوربا في القرن الثامن عشر والتي شكّت في المعتقدات الموروثة، وبخاصة المعتقدات الدينية وأكدّت على التفكير العقلاني والطريقة العلمية.

رابعاً - الأكاديمية ACADEMY[٦١]

هي اسم عرفت به المدرسة الافلاطونية في الفلسفة من عهد افلاطون حتى شيشرون. وقد نحتْ هذه المدرسة مَنْحىً شكوكياً لا يختلف عن الشكوكية البيروية.

وقد مرّت الأكاديمية بثلاث مراحل:

(١) الأكاديمية القديمة التي تزعمّها أفلاطون وبعض تلامذته الأوائل.

(٢) الأكاديمية الوسطى MIDDLE ACADEMY: أسسها الفيلسوف اليوناني (أرسيسلاس AR

CESILAS أو أرسـيـزيـلاوس ARCESILAUS (٣١٦ - ٢٤١ ب. م.) من أهل بيـتـاني -PI TANE في ايوليـا AEOLIA (الشـاطىء الغـربي من الاناضـول ANATOLIA - آسـيـا الصغرى MINOR ASIA). وكان مناهضاً للرواقيين STOICS ومؤيداً للمذاهب الافلاطونية.

(٣) الأكاديمية الجديدة NEW ACADEMY: أسّسها الفيلسوف اليوناني «كارنيادس القيرواني CARNEADE,S OF CYRENE» (٢١٣ - ١٢٩ ب. م) وتوفي بأثينا.

خامساً - الأبيقورية (المذهب الأبيقوري) EPICUREANISM:

هي المذهب الذي أنشـأه الفـيلوسف اليـوناني «أبيـقـور EPICURUS ٣٤١ - ٢٧٠ ق. م. والابيقوري EPICUREAN هو المنسوب الى (أبيقور)، ويطلق على أنصـار مذهبه أو على ما يتعلق بهذا المذهب.

أمـا في اللغـة الجـارية، فـان الأبيـقـوري هـو الرجل الذي يجب التمـتع باللذات والخيـرات، من يسار ورفاهة ومأكولات ومشروبات وملبوسات، ويكون على العموم حاذقاً في اختيار لذّاته، دقيقاً في معرفة قيمتها.

وفي هذا الاسـتـعـمـال الشـائع التبـاس، لأنه لا يميـز بين نظرية أبيـقـور الداعيـة الى القناعة والاعتدال والزهد والاستمتاع باللذات المعنوية، وبين الأبيقوريين الحقيقين مثل الشاعر الروماني «لولكريتس تيتوس LUERITIUS TITUS»[٦٢].

ويقـول المذهب الأبيـقـوري بأن المتـعـة هي الخـيـر الأسـمى. والمراد بـالمتـعـة في هـذا المذهب - بخلاف ما هو شائع - التحرّر من الألم والاهتياج العاطفي.

ويؤكد أبيقور بأن المتعة (أو السعادة) هي غاية الحياة الانسانية، وأن هذه المتعة لا تتم للمرء عن طريق ممارسـة الفضيلة. واعتبر الادراك الحسّي أساس المعرفة الأوحد. وقال بأن الأشياء المادية تطلق، على نحو موصول، صوراً ذرّية ATOMIC تنطبع على حواسنا.

دعا أبيقور الى النظرية الذرية لا باعتبارها حقيقة ينادى بها لذاتها بل باعتبارها دواء يشفي من الخـرافة التي كان من شأنها ان يلح على الناس خوفـهم من الآلهة والشياطين، وان يفزعوا من الموت ومما في العالم السفلي من ضروب العذاب، ومن هنا كانت تعاستهم. فكانت المبادئ الآليـة للنظرية الذرية التي تنكر على الآلهـة أي سيطرة على الطبيـعـة أو أي اهتـمـام بالشـؤون الانسانية وتنظر الى النفس باعتبارها مجموعة مؤتلفة من الذرات تنحل عند الموت - لقد كانت هذه المبادئ في أسـاسها دواء يشفي من هذه المخاوف، لكن لما كانت نظرية ذرية آلية محضة قد توحي بأن الانسان ليس سوى آلة، فان مبدأ الانحراف الارادي للذرات قد جاء دفعا لهذا الخطر لا تبرير له الا باعتباره مطلبا تقتضيه الاخلاق، لكنه لم يكن (في حقيقته) سوى اضافة زائدة

على النظرية الذرية، «خير لك أن تتبع ما يروى عن الالهة من خرافات من أن تكون عبدا لمصير الفلاسفة الطبيعيين».

ولقد أسيء فهم آراء أبيقور الخلقية وأسيء تفسيرها الى حد بعيد، فالأساس النظري لهذه الآراء هو ان اللذة وحدها هي الخير وأنها خير على الدوام. واللذة هي اقصاء الألم، وحينما ينقضي الألم يمكن للذة أن تتنوع ولكن لا يمكن ان تزيد في مقدارها، واللذة اما أن تكون لذة جسمية تبلغ أعلى صورها في الصحة الجسمية الكاملة، واما عقلية اذا كانت تحرّراً من الخوف والقلق، لكن بعض اللذات - على الرغم من أن جميع اللذات خير في ذاتها - تستتبع الألم نتيجة لها لا مفر منها، واذن فينبغي علينا ان نختار بعض أنواع اللذة دون غيرها، وبذلك تكون الحكمة ذات أهمية قصوى مادمنا نستطيع عن طريق الحكمة أن نقوم بأفضل اختيار بين اللذات، وهكذا يدخل أبيقور في الأخلاق فكرة حساب اللذات.

وأبيقور معنيّ بأن يدلنا ما هو الاختيار الحكيم بين اللذات عناية أكبر بكثير من عنايته بالجانب النظري من الأخلاق، يقول في خطابه الى مينوكوس: «حينما نرى بناء على ذلك أن اللذة غاية، فلسنا نعني لذائذ المتهتكين ولا اللذات التي قوامها الشهوة الحسية... انما نعني التحرر من ألم البدن ومما يعكر صفو العقل، لأن اللذة ليست هي ادمان الشراب، كلا ولا هي اتباع الشهوات... لكنها هي تفكير الصحو حينما نتقصى الدواعي التي تدعونا لكل فعل من أفعال الاختيار والرفض». على أن آلام العقل أهم بكثير من آلام البدن، وهي التي اما ان نستطيع تحملها واما أنها قد تؤدي الى الموت، والموت ليس شرا. فالموت ليس خيرا ولا شرا، لأن اللذة والألم هما وحدهما ما يتصفان بالخير والشر، على حين أن الموت لا يعني شيئا بالنسبة لنا، لأن الموت ليس حاضرا معنا ما حيينا، فاذا ما حضر الموت أنهى وجودنا». يضاف الى ذلك أن انسانا لا يستطيع - على الرغم من أن الفضيلة ليست في ذاتها خيرا - أن يحيا الحياة السعيدة ما لم يحي على نحو فاضل بالفعل، والحياة الفاضلة مصدر للذة من حيث هي كذلك.

سادساً - الرواقية STOICISM:

مذهب فلسفي أنشأه الفيلسوف اليوناني (زينون الكتيومي) (أ) حوالي العام ٣٠٠ قبل الميلاد حيث وضع أصوله، ثم أكمله تابعان من بعده هما (أقلانيتوس) (ب) و (أقريسيبوس) (ج).

ويقول زينون إن العالم كلّ عضوي تتخلّله قوة الله الفاعلة، وبأن رأس الحكمة معرفة هذا الكلّ، مع التأكيد أن الانسان لا يستطيع أن يلتمس هذه المعرفة إلا إذا كبح جماح عواطفه وتحرّر من الانفعال.

والرواقيون يدعون الى التناغم مع الطبيعة، والصبر على المشاق، والأخذ بأهداب الفضيلة لأن الفضيلة هي ارادة الله. وان الحكيم لا يبالي بما تنفعل به نفسه من لذة وألم، حتى أن عدم مبالاته بالألم قد يبلغ درجة النفي والانكار. وكل من كان رواقياً كان مطمئن النفس، رابط الجأش، صابراً لا يفرح بشيء، ولا يحزن على فقد شيء، ولا يبالي بما يصيبه من بؤس وشقاء.

ويعيش الرواقي عيشة راضية، اعتقاداً منه ان الانسان جزء من الكون، وأن كل ما يقع في الطبيعة، فهو إنما يقع بتأثير العقل الكلّي، أو القدر. ولذا وجب على الانسان أن يجعل سلوكه مطابقاً لما تمليه عليه الطبيعة، منصرفاً عن العواطف والأفكار التي تجعله يحيد عن طريق القانون الطبيعي.

ومعظم الرواقيين يرون أن المادة تتجزأ الى غير نهاية، وأن النار أصل الوجود، وانها توحّد أجزاء الجسم، وتربط أجزاء العالم بعضها ببعض، وان العالم لا ينفصل عن الله.

والرواقية، في الواقع، اسم اطلقه المفكّرون الاسلاميون على هذا المذهب بعد نقل التراث الاغريقي الى اللغة العربية، وسُمّي كذلك لأن زعماء هذه المدرسة الفلسفية مثل زينون ZENO وأرستبس ARISTIPPUS[٦٣]، كانوا يعلّمون في رواق هيكل بمدينة أثينا، كما أطلقوا على الرواقية اسم «أصحاب المظال» أو «أصحاب المظلة» بنفس المعنى.

واعتبرت الرواقية عند المفكرين الاسلاميين احدى الفرق السبع التي انقسمت إليها الفلسفة اليونانية، إلا أنهم كانوا قليلي التأييد لها لمناهضتها لفلسفة سقراط وأفلاطون وهي التي كان لها تأثير واضح على الفكر الاسلامي.

يتضمن أساس الفلسفة الرواقية كما أشير الى ذلك في المصادر العربية، القول بأنه ليس في الوجود غير المادة، ومن ثم فان المعرفة لا تأتي إلاّ عن طريق الحسّ، لهذا اعتبرت الرواقية من المذاهب المادية. أما من الناحية الأخلاقية (أو الفلسفة العملية)، فان الرواقية تجعل السعادة غاية الحياة، فمن ثم كان على الانسان أن يسير وفق غرائز طبيعته التي هي القانون المنظم لحياته.

(أ) زينون الكتيومي أو الرواقي ZENO OF CITIUM (٣٣٦ - ٢٦٤ ق. م.):

فيلسوف يوناني، فينيقي الأصل من مواليد مدينة «كتيوم CITIUM» بجزيرة قبرص، شدّ رحاله الى أثينا حوالي العام ٣١٢ حيث درس مختلف المذاهب الفلسفية اليونانية. وقد تتلمذ على «اقراطيس CRATES» الكلبي وتلقى منه معظم تعاليم الكلبيين.

كوّن مذهبه الخاص الذي عُرف بـ «الرواقية» التي تركت أثراً كبيراً في الفكر الفلسفي والاخلاقي في خلال العهدين الهليني والروماني.

ولم يكن زينون يكنّ احتراماً كثيراً للآراء الموروثة، وكان له من استقلال الفكر ما يستطيع به أن يقاوم

السخرية والمعارضة معاً.

ينقسم نظام الفلسفة عند زينون الى ثلاثة فروع من المعرفة:

المنطق LOGIC، والطبيعيات PHYSICS، والاخلاق ETHICS:

ولقد رفض زينون دعوة الملك «انتيغونوس غوناتاس ANTIGONUS GONATAS[٦٤] لزيارته في مقدونيا - وكان من المعجبين به - ليكون ناصحاً له فأرسل اليه زينون تلميذيه (برسايوس PERSAEUS) و (ثيبان فيلونيدس THEBAN PHLONIDES).

(ب) أقلاينتوس CLEANTHUS (٣٣٠ / ٣٣١ - ٢٣١ / ٢٣٢ ب. م.):

جاء من أسوس ASSOS بآسيا الصغرى. وهو فيلسوف رواقي وترأس المدرسة الرواقية ٢٦٣ - ٢٣٢ ب. م. بعد وفاة زينون. وامتاز بقوة ايمانه بالمذهب، بيد أنه قليل الحظ في المقدرة الجدلية وفي المناقشات مع الأبيقوريين، فتقهقرت المدرسة في أيامه.

لقد كتب حوالي الخمسين من أعماله، ولكن شذرات قليلة منها بقيت، أهمها ترنيمته HYMN الى زيوس اله الألهات في الميثولوجيا اليونانية، «هي موجودة في أعمال ديوجينس DIOGENES وعند شيشرون CICERO وسنيكا SENECA.

(جـ) اقريسيبوس CHRYSIPPUS (٢٨٠ - ٢٠٦ ب. م.):

فيلسوف يوناني، أصبح الرئيس الثالث للمدرسة الرواقية، عادت فازدهرت المدرسة بزعامته. كانت المدرسة تعاني من تضارب النظريات ومن هجوم عنيف كانت تشنّه عليها مدرسة الشك الاكاديمي، فجاء اقريسيبوس ليذود تلك الهجمات بانتاج فلسفي ضخم تجلّت فيه قدرته الجدلية، وليصوغ في تفصيل كثير تلك الصورة التي اصبحت هي النسق النهائي للرواقية، وبذلك استحق عن جدارة لقب «المؤسس الثاني». ولم يكن اقريسيبوس مفكّرا أصيل التفكير، لكنه استغلّ مهارته في احياء المبادئ الأساسية لزينون من كتيوم.

قال متفكّها فكاهة جافّة تميزّ بها «أعطني ما شئت من مبادئ، أسُقْ لك عليها البراهين». لكن منطقه الصارم أدّى الى اختلافات في التفاصيل خصوصاً في نظريته النفسيّة وفي نظريته في المعرفة. فلما كان منطقه قد انتهى به الى مواقف متطرّفة، فقد تكشفت المفارقات الكامنة في الرواقية وأصبحت واضحة للعيان.

قال مزهواً بنفسه «لولا اقريسيبوس ما كانت الرواقية». فكان في وسع «كارنيادس CARNEADES»[٦٥] - أكثر معارضي الرواقية عنفوانا - أن يجيب بقوله «لولا اقريسيبوس ما كان كارنيادس».

خلود الفلسفة اليونانية:

هكذا انتهت الفلسفة اليونانية بعد حياة استطالت احد عشر قرنا، وحفلت بأسمى وأبهى نتاج العقل. ولكنها بقيت بما هي فلسفة، تناولتها عقول جديدة في الشرق والغرب فاصطنعت

منها أشياء، وانكرت أشياء، وهي على الحالين تعتبرها أصلا وتنهج نهجها، على نحو ما ينهجه فيلون اليهودي وأوائل المفكرين المسيحيين. وما تاريخ الفلسفة بعد الآن الا تاريخ تطور الفلسفة اليونانية عند الاسلاميين والمسيحيين. ولا شك أن الفضل الاكبر فيها يرجع الى أفلاطون وأرسطو: فقد جاءت كتبهما من السعة والعمق والسمو بما لم يعرف عن غيرهما من السابقين واللاحقين، ولولاهما لبدت المدارس السابقة أضأل من أن تتكون فلسفة، ولما وجدت المدارس اللاحقة في أغلب الظن، أو لوجدت هزيلة ضئيلة هي ايضا. لقد وفق هذان الرجلان الى ان يكونا القطبين اللذين يتردد بينهما العقل الانساني، يميل تارة الى هذا، وطورا الى ذاك، أو يقف بين بين. ولعل العقل الانساني لن يخرج عن هذه المواقف أبدا مهما تشكل تفكيره وتنوع.

الاتجاه الى حفظ التراث:

بدأ حفظ التراث بديمتريوس الفالبري الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في بلاط بطلميوس الأول. ففكرة انشاء «المكتبة» أو «المتحف» بحد ذاتها، إن هي إلا فكرة تقوم على حفظ آثار أو مخلفات ثقافة زالت أو في طريقها الى الزوال. وقد كان نشر الثقافة الهيلينية الذي قام به الاسكندر الأكبر يعتبر انحساراً للتراث اليوناني أو على الأقل توقّفا في نموه في العالم اليوناني، وقد انتهى ذلك الى انتقال العاصمة من أثينا الى الاسكندرية.

ولقد أدى انحسار ثقافة اليونان القديمة وبالتالي ثقافة مصر القديمة الى احلال فراغ كبير في العالم القديم لم تستطع معه روما أن تقوم بملئه، علماً بأن العالم في ذلك الوقت مستعد لظهور دين عالمي جديد، غير أن ذلك لم يتحقق إلاّ بعد عدّة قرون حين ظهر النظام الجديد المتمثّل بالمسيحية.

إن المحافظة على التراث اليوناني قد اتخذ عدة أشكال بيد أن أهم القائمين هم «النحاة GRAMMARIANS» في مدرسة الاسكندرية. وهؤلاء النحاة كانوا إما محققين أو معلقين أو كتّاب حواش أو نقاداً للنصوص اليونانية الأدبية الكلاسيكية المختلفة.

وكان من أبرز هؤلاء الناقد والنحويّ اليوناني «أرستارخوس الساموتراسي ARIS-TARCHUS OF SAMOTHRACY»[٦٦] نسبة الى ساموتراس SAMOTHRACE مسقط رأسه، وأصبح رئيسا لمكتبة الاسكندرية.

وهناك أيضاً النحوي الشهير ديونيزيوس ثراكس DIONYSIUS THRAX تلميذ ارستارخوس الساموتراسي الذي انتقل الى جزيرة رودس RHODES[٦٧] ليعلّم اللغة والأدب. كما أن هناك كذلك النحوي والأديب والناقد اليوناني «أرسطوفان البيزنطي ARISTOPHANES OF BYZANTIUM ٢٥٧ ق. م. – ١٨٠ ق. م. – الاسكندرية» الذي حقق نحو ٢٠٠ ق. م. شعر AL-CAEUS[٦٨]، وأعاد استارخوس تحقيق أعمال الكايوس بعد جيلين من ذلك، كذلك حقق فقهاء

الاسكندرية شعر الشاعرة اليونانية «سافو SAPPHO ٦١٠ - ٥٨٠ ق. م.»[٦٩] ورتبوا قصائدها.

ومن ألمع تلاميذ أرستارخوس، الكاتب الموسوعي «أبولو دوروس الأثيني APOLLODORUS OF ATHENS» الذي ولد نحو ١٤٠ ق. م. ودرس في الاسكندرية وتركها عام ١٤٦ الى برغاموم PERGAMUM وأخير استقرّ في أثينا. ومن أهم أعماله: «THE CHRONICLE» و «ON THE GODS» وموسوعة المكتبة BIBLIOTHECA (THE LIBRARY) وهي تتناول آلهة اليونان وأبطالهم، وتعتبر من أفضل ما كتب عن الميثولوجيا اليونانية.

فضل العرب في المحافظة على التراث:

من الثابت ان حضارة العرب كانت مصدراً هاماً من مصادر الحضارة الأوروبية الحديثة، فهي التي حرّرت الفكر اللاتيني وأطلقته من قيود محاكم التفتيش IN-QUISITION[٧٠] ورواسب الوثنية الاغريقية، وقد تجاوز فضل العرب الى حدّ الاضافة اليه بالكثير من ثمار عبقريتهم بل وتطوير هذا التراث وتخليصه من الشوائب لاسيما في مجالات الطب والكيمياء والطبعية والفلك والرياضيات بفروعها المختلفة.

هذا ما يشهد به الكثير من العلماء الأوربيين، منهم بريفو BRIFFAULT الذي قال في كتابه (تكوين الانسانية MAKING OF HUMANITY) إن العلم الأوربي مدين بوجوده للعرب. كما قال العالم الأميركي «جورج سارتون GEORGE SARTON»[٧١] في كتابه (المدخل الى تاريخ العلم INTRODUCTION TO THE HISTORY OF SCIENCE):

«عندما أمسى الغرب مستعداً استعداداً كافياً للشعور بالحاجة الى معرفة أعمق، وعندما أراد آخر الأمر أن يجدّد صلاته بالفكر القديم، التفت أول ما التفت لا الى المصادر الاغريقية بل الى المصادر العربية».

أما الكاتب والمؤرخ «روم لاندو ROM LANDAU» فقد قال في كتابه «الاسلام والعرب» ترجمة منير البعلبكي - بيروت ١٩٦٢ ما يلي:

«وحين نتذكر كم كان العرب بدائيين في جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافي الذي أحرزوه خلال مائتي سنة فقط انقضت على وفاة الرسول. وعمق ذلك التقدم، أمر يدعو الى الذهول حقاً. ذلك بأن علينا أن نتذكر أيضاً أن النصرانية احتاجت الى نحو ألف وخمسمائة سنة لكي تنشئ ما يمكن أن يدعى «حضارة مسيحية».

وهكذا نجد بأنه لولا انقاذ العرب لتراث الفكر الاغريقي وبالتالي تطوير هذا التراث وتخليصه

من الشوائب. ولولا تثمين العرب لقيمة العقل وحرية الفكر والعقيدة لتأخرت النهضة في أوروبا لعدة أجيال.

وقد انتقلت علوم العرب الى الأوروبيين عن طريق صقلية والاندلس[٧٢] حيث ذهب المهتمون منهم بصورة خاصة الى بلارما (باليرمو PALERMO) عاصمة صقلية[٧٣] وطليطلة TO-LIDO[٧٤] لتعلّم اللغة العربية ودراسة العلوم الاسلامية، وكان معظمهم من الانكليز. وقضى بعض هؤلاء لعدة سنين في الاندلس من أجل نقل الكتب العلمية العربية الى اللغة اللاتينية.

وقد ترجم العالم الايطالي (جيرارد الكريموني GERARD OF CREMONA ١١١٤ – ١١٨٧» كثيراً من أمهات الكتب اليونانية والعربية الى اللاتينية. وقد ذهب الى طليطلة لتعلم اللغة العربية ليتمكن من قراءة «المجسطي ALMAGEST»[٧٥] التي ترجمت الى العربية نقلاً عن السريانية والتي لم تكن موجودة باللاتينية.

ومن المؤلفين اليونانيين الآخرين الذين ترجمت نصوصهم من العربية من قبل جيرارد، هم أرسطو ARISTOTLE واقليدس EUCLID وغالينوس GALEN ويعزى الفضل في ترجمات النصوص العربية الأصلية الى أرسطو بضمنها العلوم الطبية خاصة مؤلفات ابن سينا CANON OF AVICENNA (القانون) والعلوم الرياضية والفلكية ASTRONOMY والتنجيم ASTROLOGY والكيمياء ALCHEMY.



هوامش

الفصل الثالث

هوامش الفصل الثالث

١- الآريون ARYANS:

هم شعب ما قبل التاريخ PREHISTORY(١/١)، كان ينطق باللغة الآرية وهي لغة قديمة اشتقت منها معظم اللغات الهندية الأوروبية، احتلّ قسم من هذا الشعب هضاب ايران، في حين دخل قسم آخر منه الهند واختلط بسكانها القدامى. ويطلق لفظ الآريين توسّعاً على الجماعات التي يفترض أنها انحدرت من ذلك الشعب.

١/١ - ما قبل التاريخ PREHISTORY : دراسة تطور المجتمعات البشرية قبل التاريخ المدوّن.

يُعتبر المجتمع تاريخياً historic عندما تتعزز البينة الدالة على وجوده بوثائق مكتوبة. ويُعتبر ما قبل التاريخ prehistoric عندما تعوزه هذه الوثائق. وفي مثل هذه الحال لا نستطيع أن ندرسه إلا من خلال ما أبقته لنا الأيام من بيئات مادية تشير الى وجوده في العهود الغابرة، وبكلمة أخرى من طريق الكشف عن آثاره المطمورة في باطن الأرض. ومن المجتمعات ضرب لا سبيل الى وصفه، على وجه الدقة، بالتاريخي أو بما قبل التاريخ. ويشمل هذا الضرب مجتمعات ما قبل التاريخ التي قدر لها أن تتصل من طريق التجارة بأحد المجتمعات التاريخية بحيث نجد أشياء من صنع تلك المجتمعات ما قبل التاريخ في المجتمع التاريخي الذي كانت على صلة به. ومن هنا عثر الآثاريون على عقود وحلي بريطانية ما قبل التاريخ في بلاد اليونان، وبذلك أمكن تحديد عمر تلك العقود والحلي على ضوء البيئة التاريخية المتاحة. وما قبل التاريخ علم حديث نسبيا. إنها لم تحظ بأية عناية جدية إلا ابتداء من القرن التاسع عشر. وقد قاومت الكنيسة، في بادئ الأمر الفكرة القائلة بأن للانسان ما قبل التاريخ طويلاً، إذا جاز التعبير، ولكن انتشار الداروينية ودراسة أصول الجنس البشري تغلبتا تاريخيا على هذه المقاومة.

٢- اللغات الهندية الأوروبية Indo - European languages:

أسرة من اللغات تنتظم اللغات المحكية في معظم أنحاء أوروبا، وفي الأجزاء التي استعمرها الأوروبيون من العالم منذ العام ١٥٠٠ للميلاد، وفي ايران وشبه القارة الهندية واجزاء أخرى من آسيا. وهي تشمل اللغات الأناضولية Anatolian languages واللغات الهندية - الايرانية Indo - Iranian languages، واللغة اليونانية، واللغات الايطاليقية Italic languages (وأهمها اللاتينية واللغات الرومانسية Romance languages المتفرعة عنها وهي الفرنسية والاسبانية والايطالية ،والبرتغالية والرومانية)، واللغات الجرمانية، واللغات السلافية، واللغات السلتية Celtic languages، واللغة الأرمنية، واللغات الالبانية وغيرها.

٣- الأيوليون AEOLIANS:

عشيرة يونانية قديمة استقرّت في إيوليس AEOLIS، وهي منطقة تقع في الساحل الشمالي الغربي من آسيا الصغرى.

٤- الدوريّون DORIANS:

شعب اغريقي قديم غزا بلاد اليونان حوالي عام ١١٠٠ قبل الميلاد واستقرّ في الأجزاء الجنوبية والشرقية من شبه جزيرة البيلوبونيز PELOPONNESUS(٤/١)، وجزائر بحر ايجه AEGEAN SEA الجنوبية، وجزر الدوديكانيز DODECANESE(٤/٢)، وجزير كريت CRETE، والأجزاء الجنوبية الغربية من آسيا الصغرى.

٤/١ شبه جزيرة البيلوبونيز:

شبه جزيرة جبلية تقع الى الجنوب من خليج كورنت GULF OF CORINTH وتشكّل الشطر الجنوبي من البر اليوناني الرئيسي. كانت تُعرف خلال القرون الوسطى باسم (موريا MOREA أو شبه جزيرة المورة).

٤/٢ جزر الدوديكانيز Dodecanese:

مجموعة جزر يونانية في بحر ايجه Aegean Sea.

تقع بين تركيا وكريت Crete، وتُعتبر جزءا من جزر سبورادس Sporades الجنوبية. عددها اثنتا عشرة جزيرة رئيسية ومجموعة من الجزر الصغيرة، ومن هنا اسمُها الذي يعني «اثنتي عشرة جزيرة» أو «الاثنتي عشرة». كبراها جزيرة رودس Rhodes. استولى عليها الأتراك العثمانيون في القرن السادس عشر وظلت خاضعة لسلطانهم حتى العام ١٩١٢، عندما استولى عليها الايطاليون في الحرب الايطالية – التركية التي نشبت بسبب من الصراع على طرابلس الغرب. وأخيرا أعيدت الى اليونان، عام ١٩٤٧، بعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية. مساحتها ١٫٠٢٨ ميلا مربعا (حوالي ٢٫٦٦٣ كيلومترا مربعا). عاصمتها «رودس» Rhodes الواقعة في جزيرة رودس.

٥- الآخيون أو الاخاياويون ACHAEANS:

أقدم شعوب الاغريق (اليونان) ظهر اسمهم، أول ما ظهر، في نقش حيثيّ يرقى الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وقد أطلق هوميروس اسم الخاياويين على الاغريق كلهم، ولكن الاسم اقتصر فيما بعد على سكان أخايا ACHAEA (اقليم في بلاد الاغريق القديمة شمال شبه جزيرة البيلوبونيز). ويجزم المؤرخون أن الأخاويين قطنوا شبه جزيرة البيلوبونيز قبل الدوريين.

٦- أيونيا Iania:

اسم قديم لمنطقة تشمل القطاع الأوسط من ساحل آسيا الصغرى الغربي. استوطنها الأيونيون Ionians، وهم شعب إغريقي هاجر من بلاد اليونان الجنوبية الى تلك الديار، في القرن الحادي عشر والقرن العاشر قبل الميلاد، فراراً بنفسه من غزو الدوريين Dorians. ومنذئذ عُرف ذلك القطاع من ساحل آسيا الصغرى باسم «أيونيا». وقد أنشأ الأيونيون حضارة كان لها أثر ملحوظ في حضارة أثينا في ما بعد.

الجزر الأيونية Ionian Islands:

سلسلة جزر يونانية واقعة في البحر الأيوني Ionain Sea. أهمها «الجزر السبع» Heptanesus وهي كورفو Corfu، وباكسوس Paxos، ولوكاس Levkax، وإيثاكا Ithaca، وسيفالونيا Cephalonia، وسيثيرا Cythera، وزانتي Zante.

المدرسة الفلسفية الأيونية Ionian school of philosophy:

اسم جامع يُطلق على عدد من فلاسفة اليونان الذين عاشوا في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، مثل طاليس Thales، وأناكسمندر Anaximander، وأناكسيمينس Anaximenes، وأناكسغوراس Anaxagoras، وهرقليطس Heraclitus، وهيبون Hippon. ولقد كانت أيونيا Ionia مركز نشاط هؤلاء الفلاسفة الأصلي، ولكنهم ذهبوا في فلسفاتهم مذاهب متباينة بحيث يصعب اعتبارهم مدرسة فكرية واحدة إلا بكثير من التجاوز. والواقع ان القاسم المشترك بينهم كان محاولتهم جميعا تفسير الظواهر بلغة المادة والقوى الطبيعية (كالماء والنار والهواء إلخ).

٧- تساليا (الاسم القديم THESSALY والحديث THESSALIA):

منطقة في الجزء الشرقي من وسط بلاد اليونان. تقع على سواحل بحر ايجه من مقدونيا. أهم مدنها: لاريسا LARISA.

٨- لسبوس (ميتيليني) LESBOS also LESVOS or MYTILENE also MITILINI:

جزيرة يونانية في الجزء الشرقي من بحر ايجة. تقع تجاه الساحل الشمالي الغربي من تركيا الآسيوية عاصمتها ميتيليني MYTILENE.

٩- المورة (موريا) MOREA:

راجع الهامش ١/٤ أعلاه.

١٠- الآتيك (آتيكا ATTICA):

اقليم قديم أو مقاطعة في الجزء الشرقي من وسط بلاد اليونان، عاصمتها: أثينا ATHENS.

والأتيكية: هي لهجة أثينا القديمة، وهي اليونانية الفصحى التي دوّن بها الأدب الكلاسيكي الاغريقي.

١١- ساموس SAMOS:

جزيرة يونانية في بحر ايجه، تعتبر احدى كبريات جزر سبورادس الجنوبية SOUTHERN SPORADES وأقرب الجزر اليونانية الى السواحل التركية. عاصمتها فاثي VATHI.

١٢- مينديراس MENDERES:

نهر في تركيا ينبع في الجزء الغربي من البلاد، ويجري جنوبا بغرب ثم غرباً ليصبّ في بحر ايجه. اسمه القديم (مياندر MAENDER)، فعرفت هذه المنطقة.

١٣- أفسُس Ephesus:

مدينة يونانية قديمة. تعتبر واحدة من أعظم المدن الأيونية Ionian في آسيا الصغرى. تقع على مقربة من ساحل بحر ايجه. أخضعها ملك ليديا كروسوس (أو قارون) Croesus، في القرن السادس قبل الميلاد، لحكمه، ثم خضعت بعد ذلك لحكم الفرس والأثينيين وأهل إسبارطة. وبعد عام ١٣٣ قبل الميلاد خضعت لسلطات روما. كان فيها هيكل آرتميس Artemis الذي عدّه القدماء احدى عجائب الدنيا السبع. عُقد فيها مجمع كنسي، عام ٤٣١، اعتبر نسطوريوس Nestorius، مهرطقاً.

مجمع أفسس COUNCIL OF EPHESUS

مجمع مسكوني عقد عام ٤٣١ في مدينة افسس، احدى أعظم المدن الأيونية IONIAN في آسيا الصغرى، لبحث قضية نسطوريوس NESTORIUS، بطريرك القسطنطينية، الذي قال بأن الطبيعتين الإلهية والبشرية ظلتا منفصلتين في يسوع المسيح. قرر اعتبار نسطوريوس مهرطقاً.

١٤- مَلَطْية MALATYA:

مدينة في الجزء الشرقي من وسط تركيا. يرقى تاريخها الى عهد الحيثيين HITTIES احتلها الفرس عام ٥٧٧ للميلاد. تنازعها العرب والبيزنطيون في العصر العباسي، اسمها القديم: ميليتيني MELITENE.

١٥- سولون SOLON: (٦٣٨ - ٥٥٩ ق. م.):

سياسي ومصلح وشاعر أثيني. عهد اليه بالحكم ٥٩٤ أو ٥٩٣، ومنح سلطة كاملة ليخفّف وطأة الحالة الاقتصادية، ويعيد النظر في الدستور الأثيني.

كان النبلاء يسيطرون على الدولة، وتكاليف الحياة مرتفعة، مما كان يضطر المالك الصغير والمستأجر الصغير الى الاستدانة. وكان الأول يقترض بضمان الأرض ويأخذ الدين على شكل بيع مع حق الاسترجاع، واذا عجز المدين عن الوفاء بدينه - وهو ما كان يحدث عادة - فقد أرضه. وكان الثاني يقترض بضمان شخصه، وإذا عجز عن تسديد دينه فقد حريته هو وأسرته. يعزو كثيرون الى سولون الغاء الديون، لكن يحتمل انه لم يذهب الى هذا المدى وانما الغى قيود الدائنين على أراضي المدينين، وحرر المستعبدين بسبب الديون، وحرّم اعطاء القروض بضمان شخص المدين، فترتب على ذلك الغاء ضمان الديون، وكان هذا يساوي في حالات كثيرة الغاء الديون، شجع التجارة والصناعة في أثينا، بتعديل نظم العملة والمقاييس والمكاييل، ويمنح حقوق المواطنة لمهرة العمال الأجانب المقيمين فيها. وضع أساس الديمقراطية الأثينية بما أدخله من اصلاحات دستورية، كان أهمها توزيع الحقوق والواجبات تبعا لثروة المواطنين، وفتح أبواب الجمعية الشعبية لكل المواطنين الأحرار، وانشاء محاكم شعبية يختار قضاتها من جميع طبقات الأمة. لم تحقق اصلاحات سولون كل الاغراض المنشودة، فاستؤنف النزاع الأهلي، ولم تنعم أثينا بالهدوء الا بعد أن اقام بيسيستراتوس(*) نفسه طاغية، ودعم مركزه. ومع ذلك بقيت نظم سولون الأساس الذي قامت عليه الدولة.

(*) بيزيستراتوس Pisistratus also Peisistratus (توفي عام ٥٢٧ ق. م.):

طاغية أثينا (٥٦٠ - ٥٢٧ ق. م.). فرض عبادة الإلهة «أثينا» Athena بوصفها كبيرة آلهة المدينة. وسع سلطان أثينا فشمل بحر إيجه Aegean Sea وسواحل آسيا الصغرى، وعزز التجارة فعرف الأثينيون في عهده ازدهاراً اقتصادياً كبيراً.

١٦- ليكورغ LYCURGUS (حوالي القرن السابع قبل الميلاد):

يعزو القدماء اليه دستور اسبرطة ونظامها العسكري، وتتفاوت رواياتهم عن التاريخ الذي عاش وشرع فيه بين ١١٠٠ و ٦٠٠ ق. م.، يميل اكثر المحدثين الى انه كان شخصية خيالية، بينما يعتقد آخرون أنه كان شخصية حقيقية اسهمت في تعديل الدستور في القرن ٨ أو ٧ ق. م. ويرى بعضهم

انه كان الاله الذي يحمل هذا الاسم ويعبد بجهات متعددة بالبلوبونيز، من بينها اسبرطة، وان نظم اسبرطة كانت وليدة تطور طويل عُزِيت اليه في القرن ٦ أو ٥ ق.م.

١٧- خَلْقيدونيا Chalcedon:

مدينة بحرية قديمة في الجزء الشمالي الغربي من آسيا الصغرى. تقع على البوسفور، تجاه إستانبول. أسّسها المستعمرون الميغاريون (نسبة الى مدينة ميغارا Megara اليونانية) في أوائل القرن السابع قبل الميلاد. عُقدت فيها مجامع كنسية متعددة أهمها المجمع المسكوني الذي حرم المونوفيزية Monophysitism أو القول بالطبيعة الواحدة (عام ٤٥١م).

١٨- أولمبيا OLYMPIA:

سهل في ايليس القديمة ELIS(*) في بلاد اليونان حيث كانت الألعاب الأولمبية تُجرى في زمن الاغريق.

(*) ايليس ELIS:

دولة مدينيّة CITY - STATE إغريقية قديمة في الزاوية الشمالية الغربية من شبه جزيرة البيلوبونيز في اليونان. اشتهرت بالخيول وبالألعاب الأولمبية التي كانت تقام فيها. عاصمتها (ايليس ELIS) التي تعتبر اليوم من أهم المراكز السياحية اليونانية.

١٩- برناس PARNASSUS والاسم الحديث PARNASSOS:

جبل في أواسط بلاد اليونان. يقع الى الشمال من خليج كورنث GULF OF CORINTH. كان يعتبر مهبط وحي الشعراء. ارتفاعه ٨٫٠٦١ قدماً (حوالي ٢٫٤٥٧ متراً).

٢٠- أبولو APOLLO:

اله النور والموسيقى والشعر والنبوءات والجمال الرجولي عن الاغريق، كان أصلاً اله الرعاة والقطعان واله الشفاء. زعموا انه ابن زيوس ZEUS (اله الآلهات في الميثولوجيا اليونانية) وليتو LETO(٢٠/١) وشقيق أرتميس ARTEMIS التوأم.

٢٠/١ : ليتو LETO:

في الميثولوجيا اليونانية أم أبولو APOLLO وأرتميس ARTEMIS من اله الآلهات زيوس ZEUS. طاردتها حيرا HERA، حين علمت أنها حامل من زيوس، فطوّفت في الأرض حتى بلغت جزيرة ديلوس DELOS(٢٠/٢) حيث وضعت حَملها (أبولو وأرتميس). وفي رواية أخرى أن ليتو ضربت في الأرض بحثاً عن مكان تضع فيه حملها فانتهت الى جزيرة ديلوس القاحلة التي كانت - فيما زعموا - صخرة طافية تتقاذفها الأمواج. فلما بلغتها ليتو شُدت الى قاع البحر تمكيناً لها من الولادة. يدعوها الرومان «لاتونا LATONA».

٢٠/٢ (ديلوس Delos):

صغرى جزر سيكلادس اليونانية Cyclades تزعم الأساطير الاغريقية أنها مسقط رأس أبولو Apollo وأرتميس Artemis. جُعلت، عام ٤٧٨ قبل الميلاد مقر عُصبة ديلوس Delian League(*) ازهدرت بوصفها مركزا تجاريا وسوقا للرقيق، وبخاصة بعد أن جعلتها رومة مرفأ

حراً عام ١٦٦ قبل الميلاد، كشفت الحفريات التي قام بها الفرنسيون، منذ عام ١٨٧٣، عن بعض آثارها، مساحتها حوالي ميل مربع وثلث الميل (ثلاثة كيلومترات مربعة ونصف الكيلومتر تقريباً).

(*) عُصبة ديلوس Delian League; Delian Confederacy:

حلف ديلوس:

اتحاد ضم عددا كبيرا من المدن الاغريقية بزعامة أثينا، أنشئ عام ٤٧٨ ق. م. خلال الحروب اليونانية الفارسية Greco - Persian Wars، بُغية، توحيد صفوف الاغريق قاطبةً في وجه الخطر الفارسي. كان مقرّه في جزيرة ديلوس Delos حيث حُفظت خزانته المالية المشتركة (أو بيت ماله المشترك) في هيكل أبولو Apollo. وقد وُفّقت العُصبة الى تحقيق الهدف الذي أنشئت من أجله، فأنزلت بالفرس هزائم متلاحقة. ولكن الصراع الذي نشب بين أثينا واسبارطة عام ٤٦١ ق. م. أدى الى تفككها. وسرعان ما نقل الأثينيون خزانتها المالية المشتركة الى مدينتهم، عام ٤٥٤ ق. م. فتحوّلت منذئذ الى امبراطورية أثينية معترف بها (٤٥٤ – ٤٠٤ ق. م.).

٢١- داريوس الأول DARIUS 1 THE GREAT (٥٥٠ – ٤٨٦ ق. م.):

«دار الأول الكبير» ملك الفرس ٥٢٢ – ٤٨٦ ق. م. أحد أعظم ملوك الأسرة الأخيمينية ACHAEMENID DYNASTY. أعاد تنظيم الامبراطورية ووسّع فامتدت من مصر غرباً الى الهند شرقاً. وقد حاول فتح بلاد اليونان غير مرة ولكن العواصف دمرّت اسطوله عام ٤٩٣ قبل الميلاد، وأنزل الاثينيون الهزيمة بجيشه في معركة ماراثون MARATHON عام ٤٩٠ ق. م.

٢٢- أحشويروش الأول XERXES 1 OR AHASUERUS 1 (٥١٩ – ٥٤٦٥ ق. م.):

ملك فارس (٤٨٦ – ٤٦٥ ق. م.) أخضع ثورات نشبت في مصر وبابل، وغزا بلاد اليونان عام ٤٨٠ ق. م. فاستولى على أثينا وأحرقها، ولكن اليونان انتصروا عليه في معركة سلاميس البحرية SALAMIS.

٢٣- السفسطائيون Sophists:

جامعة من الكتاب والمعلمين الإغريق المحترفين دأبت خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد على التطواف في طول العالم الناطق باللغة اليونانية وعرضه لتعليم الشبان المتعطشين الى المعرفة، لقاء أجر معين.، وقد اختلفت مواقف مؤرخي الفلسفة منهم، فذهب بعضهم الى انهم وُفّقوا – بفضل نقدهم للعقائد الشائعة في زمانهم – الى حمل المفكرين الآخرين على التعمق في استكناه مشكلات الحياة الكبرى، وكانوا ذوي أثر ملحوظ في لفت الاهتمام الى المسائل ذات الأهمية الخاصة بالنسبة الى الانسان. في حين ذهب بعض الباحثين الآخرين الى القول بأنهم كانوا «محنة» أصيبت بها الفلسفة اليونانية.. وأياً ما كان فقد أهمل السوفسطائيون الرياضيات والطبيعيات في التعليم، وركزوا في المقام الأول على الفنون التي يجوز فيها الجدل كالبلاغة والنحو والتاريخ. ويعتبر بروتاغورس Protagoras أول السفسطائيين وأشهرهم وكلمة «السوفسطائي» مأخوذة في الأصل من لفظة sophistes اليونانية التي تعني الحكيم، ومع ذلك فنحن نعني بالسفسطة sophistry، اليوم، تمويه الحقائق مع فسادٍ في المنطق.

٢٤- الأفلاطونية الجديدة أو المحدثة NEOPLATONISM:

مذهب فلسفي نشأ في الاسكندرية في النصف الأول من القرن الثالث للميلاد، معدّلاً تعاليم أفلاطون بحيث تنسجم مع المفاهيم الأرسطووية ARISTOTELIAN، وما بعد الاسطورية، والشرقية. تصوّر أصحابه العالم فيضاً EMANATION «نظرية الفيض»(١/٢٤) منبثقاً من الذات العليا التي تستطيع الروح الاتحاد بها في حال الانجذاب الروحي. أسّسه الفيلسوف الاسكندري «أمونيوس سكّاس أو الحمال AMMONIUS SACCAS في النصف الأول من القرن الثالث للميلاد.. ثم تلميذه الفيلسوف الروماني مصري النشأة» «أفلوطين PLOTINUS ٢٠٥ - ٢٠٧م» ثم الفيلسوف السوري اليوناني «فرفوريوس الصوري PORPHYRY OR PORPHYIUS ٢٣٤ - ٢٠٥م».

١/٢٤ - نظرية الفيض، نظرية الصدور emanationism:

نظرية قال بها فلاسفة «الأفلاطونية المحدثة» وهي تذهب الى ان جميع الكائنات فاضت أو صدرت عن ذات عليا (أو مبدأ أول) فهي بهذا الاعتبار نُسَخٌ جزئية أو باهتة عنه. وتفصيل ذلك، عند أصحاب هذه النظرية، أن الله هو الموجود الأول وانه يتأمل ذاتهُ فيفيض عنه كائن واحد هو «العقل الأول»، وهذا العقل الأول هو، عندهم، صورة الله ولكنه ليس الله نفسه. ثم إن هذا العقل يتأمل ذاته فيصدر عنه كائن آخر هو «النفس الكلية» التي تملأ العالم. وعن هذه النفس الكلية تفيض كائنات متعددة هي نفوس الكواكب... وهكذا يتواصل الفيض فتصدر عن كل كائن كائنات جديدة أقل شبهاً بالعقل الأول. وقد تأثر الفلاسفة المسلمون بهذه النظرية تأثراً كبيراً.

٢٥- ارسطوفان (اريستوفان ٤٥٠ - ٣٨٨ ق. م.):

أعظم شعراء الملهاة أو الكوميديا في الأدب اليوناني القديم. بقيت لنا من ملاهيه الأربعين احدى عشرة ملهاةً كاملة. وقد اتسمت آثاره بالجرأة والسخرية والدعابة الجافية. هاجم سقراط في «السحب THE CLOUDS»، ويوريبيدس في «الضفادع THE FROGS» وسخر من التشريع الأثيني في «الزنابير THE WASPS».

٢٦- الفارابي (٨٧٨ - ٩٥٠م):

فيلسوف عربي، ولد في واسج في مقاطعة فاراب بتركستان. درس في بغداد أولاً على معلم مسيحي هو يوحنا بن حيلان، ودرس بعد ذلك المنطق والفلسفة والنحو الصرف والعلوم والرياضيات والموسيقى، وارتحل الى حلب في ٣٣٠هـ / ٩٤١م. واستقرّ في مجلس سيف الدولة. ثم قام بعدّة أسفار وصولاً الى القاهرة، ومات في دمشق في عام ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م. ولا نعرف كثيراً عن حياته الشخصية.

يعتبر أحد أوائل المفكّرين الذين عرّفوا العرب بفلسفتي أرسطو وأفلاطون. وتأثر بالفيلسوف الروماني (أفلوطين PLOTINUS ٢٠٥ - ٢٧٠م).

حاول التوفيق بين الشريعة الاسلامية والفلسفة اليونانية. وقد تأثر به كل من ابن سينا وابن رشد. لُقّب بالمعلم الثاني (على اعتبار ان أرسطو هو المعلم الأول).

أشهر آثاره (آراء أهل المدينة الفاضلة) ضمنها آراءه في السياسة. ويبدو فيها تأثره واضحاً بـ «جمهورية» أفلاطون. ومن مؤلفاته الأخرى «كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين (أفلاطون وأرسطو)،

«احصاء العلوم» وكتاب «السياسة المدنية (المعروف باسم مبادئ الموجودات)، و«فلسفة أرسطوطاليس» وكتاب «الألفاظ المستعملة في المنطق» وكتاب «الحروف» و «فصوص الحكم».

٢٧- ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨م):

هو أبوالوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد. فيلسوف وطبيب عربي أندلسي. ولد في قرطبة عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م وتوفي عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م في مراكش. أصبح قاضياً عام ٥٦٥هـ / ١١٦٩م لأشبيلية ثم بعد سنتين قاضياً لقرطبة. وبعد أن درس الفقه القرآني والكلام والفلسفة والطب والرياضيات، قدّمه ابن طفيل (١/٢٧) للخليفة الموحد أبي يعقوب يوسف، فطلب اليه هذا أن يقوم بتحليل لمؤلفات أرسطو، كما أصبح طبيب الخليفة الخاص. واستمرّ وريثه الخليفة يعقوب المنصور بعد ذلك ابتداء من عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م على توفير أسباب العناية والحماية لابن رشد إلاّ انه غيّر فجأةً سياسته تحت ضغط العناصر السلفية التي كانت تناوئ كل فلسفة وخاصة ما يرونه انه فلسفة «الكفار» وأمر بحبس ابن رشد عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م وخرج من السجن قبل سنتين من بقية حياته في مراكش قيد المراقبة.

وقد كتب ابن رشد (تهافت التهافت) ردّاً على (تهافت الفلاسفة) للغزالي. وتندرج شروح ابن رشد لأعمال أرسطو في ثلاث مجموعات من النصوص: الشرح الأكبر والأوسط. وقد أكدّ كرويّة الأرض في الشرح الأوسط على كتاب أرسطو في السماء. ومن مؤلفاته الأخرى: في سعادة النفس، وكتاب الكليات، ورسالته: فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال.

إن جميع شروح ابن رشد قد نقلت الى العبرية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، اما الترجمات اللاتينية فقد ظهرت في مفتتح القرن الثالث عشر. وقد كان لتغلغل فكر ابن رشد في العالم المسيحي عواقب كثيرة من مؤيدين ومناهضين.

وقد نقد ابن رشد الفارابي ابن سينا في مسألة الفيض EMANATIONISM متهماً اياهما بأنهما روّجا لانتشار هذا المذهب بين المفكرين والفلاسفة العرب، حيث قال في كتابه فصل المقال انهما غيّرا به مذهب القوم في العلم الالهي.

١/٢٧: ابن طفيل (١١٠٠ - ١١٨٥م):

هو أبوبكر محمد بن عبدالله بن عبدالملك بن طفيل. ولد في قادش نحو سنة ٤٩٤هـ / ١١٠٠م. وتوفي في مراكش بالمغرب سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٥م كان صاحب معرفة موسوعية، شيمته في ذلك شيمة جميع اولئك العرب الذين كان علمهم يجاوز من بعيد علم العالم المسيحي في زمانهم. ومذهب ابن طفيل، مثله مثل مذهب ابن باجة، عرفه على ما يبدو نصارى القرن الثالث عشر وعلى الأخص من خلال النقد الذي وجهه اليه ابن رشد في كتابه في النفس، المقالة الخامسة. وكان في نظرهم هو المفكر الذي ماثل بين العقل بالملكة وبين المخيلة. فهذه إذا ما أعدت إعداداً موائماً أمكن لها ان تتلقى الصور المعقولة، بدون أن يكون ثمة داعٍ لافتراض أي عقل آخر. وقد اشتهر ابن طفيل بقصته الفلسفية، المعروفة باسم رسالة حي بن يقظان التي نقلها الى العبرية في القرن الرابع عشر موسى النربوني، ومن العبرية الى اللاتينية العالم والفيلسوف الايطالي بيكو ديلا ميراندولا PICO DELLA MIRANOLA (١٤٦٣ - ١٤٩٤) في القرن الخامس عشر. وقد صور فيها ابن طفيل كيف أن

إنساناً يعيش متوحداً يستطيع أن يرقى تدريجياً، عن طريقة دراسة العلوم ومعاينة الحق، الى حد الاتحاد الإلهي والسعادة.

٢٨- ديونسيوس DYONYSIUS (٤٣٠ - ٣٦٧ ق. م.):

طاغية سراقوطة أو سيراقوسة SYRACUSE في صقلية (٤٠٥ - ٣٦٧ ق. م.) وقد جعل من هذه المدينة أقوى المدن الاغريقية غربي البرّ اليوناني الأصلي.

قاتل القرطاجيين (٣٩٧ - ٣٩٦ ق. م.) فانتصر عليهم ثم نشبت بينه وبينهم حرب ثانية انتهت عام ٣٩٢ ق. م. بمعاهدة كانت في مصلحته، وأخيراً خاض ضدهم حرب ثالثة (٣٨٢ - ٢٧٥ ق. م.) فَهُزِم.

يُضرب به المثل في القوة والوحشية. يُعرَف بـ «الأرشد THE ELDER». ومن طريف ما يذكر بهذا الصدد أن (داموقليس DAMOCLES) أحد رجال بلاط ديونيسيوس، حسبما يقال انه زعم أن سيّده أسعد الناس قاطبة فدعاه هذا (أي ديونيسيوس) الى مأدبة سخيّة وأجلسه تحت سيف معلّق بشعرة واحدة ليُظهر له ما يكتنف حياة الملوك من مخاطر. ومن هنا نشأت أسطورة «سيف داموقليس SEERD OF DAMOCLES».

٢٩- أجينا AEGONA:

جزيرة مقابل الساحل الجنوبي الشرقي من بلاد اليونان. تعتبر من مجموعة الجزر الايجيّة الواقعة في خليج سارونيك SARONIC GULF. فيها آثار ترقى الى عهد الحضارة المسينيّة MYCENAEAN CIVILIZATION. كانت في فجر التاريخ اليوناني دولة مدينيّة - CITY STATE ذات شأن. اختارها اليونانيون المحدثون عاصمة مؤقتة (١٨٢٦ - ١٨٢٨) لدولتهم المستقلة.

٣٠- الأكاديمية ACADEMY:

باللاتينية ACADEMIA. أطلق في الأصل على كرم زيتون في الشمال الغربي من ضواحي اثينا IN THE NORTHWESTERN OUTSKIRTS OF ATHENS كان أفلاطون يدرّس فيه طلابه ابتداءً من عام ٣٨٧ ق. م. تقريباً حتى وفاته. والاسم منسوب للبطل الاسطوري ACADEMUS (OR HECADEMUS)، ثم أطلق بعد ذلك على الفلسفة الافلاطونية نفسها. وبعد افلاطون واصل أتباعه ومريدوه الاجتماع في «الاكاديمية» الى ان أغلقها الامبراطوريو ستنيانُس الأول(١/٣٠) عام ٥٢٩ للميلاد. وبذلك تكون «الأكاديمية» قد عُمّرت تسعمائة عام ونيّفاً. واليوم يطلق اسم «الاكديمية» على المجامع الأدبية أو العلمية أو الفنية المشمولة عادةً برعاية الدولة.

وجدير بالذكر أن تسمية «الاكاديمية ACADEMY» كمدرسة للفلسفة لا تعود الى حلقة افلاطون مباشرة، بل الى الخلفاء من بعده أيام سيشرون الروماني (١٠٦ - ٤٣ ب. م.).

١/٣٠: يوستنيانس (أوجوستنيان) الاول JUSTINIAN 1 (٤٨٣ - ٥٦٥ ق. م.):

امبراطور بيزنطي (٥٢٧ - ٥٦٥): بلغت الامبراطورية البيزنطية في عهده اقصى إتساعها. أعاد تنظيم الحكومة وقضى على كثير من المظالم. ألّف ٥٢٩ لجنة عهد اليها في جمع الشرائع الرومانية وتدوينها فأنجزت المهمة عام ٥٦٥ وتعرف بـ «مدوّنة يوستنيانُس CODEX JUSTINIANUS».

٣١- راجع الهامش رقم (٢٨)

٣٢- دونيبوس الأصغر DIONYSIUS THE YOUNGER:

حاكم سراقوطة SYRACUSE في صقلية ٣٦٧ - ٣٥٧ و ٣٤٦ - ٣٤٤ ق. م. خلّف أباه دينسيوس الأكبر الى أن هزمه ديون السيراقوسي وعزله، لكنه استعاد مركزه بعد مقتل ديون (٣٥٤) واحتفظ به حتى طرده «تيموليون TIMOLEON»(١/٣٢) (٣٤٤ ق. م.).

١/٣٢: تيموليون TIMOLEON OF CORINTH (توفي بعد ٣٣٧ ق. م.).

سياسي وقائد اغريقي. أسس قوة لمحاربة ديونيسيوس الأصغر وحلفائه حيث طرده من سراقوسة وأقام حكومة ديمقراطية. هزم هيكتاس HICETAS وقوة قرطاجية كبيرة، لكنه عقد الصلح مع القرطاجيين حوالي ٣٢٨ ق. م. اعتزل الحياة العامة وأصيب بالعمي قبل وفاته ولكنه استمر في حضور اجتماعات مجلس النواب لابداء آرائه التي كانت كثيراً ما تحظى بالقبول بالاجماع.

٣٣- فيثاغورس، فيثاغور Pythagoras (حوالي ٥٨٠ - حوالي ٥٠٠ ق. م.):

رياضي وفيلسوف يوناني، مؤسّس المدرسة الفيثاغورية (*). أسهم في تطوير الهندسة geometry، آمن بالتناسخ metempsychosis، وقال بأن تطهير النفس ممكن من طريق معرفة الحساب والهندسة والموسيقى. اتبع نظاماً صارماً قوامه تطهير الذات وامتحان النفس.

* المدرسة الفيثاغورية Pythagoreanism:

مدرسة فلسفية وأخوية دينية يُعتقد أن فيثاغورس، الفيلسوف اليوناني، أنشأها في جنوب إيطاليا،و وفرض على المنتسبين إليها حياةً تقشفية صارمة. استمرت الفيثاغورية بعد فيثاغورس، نحواً من ثمانمائة عام. وكان لها تأثير كثير في تطور الفكر الانساني. قالت بأن الحقيقة في أعمق أعماقها رياضية mathematical. وبأن العدد أساس كل شيء، وبأن لكل عدد مضمونه الخاص، فالعدد ١ مثلاً هو الذكاء، والعدد ٢ هو الرأي، والعدد ٤ هو العدالة، والعدد ٥ هو الزواج. وقد اعتقد الفيثاغوريون أيضاً بأن النفس يمكن أن تسمو فتتحد بالذات الإلهية.

٣٤- زينون الرواقي أو السيشيومي ZENO OF CITIUM (٣٤٢ - ٢٧٠ ق. م.):

فيلسوف يوناني، فينيقي الأصل، من مواليد شيشيوم CITIUM بجزيرة قبرص، ومؤسس الفلسفة الرواقية THE STOIC PHILOSOPHY. شدّ رحاله الى أثينا حيث درس مختلف المذاهب الفلسفية اليونانية، وكوّن مذهبه الخاص الذي عُرف بـ «الرواقية»، واختار للتبشير به رواقاً في أثينا. وقد تركت الرواقية أثراً كبيراً في الفكر الفلسفي والأخلاقي خلال العهدين الهليني والروماني.

ومما يقوله المذهب الرواقي بأن العالم كلٌ عضوي تتخلّله قوة الله الفاعلة، وبأن رأس الحكمة معرفة هذا الكل، ومع التأكيد على أن الانسان لا يستطيع أن يلتمس هذه المعرفة الا اذا كبح جماح عواطفه وتحرّر من الانفعال. والرّواقيون يدعون الى التناغم مع الطبيعة، والصبر على المشاق، والأخذ بأهداب الفضيلة لأن الفضيلة هي ارادة الله.

ومن أشهر الرواقيين في عهد الرومان، الفيلسوف والزعيم السياسي الروماني «سنيكا SENECA ٤ ق. م. - ٦٥ م»، والامبراطور الروماني «ماركوس اوريليوس MARCUS AURELIUS (١٢١ - ١٨٠)».

٣٥- ثيوفراستوس THEOPHRASTUS (٣٧٢ - ٢٨٦ ق. م.).

فيلسوف يوناني، كان تلميذاً لأرسطو. وقد ألّف في علم الطبيعة وعلم النبات وعلم المنطق وعلم السياسة، وفي الشعر والميتافيزيقا وغيرها. لم يبق من آثاره إلا القليل، منه كتاب «تاريخ النباتات HISTORY OF PLANTS» وكتاب «شخصيات ونماذج بشرية CHARAKTERES الذي احتذاه الكاتب الفرنسي «لابروبير LA BRUYER ١٦٤٥ - ١٦٩٦» وغيره من كبار الكتّاب.

٣٦- خلقيس (كلكيس) CHALCIS (KHALKIS):

مدينة قديمة في الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد اليونان. تقع على الساحل الغربي من جزيرة «يوبيا EUBOEA» وتعتبر عاصمتها. كانت في العصور لقديمة قاعدة انطلقت منها الحملات الفارسية ضد المدن الاغريقية. اسمها الحديث «كلْليس».

٣٧- الملكية MONARCHY:

أحد أشكال الحكومة التي يتولى الحكم فيها ملك أو ملكة عن طريق الوارثة. وقد تكون الملكية مطلقة ABSOLUTE ويكون الملك فيها هو صاحب جميع السلطات في الدولة، كما قد تكون مقيّدة LIMITED أي يقيدها دستور.

٣٨- أرستقراطية Aristocracy - Aristocratie:

باليونانية سلطة خواص الناس، وكفكرة سياسية تعود في تكوينها لافلاطون في «الجمهورية» إذ كان يكره الحكم الديمقراطي ويرغب أن يحكم البلاد طبقة من الأرستقراطيين أو كما يسميهم الطبقة الذهبية. لكن مفهوم أفلاطون للروح الأرستقراطية مفهوم قيمي لا مفهوم طبقي. وقد صنف أرسطو الأرستقراطية بين النظم السياسية وحددها بأنها سلطة الحكماء التي لا تلبث أن تنحط وتصبح أوليغارشية أي حكم بعض الأسر التي تستأثر بالحكم بالرغم من عدم أهليتها.

وكانت الطبقة الأرستقراطية أو الأشراف، صاحبة الحل والعقد في القرون الوسطى ومالت فيما بينها الى الوقوف ضد الملكية. وعندما تثبتت سلطة الملوك باقامة الدولة الحديثة تقلصت صلاحياتها السياسية لكنها احتفظت بالامتيازات التي كانت قد حصلت عليها على ممر الأجيال وتقسم هذه الامتيازات الى امتيازات شرفية وامتيازات منفعية.

تاريخياً، ترتكز الأرستقراطيات على الأراضي المملوكة وعلى مبدأ الوراثة. وقد ترتكز الأرستقراطية على الثروة والأرض كما في قرطاجة القديمة وفينيسيا (البندقية) في العصور الوسطى وقد تكون دينية كالطائفة البرهمية بالهند. والمبدأ الديمقراطي عدو المبدأ الأرستقراطي.

٣٩- قاعدة الأكثرية أو الأغلبية MAJORITY RULE:

الأغلبية هي أكثر من نصف أفراد الجماعة. ويقصد بقاعدة الأغلبية المشتركون فعلاً في التصويت لاتخاذ القرارات. وقد تتطلب بعض الحالات كتعديل الأنظمة السياسية الحصول على أغلبية غير عادية كثلثي أو ثلاثة أرباع عدد الأصوات.

وتعتبر هذه القاعدة أحد أسس الديمقراطية رغم انه قد يترتب عليها من الناحية العملية خضوع الأقلية للأغلبية.

According to Arislotle's philosophy, man with his rational soul dominates the world of enimate things. Below man are the other enimals which, like man, feel and feed, but are lower because they do not reason. At the lowest end of the Scale are the plants which only feed. This is the theory of the three sorts of 'soul': the rational, the sensitive and the nutritive.

٤١- طاليس (الملطي) THALES (OF MILETUS) (٦٤٠ - ٥٤٦ ق. م.):

رياضي وعالم فلك وفيلسوف يوناني، من المدرسة الأيونية IONIAN SCHOOL(١/٤١) قال بأن الماء أصل الأشياء كلها، واكتشف عدداً من النظريات الهندسية THEOREMS. رفض الأخذ بالخرافات والأساطير، وتنبّأ بكسوف الشمس الكامل الذي حدث في ٢٨ مايو من عام ٥٨٥ ق.م.

١/٤١: أ- المدرسة الفلسفية الأيونية Ionian school of philosophy:

اسم جامع يُطلق على عدد من فلاسفة اليونان الذين عاشوا في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، مثل طاليس Thales، وأناكسمندر Anaximander، وأنماكسيميتس Anaximenes، وأناكسغوراس Anaxagoras، وهرقليطُس Heraclitus، وهيبّون Hippon. ولقد كانت أيونيا Ionia مركز نشاط هؤلاء الفلاسفة الأصلي، ولكنهم ذهبوا في فلسفاتهم مذاهب متباينة بحيث يصعب اعتبارهم مدرسة فكرية واحدة إلا بكثير من التجوّز. والواقع أن القاسم المشترك بينهم كان محاولتهم جميعاً تفسير الظواهر بلغة المادة والقوى الطبيعية (كالماء والنار، والهواء إلخ.) كما ذكرنا سابقاً.

ب - أيونيا Iania:

اسم قديم لمنطقة تشمل القطاع الأوسط من ساحل آسيا الصغرى الغربي. استوطنها الأيونيون Ionians، وهم شعب إغريقي هاجر من بلاد اليونان الجنوبية الى تلك الديار، في القرن الحادي عشر والقرن العاشر قبل الميلاد، فراراً بنفسه من غزو الدوريين Dorians. ومنذئذ عُرف ذلك القطاع من ساحل آسيا الصغرى باسم «أيونيا». وقد أنشأ الأيونيون حضارة كان لها أثر ملحوظ في حضارة أثينا في ما بعد، كما أسلفنا ذكر ذلك.

جـ- الجزر الأيونية Ionian Islands:

سلسلة جزر يونانية واقعة في البحر الأيوني Ionain Sea. أهمها «الجزر السبع» Heptanesus وهي كورفو Corfu، وباكسوس Paxos، ولوكاس Levkas، وإيثاكا Ithaca، وسيفالونيا Cephalonia، وسيثيرا Cythera، وزانتي Zante. مساحتها ٨٩١ ميلاً مربعاً (حوالي ٢٫٣٠٧ كيلو مترات مربعة).

د - البحر الأيوني: Ionian Sea

جزء من البحر الأبيض المتوسط يقع بين اليونان (شرقاً) وصقلية (جنوباً بغرب) وإيطاليا (غرباً وشمالاً بغرب). يصله بالبحر التيراني Tyrrhenian Sea مضيقُ مسينا Strait of Messina وبالبحر الأدرياتي Adriatic Sea مضيقُ أوترانتو Strait of Otranto (ايطاليا). يُعتبر حوضه أعمقّ حوض في البحر الأبيض المتوسط إذ يبلغ عمقه ١٥٫١٠٠ قدم (حوالي ٤٫٦٠٠ متر).

هـ- الطراز الأيوني: Ionic order:

أحد طُرُز العمارة اليونانية الكلاسيكية الثلاثة (الأيوني والدوري Doric والكورني Corinthian)، وفيه يمتاز العمود بالرشاقة (طوله يبلغ تسعة أضعاف قطره) وبالحزوز الغائرة، ويمتاز تاج العمود فيه بأنه مستطيل ذو حلية درجية أو حلزونية عند كل زاوية من زواياه. وإنما نشأ الطراز الأيوني، أول ما نشأ في المدن الأيونية الإغريقية في آسيا الصغرى، وتأثر بفن العمارة المصرية القديم. من أشهر نماذجه هيكل أرتميس في أفسُس Ephesus وهيكل الإلهة أثينا Athena في أثينا.

و- الأرقام الأيونية: Ionic numerals

حروف من الألفباء اليونانية استُخدمت في بلاد اليونان، خلال القرن الثالث قبل الميلاد، لتقوم مقام الأرقام. تقابلها الأرقام الرومانية Roman numerals.

٤٢- ثيوفراستوس: راجع الهامش رقم (٣٥) أعلاه.

٤٣- الشكوكية – بيرّو (توفي عام Pyrrho ٢٧٥ ق. م.):

فيلسوف يوناني. يعتبر مؤسس مذهب الشك الذي نسب إليه فعروف بـ «البيروية Pyrrhonism».

قال بأن الرجل الحكيم هو الذي يمتنع عن المشاركة في الجدل القائم حول قدرة الانسان على معرفة الحقيقية اليقينية.

البيرويّة Pyrrhonism:

مذهب الشك عند الفيلسوف اليوناني بيرو Pyrrho وأتباعه. قال بأن البحث عن الحقيقة عبثٌ لا طائل تحته ودعا الى الشك في كل شيء، والى قبول الأشياء كما تتبدّي في ظاهرها. وقد أثرت البيرويّة في الفكر الفلسفي الأوروبي خلال القرن السابع عشر للميلاد، ولا تزال أصداؤها تتردّد في فلسفات العصر الحديث.

٤٤- كتاب النفس: يتألف كتاب النفس من مقالات ثلاثة:

الأولى: مقدمة في علم النفس، حصر مسائله، وآراء الفلاسفة وتمحيصها.

الثانية: في حدّ النفس بالاجمال، وفي النفس النامية، والنفس الحاسّة.

الثالثة: في النفس الناطقة، وفي القوى المحرّكة.

والنفس (عند أرسطو) هي المبدأ الأول للحياة، والاحساس، والفكر، (DE ANIMA)، وتسمى قوة النفس التي هي مبدأ الفكر بالنفس الانسانية، أو النفس الناطقة أو المفكّرة AME PENSANTE، وهي النفس الانسانية من جهة ما تدرك الكليات، وتفعل الأفعال الفكرية، أو هي الجوهر المجرد عن المادة القابل للمعقولات، والمتصرّف في مملكة البدن (تعريفات الجرجاني).

قال ابن سينا: «وأما النفس الناطقة فتنقسم قواها أيضاً الى قوة عاملة وقوة عالمة، وكل واحدة من القوتين تسمّي عقلاً باشتراك الاسم.. فالقوة العاملة هي العقل العملي، والقوة العالمة هي القوة النظرية أو العقل النظري.

(راجع: رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها لابن سينا، نشرت في القاهرة عام ١٩٣٤ وكتاب النجاة له أيضاً، ص ٢٦٩ – ٢٧٢).

٤٥– وصف كتاب «ما وراء الطبيعة»:

أولا: يشتمل الكتاب على أربع عشرة مقالة مرقومة بأحرف الهجاء اليونانية، غير أن ما فيها من تكرار كثير، وما بينها من قلة التناسق، يحمل على الاعتقاد بأن أرسطو لم يقصد الى جمعها كلها في مؤلف واحد وترتيبها على النحو الذي نراه. لذلك أسماها البعض «الكتب الميتافيزيقية»، الا ان بعضا آخر يذهب الى انه يمكن تعيين ترتيب مقبول لها. فالمقالة الأولى تعرف الحكمة بأنها علم العلل الاولى، وتعرض مذاهب الفلاسفة في هذه العلل، ثم تنقدها. – والمقالة الثانية مرسومة بالالف الصغرى، مما يدل على أنها أضيفت الى الكتاب بعد ان تم جمعه، فوسمت المقالة الاولى بالالف الكبرى، وكان الاقدمون يعزونها الى احد التلاميذ، ولكن اسكندر الافروديسي يقرر انها لأرسطو، وعلى كل حال فأسلوبها ومضمونها أرسطوطاليان، والغرض منها بيان امكان هذا العلم بإبطال التداعي الى غير نهاية في سلسلة العلل، وإظهار وجوب الوقوف عند علل أولى. – والمقالة الثالثة تعرض مسائل هذا العلم وما يقوم من إشكالات بصدد كل منها، ولما كانت هذه المسائل ستعالج في المقالات التالية، فان هذه المقالة تبين وحدة الكتاب. – والمقالة الرابعة في موضوع هذا العلم، أي في الوجود بما هو وجود، وفي المبادئ الأولى وبخاصة في مبدأي عدم التناقض والثالث المرفوع، والدفاع عنهما ضد هرقليطس وأقراطيلوس وبروتاغوراس. – والمقالة الخامسة معجم فلسفي يعرّف ثلاثين لفظا أو أكثر، وهي بهذه الصفة لا تلتئم مع ترتيب الكتاب، ولكن أرسطو يحيل اليها في عدة مقالات منه وفي السماء الطبيعي وفي الكون والفساد، فهي بمثابة تمهيد لما بعد الطبيعة. – والمقالة السادسة في تقسيم العلوم النظرية، وفي انه لا يوجد علم بالعرض، وفي ماهية العرض، وفي الوجود المقول في الحكم، أي في اضافة المحمول الى موضوع. – والمقالة السابعة في الوجود من حيث قسمته الى جوهر وعرض، وفي الهيولي والصورة جزأي الجوهر المحسوس، وفي الرد الوجود، لا بالاضافة الى التغيير كما في العلم الطبيعي. – والمقالة التاسعة في القوة والفعل. – والمقالة العاشرة في الواحد والكثير المقولين على الوجود. – وفي المقالة الحادية عشرة قسمان: الاول (ف ١ – ٧) تكرار الثالثة والرابعة والسادس، والقسم الثاني (ف ٨ – ١٢ تكرارا لما في المقالتين الثالثة والرابعة من السماع الطبيعي عن الحركة والتغير واللامتناهي – والصلة بين القسمين ضعيفة، فقد تكون هذه المقالة تلخيصا حرره احد التلاميذ. – والمقالة الثانية عشرة في ضرورة محرك اول دائم، وفي ماهية المحرك الاول، وفي عقول الكواكب – فهي ان تتمة المقالة الثامنة من السماع الطبيعي، وتعرف عند الاسلاميين بمقالة اللام. – والمقالتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة متصلتان بالاولى وبالثالثة، وموضوعهما عرض آراء أفلاطون الاخيرة في المثل والاعداد، ونقد هذ الآراء. ولم يشرحهما ابن رشد ولكنه يشير اليهما مرارا. وفيهما صعوبات كبيرة فهمها عسير جدا.

ثانيا: فاذا استبعدنا المقالة الثالثة لأنها مجر ذكر مسائل، والخامس لأنها معجم ألفاظ واردة في الكتاب، والحادية عشرة لأنها تكرار، تبقى لنا احدى عشرة مقالة. فاذا ضممنا الثالثة عشرة والرابعة عشرة الى الاولى كان لنا منها مقدمة في العلم والمذاهب، ونحن نغفل المذاهب بعد الذي قلناه عنها في فصل الطبيعة، ونرجئ نقد أرسطو لنظرية المثل الى الكلام على الجوهر، واذا ضممنا الثانية الى الرابعة كان لنا منهما مقدمة في امكان هذا العلم، واذا ضممنا السادسة الى السابعة والثامنة

والعاشرة كان لنا منها بحث في الجوهر ولواحقه. ثم تجيء التاسعة في القوة والفعل، والثانية عشرة في الالهيات.

«تاريخ الفلسفة اليونانية» - يوسف كرم - دار القلم - بيروت - ص ١٦٨ - ١٦٩.

٤٦- الإدراك ، الإدراك الحسي Perception:

العملية التي بها تُترجم المؤثّرات الحسيّة الى خبرات منظّمة أو مُدركات حسيّة percepts. ولقد كان الإدراك في بادئ الأمر موضوعا من موضوعات الفلسفة، ثم أصبح في ما بعد جزءاً من علم النفس. فأمـا الفلاسفة فقد نبعَ اهتمامهم بالإدراك، أكثرّ مما نبع، من انشغالهم بما يُعرف بنظرية المعرفة epistemology. فقد تساءلوا، مثلا، هل ثمة عالم مادي حقيقية قائم بمعزل عن الخبرة البشرية؟ وإذا كان هذا العالم موجوداً فكيف يتسطيع المرء أن يعرف خصائصه، وما السبيل الى التيقّن من صدق تلك الخبرة ودقّتها؟ كما تساءلوا هل ثمة فكراتٌ سليقيّة innate أم أن الخبرات كلها تنشأ عن الاتصال بالعالم الخارجي من طريق أعضاء الحسّ؟ أما علماء النفس فلم تَعُدْ هذه التساؤلات واردة عندهم، فهم يقبلون العالم الخارجيّ الظاهرّ كما تصفه فروع الفيزياء الباحثة في الطاقة الكهرطيسية (أي المغنيطيسية الكهربائية) electromagnetic energy. والمشكلات التي تهمهم هي تلك المتصلة بالعملية التي بها تتكوّن المدركات الحسية percepts من طريق التفاعل بين الطاقة الطبيعية (كالضوء مثلاً) والمتعضّي organism المدرك. ومن أبرز ما يُعنى به علماء النفس المحدثّون، مقدار التطابق بين المدركات الحسية والأشياء المادية التي ترتبط بها هذه المُدركات. فهم يتساءلون، مثلا، الى أي حد من الدقة ينطبق حجم الشيء المدرَك بصريّاً مع حجمه مقيساً بعصا ياردية yardstick أو نحوها، وهكذا.

٤٧- الكوزمولوجيا COSMOLOGY: علم الكونيات UNIVERSE:

الكون: النظام الكوني كلّه UNIVERSE: ويشمل الأرض وسائر الكواكب السيارة والشمس وجميع المجرات GALAXIES. تصور الناس الكون، في العصور القديمة، كوري الشكل، متناهيا أو محدود الحجم، تغلفه كرة بلورية تحفظ النجوم الثابتة. ولكن بعض الفلاسفة اليونان سرعان ما استشعر الحاجة الى مكان اضافي يتسع لهذه الكرة البلورية فطلع بنظرية تفترض وجود «فراغ لا متناه». ومع ذلك فقد ظل مفهوم «الكون الكروي المتناهي» هو السائد الى أن اكتشف العالم الفلكي تيكو براهي Tycho Brahe في القرن السادس عشر المسارات الإهليلجية التي تتخذها المُذنبات comets والى أن قال العالم والفيلسوف الايطالي جيوردانو برونو Giordano Bruno (١٥٤٨ - ١٦٠٠) في القرن السادس عشر أيضا إن النجوم تبعد عنا مسافات تفوق كل تصوّر وانها تقع في فضاء فارغ لامتناه. وقد اعترض كثير من العلماء على هذه النظرية في القرن التاسع عشر. وأخيرا جاء أينشتاين فرسم للكون صورة جديدة تتلخص بأنه أحدب وبأنه لامتناه ومتناه في وقت معا. فهو لامتناه بمعنى أننا لن نجد شيئا يوقفنا إذا ما أخذنا نسير فيه، وهو متناه بمعنى أننا إذا انطلقنا فيه الى أية جهة كانت وصلنا آخر الأمر الى النقطة التي انطلقنا منها أول الأمر. والواقع ان هذه المسائل وغيرها هي موضوع «علم الكونيات» أو الكوزمولوجيا cosmology. وكما اختلف العلماء في تصوّر الكون فكذلك اختلفوا في تفسير نشأته. وهناك اليوم نظريتان في هذا الموضوع هما نظرية الكون المتمدد» و «نظرية الوضع المستقرّ» cosmogony.

٤٨- الأفلاطونية المحدثة NEOPLATONISM:

راجع الهامش رقم (٢٤).

٤٩- ثامسيتوس THEMISTIUS:

توفي حوالي: ٣٩ ب. م. لُقّب بالبليغ، وقد برز في ميادين السياسة والخطابة والفلسفة. وُلد في «بافلاغونيا»(٤٩/١) ودرّس الفلسفة في القسطنطينية حيث قضى معظم حياته، مع أنه زار روما لفترة وجيزة، وألّف عدداً من الشروح أهمّها تلخيص كتاب النفس وتلخيص السماع الطبيعي، فضلاً عن عدد كبير من الخطب والمواعظ.

٤٩/١: بافلاغونيا PAPHLAGONIA:

منطقة تاريخية من مناطق آسيا الصغرى واقعة على سواحل البحر الأسود. خضعت لحكم ليديا LYDIA(*)، وفارس، ثم الاسكندر المقدوني، تمتّعت بقدر محدود من الاستقلال استولى عليها الرومان حوالي العام ٦٥ قبل الميلاد.

(*) ليديا: Lydia:

مملكة قديمة في الجزء الغربي من آسيا الصغرى، يحدّها غرباً بحر إيجه Aegean Sea. ازدهرت نحواً من مائة عام امتدت من منتصف القرن السابع الى منتصف القرن السادس قبل الميلاد. اشتهر أهلها، الذين يُعرفون بالليديين Lydians، بنزعتهم التجارية. ومن المعتقد أنهم أول من سك النقود من الفضة والذهب. قضى عليها الفرس عام ٥٤٦ قبل الميلاد بعد أن هزموا آخر ملوكها كريسوس Croesus، الذي يدعوه العرب قارون، في معركة سارديس (را. Sardis, Battls of)، عاصمتها: ساردیس Sardis.

ساردیس Sardis also Sardes:

مدينة تاريخية في الجزء الغربي من آسيا الصغرى. تقع على مبعدة خمسين ميلاً تقريباً (حوالي ٨٠ كيلومتراً) الى الشرق من إزمير. كانت عاصمة مملكة ليديا القديمة (را. Lydia). تُعتبر أول مدينة سُكّت فيها النقود الفضية والذهبية.

ساردیس، معركة Sardis, Battle of:

معركة دارت رحاها في ساردیس، بآسيا الصغرى، عام ٥٤٦ قبل الميلاد، بين قوات كريسوس أو قارون Croesus ملك ليديا Lydia وقوات كورُش Cyrus الكبير ملك الفرس. انتصر فيها الفرس، وبذلك قُضي على المملكة الليدية.

الليدية، اللغة الليدية LYDIAN LANGUAGE:

لغة هندية أوروبية Indo - European language منقرضة كان ينطق بها أبناء ليديا Lydia القدماء. تُعتبر إحدى أهمّ اللغات الأناضولية Anatolian languages. ترقى نصوصها، التي اكتشف معظمّها منقبّون أميركيون في العاصمة الليدية ساردیس SARDIS، الى القرن الخامس أو القرن السادس قبل الميلاد. وهي تتكشفّ عن خصائص تجعلها أقربّ ما تكون الى اللغة الحيثية Hittite language.

٥٠- يوحنا النحوي:

أ- يرجع الى النصف الاول من القرن السادس، أي انه معاصر للفيلسوف اليوناني سمبليقيوس SIMPLICIUS (٥٣٠). اعتنق المسيحية بعد وثنية. شروحه على أرسطو: التحليلات الثانية (نشرتها أكاديمية برلين) والمقولات والعبارة والكون والفساد (يذكرها له ابن النديم في «الفهرست»).

ب - ومن عهده المسيحي بقي كتابان: الاول (في قدم العالم) يعارض فيه هذه القضية، ويحمل محاورة (تيماوس) على محمل تكوين العالم في الزمان، فيظهر إجلالا كبيرا لافلاطون، ويورد الكثير من النصوص القديمة الخاصة بالموضوع، ولا يورد من التوراة سوى بعض آيات متفرقة في الكتاب، ولكنه يزعم أن أفلاطون انما استمد آراءه من التوراة، ويقرب بينه وبين المسيحية، فاذا تعذر التقريب حاول الاعتذار عنه. والكتاب في جملته فلسفي يرمي الى تأييد العقيدة بالعقل. فأخذه بعض المسيحيين على عنايته بالتوراة، فصنف كتابا «في صنع العالم» جعل فيه المحل الأكبر للتوراة ومفسريها من المسيحيين، والمحل الاصغر للفلسفة اليونانية، ورد قوله بأخذ أفلاطون وقدماء الفلاسفة عن التوراة.

٥١- ابن النديم: أبو الفرج محمد بن اسحاق (توفي عام ٩٩٥م):

ورّاق عربي بغدادي. ورث صناعة الورق أي نسخ الكتب وتجليدها وبيعها، عن أبيه، صاحب كتاب «الفهرست» وهو كتاب فريد دوّن فيه أسماء الكتب التي وقعت تحت يديه وتكلم على أصحابها. ويعتبر «الفهرست» أجمع كتابٍ لشتات التصانيف التي عرفها الكفر العربي حتى عهد مؤلّفه.

٥٢- ابن القفطي:

راجع الهامش رقم (٢) من الفصل (٨) حول المصادر التي اتهمت العرب بحرق المكتبة.

٥٣- ابن أبي صبيعة: (١٢٠٠ - ١٢٧٠م):

موفق الدين أبو العباس أحمد. طبيب عربي. ولد في دمشق وأقام فيها. أشهر آثاره كتاب «عيون الأبناء في طبقات الآباء»، وقد ترجم فيه لجمهرة كبيرة من الأطباء العرب والاغريق. له أيضاً كتاب «حكايات الأطباء في علاجات الأدواء».

٥٤- الفلسفة الايلية ELEATIC PHILOSOPHY: أو الفلسفة الايليانية:

أحد المذاهب الفلسفية اليونانية القديمة السابقة لعهد سقراط. أسسه بَرمنيديس Parmenides في إيليا في القرن الخامس قبل الميلاد ثم صوّره زينون الإيلي Zeno of Elea في ما بعد. وهو يقول بأن الوجود واحد، وبأن تعدد الأشياء الكائنة ليس غير مظهر لحقيقة أزلية مفردة، وبأن الحركة وهمٌ أو خداع بَصَر وليست حقيقة البتة، وبأنّ العالم لا يتبدّل، ومن ثمّ فلا فراغ فيه إذ لو كان حول الأجسام شيء من فراغ إذن لكان في ميسورها أن تتحرّك فتتبدّل. ومن الباحثين من يذهب الى القول بأن زينوفان Xenophanes، وليس برمنيديس، هو مؤسسة الفلسفة الايلية.

* إيليا Elea:

مدينة قديمة في الجزء الجنوبي من ايطاليا. أسّسها الفوسيّون Phocaeans(١/٥٤) حوالي العام ٥٣٠ قبل الميلاد. تُعتبر مهد الفلسفة الايلية أو الايليائية.

٥٤/١: فوسيا phocaea:

مدينة أيونية قديمة، تقع على الساحل الغربي من آسيا الصغرى. كانت دولة بحرية ذات شأن في ما بين العام ١٠٠٠ والعام ٦٠٠ قبل الميلاد. وقد أسس ملاحوها عدة مدن، من أهمها مدينة مرسيليا بفرنسا. استولى عليها الفرس عام ٥٤٦ قبل الميلاد، وعندئذ هاجر كثير من الفوسيين phocaeas الى جزيرة كورسيكا حيث اصطدموا بالقرطاجيين(٥٤/٢) والإتروريين Etruscans(٥٤/٣) في العام ١٩٠ قبل الميلاد أعملّ الرورمان يد السلب والنهي في مدينة فوسيا نفسها.

٥٤/٢: قرطاجة Carthage:

مستعمرة فينيقية على ساحل افريقيا الشمالية، تقع على مبعدة تسعة أميال الى الشمال الشرقي من مدينة تونس الحديثة. أسسها الصُّوريون عام ٨١٤ قبل الميلاد، ومن ثم أخذت في الاتساع فغدت مدينة كبيرة ازدهرت فيها الصناعات والفنون حتى فاقت أمها صور وأصبحت سيدة التجارة في الجزء الغربي من حوض البحر الأبيض المتوسط. وسرعان ما أسست عدة مستعمرات على ساحل إفريقيا الغربي وفي بعض الجزر القريبة منه، وهبط أبناؤها سواحل إسبانيا الغربية والبرتغال، ووصلوا الى الجزر البريطانية نفسها. احتدم الصراع بينها وبين روما ابتداءً من منتصف القرن الثالث الى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد. وقد أدى هذا الصراع الى نشوب الحروب البونية Punic Wars التي انتهت بتدمير قرطاجة وإحراقها (عام ١٤٦ ق. م.) *.

الحروب البونية Punic Wars:

* ثلاث حروب دارت رحاها بين روما وقرطاجة وانتهت بصيرورة روما سيدة الجزء الغربي من البحر الأبيض المتوسط. وقعت الحرب الأولى عام ٢٤٦ واستمر حتى عام ٢٤١ قبل الميلاد. وفيها انتزعت روما جزيرة صقلية الاستراتيجية من أيدي القرطاجيين إثر معركة بحرية حاسمة بين الأسطولين الروماني والقرطاجي وقعت في جزر إيغادي Egadi Islands (وهي مجموعة جزر جبلية صغيرة تابعة لايطاليا، تقع في البحر الأبيض المتوسط تجاه ساحل صقلية الغربي). ثم إن الصراع بين الدولتين في إسبانيا أدى الى نشوب الحرب البونية الثانية (٢١٨ - ٢٠١ ق. م.) وفيها عبَّرَ القائد القرطاجي هنّبيعل (هانيبال HANNIBAL ٢٤٧ - ١٨٢ ق.م.) جبال الألب، من إسبانيا، وغزا إيطاليا منزلاً بقوات رومة سلسلةً من الهزائم القاسية قبل أن تتغلّب عليه هذه القوات. أما الحرب الثالثة فنشبت عام ١٤٩ وانتهت عام ١٤٦ قبل الميلاد بتدمير قرطاجة تدميراً كاملاً. وتُعرف الحروب البونية أيضاً بـ «الحروب القرطاجية» Carthaginian Wars.

٥٤/٣: إتروريا Etruria:

بلاد قديمة في وسط إيطاليا، تشمل اليوم منطقة توسكانيا Tuscany وجزءاً من منطقة أمبريا Umbria. نشأت فيها حضارة قديمة بلغت أوج ازدهارها في القرن السادس قبل الميلاد. أنشأ فيها نابوليون بونابرت، عام ١٨٠١، مملكة عُرفت بـ «مملكة إتروريا» Kingdom of Etruria وقد ضُمّت هذه المملكة، عام ١٨٠٨، الى الامبراطورية الفرنسية.

الإترورية، الإتروسكية Etruscan language:

لغة الإتروريين أو الاتروسكيين Etruscans.

تأثرت تأثراً كبيراً باللغات الهندية الأوروبية ولكنها لا تنتسب في ما يبدو الى تلك الأسرة اللغوية. وقد عرفها الدارسون من خلال مجموعة من النقوش دُوِّنت كثرتُها الكبرى على القبور، في إيطاليا. ويبلغ عدد هذه النقوش نحواً من عشرة آلاف نقش.

الإتروريون، الإتروسيكون Etruscans:

شعب إتروريا القديمة. يُرجّح أن أصوله ترجع الى شعب غزا إتروريا من آسيا الصغرى قبل عام ٨٠٠ ق. م. وقد اجتاح الأتروريون جزءاً كبيراً من ايطاليا، وأنشأوا حضارة بلغت أوج ازدهارها في القرن السادس قبل الميلاد، ثم أعتراهم الضعف في القرن الخامس قبل الميلاد. وسرعان ما تغلّب عليهم الرومان. اشتهر الاتروريون بالملاحة والتجارة والزراعة، وبرعوا في البناء والموسيقى وصناعتي المعادن والفخار. وقد عبدوا آلهةً متعدّدة، وجعلوا قبورهم على شكل بيوت مزوّدة بالأثاث والأدوات المنزلية والملابس والحلي.

٥٥- السكولاستية ، الفلسفة المدرسية، فلسفة المدرسين scholasticism:

الفلسفة النصرانية السائدة في القرون الوسطى. انبثقت من المدارس التي أنشئت في عهد شارلمان، في أواخر القرن الثامن للميلاد، وظلت مسيطرةً على الفكر المسيحي حتى أوائل عصر النهضة. بُنيت على منطق أرسطو ومفهومه لما وراء الطبيعة، بعد أن تعرّف الأوروبيون الى كتبه من طريق الفيلسوف العربي ابن رُشد. استهدفت – في المقام الأول – إضفاءَ صفة عقلانية على اللاهوت النصراني وإقامة الدليل على أنه لا تعارُض بين العقل والدين. أبرز رجالها توما الأكويني Thomas Aquinas صاحب المذهب المعروف باسم، «التومائية» Thomism. ويُطلق اسم السكولاستية أيضا على السكولاستية المُحدثة neo - scholasticism وهي حركة كاثوليكية حديثة ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وهدفت الى تعديل طرائق الفلسفة السكولاستية بحيث تلائم حاجات العصر الفكرية ومكتشفات العلم الحديث.

٥٦- الكالفنية CALVINISM:

مذهب جون كالفن البروستانتي *، وهو يؤكد على أن الكتاب المقدّس هو المصدر الوحيد لشريعة الله، وان الخلاص يتم لفئة مختارة فقط فهو نعمة أو عطية من الله. وتتميز الكالفنية بالتزمّت والصرامة وبالاعتقاد بأن قدر الانسان مرسوم قبل ولادته.

* كالفين، جون Calvin John (١٥٠٩ – ١٥٦٤):

لاهوتي فرنسي. تشر راية الاصلاح البروتستانّي في فرنسا ثم في سويسرا حيث أنشأ حكومة دينية صارمة في جنيف. أسّس المذهب الكالفني الذي انطلق، بعدُ، من فرنسا وسويسرا الى هولندا وأسكتلندا، وكان له أثر كبير في جماعة البيوريتان Puritans في إنكلترا وفي نيو إنغلند New England بأميركا الشمالية.

* البيوريتانية (التطهرية) PURITANISM:

حركة اجتماعية ولاهوتية ضمن الكنيسة البروتستانية في انكلترة والولايات المتحدة. نشأت في انكلترة في أواخر القرن ١٦ بوصفها معركة اصلاحية متأثرة بالكالفنية ومستهدفة بتبسيط طقوس العبادة وشعائرها والدعوة الى التعلق الملتزمت بأهداب الفضيلة. انفصلت في القرن ١٧ عن كنيسة انكلترة وقاومت الملك تشارلز الأول مقاومة أدت الى نشوب الحرب الاهلية الانكليزية (عام ١٦٤٢).

٥٧- ديكارت، رينيه Descates, Rene (١٥٩٦ - ١٦٥٠):

فيلسوف وفيزيائي ورياضي فرنسي. يُعتبر في رأي كثير من الباحثين أبا الفلسفة الحديثة ومؤسّسها. اكتشف الهندسة التحليلية analytic geometry. اشتهر بكتابه «مقالة في المنهج» Discours de la methode (عام ١٦٣٧) وفيه اطّرح كل المعتقدات السابقة ليعاود البحث عن الحقيقة شاكاً في كل شيء إلا حقيقةً واحدة وهي أنه يشكّ، ومن هنا كلمته المشهورة: «أنا أشكّ فإذن أنا أفكّر. وأنا أفكّر فإذن أنا موجود» dubito erge cogito: cogito ergo sum.

٥٨- كَنْت عمانوئيل Kant, Immanuel (١٧٢٤ - ١٨٠٤):

فيلسوف ألماني. يعتبر أحد أعظم الفلاسفة في جميع العصور. قال بأن العقل البشري عاجز عن إدراك حقائق «الأشياء في ذاتها»، وأن كل ما نستطيع أن نعرفه هو ظاهرات phenomena ليس غير. أشهر كتبه «نقد العقل المحض» Kritik der reinen Vernunft (عام ١٧٨١) و «نقد العقل العملي» Kritik der practischen Vernunft (عام ١٧٨٨).

الكنتية Kantianism:

فلسفة عمانوئيل كنت Kant النقدية. ويُطلق اسم «الكنتية» أيضاً على الفلسفات التي انبثقت من دراسة آثار «كَنْت» أو استلهمت مبادئه. وهذه الفلسفات تتبنى روح «كنت» النقدية ومنهجه. وتشاركه حرصَهُ على سَبْر غور المعرفة الانسانية في محاولة لرفع الفلسفة الى مستوى العلم.

٥٩- هيغل، جورج ولهلم فريدريتش Hegel, George Wilhelm Friedrich (١٧٧٠-١٨٣١):

فيلسوف ألماني. صاحب الديالكتيكية أو الجدلية dialectic وخلاصتها أن كل فكرة (أو طريحة thesis) تولّد فكرة مناقضة (أو نقيضة antithesis)، ومن تفاعُل الفكرتين تنشأ فكرةٌ جديدة تؤلّف بينهما (وهي ما دعاهُ هيغل الجميعة synthesis). قال بـ «المثالية المطلقة» (absolute idealism).

الهيغلية Hegelianism: منطق هيغل الجدلي.

المثالية المُطْلَقة absolute idealism: مفهوم فلسفي قال به هيغل Hegel، في المقام الأول، وقال به الفيلسوف الالماني شلينغ Schelling (١٧٧٥ - ١٨٥٤) والفيلسوف الاميركي جوسيا رُويّس Royce Josiah (١٨٥٥ - ١٩١٦) وغيرهما أيضاً. والمثالية تذهب، بوجه عام، الى أن الحقيقة المطلقة كامنةٌ في عالم يتعدى عالم الظواهر. وهي تعني، عند هيغل بخاصة، ان العالم المحدود لا يعدو أن يكون انعكاساً للعقل. الذي هو وحده حقيقيٌ بكل ما في الكلمة من معنى، في هذا العالم. ليس هذا فحسب. بل لقد انطلق هيغل من ذلك الى القول بأن الكائن المحدود (أو الكائن الذي يوجد ثم ينعدم) يفترض وجود ذات أزلية مطلقة يشكل الكائن المحدود، في نطاقها، عنصراً تابعاً.

٦٠- التنوير، حركة التنوير Enlightenment:

حركة فكرية ظهرت في أوروبا في القرن الثامن عشر. شكّت في المعتقدات الموروثة، وبخاصة المعتقدات الدينية، وأكدت على التفكير العقلاني والطريقة العلمية جاعلة أول مرتكزاتها الايمان بأن الجنس البشري يستطيع، من طريق العقل، الاهتداء الى المعرفة والفوز بالسعادة في آنٍ معاً. أبرز

ممثليها لسنّغ Lessing في المانيا، و«هيوم» Hume ونيوتن Newton في إنكلترا، وديديرو Diderot ودالامبير d'Alembert وفولتير Voltaire ومونتيسكيو Montesquieu وروسّو Rousseau وسائر الأنسيكلوبيديين (Encyclopedists) في فرنسا.

الموسوعيون، الأنسيكلوبيديون Encyclopedists:

المشاركون في وضع «الموسوعة الفرنسية» أو «المعجم العقلاني للعلوم والفنون والحرف» Encyclopedie ou Dictionnaire raisonne des sciences, des arts et des metiers (١٧٥١ - ١٧٧٢) وبخاصة محرّراها ديدرو Diderot ودالامبير d'Alembert وكبار معاونيهما من أمثال فولتير Voltaire ومونتيسكيو Montesquieu وروسّو Rousseau. ويُعتبر الموسوعيون أبرز ممثلي حركة التنوير في فرنسا. وقد كان لتعاليمهم التحرّرية وآرائهم الثورية أثر عظيم تخطّى حدود فرنسا الى عدد من بلدان العالم.

٦١- الاكاديمية:

راجع الهامش رقم (٣٠).

٦٢- لوكريتيوس، لوكريشيوس Lucretiue (٩٤ - ٥٥ ق. م.):

شاعر روماني. يُعتبر أعظم الشعراء التعليميين اللاتين (didactic poetry). اشتهر بقصيدته المطوّلة «في طبيعة الأشياء» De rerum natura وقد وصف فيها خصائص المادة وطبيعة الذرّات التي يتألف منها الكون. وتحدث عن أصل الانسان، وعن الأحوال الجوية، والزلازل، والأمراض، وغيرها.

الشعر التعليمي Didactic poetry:

شعر يقصد به الى تعليم علم من العلوم أو فن من الفنون. وقد يستغرب المرء ذلك، ولكن استغرابه خليقٌ به أن يزول، أو يتضاءل على الأقل، إذا علم أن إفراغ ضروب المعرفة في قالب شعري يجعلها أعلق في الذواكر وبخاصة في العصور السابقة لظهور الطباعة. وقد ازدهر الشعر التعليمي عند اليونان والرومان على حد سواء. ويُعتبر هسّيود Hesiod (القرن الثامن قبل الميلاد) أبا الشعر التعليمي اليوناني، في حين يُعتبر لوكريتيوس Lucretius أعظم الشعراء التعليميين اللاتين. والواقع ان هذا الشاعر الروماني نظم قصيدة مطوّلة دعاها «في طبيعة الأشياء» De rerum natura وقد وصف فيها خصائص المادة وطبيعة الذرّات التي تيألف منها الكون، وتحدّث عن أصل الانسان والأحوال الجوية والزلازل والأمراض وغيرها. ولعلّ العرب كانوا أكثر الأمم عنايةً بالشعر التعليمي، فقد نظموا الأراجيز في مختلف العلوم، ومن أشهر هذه الأراجيز «ألفيّة ابن مالك» في النحو.

٦٣- أرستبس ARISTIPPUS: (٤٣٥ - ٣٥٦ ق. م.):

هو من قورين بشمال أفريقيا، وعلى الشاطئ الليبي. كان تلميذاً من تلامذة سقراط، وسفسطائياً، والمؤسس التقليدي للمدرسة القورينائية في الفلسفة.

وعلى الرغم من أن حياته وآراءه جاءت متفقة مع مبادئ هذه المدرسة، إلا أنه من المحتمل أن يكون حفيده - ويسمى أيضا أرستبس - هو الذي صاغ لأول مرة هذه المبادئ في منظومة متسقة.

جعل أرستبس هدفه من حياته الاستمتاع باللذة الحاضرة، واجتناب الندم على ما فات، والعناء في سبيل المستقبل، لكن قوام السعادة هو ضبط هذه اللذة أو التحكم فيها على نحو ذكي حكيم، وليس هو الخضوع لها، كلا ولا هو في الحرمان منها. ومن هناك كانت قولته الشهيرة عن علاقته بعشيقته

لايس التي كان ينفق عليها الكثير «أنني أملك «لايس» وليست هي التي تملكني» وكل الأفعال في نظره محايدة (لا تتصف بخير أو شر) الا من حيث هي وسائل تنتج اللذة لصاحبها. وقد جعل أرستبس من حياته فنا يكيف به نفسه لظروف المكان والزمان وظروف نفسه، ويلعب به دوره على النحو الملائم أيا ما كانت الظروف، وهي براعة أظهرها على وجه الخصوص في بلاط ديونيسيوس ملك سراقوسة. وقد قيل عنه انه الانسان الوحيد الذي يستطيع ان يبدو بمظهر السيد المتأنق أو أن يرتدي الخرق البالية، والواقع انه كان ذا قدرة فائقة على الاستمتاع، مقترنة بحرية كبيرة من أسر الحاجات، وهو اقتران أدى باتباعه فيما بعد الى صعوبة اختيارهم لمثلهم العليا.

٦٤- أنيتغونوس غوناتاس الثاني ANTIGONUS II GONATAS (٣١٩ - ٢٣٩ ق. م.):

ملك مقودنيا من ٢٧٦ ق. م. الذي أعاد بناء المملكة، وفرض السيطرة على اليونان وقد تتلمذ على يد زينون في شبابه. وفي المرة الثانية استدعى زينون الذي لم يأت اليه بل أرسل تلميذيه اليه.

٦٥- كارنيادس CARNEADES (٢١٤ - ١٢٩ ب. م.):

فيلسوف يوناني، وكان من أعظم الشكّاكين SCEPTICS القدماء، وكان رئيساً للأكاديمية حتى عام ١٣٧ ب. م.

٦٦- أرستارخوس الساموثراسي ARISTARCHUS OF SAMOTHRACE (٢١٧ ق.م. - ١٤٥ ق.م.):

ناقد ونحوي يوناني، ساهم في الدراسات الهوميرية، وكان تمليذاً للأديب والنحوي والناقد اليوناني «اريستوفان البيزنطي ARISTOPHANES OF BYZANTIUM ٢٥٧ - ١٨٠ ق. م.» والذي أصبح رئيسا لمكتبة الاسكندرية. وقد أصبح أرستارخوس أيضاً رئيسا لمكتبة الاسكندرية، ثم انسحب الى قبرص. وقد أسّس مدرسة فقهاء اللغة SCHOOL OF PHILOLOGISTS(*) التي دعيت فيما بعد بـ «الاريستارخيون ARISTARCHEANS» والتي ازدهرت في الاسكندرية وفي روما بعد ذلك. وكان (شيشرون) و (هوارس) يعتبرانه في قمة الناقدين.

(*) فيلولوجي PHILOLOGICAL: متعلق بفقه اللغة.

الفيلولوجي PHILOLOGIST: العلم بفقه اللغة.

الفيلولوجيا PHILOLOGY.

أ- فقه اللغة التاريخي والمقارن.

ب- دراسة اللغة وعلى الأخص بوصفها أداة التعبير في الأدب. وحقلاً من حقول البحث يلقي ضوءاً على التاريخ الثقافي.

ولشرح ذلك يمكن القول بأن الفيلولوجيا هي علم يُعنى بدراسة مفردات اللغة وتراكيبها، على وجه من الشمول يستوعب دلالات الألفاظ SEMANTICS والأصوات اللغوية PHONETICS والمقارنة بين اللغات من حيث خصائصها المميزة لها وغير ذلك من المباحث. وقد غالى العرب في العناية بهذا العلم خدمةً للغة القرآن الكريم. ومن أبرز عباقرتهم في هذا الميدان أبو الفتح عثمان ابن جنّي صاحب كتاب «الخصائص»، وأحمد بن فارس مؤلف كتاب «الصحابيّ في اللغة وسنن العرب في كلامها»، وابن سِيده صاحب «المخصّص»، وجلال الدين السيطوي صاحب «المُزهِر» وغيرهم.

٦٧- روديس RHODES:

هي كـبـرى جـزر الدوديكانيـز DODECANESE في بحـر ايجـه AEGEAN SEA. تقع تجـاه سـواحل تركيا الجنوبية الغربية. كانت في العصور القديمة مركزاً لعبادة (هليوس HELIOS) اله الشـمس عند اليونان. فتحـها فرسـان القديس يوحنا(*) HOSPITALERS عام ١٣٠٩ للمـيلاد وحكمـوها حتى عـام ١٥٢٢ومن ثمّ أصـبـحت جـزءاً من الامـبـراطورية العـثمانية (١٥٢٢ - ١٩١٢). احتلّتها ايطاليا عام ١٩١٢ ولكنها ما لبثت أن تخلّتها عنها لليونان (عام ١٩٤٧). عاصمتها (رودس RHODES).

(*) فرسان القديس يوحنا (الإسبتارية) HOSPITALERS OR HOSPITALERS:

منظمـة دينية عـسكرية أنشـئت في القرن الحادي عـشر ونشطت خـلال الحـرب الصـليـبـية انسـحب أعضـاؤها من فلسطين الى قبرص عام ١٢٩١. وفي عام ١٣٠٩ استولوا على رودس فعُرفوا منذئذٍ بـ «فـرسـان رودس» ثم أخـرجـهم العـثمـانيـون منهـا عـام ١٥٢٢ فـمنحـهم الامـبـراطور شـارل الخـامس السيادة على مـالطا، وظلوا يحكمون هذه الجزيرة حتى انتزعها منهم نابليون بونابرت عـام ١٧٩٨. وقـد عُني فـرسـان القـديس يوحنا، طوال تاريخـهم، بالمرضـى. والواقع ان اسـمـهم مـشـتق من لفظة HOSPITAL باعتبار أنهم بدأوا نشاطهم في مستشفى للحجاج المرضى شيّدوه في القدس على مقربة من كنيسة القديس يوحنا المعمدان(**).

(**) القديس يوحنا المعمدان SAINT JOHN THE BAPTIST (٤ ق. م. - ٣٠ م.):

أحـد أنبيـاء بني اسرائيـل، ورد ذكره في القرآن الكريم باسم «يحيى». بشّر بمجيئ المسيح وعمّده في نهر الأردن، اعترض على زواج هيرودوس أنتيباس HEROD ANTIPAS بأخت امرأته «هيروديـاس» أو «هيرودية» HERODIAS. فما كان من هيروديـاس وابنتها سـلوميا SALOME إلا أن أوعزتا هيرودس بقتله ففعل.

هيرودس: هيروس الكبير Herod [heried] also Herod the Great (٧٣؟ - ٢ ق.م.):

ملك اليهودية Judea في ظل الرومان. حاول أن يكسب ودّ اليهود فـأعاد بناء الهيكل في بيت المقدس. بنى مدينة قَيْصريّة Caesarea (٢٢ - ١٠ ق. م.)، وأمَرَ قُبيلَ وفاته بذبح جميع أطفال بيت لحم في محاولة لقتل الطفل يسوع.

هيرودُس أنتيباس Herod Antipas (٢١ ق. م. - ٣٩ م.):

ابـن هيرودس الكبيـر. حاكـم الجليل Galilee في عهد المسيح. أمّر بقطع رأس يوحنا المعمدان John the Baptist الذي اعترض على زواجه من هيروديـاس Herodias بعد أن طلّق زوجته الأولى. بعث إليه بيلاطُس البُنطي Pilate بالسيّد المسيح ليحاكمه ولكنه استنكف عن تحمّل مسؤولية إدانته وأعادهُ الى بيلاطُس.

هيروديـاس، هيروديّة Herodias (توفيت بعد عام ٣٩م.):

زوجـة هيرودُس أنتيـباس Herod Antipas الثانية، وأمّ سَلوميـة Salome. تآمرت مع ابنتهـا هذه لحمـل زوجهـا - وكان حاكم الجليل Galilee في عهد المسيح - على قطع رأس يوحنا المعمدان John the Baptist بعد أن اعترض الأخيرُ على زواج هيرودس منها.

٦٨- ألكايوس ALCAUES (حوالي ٦٠٠ ق. م.)

من أعظم الشعراء الغنائيين اليونانيين وقد ابتدع الشعر الالكايوسي ALCAIC VERSE الذي قلّده الشاعر الغنائي الروماني (٦٥ - ٨ ق. م.) ونقله الى اللغة اللاتينية.

٦٩- سافو SAPPHO (٦٥٠ ق. م. - ٥٩٦ ق. م.):

شاعرة يونانية من مواليد جزيرة (ليسبوس LESBOS اليونانية في الجزء الشرقي من بحر ايجه). رفعها الاغريق الى مرتبة تكاد تضاهي مرتبة هوميروس. وقد أشار اليها أفلاطون بوصفها (الموزية العاشرة THE TEN MUSE، والموزيات هي الالهات التسع الشقيقات بنات زيوس ZEUS «اله الآلهات في الميثولوجيا اليونانية، يقابله جوبيتر JUPITER عند الرومان». اللواتي يحمين الغناء والشعر والفنون والعلوم في الميثولوجيا اليونانية).

لم يبق من آثارها غير شذرات تنمّ عن حبّ عظيم للطبيعة. وفي جملتها مقطوعات غزلية متقدة العاطفة وجد معظمها في مصر.

٧٠- محكمة التفتيش (ديوان التفتيش) INQUISITION:

مؤسسة قضائية بابوية سابقة كانت مهمتها، في الأصل، اكتشاف الهرطقة والتنكيل بالهراطقة المشتغلين بالسحر والخيمياء ALCHEMY(١/٧٠) . وقد ميّز المؤرخون بين ثلاث مؤسسات حملت هذا الأسم:

أ - ديوان التفتيش الوسيطي MEDIEVAL INQUISITION:

الذي أنشأه البابا غريغوريوس التاسع GREGORY IX عام ١٢٣١ لمكافحة الهرطقة.

ب - ديوان التفتيش الأسباني SPANISH INQUISITION:

الذي أنشئ في أسبانيا، باجازة من البابا سيكستوس الرابع SIXTUS IV عام ١٤٧٨ لمطاردة اليهود (ومن بعدهم المسلمين) الذي أعلنوا دخلوهم في النصرانية ولكنهم ظلّوا في سريرة أنفسهم يهوداً أو مسلمين، ولمطاردة المتهمين بالاشتغال بالسحر أيضا.

جـ- ديوان التفتيش الروماني ROMAN INQUISITION:

الذي أنشأه البابا بولص الثالث PAUL III عام ١٤٢ لمقاومة الحركة البروتستانية.

وقد اتسمت أحكام دواوين التفتيش كلها بالقسوة وبالتفنّن في ضروب التعذيب حتى الموت.

١/٧٠: الخيمياء، السّمياء: alchemy:

كيمياء قديمة ازدهرت في القرون الوسطى، غايتها تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب، واكتشاف علاج عام لجميع الأمراض ووسيلة (تعرف بإكسير الحياة elixir) لإطالة العمر الى ما لا نهاية. يعتقد أنها نشأت في الاسكندرية. تأثرت بالفلسفة الإغريقية ثم آراء الكيميائيين المسلمين. انتقلت من طريق العرب الى أوروبا في القرن الثاني عشر لتتحوّل بعد ذلك تدريجياً الى علم الكيمياء الحديث. وأصل الكلمة الإنكليزية عربيّ.

٧١- جورج سارتون GEORGE ALFRED LEON SARTON (١٨٨٤ - ١٩٥٦):

عالم وكاتب أميركي مولود في بلجيكا. هاجر الى انكلترة في مستهل الحرب العالمية الاولى ووصل الى الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩١٥. وقد عين باحثاً في معهد كارنيجي CARNEGIE INSTITUTION في واشنطن العاصمة عام ١٩١٨ ثم محاضراً بعد سنتين في جامعة هارفارد حيث عمل كبروفيسور في تاريخ العلوم (١٩٤٠ - ١٩٥١).

وبعد نشر مجلده الأول «المدخل الى تاريخ العلم INTRODUCTION TO THE HISTORY OF SCIENCE «ثلاث مجلدات ١٩٢٧ - ١٩٤٧، من هوميروس الى القرن ١٤»، سافر الى سوريا ومصر وتونس والجزائر ومراكش لتعلّم اللغة العربية ولدراسة المخطوطات الأصلية من أجل اكمال المجلد الثاني.

٧٢- الأندلس (أندلوسيا ANDALUSIA):

منطقة في الجزء الجنوبي الأقصى من أسبانيا. تطلّ على المحيط الأطلسي وعلى البحر الأبيض المتوسط. احتلّها العرب من عام ٧١١م الى عام ١٤٩٢م.

من أهم مدنها: اشبيلية SEVILLE وغرناطة GRANADA وقرطبة CORODOBA ومرسيا MURCIA والماريا ALMERIA .

الفتح الاسلامي:

أقام ملوك القوط الغربيين(١/٧٢) دولة ضعيفة استندت في حكمها الى النبلاء ورجال الدين الأقوياء. وفي عام (٧١١م) عبر جيش عربي بقيادة طارق بن زياد مضيق جبل طارق الى اسبانيا، وهزم فردريك آخر ملوك القوط الغربيين، وسقطت قرطبة في يده. وفي ٧١٢ انضم موسى بن نصير الى طارق، وأكملا فتح جنوب اسبانيا، وتم لهما خلال الأعوام التالية فتح شبه الجزيرة بأسرها ما عدا ولايتي استوريا والباسك. وعبر العرب البرانس، مما أشاع الذعر في أوربا كلها، ولكنهم هزموا في معركة بواتييه BATTLE OF POITIERS في الجزء الغربي من وسط فرنسا (٧٣٢) على يد شارل مارتل CHARLES MARTEL ملك الفرنجة، وبذلك أوقف الزحف العربي داخل القارة. وأقام الغزاة العرب عاصمتهم في قرطبة، ووصلت الدولة الاسلامية في أيام عبدالرحمن ٣ (٩١٢ - ١٠٦١) الى ذروة مجدها وسطوتها، فأخضع كثيرا من الأمراء المسلمين، وأعاد الأمن، ونشر العدالة. ولكن أخذت دولة بني أمية في الأندلس تنقسم في أوائل القرن ١١ الى ممالك صغيرة أو امارات، واضطر العرب الى الاستنجاد بدولة المرابطين في شمال افريقيا ضد الفونصو ٦ ملك قشتالة CASTILE وسط أسبانيا، وأسسوا أسرة مالكة. وفي عام ١١٧٦ حلت مكانها أسرة الموحدين التي هزمها عام (١٢١٢) الفونصو ٨ في معركة نافاس دي طولوسا، وطردهم من اسبانيا كلها ما عدا مملكتي غرناطة التي سقطت في ايدي فرديناند وزوجته ايزابلا عام (١٤٩٢). ومع ذلك فقد ترك العرب وراءهم آثاراً مجيدة تدل على عظمة دولتهم وحضارتها الرفيعة. وتشجيع المسلمين للفن والأدب والعلم. وعاش اليهود والمسيحيون في أمن وطمأنينة طوال الحكم العربي، ونهضت مدن ليون وقشتالة واراجون رغم كثرة الحروب بينها. ومكن زواج فرديناند ٥ ملك قشتالة من ايزابلا ١ ملكة اراجون من توحيد معظم اسبانيا.

١/٧٢: القوط Goths:

شعب جرماني انتشر من مهدّه الأصلي في إسكندينافيا فوق رقعة واسعة من العالم الروماني، خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الثالث والقرن السادس للميلاد. والواقع ان القوط استوطنوا، عند مُنبثَق التاريخ المسيحي، السواحل الجنوبية من بحر البلطيق Baltic Sea شرقي نهر فيستولا Vistula. وسرعان ما اتجهوا جنوباً الى منطقة البحر الأسود حيث سيطروا في القرن الثالث للميلاد على المنطقة الممتدة من مصبّ نهر الدانوب الى نهر دنيبر Dnieper. ثم إن القوط هزموا القوات الرومانية عام ٢٥١، وغزوا آسيا الصغرى عام ٣٥٣ وعام ٢٦٧، واجتاحوا اليونان عام ٢٦٨. حتى إذا انتصف القرن الرابع أنشأوا مملكة مترامية الأطراف، ولكن هذه المملكة ما لبثت أن سقطت بعد عقدين من السنين (حوالي عام ٣٧٠). ومن ثم انقسم القوط الى فرعين: القوط الشرقيين Ostrogoths و* (١) القوط الغربيين Visigoths * (٢).

* (١) القوط الشرقيون Ostrogoths:

الفرع الشرقي من القوط Goths. استقرّوا عند مطلع القرن الرابع للميلاد في ما يعرف اليوم بجمهورية أوكرانيا بالاتحاد السوفييتي، وأنشأوا أمبراطورية ترامت أطرافها، في ما يُظنّ، من البحر الأسود الى بحر البلطيق. تغلّب عليهم الهون Huns (شعب مغولي مترحل) حوالي عام ٣٧٠ للميلاد. وبعد انهيار امبراطورية الهون غزا القوط الشرقيون إيطاليا (عام ٤٨٩) بقيادة ملكهم ثيودوريك Theodoric الكبير وأسسوا مملكة دمّرها، بعدُ، الامبراطور يوستنيانس الأول Justinian I (٥٥٢ - ٥٥٥م.)(أ).

أ- يوستنيانُس الأول، جوستيان الأول Justinian I (٤٨٣ - ٥٦٥م):

امبراطـــور بيزنطـــي (٥٢٧ - ٥٦٥م). تولـــى العرش خلفاً للأمبراطور يوستينوس الأول Justin I. بلغت الامبراطوريـــة البيزنطيـــة في عهده اقصى اتساعها. أعاد تنظيم الحكومة وقضى على كثير من المظالم. ألّف عام ٥٢٩ لجنة عهد إليها في جمع الشرائع الرومانية وتدوينها فأنجزت المهمة عام ٥٦٥. يُعرف بـ «الكبير» the Great.

* (٢) القوط الغربيون Visigoths:

الفرع الغربي من القوط Goths. غزوا الامبراطورية الرومانية عام ٤٠١ للميلاد فوفقوا الى احتلال روما عام ٤٢٠. ومن ثم أنشأوا امبراطورية واسعة شملت في عهد ملكهم يوريك Euric (٤٦٦ - ٤٨٤م.) معظم بلاد الغال Gaul واسبانيا. ولكن كلوفيس الأول Clovis I، ملك الفرنجة أو الفرنكيين Franks، سرعان ما هزم القوط الغربيين (عام ٥٠٧). وبذلك سيطر على معظم ممتلكاتهم في بلاد الغال. اما دولة القوط الغربيين في اسبانيا فقد عُمرت حتى عام ٧١١ عندما أطاح بها المسلمون إثر الفتح العربي للأندلس.

٧٣- صقلية SICILY:

كبرى جزر البحر الأبيض المتوسط، تشكل اليوم منطقة ايطالية متمتّعة بالحكم الذاتي استعمرها الاغريق ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد. وبعد ان غزاها القرطاجيون(١/٧٣) استولى عليها

الرومان عام ٢٤١ قبل الميلاد. ثم احتلها العرب (٨٢٧ – ٨٧٨م) فالنورمانديون(٢/٧٢) في منتصف القرن الحادي عشر. وبعد ذلك شكلت جزءاً من مملكة الصقليتين(٣/٧٣).

١/٧٣: قرطاجة: Carthage:

مستعمرة فينيقية على ساحل افريقيا الشمالية. تقع على مبعدة تسعة أميال الى الشمال الشرقي من مدينة تونس الحديثة. أسسها الصّوريون عام ٨١٤ قبل الميلاد، ومن ثم أخذت في الاتساع فغدت مدينة كبيرة ازدهرت فيها الصناعات والفنون حتى فاقت أمها صور وأصبحت سيدة التجارة في الجزء الغربي من حوض البحر الأبيض المتوسط. وسرعان ما أسست عدة مستعمرات على ساحل إفريقيا الغربي وفي بعض الجزر القريبة منه، وهبط أبناؤها سواحل إسبانيا الغربية والبرتغال، ووصلوا الى الجزر البريطانية نفسها. احتدم الصراع بينها وبين روما ابتداءً من منتصف القرن الثالث الى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد. وقد أدى هذا الصراع الى نشوب الحروب البونية Punic Wars التي انتهت بتدمير قرطاجة وإحراقها (عام ١٤٦ ق. م.)، كما ذكرنا ذلك سابقاً.

٢/٧٣: النورمان، النورمنديون الشماليون Normans also Northmen:

اسم عام أطلق في أوروبا الغربية الوسيطية medieval على القراصنة الوثنيين الإسكندينافيين الذين يُعرفون بـ «الفايكنغز» Vikings والذين أغاروا على كثير من المناطق الساحلية أو احتلوها. أما في الاستخدام الحديث فيُطلق هذا الاسم على الفايكنغز الذين استقروا في ما عُرف فيما بعد بدوقية نورمنديا في شمال غرب فرنسا. ومن نورمنديا انطلق النورمان في أوائل القرن الحادي عشر ليفتحوا جنوب ايطاليا وجزيرة صقلية. وفي أواسط ذلك القرن فتحوا، بقيادة وليم دوق نورمنديا، انكلترا، ومن ثم انتشروا في ويلز واسكتلندا وايرلندا.

٣/٧٣: صقلية الكبرى. SICILY, ITALIAN SICILIA:

كبرى جزر البحر الأبيض المتوس، تشكل اليوم منطقة ايطالية متمتّعة بالحكم الذاتي. استعمرها الاغريق ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد. وبعد ان غزاها القرطاجيون استولى عليها الرومان عام ٢٤١ قبل الميلاد. ثم احتلها العرب (٨٢٧ – ٨٧٨م) فالنورمنديون في منتصف القرن الحادي عشر. وبعد ذلك شكلت جزءاً من مملكة الصقليتين عاصمتها بَلَرْن أو بالرمو PALERMO.

الصقليتان، مملكة الصقليتين

The Two Sicilies, also Kingdom of the Two Sicilies:

مملكة سابقة كانت تتألف من صقلية والجزء الجنوبي من إيطاليا. إثر سقوط روما عام ٤٧٦ للميلاد احتل القوط الشرقيون Ostrogoths هذه المنطقة، ثم احتلها البيزنطيون (عام ٥٣٥). وبعد ذلك احتل العرب صقلّية (٨٢٧ – ٨٧٨) وتنازع العرب والجرمان المنطقة الى أن احتلها النورمنديون في منتصف القرن الحادي عشر. وفي عام ١٥٠٤ وُحّدت صقلية ونابولي Naples تحت التاج الاسباني. ثم إنّ صلح أوترخت Utrecht قضى (عام ١٧١٣) بضمّ نابولي الى النمسا وضم صقلية الى سافوا Savoy. وما هي غير فترة حتى فتحت اسبانيا صقلية من جديد عام ١٧١٨ وتخلّت عنها عام ١٧٢٠ للنمسا، ثم عاودت احتلال كل من نابولي وصقلية عام ١٧٣٤. وفي عام ١٧٥٩ بسط الفرع الاسباني من آل بوربون، بوصفه قوة مستقلة عن التاج الاسباني، سيطرته على هذه المملكة

وأخيرا غزا غاريبالدي Garibaldi الصقليتين وأنهى حُكم آل بوربون، وبذلك أصبحت المملكة السابقة (عام ١٨٦١) جزءاً لا يتجزأ من مملكة إيطاليا.

٧٤- طُلَيْطلَة Toledo:

مدينة في أواسط. اسبانيا، عاصمة مقاطعة طُلَيْطلَة. استولى عليها الرومان عام ١٩٣ قبل الميلاد. فتحها العرب عام ٧١٢ للميلاد، وقد ازدهرت في عهدهم ازدهاراً كبيراً استردها الاسبان عام ١٠٨٥.

طُلَيْطلَة Toledo:

مدينة في الجزء الشمالي الغربي من ولاية أوهايو Ohio الأميركية. تقع على الزاوية الجنوبية الغربية من بحيرة (إرى .Erie). يرقى تاريخها الى العام ١٨٣٣ للميلاد.

طُلَيْطلَة، مجامع Toledo couneils:

ثمانية عشر مجمعاً كنسياً كاثوليكياً عُقدت في طُليطلة بإسبانيا في ما بين العام ٤٠٠ والعام ٧٠٢ للميلاد. استهدفت البتّ في عدة من المسائل المتعلقة بالكنيسة الاسبانية ومعالجة بعض المشكلات المدنية أيضاً، ليس هذا فحسب، بل لقد عملت هذه المجمع على تسوية النزاعات الخاصة بحقوق كل من الكنيسة والدولة.

٧٥- المَجَسّطي ALMAGEST:

موسوعة فلكية ورياضية ألّفها عالم الفلك اليوناني بطلميوس PTOLEMY حوالي العام ١٤٠ للميلاد. كانت مرجعاً رئيسياً لعلماء الفلك العرب والأوروبيين حتى مطلع القرن السابع عشر تقريباً. ترجمت الى العربية عن السريانية عام ٨٢٧ للميلاد ثم ترجمت الى اللاتينية عن العربية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وهي تقع في ثلاثة عشر كتاباً. ولفظة «المجسطي» يونانية الأصل ومعناها «الأعظم».





عهد
الاسكندر والبطالمة والرومان

محتويات الفصل الرابع

عهد الاسكندر والبطالمة والرومان

الفصل الرابع
عهد الاسكندر والبطالمة

الاسكندر الكبير ALEXANDER THE GREAT: (٣٥٦ - ٣٢٣ق. م.):

ملك مقدونيا MACEDONIAN KING (٣٣٦ – ٣٢٣ ق. م.)، ابن فيليب الثاني PHILIP II، وأولمبيا OLYMPIAS ابنة نيوبتوليموس NEOPTOLEMUS ملك مصر.

تتلمذ الاسكندر على يد أرسطو طاليس الفيلسوف ARISTOTLE واعتلى العرش وعمره عشرون عاماً بعد حادث اغتيال أبيه.

بسط سلطانه على بلاد اليونان، واستولى على صور (عام ٣٣٢)، وأخضع مصر (٣٣٢ – ٣٣١) وفي عام ٣٢٧ تقدم لفتح الهند، وتوفي في مدينة بابل (بالعراق)، ودفن في مدينة الاسكندرية بمصر. وهي واحدة من مدن كثيرة بناها.

يعرف أيضا بالاسكندر المقدوني، كما لقب بذي القرنين، حيث كان يرتدي غطاء الرأس المزين بقرني كبش.

لقد قيّض للاسكندر في الواقع، أن يشيد أعظم امبراطورية عرفها العالم القديم، التي تمتد حتى البنجاب، وانبثقت عن انتصارات الاسكندر قصص وأساطير في جميع لغات أوروبا، بالاضافة الى عدد من لغات آسيا.

خطط لتوطين اليونانيين والمقدونيين في آسيا، والآسيويين في أوربا، كجزء من خطته لصهر القارتين في بوتقة واحدة. وان جملة خططه هذه، زواجه من روكسانا[1] ابنة ملك باكتريا، وكان ذلك الزواج رمزاً لوحدة الشرق والغرب، كما قام بتزويج ثمانين ضابطاً مقدونيا من بنات نبلاء الفرس.

خلفاء الاسكندر:

عندما توفي الاسكندر المقدوني، تنافس قواده على حكم الامبراطورية واستمّرت الحروب فيما بينهم أربعين عاماً، سنة (٣٢٣ – ٢٨١ ق. م) ظهر خلالها جيل جديد من القواد – وكان بعضهم من أولاد قادة الاسكندر – كما ظهرت التمرّدات الاقليمية، حتى انقسمت في نهاية الفوضى والقتال الى ثلاثة أقسام:

أ - المملكة المقدونية MACEDONIAN KINGDOM:

مقدونيا MACEDONI: منطقة جبلية في وسط شبه جزيرة البلقان. سيطر أبناؤها المقدونيون في عهد الملك فيليب الثاني PHILIP II (٣٥٩ - ٣٣٦ق. م) على بلاد اليونان. ومن ثم هزموا في عهد ابنه الاسكندر المقدوني الكبير (٣٣٦ - ٣٢٣ ق. م) الامبراطورية الفارسية.

وبعد وفاة الاسكندر واقتسام قواده امبراطوريته الواسعة، احتفظت مقدونيا بمكانتها كدولة ذات شأن الى أن بسط الرومان سيطرتهم عليها عام ١٦٨ قبل الميلاد. وفي عام ٣٩٥ للميلاد ضمّت الى الامبراطورية البيزنطية، ثم خضعت لحكم الأتراك من عام ١٣٨٩ الى نشوب الحرب البلقانية عام ١٩١٢ حيث تمكنت صربيا وبلغاريا واليونان من اخراج العثمانيين منها. واثر حرب قصيرة نشبت بين الدول الثلاث قسّمت مقدونيا فيما بينها عام ١٩١٣. وخلال الحرب العالمية الاولى ضمّت بلغاريا القسم الصربي من مقدونيا الى أراضيها.. ولكنها أكرهت على التخلي عنه عام ١٩١٩.

وفي بلاد اليونان الحديثة فان مقدونيا MACEDONIA هي منطقة ادارية تشمل الجزء الشمالي من هذه البلاد برمته باستثناء تراقيا THRACE الغربية، وأهم مدنها «سالونيك -SAL ONIKA».

ب - المملكة السلوقية:

السلوقيون SELEUCIDES AND SELEUCIDAE:

أسرة مقدونية حاكمة (٣١٢ - ٦٤ ق. م). أسسها في سوريا سلوقيس الأول SELEUCUS أحد قواد الاسكندر الكبير. بسطت سلطاتها في بادئ الأمر على رقعة واسعة من الأرض تمتد من تراقيا الى حدود الهند، بيد أنها انكمشت وتقلصت فيما بعد، واقتصرت في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد. على سوريا وقيليقيا (كيليليا CILICIA)[٢]. وكانت عاصمتها الأولى سلوقية SELEUCIA الواقعة على نهر دجلة في العراق، ثم انطاكية[٣] في سوريا، وفي ظلّها أدخلت اللغة والثقافة اليونانيتان الى سوريا التي ظلّت تحت حكم السلوقيين الى أن اطاح بهم القائد الروماني بومبي POMPEY عام ٦٤ قبل الميلاد.

ج - المملكة البطلمية PTOLEMAIC DYNASTY:

إن أسرة البطالمة أو البطالسة، هي أسرة ملكية حكمت مصر بعد وفاة الاسكندر المقدوني من عام ٣٢٣ الى عام ٣٠ قبل الميلاد.

لقد امتدّت امبراطورية البطالمة الى برقة وقبرص وجنوب سوريا وشطر من ساحلها أحيانا. كما كان من ممتلكاتها أيضاً بعض المدن الاغريقية وبعض السواحل في آسيا الصغرى وبعض جزر بحر ايجه بالاضافة الى أراضي مصر حتى النوبة.

كانت الاسكندرية هي العاصمة، وكان الأهالي يميّزونها عن البلاد كلها بتسميتها «المدينة».

وقد انهارت دولة البطالمة في النهاية نتيجة اصطدامها بقوى الامبراطورية الرومانية التي طمعت بثروتها وتجارتها. وكانت النهاية في عهد الملكة البطلمية المعروفة كليوبترة السابعة. وقد حاولت هذه الملكة الحفاظ على استقلال مصر وضمان العرش لأبنائها بكل وسيلة، فاستغلّت افتتان يوليوس قيصر[٤] ثم انطونيوس سحر بها، غير أن قوة روما وأطماعها كانت أقوى منها بعد أن سقط البحر الأبيض المتوسط كله بيدها، فانهزمت في معركة أكتيوم ACTIUM[٥] سنة ٣١ ق. م. وانتحرت بينما كانت مصر تتحول الى ولاية رومانية.

---

* راجع الهامش رقم (٥) من هذا الفصل

النظام البطلمي PTOLEMAIC SYSTEM:

ظهر في ظل هذا النظام النظرية الفلكية التي تقول بأن الارض كرة ثابتة في وسط الكون وان الشمس والقمر والكواكب السيارة PLANETS تدور حولها في مدارات دائرة[٦] وقد تزعزعت ثقة علماء الفلك بهذا النظام عندما أعلن عالم الفلك البولندي (نيقولاس كوبرنيكوس NICOLAUS COPERNICUS ١٤٧٣ - ١٥٤٣م) ان الارض مجرد كوكب سيّار وانها وجميع السيارات الاخرى تدور حول الشمس.

هذا وقد أقام البطالمة في امبراطوريتهم نظاماً اقتصادياً متكاملا ضربوا له العملات الذهبية والفضية والبرونزية كما أنشأوا المصارف في البلاد.

وقد كانت الزراعة، بالاضافة الى التجارة، هي مصدر الثروة، وكان الانتاج الرئيسي هو القمح ثم المنتجات الاخرى كالزيت والكتان والصوف والنسيج المصنوع منهما وورق البردي والخمور.

وكانت فلسفة البطالمة السياسية تأخذ من التراث الفرعوني بصورة خاصة وليس من التقاليد الاغريقية، فالملك في نظامهم هو الدولة، وهو مصدر القانون ورأس السلطة المطلق والاله المعبود في الوقت نفسه، وكان رجال الحكومة لدى البطالمة الأول من الاغريق وقد كانوا مميّزين مع كبار الكهنة والموظفين المصريين، اما الجند المرتزقة فيسكنون مع الشعب في مدنه وقراه، ويعتبر طبقة

أدنى وعليه أعمال السخرة. لذا قامت ثورات كان منها ثورة طيبة[٧] سنة ٨٥ ق. م. التي حوّلت تلك المدينة الى مجموعة من القرى والاطلال.

وقد اعتبر كثيرون ان العهد البطلمي، رغم طابعه الهليني الواضح[٨]، امتداداً لعصر الفرعونية في الحكم والدين، غير أن هذا العهد قد تميز بتشجيع البحث العلمي والفلسفي الذي تميّزت به الاسكندرية.

وقد اتجهت الفلسفة في عهد البطالمة الى بحث القيم الخلقية، وهذا ما أشاع الفلسفتين الأبيقورية[٩] والرواقية[١٠].

لقد أسس البطالمة مكتبة الاسكندرية الشهيرة ومتحفها مما سيكون بحثنا في هذا الكتاب، وقد قلدّهم زملاؤهم في المناطق الأخرى مما مهدّ لظهور نوع من الفكر الموسوعي في هذا العصر.

الحكام البطالمة:

تولى حكم مصر من البطالمة ١٥ حاكماً بعد الاسكندر، وهم:

١- بطلميوس الأول ابن لاجوس (سوتير SOTER أي المنقذ) (٣٢٣ - ٢٨٤ ق. م.).

حكم بوصفه ساتربا أي حاكم ولاية مصر من ٣٢٣ الى ٣٠٥ ق. م، ثم بصفته ملكا عندما استقل بمصر عن خلفاء الاسكندر الى ٢٨٤ ق. م.

٢- بطلميوس الثاني (فيلادلفوس) ٢٨٥ - ٢٤٦ ق. م.

هو ابن بطلميوس الأول، وقد اشترك مع والده في السلطة سنة ٢٨٥ ق. م.، ثم انفرد بها بعد وفاته ٢٨٤ ق. م.

٣- بطلميوس الثالث «يوارجيتس EUERGETES» ٢٣٦ - ٢٢١ ق. م.

٤- بطلميوس الرابع (٢٢١ - ٢٠٥ ق. م).

ابن بطلميوس الثالث (فيلوباتور PHILOPATOR) أي المحبة لأبيه.

٥- بطلميوس «أبيفانس EPIPHANE» ٢٠٥ - ١٨١ ق. م.

ابن بطلميوس الرابع، وقد تزوج كليوبترة ابنة انتيوخس الثالث الملك السليوقي في سوريا وتربّعت على العرش باسم كليوبترة الأولى.

٦- بطلميوس السادس (١٨٠ - ١٥ ق. م.):

ابن بطلميوس الخامس (فيلوميتور PHILOMETOR) أي المحب لأمه وقد تخللت حكمه فترة احتل فيها انتيخوس الرابع ملك سوريا البلاد سنة ١٧٠ ق. م، ووقع بطلميوس السادس أسيراً في يد ملك سوريا.. وقامت ثورة في الاسكندرية أعلنت الأخ الأصغر ملكاً لهم.. وعندما تم الافراج عن الأخ الأكبر حكم الملكان الاخوان مصر مناصفة.

وفي سنة ١٦٣ انفرد الأخ الأكبر بالسلطة مرة أخرى.. الى ان مات بطلميوس السادس سنة ١٤٥ ق. م.

٧- بطلميوس السابع (سنة ١٤٥ ق. م.):

ابن بطلميوس السادس، حكم أشهراً قليلة بوصاية أمه الملكة كليوبترة الى أن عاد عمه من برقة الذي قاسم حكم مصر.

٨- بطلميوس الثامن «يوارجيتس الثاني EUERGETES 2»:

سبق له الحكم من ١٦٩ ق. م. في مصر، ومن ١٦٣ - ١٤٥ ق. م. برقة، ثم من ١٤٥ - ١١٦ ق. م مصر. وقامت ضده ثورة عنيفة في سنتي ١٣١ - ١٣٠ هرب على اثرها، وانفردت بالحكم في تلك الفترة كليوبترة الثانية ملكة مصر أرملة فيلومتر، إلاّ أن يوارجيتس الثاني استطاع استعادة ملكه في الاسكندرية وتوفي سنة ١١٦ ق. م، وهو ابن بطلميوس الخامس وأخو بطلميوس السادس (فيلومتر) الذي حكم معه سوية ثم انفرد بالحكم بعد ذلك بسنة.

٩- بطلميوس التاسع «سوتير الثاني» (١١٦ - ١٠٧ ق. م):

ابن بطلميوس الثامن حكم مشاركة مع والدته الملكة كليوبترة الثالثة ١١٦ - ١٠١ وتوفي سنة ١٠١ ق. م.

١٠ - بطلميوس العاشر « اسكندر الاول» (١٠٧ - ٨٨ ق. م.):

ابن بطلميوس الثامن. تولى الحكم مشاركة مع والدته الملكة كليوبترة الثالثة التي ماتت سنة ١٠١ ق. م، فانفرد هو بالحكم.

١١- بطلميوس التاسع (للمرة الثانية) ٨٨ - ٨١ ق. م. الى أن توفي.

١٢- الملكة برنيقة:

لم يكن لبطلميوس التاسع وريث للملك، فتولت بعد وفاته حكم مصر زوجته الثالثة برنيقة. وظهر فيما بعد ان هناك ابناً للملك الأسبق بطلميوس العاشر (اسكندر الأول) موجوداً في روما فعاد الى مصر وتزوّج برنيقة.

١٣- بطلميوس الحادي عشر «اسكندر الثاني»

ابن بطليموس العاشر، وقد شارك زوجته الحكم، ولكنه قتل سنة ٨٠ ق. م.

١٤- بطلميوس الثاني عشر (١٨٠ - ١٥ ق. م).

أخر البطالمة أو البطالسة البارزين، وهو ابن غير شرعي لبطلميوس التاسع (سوتير الثاني) سنة ٨٠ - ٥١ ق. م.

١٥- كليوبترة السابعة (٦٩ - ٣٠ ق. م.):

لقد توالى على العرش البطلمي مجموعة من الملوك تسمّى كل منهم باسم بطلميوس من الأول حتى الخامس عشر، غير أنهم كانوا يحكمون أحياناً بالاشتراك مع زوجاتهم أو اخواتهم أو أبنائهم. من هؤلاء المشتركين سبع من الملكات يحملن اسم (كليوبترة)، وكانت الأخيرة منهن السابعة هي المشهورة التي عاصرت الفتح الروماني لمصر.

وسنذكر هنا أبرز هؤلاء الملوك في شرح مختصر ممن تركوا بصمات واضحة في حياتهم.

أشهر ملوك البطالمة:

١- بطلميوس الأول PTOLEMY 1: (٣٦٧ - ٢٨٣ ق.م):

كان أحد قواد الاسكندر الكبير السبعة الذي استولى بعد وفاته السلطة في مصر، ونقل معه رفات الاسكندر اليها واستمر بعد ذلك بحكم مصر ٤١ سنة (٣٢٣ - ٢٨٣ ق. م) وقد منحه أهل رودس لقب سوتير (أي المنقذ). ثم تسمى ملكاً منذ سنة ٣٠٥ ق. م. حين اتخذ زملاؤه القواد الآخرون هذا اللقب. وهكذا ظهرت في الوقت ذاته ممالك مقدونيا والسلوقيين والبطالمة التي اقتسمت العالم الهيلنسي «أو الهلّيني» والتي استمرت حتى اندمجت في الامبراطورية الرومانية في القرن الاول ق. م.

وسّع رقعة دولته في السنوات الأخيرة من حكمه، عن طريق سياسة قائمة على المحالفات والمظاهرات لا عن طريق الغزو والحرب.

أسس مكتبة الاسكندرية (وسيأتي شرح ذلك مفصلاً فيما بعد)، وقد تخلّي عن العشر لابنه بطليموس الثاني عام ٢٨٥ ق. م.

٢- بطلميوس الثاني PTOLEMY II (٣٨٠ - ٢٤٦ ق. م.):

تولى الملك في مصر من عام ٢٨٥ ق. م، وهو ابن بطلميوس الاول وقد قام بتوسيع رقعة سلطانه عن طريق الدبلوماسية، وعزّز الزراعة والتجارة. ومن أبرز منجزاته قيامه ببناء منارة الاسكندرية PHAROS[11] حوالي عام ٢٨٠ ق. م. وجعل الاسكندرية مركزاً للثقافة الهيلنسية. ويعرف أيضا باسم «فيلادلفوس PHILADELPHUS».

وعندما تولي الملك، قلّت مطالبة الناس بالفتوحات التي تعوّدها في أيام أبيه، وأخذوا يتجهون

الى التعمق في الأمور العلمية. ولم يقتصر فيلادلفوس على جمع الكتب في بلاطه، بل جمع أموراً كثيرة تتعلق بعلم المواليد بواسطة قوم من اليونان والمصريين واليهود، كما قاموا بترجمة كتاب العهد القديم OLD TESTAMENT[١٢] وأخذت عنهم مدرسة الاسكندرية[١٣] روايات من التاريخ القديم ومبادئ شرعية وأدبية كان اليونان يجهلونها الى ذلك الوقت.

وحاول فيلادلفوس احياء الشعر وأقام في أعياد باخوس BACCHANALIA[١٤] ألعاباً ومصارعات جلبت الى الاسكندرية، وراج ميدان الشعر والأدب. والى عهده تعود ترجمة التوارة «السبعينية»، وهي أقدم ترجمة يونانية للعهد القديم، وضعت في الاسكندرية بين ٢٥٠ و ١٣٠ ق. م. اعتمد عليها اليهود الهلنسيون والكنيسة المسيحية الاولى الناطقة باليونانية وعلى رأسها القديس بولس[١٥]. تعود تسميتها بالسبعينية الى تقليد يقول إن بطلميوس الثاني (فيلادلفوس) جمع ٧٢ حاخاماً، ستة من كل من أسباط اسرائيل الاثني عشر، وكلّفهم بتلك الترجمة، فاعتزلوا ٧٢ يوماً في جزيرة فاروس PHAROS قرب الاسكندرية، أتمّوا خلالها ترجمة دقيقة بحسب الشريعة.

٣- بطلميوس الثالث PTOLEMY III (٢٨٢ - ٢٢١ ق. م.):

هو ابن بطلميوس الثاني، تولى السلطة ملكاً على مصر من ٢٤٦ ق. م. الى ٢١١ ق. م. من جملة أعماله انه قاتل حكام سوريا السلوقيين، وغزا العراق حتى بلغت جيوشه مشارف بابل.

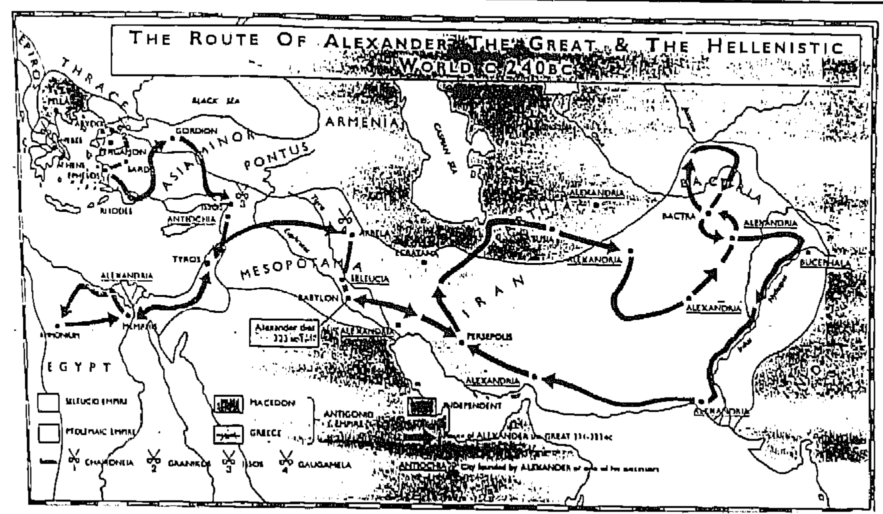
بسط سلطانه على البحر الأبيض المتوسط الشرقي، وعُرف برعايته للفنون.

٤- بطلميوس الثاني عشر PTOLEMY XII (١٢٢ - ٥١ ق. م.):

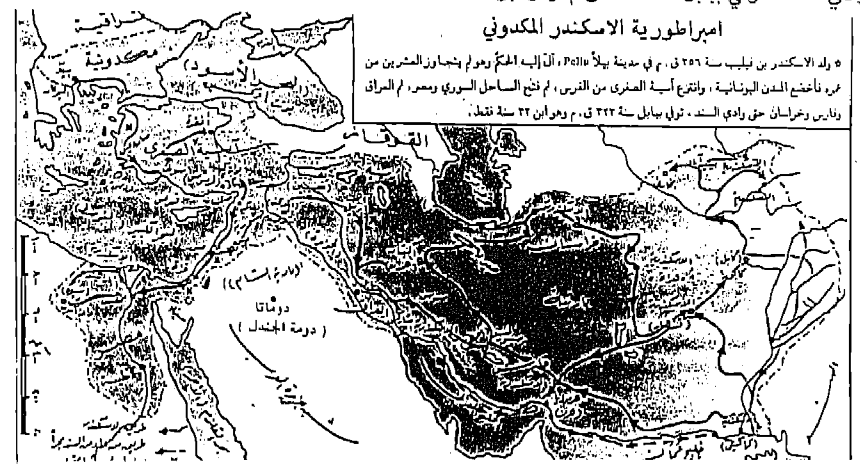
يعتبر آخر البطالمة البارزين، أصبح ملكاً على مصر من ٧٦ الى ٥١ ق. م. ولقد اضطرّته الاعتراضات المثارة حول شرعية توليه العرش الى الاعتماد على قوات روما في تثبيت سلطانه. كان ابناً غير شرعي لبطلميوس التاسع (سوتير الثاني). واشتهر بلقب «الزمار AULETE» وكان لقبه الرسمي «ديونسيوس الصغير NEO DONYSOS (AULETE)».

وقد تزوج كليوبترة السادسة وازداد نفوذ روما على مصر. وفي سنة ٥٩ ق. م كان يوليوس قيصر زعيم الحزب الشعبي وكان قنصلاً في روما، وكانت مسألة ضمّ مصر الى الامبراطورية الرومانية ضمن برنامجه السياسي. وسعى بطلميوس الزمار لأن يثني قيصر عن خطته نحو مصر ودفع نظير ذلك ما يوازي نصف دخل مصر. وبذلك أعلن قيصر اعتراف روما بالزمار ملكاً على مصر.

وقبل وفاته عام ٥١ قبل الميلاد، جعل أخته الشهيرة «كليوبترة السابعة» وابنه البكر وصيين على العرش.



امبراطورية الاسكندر المقدوني – ولد الاسكندر بن فيليب سنة ٣٥٦ ق.م. في مدينة بيلا، آل اليه الحكم وهو لم يتجاوز العشرين من العمر فأخضع المدن اليونانية وانتزع آسيا الصغرى من الفرس، ثم فتح الساحل السوري ومصر ثم العراق وفارس وخراسان حتى وادي السند، توفي ببابل سنة ٣٢٣ ق.م. وهو ابن ٣٢ سنة فقط.



الدولة السلوقية: أسسها القائد سلوقس وضمت ايران والعراق وآسيا الصغرى والعاصمة أنطاكية

دولة البطالمة أسسها القائد بطليموس بمصر، العاصمة الاسكندرية

الدولة الانتيقونية: أسسها القائد أنتيقون وعاصمتها بيلا



وجه اغريقي



٥- كليوبترة السابعة CLEOPATRA VII (٦٩ - ٣٠ ق. م):

اسم أضحى مشهوراً في التاريخ ولدى الناس لما امتزج فيه من الجمال والفتنة والسياسة. تسمّت بهذا الاسم سبعة من ملكات مصر، أما المشهورة فهذه الأخيرة. وهي ابنة بطلميوس الحادي عشر. تولت الحكم سنة ٥١ ق. م - ٤٩ ق. م بالاشتراك مع أخيها وزوجها بطلميوس الثالث عشر، وهو أصغر منها وما لبث حرسها أن أقصاه، وقد اتهمت بقتله.

كان زواج الأخوة مقبولاً لدى البطالمة، فكثيرات من الملكات هن في الأصل اخوة أو بنات اخوة الملوك.

وكانت كليوبترة ذات ثقافة واسعة وارادة قوية وطموح كبير. وقد أحبها يوليوس قيصر يوم هبط مصر مطارداً بومبي POMPEY[١٦] عام ٤٨ ق. م، فاصطحبها الى روما حوالي عام ٤٦ ق. م، وعادت الى مصر اثر مصرعه عام ٤٤ ق. م. وكان له ولد منها اسمه قيصرون.

ثم أحبها ماركوس أنطونيوس[١٧] وتزوجها عام ٣٧ ق. م. وقد انتحرت مع أنطونيو بعد معركة أكيتوم ACTIUM[١٨] التي انتصر فيها «أوكتافيوس» فدخل الاسكندرية في العام التالي. وبهذا انهارت دولة البطالمة في مصر. وانضمت مصر الى الامبراطورية الرومانية.

المجتمع المصري والاغريقي في عهد البطالمة

لقد كان البطالمة على عهدهم في الاهتمام بتنمية موارد البلاد، قد استعانوا بالاغريق المهرة وشجعوهم على الهجرة من بلادهم الى مصر، حيث استخدموهم للعمل في الخدمة المدنية والعسكرية.

لقد جاء الاغريق الى مصر خلال القرن الخامس قبل الميلاد جماعات ووحدانا واستقروا في مدن مصر وأقاليمها. ومع ذلك فقد كانت لهم حياتهم الخاصة المتميزة، كما أن المصريين يعيشون أيضا حياتهم الخاصة ويمارسون شعائرهم الدينية الخاصة بهم، ويتمتع الكهان المصريون بمركز ممتاز دون أن يتدخل البطالمة في شؤونهم على عكس حال المصريين الآخرين، حيث يعمل الفلاحون والتجار والصناع من أجل بطلميوس نفسه في مزارعه ومصانعه.

وكان أغلب المصريين يتعلمون في مدارس مصرية ملحقة بالمعابد، عدا القلة منهم ممن أقبلوا على تعليم اللغة اليونانية بحكم وظائفهم في الحكومة أو الأثرياء منهم الذين ألحقوا أبناءهم بالمدارس الاغريقية.

وقد ضاق المصريون بحكامهم الاجانب، فقاموا بعدة ثورات أشهرها واقعة رفح في عام ٢١٧ ق. م.

و (رفح) مدينة قديمة على حدود مصر الشرقية بشبه جزيرة سيناء على البحر الأبيض المتوسط. اسمها (رابح) بالمصري القديم و(رافيا) باليونانية، جرت بقربها واقعة حربية لها أهمية كبيرة في تاريخ البطالمة (عام ٢١٧ ق. م)، انتصر فيها المصريون واستعادوا الثقة بأنفسهم وتجاوبت أصداء الثورات القومية في كل أنحاء مصر، احتجاجاً على الظلم الذي أنزله البطالمة بهم. ومنذ ذلك الوقت اضطر البطالمة الى تغيير نظرتهم الى المصريين.

وبالمدينة اطلال حمامات من العصر الروماني، وكنيسة من العصر المسيحي.

ولكي يطمئن الاغريق القاطنون في مصر على حياتهم، ويأمن البطالمة عواقب الثورات الوطنية في الداخل وصدّ أي عدوان خارجي، فقد كانت وسيلتهم في ذلك، الشرطة والجيش والأسطول.

لقد كان الجيش في عهد البطالمة يتألف من: فرق نظامية، وفرق مرتزقة، أما المصريون فقد تم استخدامهم في القتال في عهد بطلميوس الرابع بشكل مستقل لنقص في عدد الجند الأجانب.

وفي الأسطول استخدم البطالمة البحارة المقدونيين والاغريق، والمصريين بعدد أقل، كما كان هناك مصريون في مجال الشرطة، معظمهم من غير الضباط، وذلك لحماية كبار الموظفين والحفاظ على الأمن.

المجتمع المصري في عهد الرومان

منذ أن احتدم النزاع بين كليوبترة وروما، أخذ حكم البطالمة يجنح نحو الزوال، ولقد اعتبر «السنات SENATE»[١٩] الأول من اغسطس عام ٣٠ ق. م، أي يوم استولى الرومان الاسكندرية عيداً في روما، وبدء التقويم في مصر.

وأصبحت مصر ولاية رومانية من نوع خاص، حيث كانت تتبع الامبراطور نفسه، يتولى ادارتها باسم الشعب الروماني. ولقد امتازت مصر عن غيرها من الولايات الرومانية بموقعها الاستراتيجي ووفرة محصولها من القمح الذي تحتاج اليه روما. ولهذا السبب عمدت روما الى ان لا ينفرد احد بحكم مصر كما فعل البطالمة، فوضعت فيها فرقا من الجند الرومان، وعين أوغسطس عليها حاكما من طبقة الفرسان يلقب بالوالي PRAEFECTUS أو «الحاكم العام لاسكندرية ومصر»، ولم يكن يسمح لأحد من كبار رجال الرومان بزيارة مصر إلاّ باذن من الامبراطور نفسه. وظل الأمر كذلك حتى أوائل القرن الثالث الميلادي عندما عين مساعد للحاكم العام من السناتو.

كان حكم الرومان في مصر يعتمد على السيطرة على العاصمة الاسكندرية، مع وضع

حاميات عسكرية في جميع انحاء البلاد للقضاء على ما قد يندلع فيها من ثورات. ويتألف سكان مصر في العصر الروماني من الرومان والاغريق واليهود والمصريين، فكان الرومان هم الحكام الذين يمثلون أرقى طبقات المجتمع ويتمتعون بحقوق وامتيازات كثيرة.

وللحفاظ على الحضارة الاغريقية، منح الرومان الجاليات الاغريقية في عواصم المديريات حق المواطنة فيها. ويمكن القول ان الرومان قسموا الاغريق الى ثلاث طوائف:

- طوائف مواطني المدن الاغريقية من أرباب الاقطاعات وهم كالرومان لا يدفعون ضريبة الرأس.
- طائفة مواطني عواصم المديريات، وكانوا يدفعون الضريبة مخفضة.
- طائفة عامة الاغريق وكانوا يدفعون الضريبة كاملة.

أما المصريون فكانوا الخاضعين DEDITICII للرومان الفاتحين ويدفعون لهم ضريبة الرأس. وهكذا ميّز الرومان بين أرقى الاغريق وبين عامة الاغريق والمصريين، ثم انهم جعلوا اللغة اليونانية اللغة الرسمية للبلاد. أما اللغة اللاتينية فكانت مستخدمة في الجيش والقوانين الرومانية.

وبفضل مدينة الاسكندرية، ظلّت الحضارة الاغريقية مزدهرة في العصر الروماني، وازدهرت تلك الحضارة في الأقاليم أيضاً، وبخاصة في «أوكسيرينخوس» - ألبهنسا حاليا[٢٠].

أما اليهود، فكان عددهم حوالي مليون نسمة في بداية الحكم الروماني. وقد فرض الرومان عليهم ضريبة الرأس. ويتميز يهود الاسكندرية بأنهم أصحاب رؤوس الأموال والعاملون في النقل البحري وتجار التجزئة والصناع والحرفيين والزراع. وكانوا يقبلون على الثقافة الاغريقية، ويتملقون السلطات الرومانية في الاسكندرية، ومع ذلك كان الاغريق هناك يكرهونهم.

وقد اندمج اليهود بالمصريين، وتسموا بأسماء مصرية، واتبعوا بعض العادات المصرية مثل عادة تحنيط جثث الموتى، على أن لهم جاليات خاصة بهم طول البلاد وعرضها. وفي المدن الكبيرة كانوا يسكنون في احياء خاصة. وبالرغم من أن الرومان أبقوا على امتيازات اليهود القديمة إلا أنهم لم يعدوهم من مواطني الاسكندرية.

وكان الكهان أرقى طوائف المصريين وأقواها. فسعى الرومان الى إضعاف مركز الكهان بأن صادروا أراضي المعابد، وأدارت بعضها الآخر. وأنقصت عدد المعابد التي كان لها حق حماية اللاجئين، وعدد الكهان الذين أعفتهم من ضريبة الرأس. وأقبل كثير من أصحاب الأراضي المصريين على الثقافة الاغريقية، وتزاوجوا من عامة الإغريق، إلا أن الرومان لم يجعلوهم على قدم المساواة مع إغريق المدن الإغريقية وعواصم المديريات، بل عينوهم في الوظائف المحلية الصغرى، وأرغموهم على زراعة الحقول المهجورة ودفع ما عليها من ضرائب. ومنع الرومان

تجنيد هؤلاء المصريين في الجيش الروماني حتى لا تشتعل الحماسة الوطنية في صدورهم. أما عامة المصريين فكانوا زراعا أو صناعا فرضت عليهم ضريبة الرأس كاملة. وأمر الرومان بعدم استخدام لغتهم الخاصة في معاملاتهم. وعلى الرغم من انتشار الأمية بين المصريين كانوا متمسكين بتقاليدهم القديمة الى أن دخلوا في الدين المسيحي وتعلموا الإنجيل بدلا من أشعار هوميروس واللغة الإغريقية التي كانت تعلم في المدارس.

ولكن سوء الحال الذي كان عليه المصريون لم يقعدهم عن الثورة على الرومان في صعيد مصر، والدلتا أيضاً. فهناك ثورة الكاهن المصري «ايزيدوروس» في عام ١٧٢ في شمال الدلتا تلك الثورة التي أجهز الثوار فيها على الحامية الرومانية هناك، وهزموا فيها الجنود الذين هبوا لنجدتهم. وكادت إسكندرية أن تقع في أيد الثوار لولا قدوم حاكم ولاية سورية «افيديوس كاسيوس» الى مصر حيث استطاع بالخديعة القضاء على الثورة. على أية حال، كان الرومان مكروهين من جميع فئات المجتمع المصري: الإغريق والمصريين واليهود.

ومع ذلك يبين لنا أن الرومان كانوا يحترمون الحضارة الإغريقية وبخاصة في الاسكندرية حيث كانت الجامعة أو «دار العلم» تؤدي رسالتها الإنسانية النبيلة. فأقبل عليها مشاهير الرومان في أواخر القرن الثاني أمثال «بلوتارخوس»، و «لوكيانوس» وغيرهما من طلاب العلم والثقافة. وظلت جامعة الاسكندرية أو «دار العلم» تستضيف العلماء والباحثين لاجراء مختلف البحوث. وساهم الأباطرة الرومان في النهوض بجامعة الاسكندرية. فقد أضاف الامبراطور «كلاوديوس CLAUDIUS ١٠ ق. م – ٥٤ م» إليها مبنى سمي باسمه، وكانت مؤلفاته التاريخية تتلى فيه كل يوم. ولكن «كراكلا CARACALLA» (١٧٦ – ٢١٧) لم يستمر على الانفاق على تلك الجامعة حتى ان بعض الأساتذة اضطروا الى أداء أعمال أخرى يرتزقون منها. وفي عام ٢٦٩ / ٢٧٠ لحق التخريب بها وبالمكتبة عندما خرب جند الملكة «زينوبيا» حي «بروخيون» ومع ذلك استمرت على أداء رسالتها حتى ختام القرن الرابع.

هوامش

الفصل الرابع

هوامش الفصل الرابع

١- روكسانا ROXANA (٣١٠ ق.م):

أميرة فارسية، ابنة أحد زعماء باكتريا(*)، أسرها الاسكندر الكبير وتزوجها عام ٣٢٧ ق.م خلال فتوحه في آسيا وضعت بعد وفاته (عام ٣٢٣ ق. م) طفلاً عرف فيما بعد باسم «الاسكندر الرابع». وفي عام ٣١٦ ق. م اعتُقلت في مقدونيا وحكم عليها هي وابنها بالموت.

(*) باكتريا، باكتريانا BACTRIA, BACTRIANA:

بلاد قديمة واقعة بين جبال هندوكوش HINDU KUSH ونهر أموداريا AMU DARYA وتشكّل اليوم جزءاً من أفغانستان الحالية وجزءاً من جمهوريتي أوزبكستان UZBEKISTAN وطاجكستان TADZHIKSTAN نشأت فيها خلال النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد مملكة مستقلة لم تعمّر طويلاً عاصمتها «باكترا BACTRA» المعروفة اليوم بـ «بلخ BALKH».

٢- قيليقيا (كيليليا) CILICIA:

منطقة في الجزء الجنوبي الشرقي من آسيا الصغرى، وتقع على البحر الأبيض المتوسط الى الجنوب من جبال طوروس TAURUS MOUNTAINS، وتنقسم الى قسمين: غربي وهو ذو طبيعة جبلية، وشرقي يتميز بسهل خصيب. وقد خضعت هذه المنطقة في بادئ الأمر لسلطان الحيثيين HITTITES، ثم خضعت لسلطان الأشوريين ASSYRIANS وفي القرن الرابع قبل الميلاد خضعت لسلطان المقدونيين MACEDONIANS ثم لسلطان السلوقيين SELEUCIDS، الى أن أصبحت مجرد مقاطعة رومانية في القرن الاول قبل الميلاد.

وقد احتلّ العرب قليقيا الشرقية في القرن السابع الميلادي، ولكن البيزنطيين استعادوها منهم عام ٩٦٤. وفي عام ١٣٧٥ احتلّ المماليك فيليقيا، ثم احتلها الاتراك العثمانيون عام ١٥١٥.

وبعد الحرب العالمية الثانية ألحق جزء منها بسوريا، الواقعة آنذاك تحت الانتداب الفرنسي بموجب أحكام معاهدة سيفر SEVRES(*١)، ولكن مقاومة الأتراك لهذا الاجراء أكرهت الفرنسيين على التخلّي عنها لهم.

تعرف أيضا بـ «أرمينيا الصغرى LESSER ARMENIA».

(*١) معاهدة سيفر TREATY OF SEVRES:

معاهدة وضعت صيغتها النهائية في مؤتمر سان ريمو CONFERENCE OF SAN REMO بايطاليا، ثم وقّعها في ١٠ أغسطس ١٩٢٠ في سيفر بفرنسا مندوبون عن تركيا والحلفاء وبموجبها حُلت الامبراطورية العثمانية وقُلّصت تركيا الى حدودها الحاضرة وقد رفض كمال أتاتورك الاعتراف بهذه المعاهدة فاستعيض عنها بمعاهدة لوزان TREATY OF LAUSANNE في ٢٤ يوليو ١٩٢٣، وبموجبها تخلّت تركيا عن جميع دعاواها في المناطق غير التركية من الامبراطورية العثمانية،

وألغيت الامتيازات الأجنبية CAPITUALATIONS، وجُعل مضيقا البوسفور والدردنيل منطقتين منزوعتي السلاح.

٣- أنطاكية ANTIOCH:

هي الجزء الشمالي من سوريا، وتقع على نهر العاص، أسّسها اليونان عام ٣٠٠ ق. م، وسلخها الأتراك وضمّوها مع سائر لواء الاسكندرونة عام ١٩٣٩.

٤- غايوس يوليوس قيصر GAIUS JULIUS CAESAR (١٠٠ - ٤٤ ق. م):

سياسي ومؤرخ وقائد عسكري روماني. دكتاتور روما (٤٩ - ٤٤ ق. م) فتح غالة GAUL(*٢) بحملات متعدّدة فيما بين عام ٥٨ وعام ٥٩ ق.م. غزا بريطانيا (٥٥ - ٤٤ ق. م). أمره مجلس الشيوخ بتسريح جيشه ولكنه اجتاز نهر روبيكون RUBICON (في شمال ايطاليا) عام ٤٩ ق. م متحدّيا أمر المجلس، وبذلك اندلعت الحرب الأهلية الرومانية (٤٩ - ٤٥ ق.م). اتهمه كاسيوس CASSIUS وبروتس BRUTUS بالاستبداد وتآمرا على قتله (عام ٤٤ ق. م).

(*٢) غالة GAUL أو GALIA باللاتينية:

بلاد الغال: اسم قديم كان يطلق على منطقة في أوربا الغربية وتغطي اليوم تقريباً كامل فرنسا وبلجيكا والمانيا الغربية وايطاليا الشمالية.

وكان يسكن هذه المنطقة شعب سلتي CELTIC (الناطقون بمجموعة من اللغات الهندية الاوربية وتشمل الايرلندية والويلزية وغيرهما) هاجر اليها من وادي الراين قبل عام ١٥٠٠ق. م.

والغاليون GAULS اسم عام يطلق على جماعات مختلفة استعمرت، حوالي القرن الخامس ق. م، أودية الأنهار الكبرى في فرنسا بالاضافة الى شمال ايطاليا حتى البحر الادرياتي ADRIATIC SEA.

٥- أكتيوم ACTIUM:

رأس في الجزء الشمالي الغربي من بلاد اليونان. جرت قربه معركة بحرية حاسمة تغلب فيها اسطول أوكتافيوس OCTAVIUS (الامبراطور اغسطس فيما بعد) على اسطولي ماركوس انطونيو وكليوبترة (٢ سبتمبر سنة ٣١ ق. م)، وبذلك انفرد أوكتافيوس بسيادة العالم الروماني دون منازع.

٦- ل قد نسب النظام البطلميوسي الى الرياضي والجغرافي وعالم الفلك اليوناني الى بطلميوس الاسكندري PTOLEMY وهو من أهل القرن الثاني للميلاد. نشأ وعاش في الاسكندرية. أشهر مؤلفاته كتاب «المجسطي ALMAGEST» وهو موسوعة فلكية ورياضية ألفها حوالي ١٤٠ للميلاد وقد كانت مرجعاً رئيسياً لعلماء الفلك العرب والاوروبيين حتى مطلع القرن السابع عشر تقريباً تُرجمت الى العربية، نقلاً عن السريانية عام ٨٢٧م، ثم ترجمت الى اللاتينية نقلاً عن العربية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وهي تقع في ثلاثة عشر كتاباً. ولفظة «المجسطي» يونانية الأصل ومعناها «الأعظم»، كما ذكرنا سابقاً.

٧- طيبة THEBES:

عاصمة مصر في عهد الملكة الوسيطة أو الوسطى (الأسرتان ١١ و ١٢، حوالي ٢٠٥٢ ١٧٨٦ ق. م). وهي مدينة خربة على الضفة الغربية من النيل. وكانت في العصور القديمة تشمل أيضا الكرنك

والأقصر الواقعتين على الضفة الشرقية من النيل.

وهنـاك ايضـا طيـبـة مدينة قديمة في الجـزء الشـرقي من وسط اليونـان، أهم مـدن مـقاطعـة بيـوتيـا BOETIA، وقد دمّرها الاسكندر المقدوني تدميراً شبه كامل عام ٣٣٦ ق. م.

٨- العصر الهلّيني HELLENESTIC AGE (٣٢٣ ق. م - ٢٧ ق. م):

الفترة الممتدّة من وفاة الاسكندر الكبير الى ارتقاء الامبراطور اوغسطوس AUGUSTUS عرش روما. وقد تميز في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد بهيمنة الممالك الاغريقية - المقدونية (أو الممالك الهيلينية) في الشرق، وبروز سلطان روما في الغرب، كما تميز في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد بسيطرة روما تدريجياً على حوض الابيض المتوسط بكامله.

٩- الأبيقورية (المذهب الأبيقوري) EPICUREANISM:

مذهب أنشأه الفيلسوف اليوناني «أبيقور EPICURUS ٣٤١ - ٢٧٠ ق. م. وهو يقول بأن المتعة (أو السعادة) هي غاية الحياة الانسانية. والمراد بالمتعة في هذا المذهب - بخلاف ما هو شائع - التحرّر من الألم والاهتياج العاطفي. وقد أكد أبيقور على ان هذه المتعة لا تتم للمرء عن طريق الانغماس في الملذات الحسّية بل بممارسة الفضيلة. واعتبر الادراك الحسّي أساس المعرفة الأوحد. وقال بأن الأشياء المادية تطلق، على نحو موصول، صوراً ذرّية ATOMIC تنطبع على حواسنا. لم يبق لنا من آثاره الكثيرة غير نتف متناثرة.

١٠- الرواقية STOICISM:

مذهب فلسفي أنشأه الفيلسوف اليوناني زينون الستيومي ZENO OF CITIUM حوالي العام ٣٠٠ ق. م. وهو يقول بأن العالم كلّ عضوي تتخلّله قوة الله الفاعلة، وبأن رأس الحكمة معرفة هذا الكلّ، مع التأكيد أن الانسان لا يستطيع أن يلتمس هذه المعرفة إلا إذا كبح جماح عواطفه وتحرّر من الانفعال.

والرواقيون يدعون الى التناغم مع الطبيعة، والصبر على المشاق، والأخذ بأهداب الفضيلة لأن الفضيلة هي ارادة الله.

وشملت مبادئ الرواقية على الاخاء بين بني الانسان، والتنديد بالرقّ ونبذه بجميع صوره والاعتقاد بأن السعادة انما تقوم على الالتزام بالقانون وبما يترتب على ذلك من واجبات.

والرواقية هي نسبة الى رواق STOA بوليجنوس المزدان، والمسمّي لذلك بالرواق، المصور STOA POKILE بأثينا، الذي اتخذه زينون مقرّاً له يجتمع فيه، فدُعي أصحابه بالرواقين. وأطلق عليه الاسلاميون اسم أصحاب المظلة.

ومن أشهر الرواقين في عهد الرومان «سنيكا SENECA»(١٠/٢) و«ماركوس أوريليوس MARCUS AURELIUS»(١٠/٣).

١٠/١: زينون السيتيومي، زينون الرواقي (٣٣٥ - ٢٥٦ ق.م) ZENO OF CITIUM:

هو فيلسوف يوناني، فينيقي الأصل، من مواليد سيتيوم بجزيرة قبرص، شدّ رحاله الى أثينا حوالي العام ٣١٢ حيث درس مختلف المذاهب الفلسفية اليونانية، وكوّن مذهبه الخاص الذي عُرف بـ

«الرواقية»، بعد أن اختار للتبشير بهذا المذهب من حوالي العام حتى وفاته رواقاً في أثينا كان يؤمّه خلق كثير وقد تركت الرواقية أثراً كبيراً في الفكر الفلسفي والأخلاقي خلال العهدين الهلّيني والروماني.

١٠/٢: سنيكالوسيوس أناسيوس (٤ ق. م - ٦٥م) SENECA LUCIUS ANNAEUS:

خطيب وفيلسوف وزعيم سياسي روماني، ويعدّ ألمع نجوم الحياة الفكرية في روما خلال النصف الأول من القرن الاول للميلاد. وكان يتمتع بسلطة واسعة في الشطر الاخير من عهد نيرون NERO (٣٧ - ٦٨ م)، ولكنه اتهم بعد ذلك بالتآمر على هذا الامبراطور فأكره على الانتحار.

وضع عدداً من الكتب في الفلسفة الرواقية وألّف تسع مسرحيات تراجيدية ويعرف بـ «الأصغر THE YOUNGER» أما أبوه الذي يحمل نفس الاسم فيعرف بـ «الأرشد THE ELDER».

١٠/٣: ماركوس أوريليوس MARCUS AURELIUS (١٢١ - ١٨٠م):

الفيلسوف والامبراطور الروماني، كان من أتباع المدرسة الرواقية الداعين لمبادئها، وقد تجلّي ذلك بوضوح في كتابه الشهير المعروف بعنوان (تأملات MEDITATIONS).

١١- منارة الاسكندرية:

اشتهرت باسم «فاروس» نسبة الى جزيرة صغيرة أمر الاسكندر المقدوني بأن يوصل ما بينها وبين الشاطئ عندما أمر مهندسه بأن ينشئ المدينة والمرفأ الذي عرف فيما بعد باسم الاسكندرية. وكانت ترشد السفن وتؤدي عملها بأحراق الخشب فيرشد الدخان السفن نهاراً والوهج ليلاً، وهي احدى عجائب الدنيا السبع.

١٢- العهد القديم OLD TESTAMENT:

اسم يطلق على القسم الأول من كتاب النصارى المقدس BIBLE الذي يقدّسه اليهود والنصارى معا، تمييزاً له عن القسم الثاني منه وهو «العهد الجديد NEW TESTAMENT» ويعترف به النصارى دون اليهود.

و«العهد القديم» ينتظم ٣٩ سفراً معظمها كُتب في الأصل بالعبرية وبعضها كُتب في الأصل بالآرامية. وهي تشتمل على تاريخ اليهود وتعاليم انبيائهم.

أما «العهد الجديد» فينتظم ٢٧ سفراً كُتبت كلها في الأصل باليونانية، وهي تشتمل على سيرة السيد المسيح ونشأة الكنيسة النصرانية.

١٣- مدرسة الاسكندرية: راجع الفصل الخامس.

١٤- باخوس BACCHUS:

هو اله الخمر عند الرومان، يقابله ديونيسوس DIONYSUS عند الاغريق. وقد كان من دأب الرومان الاحتفال بعيده في مهرجانات موغلة في المجون الى حدّ حمل مجلس الشيوخ الروماني (عام ١٨٦ ق. م) علي تحريمها إلا في احوال ومناسبات خاصة.

أما عيد باخوس BACCHANALIA، فهو مهرجان روماني كان يقام تكريماً لباخوس اله الخمر. بدأ احياؤه أول ما بدأ، في الأجزاء الجنوبية من ايطاليا، ومنها امتد هذا التقليد الى روما. وكان

الاحتفال بعيد باخوس يتم سرّاً، طوال ثلاثة أيام كل عام وكان مقصوراً على النساء بادئ الأمر ثم أجيز للرجال حضوره، وأصبح الاحتفال به خمس مرات في الشهر الواحد.

١٥- القديس بولس SAINT PAUL (٥ - ٦٧ م).

أحد دعائم الكنيسة المسيحية القدامى. اضطهد النصارى في بادئ الأمر ثم تنصّر وانصرف الى التبشير بالديانة الجديدة وبخاصة في آسيا الصغرى واليونان. اعتُقل في بيت المقدس، ومن ثم حوكم واجْتُزَ رأسه في روما في عهد نيرون.

ويعرف أيضا بـ «بولس الرسول PAUL THE APOSTLE».

١٦- بومبي POMPEY (١٠٦ - ٤٨ ق. م):

زعيم عسكري وسياسي روماني، شنّ حملات عسكرية موفقة على اسبانيا وجنوب فرنسا وشمال ايطاليا. أطاح بمملكة السلوقيين SELEUCIDS في سوريا عام ٦٤ ق. م. عُرف بخصومته ليوليوس قيصر، وقد هزمه هذا الأخير في معركة فرسالوس PHARSALUS(*) عام ٤٨ ق. م. ففرّ الى مصر حيث اغتيل، ويعرف بـ (الكبير THE GREAT).

(*) فرسالا PHARSALA:

بلدة في الجزء الشمالي الشرقي من بلاد اليونان، اسمها القديم فرسالوس PHARSALUS، دارت فيها معركة حاسمة انتصر فيها يوليوس قيصر على بومبي عام ٤٨ ق. م. وتدعى هذه المعركة أحياناً معركة فرساليا BATTLE OF PHARSALIA نسبةً الى المنطقة المحيطة ببلدة فرسالا.

١٧- ماركوس أنطونيوس MARCU,S ANTONIUS (٨٢ - ٣٠ ق. م):

مارك أنطوني: قائد روماني، ناصر يوليوس قيصر في صراعه مع (بومبي). وبعد مصرع يوليوس قيصر، انتصر في معركة فيليبي(١/١٧) PHLIPPI عام ٤٢ ق. م. اشتهر بحبه لكيلوبترا. هزمه أوكتافيوس في معركة أكيتوم ACTIUM، فانتحر بعد ذلك.

هـذا وقـد كان أنطونيو يحكم النصف الشرقي من الامبراطورية الرومانية، بينما كان اوكتافيوس OCTAVIUS يحكم القسم الغربي بعد مقتل قيصر.

١/١٧: فليبي PHILIPPI:

بلدة قديمة في الجزء الشمالي من وسط مقدونيا MACEDONIA في اليونان تقع على مبعدة عشرة أميال تقريباً (حوالي ١٦ كيلومتراً) عن بحر ايجه AGEAN SEA. فيها انتصر مارك انطونيو واوكتافيان OCTAVIAN(٢/١٧) على بروتس BRUTUS وكاسيوس CASSIUS(٣/١٧) عام ٤٢ ق. م.

٢/١٧: أوكتافيان (اوغسطوس AUGUSTUS) ٦٣ ق. م - ١٤م.

أول أباطرة الرومان (٢٧ ق. م - ١٤م). أعاد الاستقرار والازدهار ربوع العالم اليوناني - الروماني، وركزّ سلطة الامبراطورية الرومانية في مدينة روما نفسها. قام باصلاحات ادارية واجتماعية كثيرة. أعاد تنظيم الجيش وشجّع الفنون. اسمه الأصلي «اوكتافيوس» و«اغسطوس» لقب خلع عليه عام (٢٧ ق. م). ويعرف أيضا بـ «أوكتافيان».

٣/١٧: بروتـــوس BRUTUS (٨٥ – ٤٢ ق. م). وكاسيـــوس CASSIUS (توفي عام ٥٤٢ ق. م).

سياسيان وقائدان عسكريان رومانيان. انضما الى جيش بومبي ضد يوليوس قيصر (عام ٤٩ ق. م). وبعد وفاة بومبي عفا عنهما يوليوس قيصر، ومع ذلك فقد شاركا في المؤامرة التي أدت الى مصرع قيصر (عام ٤٤ ق. م). وقد انتحر بعد الهزيمة في معركة فيليبي عام ٤٢ ق. م.

١٨- اكتيوم: راجع الهامش رقم (٥).

١٩- السنات الروماني SENATE:

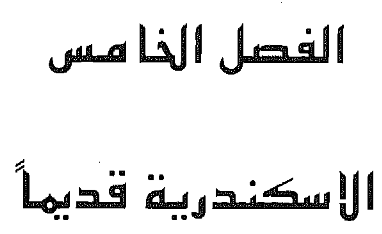
كان أصلاً (المجلس الاستشاري لملوك روما). وفي عهد الجمهورية (المجلس الاستشاري لحكامها). لكنه اكتسب في القرن الثالث ق. م. من السلطات ما جعله الهيئة المسيطرة على جميع شؤون روما.

كان الحكم في البلاد الديمقراطية القديمة يقسم بين مجلس الشيوخ (السنات) ومجلس الشعب (الاكليزيا). وكان أعضاء مجلس الشيوخ يختارون من بين الأشراف، وكان عددهم يتوقف على عدد القبائل التي يتألف منها السكان.

كان مجلس الشيوخ الروماني يتألف من ١٠٠ عضو، وان كان غالباً من ٣٠٠ عضو، ثم ارتفع الى ٩٠٠ عضو أيام يوليوس قيصر، خفض العدد الى ٦٠٠ في عهد أوغسطس. وكان السنات يشرف على الأعمال العامة وعقد المعاهدات ويفرض الضرائب، وينظم جبايتها، كما يشرف على قيادة الجيش.

٢٠- ألبهنسا (اوكسيرينخوش OXYRHYNCHUS):

مدينة قديمة في الجزء الشمالي من مصر بمحافظة المنيا، واسمها تصحيف للفظ المصري القديمة «بماذا» وهي تقع على الضفة الغربية من نهر النيل، اكتشفت فيها أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين أدراج أوقراطيس برْدية كثيرة يرقى أقدمها الى العام ٢٥٠ ق. م. وأحدثها الى العام ٧٠٠ للميلاد. وكتب أغلبها باليونانية واللاتينية. وكتب بعضها بالقبطية والعبرية والسريانية والعربية. وهذه الأدراج تشتمل على نصوص دينية، وعلى نسخ قديمة من أناجيل «العهد الجديد»، وعلى بعض روائع الأدب اليوناني الكلاسيكي أيضا. اسمها اليوناني: أوكوسيرينخوس.


الفصل الخامس
الاسكندرية قديماً

الفصل الخامس
الإسكندرية قديماً

الاسكندرية في كتب التاريخ
- في كتاب «رحلة بن بطوطة»
- في كتاب «معجم البلدان»
- في كتاب «مروج الذهب»
- في كتاب «دائرة المعارف الاسلامية»
- في كتاب «دائرة المعارف»
- في كتاب «موسوعة المدن العربية والاسلامية»
- في كتاب «تاريخ الطبري»
- في كتاب «مكتبة الاسكندرية القديمة: سيرتها وتطوّرها»
- في كتاب «العصور القديمة»
- في كتاب «THE ALEXANDRIAN LIBRARY»
- في «الموسوعة العربية الميسرة»
- في «موسوعة المورد»
- في «ENCYCLOPEDIA OF KNOWLEDGE»
- في «THE NEW CAXTON ENCYCLOPEDIA»
- في موسوعة «BRITANNICA»
- في موسوعة «PURNELL'S NEW ENGLISH ENCYCLOPEDIA»

الوصف العام لمدينة الاسكندرية قديماً

مدرسة الاسكندرية

مدرسة الاسكندرية في دائرة المعارف

١- المدرسة اليونانية: العصر الأول، العصر الثاني، العصر الثالث، العصر الرابع، العصر الخامس.
٢- المدرسة اليهودية
٣- المدرسة المسيحية
٤- المدرسة الغنوسطية

الوصف العام لمدرسة الاسكندرية

العصر الأول، العصر الثاني

فضل مدرسة الاسكندرية على الحضارة العالمية

المسلمون ومدرسة الاسكندرية في العهدين الأموي والعباسي

فتح الاسكندرية من قبل المسلمين

هوامش الفصل الخامس

الفصل الخامس
الاسكندرية قديماً
ANCIENT ALEXANDRIA

الاسكندرية في كتب التاريخ:

تناول الكثير من كتب التاريخ القديمة والموسوعات العربية والاجنبية وصف الاسكندرية قديما وما فيها من معالم العمران والثقافة والنهضة بما يؤكد لنا أهمية موقعها وكيفية بنائها والدور الذي لعبته عبر التاريخ وما حصل فيها من تطوّرات وفتوحات وتأثيراتها في نشوءات الحضارات والمدارس الفكرية والعلمية. وبغضّ النظر عن المبالغات في بعض أوصافها، إلاّ انها تتفق فيما لها من مكانة مرموقة حضارياً وثقافياً تؤيدها الوقائع التي تمثلها بصورة خاصة الآثار التي بقيت، والأمجاد التي صورتها.

وسنقتطف هنا فقرات من بعض تلك الكتب من أجل القاء الضوء على ما تتمتع هذه المدينة العريقة من أهمية:

١ - في كتاب «رحلة ابن بطوطة»:

«ثم وصلنا في أول جمادي الاولى الى مدينة الاسكندرية حرسها الله. وهي الثغر المحروس، والقطر المأنوس، العجيبة الشأن الأصلية البنيان، بها ما شئنت من تحسين وتحصين، ومآثر دنيا ودين، كرمت مغانيها، ولطفت معانيها، وجمعت بين الضخامة والإحكام مبانيها. فهي الفريدة في تجلي سناها، والغريدة تجلى في جلالها، الزاهية بجمالها المغرب، والجامعة لمفترق المحاسن لتوسطها بين المشرق والمغرب، فكل بديعة بها اختلاؤها، وكل طريفة فاليها انتهاؤها. وقد وصفها الناس فأطنبوا، وصنفوا في عجائبها فأغربوا. وحسب المشوق الى ذلك ما سطره أو عبيد في كتاب المسالك».

ولمدينة الاسكندرية أربعة أبواب: باب السردة وإليه يشرع طريق المغرب، وباب رشيد، وباب البحر، والباب الأخضر وليس يفتح إلا يوم الجمعة فيخرج الناس منه الى زيارة القبور. ولها المرسى العظيم الشأن ولم أر في مراسي الدنيا مثله، إلاَّ ما كان من مرسى كولم وقاليقوط ببلاد الهند، ومرسى الكفار بسرداق.ببلاد الأتراك، ومرسى الزيتون ببلاد الصين، وسيقع ذكرها.

قصدت المنار في هذه الوجهة فرأيت احد جوانبه متهدماً. وصفته أنه بناء مربع ذاهب في الهواء، وبابه مرتفع على الأرض. وإزاء بابه بناء بقدر ارتفاعه، وضعت بينهما ألواح خشب يعبر

عليها الى بابه، فإذا أزيلت لم يكن له سبيل. وداخل الباب موضع لجلوس حارس المنار. وداخل المنار بيوت كثيرة. وعرض المر بداخله تسعة أشبار. وعرض الحائط عشرة أشبار. وعرض المنار من كل جهة من جهاته الأربع مائة وأربعون شبراً. وهو على تل مرتفع. ومسافة ما بينه وبين المدينة فرسخ واحد، في بر مستطيل، يحيط به البحر من ثلاث جهات، الى أن يتصل البحر بسور البلد فلا يمكن التوصل الى المنار في البر الا من المدينة وفي هذا البر المتصل بالمنار مقبرة الاسكندرية. وقصدت المنار عند عودي الى بلاد المغرب عام خمسين وسبعمائة فوجدته قد استولى عليه الخراب، بحيث لا يمكن دخوله ولا الصعود الى بابه. وكان الملك الناصر قد شرع في بناء منار مثله بإزائه فعاقه الموت من إتمامه.

ومن غرائب هذه المدينة عمود الرخام الهائل الذي بخارجها المسمى عندهم بعمود السواري. وهو متوسط في غابة نخل. وقد امتاز عن شجراتها سمواً وارتفاعاً. وهو قطعة واحدة محكمة النحت، قد أقيم على قواعد حجارة مربعة، أمثال الدكاكين العظيمة، ولا تعرف كيفية وضعه هنالك، لا يتحقق من وضعه".

٢- في كتاب «معجم البلدان»:

للشيخ الامام شهاب الدين الحموي الرومي البغدادي، المجلد الأول، دار صادر، بيروت ١٩٧٧، ص ١٨٣ - ١٨٥:

«واختلفوا في أول من أنشأ الاسكندرية التي بمصر اختلافاً كثيراً نأتي منه بمختصر لئلاّ نُملّ بالإكثار: ذهب قوم الى أنها إِرَمُ ذات العماد التي لم يُخلَق مثلُها في البلاد. وقد روي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: خيرُ مسالحكم الاسكندرية. ويقال: إن الاسكندر والفَرَمَا أخوان، بَنَى كلُّ واحد منهما مدينة بأرض مصر وسمّاها باسمه، ولما فرغ الاسكندر من مدينته، قال: قد بنيتُ مدينة الى الله فقيرة، وعن الناس غنيّة، فَبَقيَتْ بَهجَتُها ونضارتها الى اليوم، وقال الفرَما لما فرغ من مدينته: قد بنيتُ مدينة عن الله غنيَّةً والى الناس فقيرة، فذهب نُورها فلا يمرُّ يوم إلاّ وشيءٌ منها ينهدم، وأرسل الله عليها الرمال فَدَمّتها الى أن دثرت وذهب أثَرُها. وعن الأزهَر بن مَعبَد قال: قال لي عمر بن عبدالعزيز: أين تسكُنُ من مصر؟ قلت: أسكُنُ الفُسطاط، فقال: أُفٍّ أَمَّ نَتْنٍ! أين أنت عن الطيبة؟ قلت أيّتُهنّ هي؟ قال: الاسكندرية، وقيل: إن الاسكندر لما هَمَّ ببناء الاسكندرية دخل هَيكلاً عظيماً كان لليونانيّين فَذَبحَ فيه ذبائح كثيرة وسأل ربَّه أن يُبيّن له أمرَ هذه المدينة هل يتمّ بناؤها أم هل يكون أمرها الى خراب؟ فرأى في منامه كأن رجلاً قد ظهر له من الهيكل، وهو يقول له: إنَّكَ تَبني مدينة يَذهَب صيتُها في أقطار العالم ويسكنها من الناس ما لا يُحصَى عَدَدُهم، وتختلط الرياحُ الطيبة بهوائها، ويثبت حكم أهلها وتُصرف عنها

السَّمُومُ والحَرُور وتُطوَى عنها قوّة الحرّ والبرد والزمهرير ويُكتم عنها الشرور حتى لا يُصيبها من الشيـاطين خبلٌ وإن جَلَبَتْ عليـها ملوك الأرض بجنودهـم وحاصروها لم يدخل عليـها ضَرَرٌ. فبناها وسمّاها الاسكندرية ثم رحل عنها بعدما استتمّ بناءَها فجال الأرض شرقاً وغرباً، ومات بشهرزور وقيل ببابل وحُمل الى الاسكندرية فدفن فيها.

وذكـر آخـرون أنّ الذي بناها هـو الاسكندر الأولُ ذو القَـرْنَين الرومي، واسـمـه أشك بن سَلُوكُـوس، وليس هو الاسكندر بن فـيلفـوس، وان الاسكندر الأول هـو الذي جـال الأرض وبلغ الظُلُمات وهـو صاحب موسى والخضر، عليـهما السلام، وهو الذي بنى السَّدّ، وهـو الذي لما بلغ الى موضع لا ينفُذُه أحدٌ صَوّرَ فَرَساً من نُحاس وعليه فارس من نحاس مُمسك بُسرَى يَديه على عنان الفـرس وقد مدَّ يُمناه وفيـها مكتـوب: ليس ورائي مَذهَب. وزعمـوا أنّ بينه وبين الاسكندر الأخير صاحب دارا المستولي على أرض فارس وصاحب أرسطاطاليس الحكيم الذي زعموا أنّه عاش اثنتين وثلاثين سنة دهرٌ طويلٌ وأن الأولَ كان مُؤمناً كما قص الله عنه في كتابه وعُمّر عمراً طويلاً وملك الأرض، وأمـا الأخيـر فكان يرى رأي الفـلاسـفـة ويذهب الى قـدم العـالم كـمـا رأي أستاذه أرسطاطاليس، وقتل دارا ولم يتعَدَّ مُلكُه الرومَ وفارسَ. وذكر محمد بن اسحاق أن يَعْمُر بن شدّاد بن عاد بن عوض ابن إرم بن سام بن نوح، عليه السلام، هو الذي أنشأ الاسكندرية وهي كنيسة حَنس، وزَبَرَ فيها: أنا يعمر بن شداد أنشأْتُ هذه المدينة وبنيتُ قناطرها ومعابرها قبل أن أضَعَ حجراً على حجر، وأجرَيت ماءَها لأرفُقَ بعُمّالها حتى لا يشقّ عليهم نقلُ الماء، وصنعتُ معابرَ لمَرّ أهل السبيل وصيّرتُها الى البحر وفرقتُها عند القبة يميناً وشمالاً، وكان يعمل فيها تسعون ألفاً لا يرون لهم ربّاً إلا يعمر بن شداد، وكان تاريخ الكتاب ألفاً ومائتي سنة.

وقال ابن عُفَير: ان أول من بنى الاسكندرية جُبير المؤتفكي وكان قد سَخَّرَ بها سبعين ألف بنّاء وسبعين ألف مُخَندق وسبعين ألف مُقنطر فعمرها في مائتي سنة وكتب على العمودين اللذين عند البقَرات بالاسكندرية، وهما أساطين نُحاس يعرفان بالمسلّتين: أنا جُبَير المؤتفكي عمرتُ هذه المدينة في شدّتي وقوّتي حين لا شَيبَةَ ولا هَرَم أضناني، وكنزتُ أموالها في مراجِل جُبيريّة وأطبقتُه بطبَق من نحاس وجعلتُه داخل البحر، وهذا العمودان بالاسكندرية عند مسجد الرحمة، وروي أيضاً أنّه كان مكتوباً عليهما بالحميَرية: أنا شداد بن عاد الذي نصب العماد وجند الأجناد وسدّ بساعده الواد بَنَيْتُ هذه الأعمدة في شدّتي وقوّتي إذ لا مَوْتَ ولا شَيْبَ، وكنزت كنزاً على البحر في خمسين ذراعاً لا تصل إليه إلا أمة هي آخر الأمم، وهي أمة محمد، صلى الله عليه وسلم.

ويقال: إنما دعا جُبَيراً المؤتفكي الى بنائها أنّه وجد بالقرب منها في مغارة على شاطئ البحر تابوتاً من نحاس ففتحه فوجد فيها تابوتاً من فضه، ففتحه فإذا فيه دُرْجٌ من حجر الماس، ففتحه فإذا فيه مكحلة من ياقوتة حمراء مِروَدُها عِرْق زبرجد أخضر فدعا بعض غلمانه فكحّل إحدى

عَينيه بشيء مما كان في تلك المكحلة فعرف مواضع الكنوز ونظر الى معادن الذهب ومغاص الدُّرّ، فاستعان بذلك على بناء الاسكندرية وجعل فيها أساطين الذهب والفضة وأنواع الجواهر حتى إذا ارتفعَ بناؤها مقدار ذراع أصبح وقد ساخ في الأرض، فأعاده أيضاً فأصبح وقد ساخ فمكث على ذلك مائة سنة كلما ارتفع البناءُ ذراعاً أصبح سائخاً في الأرض فضاق ذرْعاً بذلك، وكان من أهل تلك الأراض راع يرعى على شاطئ البحر وكان يَفقدُ في كل ليلة شاة من غنمه الى أن أَضرَّ به ذلك فارتصد ليلة، فبينما هو يرصدُ إذا بجارية قد خرجت من البحر كأجمل ما يكون من النساء فأخذت شاةً من غنمه فبادر إليها وأمسكها قبل أن تعود الى البحر وقبض على شعرها فامتنعت عليه ساعة ثم قهرها وسار بها الى منزله فأقامت عنده مدّة لا تأكل إلا اليسير ثم واقعها فأنستْ به وبأهله وأحبّتهم ثم حملت وولدت فازداد أنسُها وأُنسُهُم بها، فكشَوْا إليها يوماً ما يُقاسونه من تَهَدُّم بنائهم وسيوخه كلما علّوه وأنهم إذا خرجوا بالليل اختُطفُوا، فعملت لهم الطلسمات وصوّرت لهم الصُّوَرَ فاستقرّ البناءُ وتمّ أمرُ المدينة وأقام بها جُبَير المؤتفكي خمسمائة سنة ملكاً لا ينازعه أحد، وهو الذي نصب العمودين اللذين بها ويسمّيان المسلّتين. وكان أنفذ في قَطعهما وحملوهما، ونصبهما في مكانهما غُلامٌ له يقال له قَطْن بن جَارود المؤتفكي وكان أشد من رُؤي في الخلق، فلما نصبهما على السّرطَانَين النُّحاس جعل بإزائهما بَقَرَات نحاس كتب عليها خبره وخبر المدينة وكيف بناها ومبلغ النفقة عليها والمدة، ثم غزاه رُومان بن تَمْتَنعَ الثُّمُودي فهزمه وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً وأقام عموداً بالقرب منهما وكتب عليه: أنا رومان الثمودي صنّفتُ أصناف هذه المدينة وأصناف مدينة هرقل الملك بالدوام على الشهور والأعوام ما اختلف ابنَا سَمير ، وبقيَتْ حصاة في ثَبير، وأنا غيّرت كتاب جُبَير الشديد ونشرتّه بمناشير الحديد وستجِدُون قصّتي ونَعتي في طرف العمود، فولد رومان بُزَيْعاً فملك الاسكندرية بعده خمسين سنة لم يُحْدِثْ فيها شيئاً، ثم ملك بعده ابنه رحيب، وهو الذي بنى الساطرون بالاسكندرية وزَبَرَ على حجر منه: أنا رحيب بن بزيع الثمودي بَنَيْتُ هذه البنية في قُوّتي وشدّتي وعَمّرتُها في أربعين سنة على رأس ست وتسعين سنة من مُلكي، وولد رحيب مُرَّةَ وولد مُرّة مَوْهَباً ملك بعد أبيه مائتي سنة وغزا أُنَيْس بن مَعدي كَربَ العادي موهباً بالاسكندرية وملكها بعده، ثم ملكها بعد يَعمُر بن شدّاد بن جَنّاد بن صَيّاد بن شمْران بن مَيّاد بن شَمر بن يُرْعش فغزاه ذفافة بن معاوية بن بكر العمليقي فَقَتَلَ يَعْمُرَ وملك الاسكندرية، وهو أول من سَمّي فِرْعَوْن بمصر، وهو الذي وهب هاجر أمّ اسماعيل، عليه السلام، الى ابراهيم، عليه السلام، وهذه أخبار نقلناها كما وجدناها في كتب العلماء، وهي بعيدة المسافة من العقل لا يؤمن بها إلا من غلب عليه الجهلُ، والله أعلم.

ولأهل مصر بعدُ إفراطٌ في وصف الاسكندرية وقد أثبتَها علماؤهم ودوّنوها في الكتب، فيها وَهَم، ومنها ما ذكره الحسن بن ابراهيم المصري قال: كانت الاسكندرية لشدّة بياضها لا يكاد يبين دخول الليل فيها إلا بعد وقتٍ، فكان الناس يمشون فيها وفي أيديهم خِرَقٌ سُود خوفاً على

أبصارهم، وعليهم مثل ليس الرُّهبان السواد، وكان الخياط يدخل الخيط في الإبرة بالليل، وأقامت الاسكندرية سبعين سنة ما يُسْرَجُ فيها ولا يُعرَف مدينة على عَرْضها وطولها وهي شطرنجية ثمانية شوارع في ثمانية، قلت" أما صفة بياضها فهو الى الآن موجود، فإن ظاهر حيطانها شاهدناها مبيّضة جميعها إلا اليسير النادر لقوم من الصعاليك، وهي مع ذلك مظْلمة نحو جميع البُلدان. وقد شاهدنا كثيراً من البلاد التي تنزل بها الثلوج في المنازل والصحارى وتساعدها النجوم باشراقها عليها إذا أَظلم الليل أَظلمت كما تُظْلم جميع البلاد لا فرقَ بينها، فكيف يجوز لعاقل أن يصدّق هذا ويقول به؟ قال: وكان في الاسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق، قال: وكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخاطب، رضي الله عنه: إني فتحتُ مدينة فيها أثنا عشر ألف بقّال يبيعون البقل الأخضر وأصبت فيها أربعين ألف يهودي عليهم الجزية. وروي عن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم لما ولي مصر وبلغه ما كانت الاسكندرية عليه استدعى مشايخها، وقال: أحِبُّ أن أعيدَ بناءَ الاسكندرية على ما كانت عليه فأعينوني على ذلك وأنا أُمدُّكم بالأموال والرجال. قالوا: أَنْظرنا الأيها الأمير حتى ننظرَ في ذلك. وخرجوا عن عنده وأجمعوا على أن حفروا ناووساً قديماً وأخرجوا منه رأس آدمي وحملوه على عجلة الى المدينة، فأمرَ بالرأس فكُسر وأخذ ضِرْسٌ من أضراسه فوجد وزنه عشرين رطلاً على ما به من النخرِ والقِدَم، فقالوا: إذا جئتنا بمثل هؤلاء الرجال نُعيد عمارتها على ماكانت، فسكَتَ.

ويقال: إن المعاريج التي بالاسكندرية مثل الدرَج كانت مجالس العلماء يجلسون عليها على طبقاتهم فكان أوضَعهُم علماً الذي يعمل الكيمياء من الذهب والفضة، فإن مجلسه كان على الدرجة السفلى".

٣- في كتاب «مروج الذهب» للمسعودي

المجلد الأول -- دار الفكر ط ٥ - ١٩٧٣ - بيروت.

ذكر [أخبار] الاسكندرية، وبنائها، وملوكها، وعجائبها

وما ألحق بهذا الباب

اختيار الموضع: ذكَرَ جماعة من أهل العلم أن الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده صار يختار أرضاً صحيحة الهواء والتربة والماء، حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فأصاب في موضعها آثار بنيان عظيم وعمداً كثيرة من الرخام، وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم

المُسْنَد - وهو العلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد - «أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد، شددت بساعدي البلاد، وقطعت عظيم العماد، من الجبال والأطواد، وأنا بنيت إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وأردت أن أبني ههنا كإرم، وأنقل إليها كل ذي إقدام وكرم، من جميع العشائر والأمم، وذلك إذ لا خوف ولا هرَم، ولا اهتمام ولا سقم، فأصابني ما أعجلني، وعما أردت قطعني مع وقوع ما أطال همي وشَجَني، وقل نومي وسكني، فارتحلت بالأمس عن داري لا لقهر ملك جبار، ولا لخوف جيش جرَّار، ولا عن رهبة ولا عن صَغار، ولكن لتمام المقدار، وانقطاع الآثار، وسلطان العزيز الجبار، فمن رأى أثري، وعرف خبري، وطول عمري، ونَفَاذ بصري، وشدة حذري، فلا يغتر بالدنيا بعدي، [فإنها غرارة تأخذ منك ما تعطي، وتسترجع ما تُولي]» وكلام كثير يُرِي فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون إليها.

ونزل الاسكندر [متفكراً] يتدبر هذا الكلام ويعتبره، ثم بعث فحشر الصناع من البلاد، وخط الأساس، وجعل طولها وعرضها أميالاً، وحشد إليها العمد والرخام، وأتته المراكب فيها أنواع الرخام. وأنواع المرمر والأحجار، من جزيرة صقلية، وبلاد إفريقية، وإقريطش، وأقاصي بحر الروم مما يلي مصبه [من] بحر أوقيانوس، وحمل إليه أيضاً من جزيرة رودس وهي جزيرة مقابلة للاسكندرية على ليلة منها في البحر، وهي أول بلاد الافرنجة، وهذه الجزيرة في وقتنا هذا، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة دار صناعة الروم، وبها تنشأ المراكب الحربية، وفيها خلق كثير من الروم.

ومراكبهم تطرق بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتُغيِر وتأسر وتسبي.

وأمَرَ الاسكندر الفَعَلَة والصناع أن يدوروا بما رسم لهم من أساس سور المدينة، وجعل على كل قطعة من الأرض خشبة قائمة، وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالا منوطة بعضها ببعض، وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام، وكان أمام مضربه، وعلّق على العمود جرساً عظيماً مصوتاً، وأمر الناس والقُوَّام على البَنَّائين والفَعَلَة والصناع أنهم إذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرساً صغيراً [حرصوا] على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختاره ذي طالع سعيد، فخفق الاسكندر برأسه وأخذته سِنَةٌ في حال ارتقابه الوقتَ المحمودَ المأخوذَ فيه الطالعُ، فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه، وخرج صوت الجرس وتحركت الحبال، وخفقت ما عليها من الأجراس الصغار، وكان ذلك معمولا بحركات فلسفية، وحيل حكمية، فلما رأى الصناع تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الأصوات وضعوا الأساس دفعة واحدة، وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس، فاستيقظ الاسكندر من رَقْدته وسأل عن الخبر، فأخبر بذلك، فعجب وقال: أردت أمراً وأراد الله غيره، ويأبى الله إلا ما يريد، أردت طول بقائها، وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك إياها.

وإن الاسكندرية لما أحكم بنيانها وأثبت أساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب من البحر فأتت على جميع ذلك البنيان، فقال الاسكندر حين أصبح: هذا بدء الخراب في عمارتها، وتحقق مراد الباري في زوالها، وتطير من فعل الدواب، فلم يزل البناء يُبْنَى في كل يوم ويحكم، ويوكل به من يمنع الدواب إذا خرجت من البحر، فيصبحون وقد أخرب البنيان، فقلق الاسكندر لذلك، وراعه ما رأى، فأقبل يفكر ما الذي يصنع، وأي حيلة تنفع في دفع الأذية عن المدينة، فسنحت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وإيراده الأمور وإصدارها، فلما أصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتاً من الخشب طوله عشرة أذرع في عرض خمس، وجعلت فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها خشب التابوت باستدارتها، وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الأطلية الدافعة للماء، حذراً من دخول الماء الى التابوت، وقد جعل فيها مواضع للحبال، ودخل الاسكندر في التابوت هو ورجلان معه من كتابه ممن له علم باتقان التصوير [ومبالغة فيه] وأمر أن تسد عليهم الأبواب، وان تطلى بما ذكرنا من الأطلية، وأمر فأتى بمركبين عظيمين، فأخرجا الى لجة البحر، وعلق على التابوت من أسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوي بالتابوت سفلا إذ كان من شأنه لما فيه من الهواء أن يطفو فوق الماء ولا يرسب في أسفله، وجعل التابوت بين المركبين، [فألصقهما بخشب بينهما لئلا يفترقا، وشد حبال التابوت الى المركبين] وطَوَّلَ حباله، فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر، فنظروا الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف في صفاء ماء البحر، فإذا هم بشياطين على مثال الناس رؤوسُهم على مثال رؤوس السباع، وفي أيدي بعضهم الفؤوس، وفي أيدي بعض المناشير والمقامع، يحاكون بذلك صناع المدينة والفَعَلة وما في أيديهم من آلات البناء، فأثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور وأحكموها بالتصوير في القراطيس، على اختلاف أنواعها وتشوه خلقتهم وقدودهم وأشكالهم، ثم حرك الحبال، فلما أحس بذلك مَنْ في المركبين جذبوا الحبال وأخرجوا التابوت، فلما خرج الاسكندر من التابوت وسار الى مدينة الاسكندرية أمر صناع الحديد والنحاس والحجارة فصنعوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صوّره الاسكندر وصاحباه، فلما فرغوا منها وضعت [الصور] على العُمُد بشاطىء البحر، ثم أمرهم فبنوا، فلما جن الليل ظهرت تلك الدواب والآفات من البحر، فنظرت الى صورها على العمد مقابلة الى البحر، فرجعت الى البحر ولم تعد بعد ذلك.

ثم لما بنيت الاسكندرية وشيدت أمر الاسكندر أن يكتب على أبوابها «هذه الاسكندرية، أردت أن أبنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات في الدهور، فلم يرد الباري عز وجل ملك السموات والأرض ومفني الأمم أن نبنيها كذلك، فبنيتها وأحكمت بنيانها، وشيدت سورها، وآتاني الله من كل شيء علماً وحكما، وسهل لي وجوه الأسباب، فلم يتعذر عليَّ شيء في العالم مما أردته، ولا امتنع عني شيء مما طلبته، لطفاً من الله عز وجل، وصنعاً بي، وصلاحا لي ولعباده من أهل عصري، والحمد لله رب العالمين، لا إله إلا الله رب كل شيء».

ورسم الاسكندر بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الأحداث بعده في مستقبل الزمان: من الآفات، والعمران، والخراب، وما يؤول إليه الى وقت دُثور العالم.

وكان بناء الاسكندرية طبقات، وتحتها قناطر مقنطرة، عليها دور المدينة، يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التي تحت المدينة، وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق، وتنفسات للضياء، ومنافذ للهواء.

وقد كانت الاسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح، لشدة بياض الرخام والمرمر، وأسواقها وشوارعها وأزقتها مقنطرة بها لئلا يصيب أهلها شيء من المطر، وقد كان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة ألوانها، بينها خنادق، وبين كل خندق وسور فصلان، وربما علق على المدينة شقاق الحرير الأخضر، لاختطاف بياض الرخام أبصارَ الناس لشدة بياضه.

فلما أحكم بناؤها، وسكنها أهلها، كانت آفات البحر وسكانه – على ما زعم الإخباريون من المصريين والاسكندريين – تختطف بالليل أهل [هذه] المدينة، فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير.

ولما علم الاسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على أعمدة هناك تدعى المسالّ، وهي باقية الى هذه الغاية، وكل واحد من هذه الأعمدة على هيئة السَّروَة، وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا، على عمد من نحاس وجعل تحتها صوراً وأشكالا وكتابة، وذلك عند انخفاض درجة من درجات الفلك وقربها من هذا العالم، وعند اصحاب الطلسمات من المنجمين والفلكيين، أنه إذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض اخرى في مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تأتي في هذا العالم فعل الطلسمات [النافعة] المانعة والدافعة، وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفي الكتب في هذا المعنى، ولهم في ذلك سر من أسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعاً له، ولغيرهم ممن ذهب الى أن ذلك للطف قوَى الطبائع التام وغير ذلك مما قاله الناس، وما ذكرنا من درج الفلك فموجود في كتب من تأخر من علماء المنجمين والفلكيين، كأبي معشر الباخي، والخوارزمي، ومحمد بن كثير الفرغاني، وما شاء الله، وحبش، واليزيدي، ومحمد بن جابر البُتَّاني في زيجة الكبير، وثابت بن قرة، وغير هؤلاء ممن تكلم في علوم هيآت الفلك والنجوم.

٤ – في «دائرة المعارف الإسلامية» – المجلد الثاني:

«الإسكندرية»: ويقال لها أحياناً الأسكندرية، كما يطلق عليها كثيراً سكَّندرية: أهم ثغور مصر، وقد كانت تعد في زمن البطالمة ثاني مدن العالم، وهي الآن من أهم المراكز التجارية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط. وقد بلغ سكانها حوالي ٤٠٠٠٠٠ نسمة منهم كثير من

الأجانب، وتقع الإسكندرية على الزاوية الغربية للدلتا، على خطر عرض ١١َ ٣٠ْ شمالا وخط طول ٥١َ ٢٩ْ شرقا. شيد هذه المدينة الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ قبل الميلاد، وكانت عند استيلاء العرب عليها حاضرة مصر. ومع أن نجمها أخذ في الأفول إلا أنها ظلت مدينة عظيمة زاهرة. ثم اضمحلت في عهد العرب وكادت تصبح خرابا. ولم تعد الى الانتعاش إلا في أوائل القرن الماضي. وتكاد تكون الاسكندرية الحالية مدينة عصرية جداً، وهي لهّذا السبب لا تحتاج منا الى وصف، كما أنها تقوم على أطلال إسكندرية العصور الوسطى التي لم يبق لنا منها إلا آثار ضئيلة.

تخطيطها: يتكون مرفأ الاسكندرية من شبه جزيرة كانت في الأصل جزيرة تسمى فاروس، يصلها بالشاطئ لسان طوله ٧ ستاد، وهو يعرف لهذا السبب باسم هيتا ستاديوم [أي ذي السبعة ستاد] Heptastadium. وتقع المنارة الكبيرة التي بناها بطلميوس سوتر في الشمال الغربي من جزيرة فاروس، وهي المنارة الشهيرة التي تعتبر النموذج الذي شيدت على مثاله جميع مناراتنا، وهي التي يعدها الجميع إحدى عجائب الدنيا، وقد بقيت قائمة بعد الفتح العربي بعدة قرون. وأطلق عليها كتاب العرب اسم «منارة» أو «منار». ورواياتهم تقول إنها بناية رحبة شاهقة من الحجر الأبيض مربعة الشكل ضخمة التركيب، يقوم عليها عمود من الآجر والملاط على هيئة البرج المثمن يستدق شيئاً شيئاً الى أن يصبح برجاً مستديراً تتوجه قبة يختلف الرواة في مقدار ارتفاعها. ويقال أيضا أن هذه المنارة قد خربها الزلزال، وإنها رممت مرات متعددة في العهد الاسلامي. كما سقط جزء كبير منها عام ٧٢٤هـ (١٣٢٤م)، ولكن يظهر أن بعضها ظل قائما بعد ذلك بقرن من الزمان ثم تقوضت تماما بعد ذلك بقليل.

وفي عام ٨٨٢هـ (١٤٧٧م) شيد قايتباي على انقاضها قلعة المنارة.

وكان المرفأ الواقع في شرقي شبه الجزيرة المرفأ الأساسي للاسكندرية الذي كان يستعمل عادة في العهد الاسلامي، على عكس ما يروي أحياناً. ولم تكن تلجأ الى المرفأ الغربي حتى القرن السابع عشر الميلادي، إلا المراكب الحربية، ثم استعملته السفن التجارية بعد ذلك. اما سفن المسيحيين فلم يكن يسمح لها بالدخول فيه حتى عام ١٨٠٣كم. واللسان الذي كان في الأصل ضيقاً جداً اتسع بمرور الزمن من جراء تراكم الطمي، حتى تحول الى برزخ يبلغ اتساعه ما يقرب من ثلاثة أربا ع الميل، ولم تقم عليه المباني في القرون الوسطى.

وتقع المدينة نحو الجنوب على قعطة من الأرض مستطيلة الشكل مساحتها ٣×١ كيلومتر، وظلت أسوارها قائمة الى عام ١٨١١م. وتتكون هذه الأسوار من حائط خارجي يبلغ ارتفاعه حوالي عشرين قدماً، وخلفه من معظم الجهات سور داخلي أكثر ارتفاعا وسمكا، يبعد عن الأول من ٢٠ الى ٢٥ قدما. وكانت آبراج كثيرة تقوم على كل من السورين. ومن الوسائل الأخرى التي

حصنت بها هذه المدينة خندق يملأ من ماء النيل وقت الحاجة. وللاسكندرية أبواب كثيرة: باب البحر، ويوصل الى اللسان. وباب رشيد، وباب السدرة في بداية الطريق الى المغرب، والباب الأخضر المؤدي الى المقابر. وقد رممت الأسوار في عهد بيبرس كما رممت ثانية عام ٧٠٣هـ (١٣٠٣م) إثر زلزال دمر سبعة عشر برجاً من أبراجه، وقد أصلحت الأبراج في عهد الغوري أيضا . وكل هذه المنشآت مثال عجيب من وسائل التحصين في العصور الوسطى. وليس في مقدورنا أن نقول متى بنيت على وجه التحقيق ويقوم بعيداً عن هذه المنشآت حصن يطلق عليه برج الرومان يشاهد الآن بالقرب من سكة حديد الرمل. وإذا ضممنا روايات مصنفي العرب بعضها الى بعض، من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر الميلادي، أمكننا أن نكوّن وصفاً عاماً للمدينة نفسها . فقد قيل إنها خططت تخطيطاً منتظماً، فهي عبارة عن ثمان طرقات مستقيمة تقطعها ثمان آخرى على زرايا قائمة، مما يجعل لها شكل رقعة الشطرنج. وكانت جميع طرقاتها فوق ذلك مستقيمة ممتدة، على عكس الطرقات الملتوية والدروب المنعطفة المألوفة في المدن الشرقية. وتقوم في شوارعها العمد، كما كانت هذه العمد تقوم في جميع المباني، وغالبها من الرخام الذي كان يستعمل في البناء وفي رصف الطرق الرئيسية. وكان بها طريق تجاري يقال إن طوله فرسخ، كله من الرخام جدرانه وأرضه. وكانت العمد والأحجار في الغالب هائلة الحجم، وكانت كتل كبيرة منها توضع على ارتفاع شاهق. وتبدو دقة الصنعة وجمال الألوان وتنوعها فيما أخرجته أيادي صناعها . مثال ذلك ما يقال من أنه كانت هناك بعض العمد التي تشبه الزمرد والبعض الآخر الذي يشبه العقيق وكلها مصقول تفنن فيه الصانع. وكان في داخل المدينة حدائق من الكروم وشجر الجميز. ومما تتميز به المدينة أيضا أن منازلها كانت تقوم على قناطر مستندة على عمد بعضها فوق بعض الى الطبقة الثالثة، والغرض من بنائها على هذه الصورة أن تكون بمثابة الصهاريج لخزن المياه من النيل والأمطار التي تغزر في الاسكندرية نوعاً ما .

٥- في «دائرة المعارف»

المعلم بطرس البستاني، المجلد الثالث، دار المعرفة، بيروت، ص ٥٧٢ – ٥٧٧ .

إسكَنْدَرِيَّة

Alexandria, Alexandrie

اسم لعدة مدن منها ما بناهُ الاسكندر ومنها ما بناهُ غيرهُ وقد ذكر ياقوت في المعجم المدن التي بناها الاسكندر فقال «قال أهل السير بنى الاسكندر ثلاث عشرة مدينة وسماها كلها باسمه ثم تغيرت اساميها بعدهُ وصار لكل واحدةٍ منها اسم جديد فمنها الاسكندرية التي بناها في اورنقوس ومنها الاسكندرية التي بناها في *** ومنها الاسكندرية التي بناها في*** وتدعى المحصنة ومنها الاسكندرية التي بناها ببلاد الهند ومنها الاسكندرية التي في جاليقوس ومنها الاسكندرية التي في بلاد السقوياسيس ومنها الاسكندرية التي على شاطئ النهر الأعظم ومنها الاسكندرية التي بأرض باب ومنها الاسكندرية التي هي ببلاد الصُّغد وهي سمرقند ومنها الاسكندرية التي تُدْعىَ مَرغبلوس وهي مرو ومنها الاسكندرية التي في مجاري الانهار بالهند ومنها الاسكندرية التي سميت كوش وهي بلخ ومنها الاسكندرية العظمى التي ببلاد مصر فهذه ثلاث عشرة اسكندرية نقلتها من كتاب ابن الفقيه كما كانت فيه مصورة. الى ان يقول وليس فيها ما يعرف الآن بهذا الاسم إلا الاسكندرية العظمى» وذكر بوليه في قاموس التاريخ والجغرافية ان مدناً كثيرة تسمى بالاسكندرية وقد كان منها في الازمان المتوغلة في القدم نيف وسبعون مدينة سميت كلها باسم الاسكندر ذي القرنين لأن منها ما بناها ومنها ما وسعها وجعل فيها سكاناً وأشهرها بعد اسكندرية مصر اسكندرية اراخوسيا على نهر اراخوتس قيل هي قندهار واسكندرية آرية وقيل هي هراة. واسكندرية آسيا الصغرى وهي الاسكندرونة واسكندرية بقطريانة على نهر اكسوس وهي صالي سراي واسكندرية الكلدان وتسمى الآن مشهد علي واسكندرية قبرس على الساحل الشمالي من تلك الجزيرة وهي الآن خراب واسكندرية الهند قرب بارو باميسوس على نهو خواس وقد اكتشف ماسون آثارها سنة ١٨٣٣ وتعرف الآن بشهر يونان، واسكندرية الهند ايضا عند ملتقى السند وشنآب وتعرف الآن بوه اومتان واسكندرية الصغد وتعرف باسكندرية ابسخاتا اي البعيدة جداً بناها الاسكندر في سكيثيا على نهر يكسرتس وتعرف الآن بخوقند وقال ياقوت سمرقند. واسكندرية شوشانة عند مصب نهر دجلة، اطلب خاركس. واسكندرية ترواس وهي مدينة في ترواذة في آسيا الصغرى وتعرف باسكي استانبول أي استانبول العتيقة.

اما الاسكندرية العظمى فهي مدينة شهيرة في مصر واعظم المدن المصرية بعد القاهرة واقعة على البحر المتوسط على ماسفة ١١٢ ميلاً من القاهرة الى الشمال الغربي في ٢١ درجة و ١١ دقيقة و٥٩ ثانية من العرض الشمالي و ٢٨ درجة من الطول الشرقي وهي قائمة على لسانٍ بين بحر الروم وبحيرة ماريوتيس المسماة الآن مريوط. وقد اختلفوا في اول من أنشأ الاسكندرية، قال ياقوت «ذهب قوم الى انها (الاسكندرية) إرَم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد

روي عن النبي (صلعم) أنه قال خير مسالحكم الاسكندرية ويقال ان الاسكندر والفَرَما اخوان بنى كل واحد منهما مدينة بأرض مصر وسماها باسمه ولما فرغ الاسكندر من مدينته قال قد بنيت مدينة الى الله فقيرة وعن الناس غنيّة فبقيت بهجتها ونضارتها الى اليوم وقال الفرما لما فرغ من مدينته قد بنيت مدينة عن الله غنية والى الناس فقيرة فذهب نورها فلا يمرٌ يوم الا وشيء منها ينهدم وارسل الله عليها الرمال فدمّتها الى ان دثرت وذهب أثرها» وقال المقريزي «أول ما بنيت (اي الاسكندرية) بعد كون الطوفان في زمان مصرايم بن بيصر بن نوح وكان يقال لها اذ ذاك مدينة رقودة ثم بنيت بعد ذلك مرتين فلما كان في ايام اليونانيين جددها الاسكندر بن فيلبس المقدوني» وقيل في بنائها غير ذلك مما لا حاجة الى ذكره لطوله وعدم الاعتماد عليه. وقد اجمع المؤرخون الصادقون على ان الاسكندر بناها بعد ان خرب مدينة صور سنة ٣٣٢ قبل الميلاد واستولى على بلاد مصر فسماهما باسمه واسم الذي عهد اليه الاسكندر بناءَها دينوكراتس او دينوخارس فاحسن عمارها واقام فيها سوقين تتخللانها عرض كل منهما مائة قدم ونيف احداهما تمتد من الشمال الى الجنوب من باب كانوب اللى باب نكروبول والاخرى من الشرق الى الغرب من باب الشمس الواقع على البحيرة الى باب القمر الواقع على المرفأ الكبير وكان طول الاولى أكثر من فرسخ والثانية ثلثي الفرسخ وكان على جانب كل منهما اعمدة وهياكل وقصور واقيم على جزيرة فاروس منارة مرتفعة جداً ووُصلت الجزيرة نفسها بالمدينة برصيف فصل المرفأ الداخلي عن المرفأ الخارجي. وجعل له جسور منتقلة لتتمكن السفن من المرور فيه. ويقال ان بطليموس فيلاذلفوس الذي تملك مصر سنة ٢٨٥ ق م هو الذي بنى ذلك الرصيف وكان طوله نحو ١٢٠٠ متر وتعرف الجزيرة الآن بناحية رأس التين. اما السوقان المقدم ذكرهما فكانتا تقسمان المدينة الى أربعة احياء كبيرة يتخللها ايضا اسواق دون السوقين الكبيرتين في الطول والعرض الا انها كانت كافية لمرور المشاة والفرسان والمركبات. وكان اكبر تلك الاحياء حي بروخيوم في الطرف الشرقي من المدينة بين السوق الكبيرة والبحر وكان ينتهي غرباً بالنصف الشمالي من السوق المنحرفة ويشتمل على البانيوم والجمناسيوم اي محل الصمارعة وسوما. وهناك كانت عظام الاسكندر موضوعة في اناء من الذهب وقبور الملوك البطالسة وكان فيها ايضاً الموزيوم وهو محل المعارف والآداب والمكتبة والثياترو اي محل الالعاب وقصر الملوك البطالسة مزيناً بمسلّتين وهما قديمتا العهد ولم تزالا موجودتين الى هذه الايام وتعرفان بابرتي كليوبطرة احداهما قائمة والثانية ملقاة على الارض. اما آثار بروخيوم فهي قرب شعبة الترعة الجديدة التي تصب وراء باب رشيد وكان قبالتهُ الى الجهة الغربية على مسافة من السوق المنحرفة في موقع قرية رقودة القديمة الهيكل المبني من الرخام الأبيض المسمى سيرابيوم باسم سيرابيس احد الهة المصريين وصاحب جهنم عندهم وكان ذلك الهيكل قائما على رابية فهدمه ثيوفيلوس بطريرك الاسكندرية سنة ٢٩١ للميلاد. اما عمود سفيروس فكان في نفس ذلك الموقع ويعرف بعمود بومبيوس وهو باقٍ الى الآن ولكنه اقيم بعد الابنية المقدم ذكرها. وكان هيكل قيصر يوم قرب

العمود المسمى مسلة فرعون وكان بالقرب من المينا الشرقي البورس وهو المكان الذي يجتمع فيه التجار للمفاوضة في الاشغال وهيكل نبتون اله البحر وكثير من الأماكن العمومية والهياكل. وكان في الجهة الشرقية من المدينة محال الالعاب الصراعية المسماة جمناسيوم والمحكمة والمدافن وبيوت التحنيط وعددها ١١ بيتاً. ويمتد على بعد من المدينة الى الجهة الغربية أرض أو صخرٌ حفرت فيه أبواب قبور ثم حفر بعد ذلك في القرون الاولى للميلاد كنائس مرتبة يزورها السيّاح مستضيئين بالمصابيح وحفر في الصخور الواقعة على شاطئ البر حفر صناعية على شكل مغتسلات تعرف بحمامات كليوبطرة ويقال انها كانت تستعمل لغسل الموتى قبل دفنهم في القبور. وكان محيط الاسكندرية خمسة أميال.

وذكر القزويني وياقوت عن بناء الاسكندرية ما ملخصهُ «ذكر جماعة من أهل العلم ان الاسكندري المقدوني لما استقام امرهَ في بلادهِ سار لكي يختار أرضاً صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فاصاب فيها اثر بنيان وعمداً كثيرة من الرخام في وسطها عمود عظيم مكتوب عليه بالقلم المسند وهو القلم الاول من اقلام حمير وملوك عاد. انا شداد بن عاد شددت بساعدي الواد وقطعت عظيم العماد وشوامخ الجبال والاطواد وبنيت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد واردت ان ابني هنا مدينة كارم وانقل اليها كل ذي قدم وكرم من جميع العشائر والأمم وذلك إذ لا خوف ولا هرَم ولا اهتمام ولا سقم فأصابني ما أعجلني وعما أردت قطعني مع وقوعه طال همي وشَجَني وقل نومي وسكني،فارتحلت بالأمس عن داري لا لقهر ملك جبار ولا لخوف جيش جرَّار ولا عن رهبة ولا عن صغار ولكن لتمام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فمن رأى أثري وعرف خبري وطول عمري ونَفَاذ بصري وشدة حذري لا يغتر بالدنيا بعدي فإنها غرّارة وغدّارة تأخذ منك ما تعطي وتسترجع ما تُوتي. وكلام كثير يُري فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون إليها.

فنزل الاسكندر متفكراً يتدبر هذا الكلام ويعتبره وقيل انه دخل هيكلا عظميا كان لليونانيين فذبح فيه ذبائح كثيرة وسأل ربه ان يبين له امر هذه المدينة هل يتم بناؤها او ما يكون امرها فرأى في منامه كأن رجلا قد ظهر له من الهيكل وهو يقول له انك تبني مدينة يذهب صيتها في اقطار العالم ويسكنها من الناس ما لا يحصى عددهم وتختلط الرياح اطيبة بهوائها ويثبت حكم اهلها وتصرف عنها السموم والحر وتظوى عنها قوة الحر والبرد والزمهرير ويكتم عنها الشرور حت لا يصيبها من الشياطين خبلٌ وان جلبت اليها ملوك الارض بجنودهم وحاصروها لم يخدل عليها ضرَرٌ فبعث يحشر الصناع من البلاد وخط الأساس وجعل طولها وعرضها أميالا وجمع إليها العمد والرخام وأتته المراكب فيها أنواع الرخام وأنواع المرمر والأحجار من جزيرة صقلية، وبلاد إفريقية وإقريطش (كريت) وأقاصى بحر الروم مما يلي مصبه في بحر الأوقيانوس وحمل إليه أيضاً من جزيرة رودس فبناها وسماها الاسكندرية ثم رحل عنها بعد ما استتم بناءها فجال

في الارض شرقاً وغرباً ومات بشهرزور وقيل ببابل (وهو الاصح) وحمل الى الاسكندرية فدفن فيها.

ولم يكن للاسكندرية ماء يشرب فحفرت قناة جر فيها ماء النهر الى المدينة وكانت المياه تجمع في مغائر مبنية في قلب الارض. وكان بناؤها من الامور العجيبة في الاسكندرية ويرى منها الآن ما قبته معضودة بصفين من الاعمدة الا انها مع تمادي الايام فقدت رونقها وادارة تلك المغائر ليست منتظمة فلا تنظف جيداً ويصل اليها الماء بعد تنظيفها مختلطاً بالاوحال ويرى فيها انيةٌ واحياناً حيوانات منتنة ولها من أعلى فتحات مثل ابواب الآبار مرتفعة عن الارض بضع اقدام وهي منافذ للغبار والرمال ويطرح منها في المغائر عظام واجياف بشرية فتفسد وتنتن. ومن تلك المغائر ما يجعل على قبتها قبور ولذلك ترى ماءها غير عذبٍ ومتى فاضت مياه القناة ودخلت المغائر تحدث في جلد من يشربها بثوراً شبيهة بحبة حلب الا انه قد استغنى الآن عنها بالماء الذي جلبته شركة انكليزية من ترعة المحمودية.

٦- في «موسوعة المدن العربية والإسلامية»

د/ يحيى شامي - دار الفكر العربي - بيروت ١٩٩٣ - ص ١٩٢ - ١٩٤.

«والإسكندرية مدينة تاريخية قديمة كان يطلق عليها اسم الإسكندرية العظمى، قيل إنها إرم ذات العماد، وقيل بناها في سنة ٣٣٢ ق. م الاسكندر المقدوني، أمر ببنائها بعد أن دخل هيكلاً عظيماً فذبح فيه ذبائح كثيرة وسأل ربه ان يبين له أمر هذه المدينة هل يتم بناؤها أم لا، فرأى في منامه كأن رجلاً قد ظهر له وهو يقول: إنك تبني مدينة يذهب صيتها في أقطار العالم، وتختلط الرياح الطيبة بهوائها، وتصرف عنها السموم والحرور، ويكتم عنها الشرور. فبناها وسماها الاسكندرية، ثم رحل عنها، ولما مات حمل إليها فدفن فيها.

وقالوا إن الاسكندرية كانت تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض رخامها ومرمرها، وكانت أسواقها وشوارعها وأزقتها مقنطرة بها لئلاً يصيب أهلها شيء في المطر، وقد كانت عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة ألوانها. وكان من أهم معالم الاسكندرية منارتها المعروفة باسمها، وكانت احدى عجائب الدنيا السبع.

قيل إنها بنيت على كرسي من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر، وعلى طرف اللسان الذي هو داخل في البحر من البر، وكان على أعلاها تماثيل من نحاس، منها تمثال يشير بسبابته نحو الشمس أينما كانت من الفلك، ومنها تمثال يشير الى البحر بيده إذا صار العدو منه على نحو من ليلة فإذا دنا وجاز أن يرى بالبصر سمع لذلك التمثال صوت هائل فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم، ومنها تمثال كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتاً

يختلف عن الصوت في الساعة التي قبلها.

إشتهرت الاسكندرية بمكتبتها الغنية وبالمدرسة اللاهوتية والفلسفية في القرنين الثاني والثالث للميلاد ومن أشهر علمائها إكليفضوس وأثناسيوس وأفلوطين، فتحت الاسكندرية عنوة في سنة ٢٠ هـ في أيام عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص(*)».

(*) الحنبلي، ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢٨/١

٧- في «تاريخ الطبري»

(تاريخ الأمم والملوك)

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – ص ٥١٢ – ٥١٣ – المجلد الثاني ١٩٨٨ – دار الكتب العملية – بيروت.

«ذكر الخبر عن فتحها وفتح الاسكندرية»

"قال أبوجعفر: قد ذكرنا اختلاف أهل السِّيَر في السنة التي كان فيها فتح مصر والاسكندرية، ونذكر الآن سبب فتحهما، وعلى يدي من كان، على ما في ذلك من اختلاف بينهم أيضا، فأما ابنُ اسحاق فانه قال في ذلك ما حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة عنه، أنّ عمر رضي الله عنه حين فرغ من الشام كلّها كتب الى عمرو بن العاص أن يسير الى مصر في جُنده، فخرج حتى فتح باب اليون في سنة عشرين.

قال: وقد اختُلف في فتح الإسكندرية، فبعض الناس يزعم أنها فتحت في سنة خمس وعشرين، وعلى سنتين من خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وعليها عمرو بن العاص.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن اسحاق، قال: وحدّثني القاسم بن قُزْمان – رجل من أهل مصر – عن زياد بن جَزْء الزُّبيديّ، أنه حدّثه أنه كان في جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر والإسكندرية، قال: افتتحنا الاسكندرية في خلافة عمر بن الخطاب في سنة احدى وعشرين – أو سنة اثنتين وعشرين – قال: لما افتتحنا باب الُيون تدنّينا قُرى الرّيف فيما بيننا وبين الاسكندرية قريةً فقريةً، حتى انتهينا الى بَلْهيب – قرية من قرى الريف، يقال لها قرية الريش – وقد بلغت سبايانا المدينة ومكّة واليمن.

قال: فلما انتهينا الى بَلْهيب أرسل صاحب الاسكندرية الى عمرو بن العاص: إنّي قد كنت

أخرج الجزية الى من هو أبغض إليّ منكم معشر العرب لفارس والروم، فإن أحببتَ أن أعطيَك الجزية على أن تردّ عليّ ما أصبتم من سَبايا فعلتُ.

قال: فبعث إليه عمرو بن العاص: إنّ ورائي أميراً لا أستطيع أن أصنع أمراً دونه، فإن شئتَ أن أمسك عنك وتُمسِك عنِّي حتى أكتب إليه بالذي عرضتَ عليّ، فإن هو قبِل ذلك منك قبلتُ، وإن أمرني بغير ذلك مضيتُ لأمره. قال: فقال: نعم. قال: فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب – قال: وكانوا لا يُخفون علينا كتاباً كتبوا به – يذكر له الذي عرض عليه صاحب الاسكندرية. قال: وفي أيدينا بقايا من سبيهم. ثم وقفنا ببلهيب، وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا، فقرأه علينا عمرو وفيه: أما بعد، فإنه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الاسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن تردّ عليه ما أصيب من سبايا أرضه، ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحبُّ إليّ من فيء يقسَم، ثم كأنّه لم يكن، فأعرض على صاحب الاسكندرية أن يعطيَك الجزية، على أن تُخيّروا مَنْ في أيديكم من سَبْيهم بين الاسلام وبين دين قومه، فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين، وله ما لهم وعليه ما عليهم، ومن اختار دين قوه، وُضع عليه من الجزية ما يوضَع على أهل دينه، فأما من تفرّق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكّة والمدينة واليمن، فإنا لا نقدر على ردّهم، ولا نحبّ أن نصالحه على أمر لا نَفِي له به. قال: فبعث عمرو الى صاحب الاسكندرية يعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين. قال: فقال: قد فعلتُ. قال: فجمعنا ما في أيدينا من السبَايا، واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرّجل ممن في أيدينا، ثمّ نخيّره بين الاسلام وبين النصرانيّة، فإذا اختار الاسلام كبّرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفُتح القرية، قال: ثم نحوزه إلينا، وإذا اختار النصرانيّة نخرت النصارى، ثم حازوه إليهم، ووضعنا عليه الجزية».

٨- في «مكتبة الإسكندرية القديمة: سيرتها و مصيرها»

"LIFE AND FATE OF THE ANCIENT LIBRARY OF ALEXANDRIA" - P. 32 - 38

الدكتور مصطفى العبادي – اليونسكو – باريس ١٩٩٢

«إن بحوثاً حديثة قد أثارت الشكوك حول إمكان الاعتماد التقليدي على كتاب أريانوس (١) ومصدره بطليموس، عن سيرة الاسكندر في الوقت الذي يمكن الاستفادة من الكتابات الشعبية المشكوك بها عند سرد حياة الاسكندر. وهكذا اكتسبت سيرة الاسكندر شبه التاريخية إلى كاليستنس CALLISTHENES بأنها ذات قيمة ذاتية، خاصة في الاخبار المتعلقة بمصر، فبالنسبة لمسألة تأسيس الاسكندرية، نجدها فيما يبدو مستمدة من أوساط مطلعة على دخائل

الأمور. فمنها نعرف ان الاسكندر عقد مباحثات مع مجموعة من الاستشارين والمعماريين، نذكر منهم كليومينيس من نقراطيس ودينوقراطيس من رودس وكراتيروس من أولينثوس وهيرون من ليبيا. ومن سوء الحظ أنها لا تخبرنا بما دار أثناء هذه المناقشات، ولكن ملاحظة وردت على لسان هيكاتايوس من أبديرا Hecataeus of Abdera - الذي كان معاصراً للاسكندر - قد تلقي ضوءا على ما قد دار من مناقشات. فهو يصف ساحل مصر الشمالي بأنه «بلا ميناء تقريبا» وبعد مرور نصف قرن يعيد أراتوسثنيس الملاحظة ذاتها ويضيف حتى الميناء الذي كان لمصر، «ميناء فاروس لا يسمح بدخول مصر»، مما زاد من صعوبة الوصول الى مصر من البحر.

يبدو أن هذا المنحى من التفكير ربما هو الذي ساد بين الاسكندر ومستشاريه. فيبدو من المؤكد غالباً أنه كان هناك ميناء في جزيرة فاروس، ويكفي أن نذكر أبيات هوميروس التي تشير الى رحلة مينيلاوس أثناء عودته من طروادة، وأنه توقف «عند جزيرة في البحر الزاخر أما «إيجبتوس»، ويسمونها فاروس، على مسافة يوم واحد تقطعه السفينة، تدفعها ريح مؤاتية. يوجد بها ميناء له مراسي جيدة، منها يقود البحار سفنهم شامخة الى البحر».

يتضح من هذه المعلومات القليلة المتفرقة حقيقتان: الأولى، أن البحارة الاغريق وجدوا مشقة في الدخول الى مصر من البحر، نظرا لأن الساحل الشمالي للبلاد كان يفتقر الى ميناء آمن دائم. ثانيا، أن الميناء الوحيد المتاح أمامهم لتوقف سفنهم قبل دخول مصر، كان ميناء جزيرة فاروس، والذي كان معروفا للأغريق منذ القرن الثامن ق. م. إن لم يكن قبل ذلك.

ويخبرنا هيرودوت ان جميع السفن اليونانية، على الأقل منذ القرن السادس ق. م.، كانت ملزمة بأن تدخل مصر عن طريق مصب فرع كانوب (أبي قير حاليا)، والذي يبعد عن فاروس مسافة ثلاثين كيلومترا تقريبا. وقد لا نجانب الصواب إذا أوردنا هنا استطرادا سريعا حول جغرافية هوميروس. فمن المعروف أن المسافة التي تفصل فاروس عن الساحل المصري أمامها مباشرة تبلغ ميلا واحدا، ويمكن أن تقطعها السفينة في أقل من ساعة، وليس في يوم كامل كما ورد في فقرة هوميروس سالفة الذكر. لتفسير هذا التناقض الظاهري، يجب أن ندرك أن هوميروس حين يقول «إيجبتوس» هنا، إنه يشير الى «إيجبتوس، النهر الذي تغذيه السماء» كما ورد في موضع آخر من الأوديسة، لأن اسم النيل لم يرد في أشعار هوميروس وأقرب مدخل له هو مصب فرع كانوب، ويستغرق الوصول اليه من فاروس رحلة يوم مع ريح مؤاتية.

وعند كانوب، كانت تجبى الرسوم الجمركية حسب ما ورد في قرار الملك نكتانيبو الأول (٣٧٨ - ٣٦٠ ق. م.)، وكما سبق أن ذكرنا كان الميناء الوحيد الذي كان باستطاعة السفن اليونانية أن ترسو فيه قبل دخولها الى النيل هو ميناء فاروس. ويؤكد هذه الحقيقة وجود آثار أرصفة ميناء في البحر الى شمال وغرب الجزيرة أما عن الساحل الذي تقع أمامه الجزيرة، فان الرواية التاريخية اليونانية، كما سجلها استرابون والمدونات المنسوبة لكاليسثنيس تشير الى وجود عدد

من القرى، التي كانت أكبرها راقودة. وقد كانت لها وظيفة عسكرية لحماية مدخل الدلتا من ناحية الغرب، من البر والبحر معا.

ولا شك أن البحارة والتجار اليونانيين - قبل الاسكندر بعدة قرون - كانوا على اطلاع تام بالسواحل المصرية الشمالية، وخاصة منطقة كانوب وجزيرة فاروس وقرية راقودة، وكانوا مدركين لامكانياتها الملاحية. فمنذ القرن السابع ق. م. والاغريق يستقرون في مصر باعداد متزايدة، في دافني (قرب دمياط) ومنف ونقراطيس (قرب دمنهور). وفي الوقت نفسه كانت الانشطة التجارية بين البلدين في تزايد مستمر، وان ثروات كبيرة أمكن تحقيقها من قبل التجار اليونانيين كما تشير فقرة من اشعار باخيليدس من القرن الخامس ق. م.، بقيت لنا على بردية قديمة. وفيها يصور أحلام فتى قد لعبت بلبه الخمر، «فكأن منزله يزخر بالذهب والعاج وكأنه صاحب سفن مشحونة قمحا تسري على صفحة البحر المتلألئ، جالبة له الثروة العريضة في مصر».

كان هؤلاء البحارة والتجار والمقيمون في حاجة الى ميناء صالح مستديم، لأن المراسي التي كانت موجودة عند كانوب والفرما (بيلوزيوم Peluseum) لم تكن كافية ولا صالحة لأغراض الملاحة الكبرى المنتظمة. فقد كانت ضحلة وغير مستديمة لوقوعها عند مناطق تراكم طمي نهر النيل عند مصباته. وكان ترسيب الطمي يتجه اتجاها شرقيا بتأثير تيار بحري يسير من الغرب الى الشرق على طول الساحل المصري الشمالي. ومن ثم يجب أن يكون موقع الميناء الأمثل لمصر في غرب الدلتا، حتى لا يتعرض لتأثير طمي النيل.

ولم يكن الاسكندر رجل بحر من حيث التربية والتدريب، ولكنه كان رجلا ذكيا لا يتردد في طلب مشورة ورأي الخبراء، أنه قد اجتمع بخبرائه كما ذكرنا، واستمع الى مناقشاتهم بشأن الظروف الطبيعية والمناخية مثل اختيار الموقع المناسب للميناء الجديد. ولابد قد طرح في هذه المناقشات الاقتراح الواضح ببناء جسر يصل جزيرة فاروس بالساحل قرب قرية راقودة غرب الدلتا. فبهذا العمل تتحقق الحماية اللازمة للميناء الجديد (الشرقي) من تأثير التيار البحري، وفي الوقت نفسه تمثل جزيرة فاروس في امتدادها حاجز أمواج طبيعي ضد تأثير الرياح الشمالية (الأتيسية). بالاضافة الى ميزات أخرى واضحة، لأن بحيرة مريوط الى الجنوب تيسر الاتصال المباشر بالنيل، كما أن قناة قصيرة من الفرع الكانوبي تحل مشكلة تزويد المدينة بالماء النقي بصورة منتظمة. ولا جدال أن ذلك كان أفضل اختيار لموقع يقام عليه أنسب ميناء لمصر على ساحل البحر المتوسط.

بناء على ذلك فقد اتُخذ القرار، وكلف المهندس دينوقراط بوضع تصميم المدينة الجديدة. ثم استأنف الاسكندر رحلته غربا لتحقيق بغيته في الحج الى معبد الإله آمون في سيوة خلال شتاء ٣٣٢ - ٣٣١ ق. م. وفي طريق العودة توقف ثانية عند موقع الاسكندرية لمعاينة واقرار مخطط المدينة كما رسمه دينوقراط. ثم عين كليو مينيس من نقراطيس - وزير ماليته في مصر - مشرفا

على التنفيذ ومسؤولا عن دفع النفقات اللازمة لأعمال الانشاءات في المدينة. ويعتقد أن يوم التأسيس كان في ٧ أبريل ٣٣١ ق. م. ومنذ ذلك التاريخ أضحت الاسكندرية أهم ميناء في مصر.

إن خطة الاسكندر في تأسيس مدنه واضحة بسيطة حيث أنها كانت تتضمن عادة اقامة حامية عسكرية مقدونية مع مجموعات من السكان المحليين، يضاف اليهم عدد من اليونانيين. ومن الواضح ان هذه العناصر توفرت في حالة الاسكندرية: جالية مقدونية، وسكان مصريون من راقودة والقرى المجاورة، وكذلك إغريق من المستقرّين في نقراطيس ومنف. أثناء حياة الاسكندر كانت المدينة تحت ادارة كليومينيس النشطة الكفؤة، فنمت بسرعة الى ميناء مزدهر قادر على الوفاء بكل متطلبات تجارته العالمية في القمح. أما متى أصبحت الاسكندرية عاصمة لمصر – ولمدة ألف عام تقريبا بعد ذلك؟ فهو سؤال أثار جدلا بين العلماء. ولعل من المحتمل أن الاسكندر نفسه كان قد عزم على أن تكون العاصمة، كما يفهم من عبارة وردت في السيرة الشعبية التي كتبها يوستينوس، فهو يقول انه عند عودة الاسكندر من سيوة «أسس الاسكندرية، وأمر بأن تكون مستوطنة مقدونية وعاصمة لمصر» ومما يؤيد هذا التفكير، أن دار سك العملة في مصر أقيمت في الاسكندرية، وليس في العاصمة القديمة منف. أما الانتقال الفعلي لأجهزة الادارة والحكم الى المدينة الجديدة فلابد من الانتظار بعض الوقت، ريثما تتم الاجراءات والانشاءات اللازمة. ويبدو أن ذلك لم يتم انجازه الى ما بعد وفاة الاسكندر في ٣٢٣ ق. م، حين خلفه في مصر قائده بطليموس بن لاجوس، الذي قام بنقل مقر حكمه وادارته الى الاسكندرية في ٣٢٠ ق. م.

هوامش للايضاح

١- أريانوس أو أريان (٩٥ - ١٨٠م) ARRIAN, LAT. FLAVIUS ARRIANUS

مؤرخ وفيلسوف يوناني من مواطني نيكوميديا NECOMEDIA في بيثينا BITHYNIA (١/١)، عاش في عهد الامبراطور الروماني هادريان (٢/١) الذي عينه حاكما لمقاطعة كابادوكيا (٣/١). كتب ٨ مؤلفات، بقيت منها أربعة، أشهرها "تاريخ حملات الاسكندر الكبير "ANABASIS ALEXANDROU" (HISTORY OF THE CAMPAIGNS OF ALEXANDRIA THE GREAT) ويقول إنه اعتمد في تأليفه على ما كتبه بطلميوس الاول PTOLEMY, I والذي اعتبر أنه لولا هذا الكتاب لكانت معلوماتنا عن الاسكندر ضئيلة.

(١/١) : بيثينيا BITHYNIA :

مملكة قديمة تشكل حاليا القسم الشمالي الغربي من تركيا. استعمرتها اليونان ثم أصبحت جزءا من امبراطورية ليديا ثم الفرس عام ٥٤٦ ق.م. ثم مقدونيا في عهد الاسكندر الاكبر، وأصبحت بعد ذلك ولاية رومانية اثناء حكم بومبي، وظلت في حكم الرومان الى ان اجتاحها الاتراك في نهاية القرن ١٣.

(٢/١) هادريان HADRIAN (٧٦ - ١٣٨ م) :

امبراطور روماني (١١٧ - ١٣٨م) وحد الامبراطورية الرومانية الواسعة ووطد أركانها. كان شاعرا موهوبا شديد الاعجاب بالحضارة الاغريقية. بنى السور الكبير المنسوب اليه (١/٢/١) وأعاد تشييد هيكل البانثيوم (٢/٢/١) في روما، وقمع تمردا قام به اليهود في فلسطين عام ١٣٤م.

(١/٢/١) سورهادريان HADRIAN'S WALL

سور دفاعي روماني في القسم الشمالي من انجلترا يمتد نحوا من ٧٧ ميلا (حوالي ١٢٤ كيلومترا) من الشرق الى الغرب. بُني نزولاً عند أوامر الامبراطور هادريان فيما بين عام ١٢٢ وعام ١٢٨م لحماية حدود (بريطانيا الرومانية) من الغزاة الشماليين. يبلغ ارتفاع بقاياه في بعض المواطن ستة أقدام (حوالي ١٨٠ سنتيمترا) وسمكها ثمانية أقدام (حوالي ٢٤٠ سنتيمترا) ولابد أن هذه الارقام كانت أكبر بكثير عند انشائه.

(٢/٢/١) البانثيون PANTHEON :

هيكل بناه في روما عام ٢٧ ق.م. ماركوس آغريبا AGRIPPA (القائد الروماني الذي أسهم في انزال الهزيمة بماركوس انطونيوس وكليوبترا في معركة أكتيوم ACTIUM عام ٣١ ق.م. ثم أعاد تشييده في شكله الحاضر الامبراطور هادريان ١١٨-١١٩م وقد كرسه الرومان كما يدل على ذلك اسمه (PAN جميع + THEOS اله) لجميع آلهتهم بلا استثناء.

(٣/١) كابادوكيا CAPPADOCIA :

اقليم قديم في آسيا الصغرى أصبح مملكة في القرن الرابع ق.م. وفي القرن الاول الميلادي ضمت الى الامبراطورية الرومانية، وهي تؤلف جزءا من تركيا.

٩- في كتاب «العصور القديمة»

د / جايمس هنري براستد – ترجمة: داود قربان – ص ٤٥١ – ٤٥٥.

الاسكندرية

"فاذا كانت مدينة صغيرة في مديرة كبرّيان مثلاً تشتمل على مبان عمومية بالغة حد الفخامة والاناقة فكيف كانت مباني عاصمة تجارية مهمة كالاسكندرية. انها بلا ريب كانت أفخم وآنق من سواها لأنها كانت الآن أعظم مدن العالم القديم طرّاً في عدد سكانها وغناها وتجارتها وقوتها وفي جميع الفنون التي كانت قد بلغتها المدنية في ذلك الزمان. وكانت مرافئها المتقنة ممتدة الى مسافات بعيدة على ساحلها وذات حياض ترسو فيها السفن القادمة من الغرب آمنة بعد ان تكون قد قاست اهوال العواصف والامواج وهي تمخر في عباب الاتلانتيكي على سواحل اسبانيا وافريقيا – ترسو جنباً لجنب مع المراكب القادمة من الشرق بعد ان تكون قد اخترقت أبواب الاوقيانوس الهندي وجمعت سلع الشرق المترامي الاطراف وراء الاوقيانوس. هنا على ارصفة هذا المرفأ كانت تقع العين على قضبان القصدير المجلوبة من جزر بريطانيا وعلى اثواب الحرير الموسوقة من الصين ولفات القطن من الهند. ولما استبحر امر التجارة فيها اقتضت الحال انشاء مصارف من قبل الحكومة. وكان النوتية وهم قادمون ليلاً في سفنهم يرون نوراً متألقاً صادراً من منارة هائلة في ثغر الاسكندرية سامقة الى العلاء تكاد تنطح بروقيها السحاب يتدفق منها النور الى كل الجهات لهداية السفن الماخرة ليلاً في عباب اليم. فهذا البرج العذيب الذي كان اعلى بناء شيده مهندسو اليونان بعد زمان الاسكندر كان سليل برج هيكل باب الذي كان يتصل به بلحمة النسب.

وكان القادم الى الاسكندرية على احدى السفن التجارية الكبرى التي كان محمول الواحدة منها اربعة آلاف طن. اذا وقف على الظهر ووجه بصره شطر المدينة الى ما وراء المنارة رأى الاسطول الحربي الذي بناه البطالمة راسياً صفوفاً في الميناء ورأى من خلال الصواري بحراً آخر من الادواح الغناء والرياحين الخضراء النابتة في الحدائق الملكية الأنيقة وشاهد القصر الملكي المبني بالرخام الناصع البياض قائماً على نقطة من الارض ناتئة الى البحر يتكون منها الجانب الشرقي من المرفأ. وقد تعلم ملوك العصر الهليني من لحدائق الملكية التي أنشأها ملوك فارس ومن الجنات التي كانت تحف بقصور نبلاء مصر القدماء التي شيدوها في مصايفهم، ان يقدروا جمال البساتين والحدائق الحسنة الترتيب المزدانة بأشجار المنطقة الحارة الغضّة وبالبحيرات والمناهل وبالآثار الخالدة المنحوتة، حق قدرها. فنرى من ذلك أن الاوروبيين صاروا يعنون بهندسة الجنائن والتأنق في اتقانها وتخطيط المدن بمقتضى القوانين الفنية – امور كان قد

الفها مهندسو البناء الشرقيون منذ القديم.

وكان عند طرف الحديثة الآخر عن جانب القصر مجموع بنايات المتحف الملكي الرخامية وفيها مكتبته الكبيرة وقاعات المحاضرة وغرف المعرض وابهاء واروقة وغرف لسكن الفلاسفة ورجال العمل الذي كانوا يقيمون ضمن المتحف. وكان بجواره هيكل سيرابيس الفخم اله المملكة الجديد وفضلاً عن ذلك، كانت في المدينة مبانٍ عمومية نفيسة كبنايات الالعاب الرياضية والحمامات واماكن السباق والمنتدى الكبير ودار الموسيقى والاسواق والمباني المرتفعة من الوسط (باسيليكا) تحف بها منازل الأهلية مقسمة أحياء. ولسوء الطالع لم تبق لنا عوامل الطبيعة وعوادي الدهر شيئاً من تلك المباني الفاخرة حتى الاخربة القليلة الباقية يتعذر نبشها لأن معظم الاسكندرية الجديدة قد بني عليها.

١٠ - في كتاب "THE ALEXANDRIAN LIBRARY"

ادوارد الكسندر بارسون ص ٥٣-٦٣

(ELSEVIER PUBLISHING CO. - EUROPE 1952 AND CLEAVNER-HOME PRESS LTD. LONDON)

THE CITY OF ALEXANDRIA

ALEXANDER, having effected the easy conquest of Egypt, desired to receive the benediction of the god Ammon in the wastes of Lybia, so he sailed from Memphis down to the sea. Coming to Canopus, the westernmost mouth of the Nile, his boats rounded Lake Mareotis, and he disembarked [1].

And here the gods intervened, permitting the genius of Homer to appear to his faithful disciple in a vision of the night. He of hoary locks and venerable mien chanted:

There is an isle
Within the billowy sea before you reach
The coast of Egypt, - Pharos is its name
... A sheltered haven lies within that isle [2].

On the mainland was the site of an old Egyptian fisher-village, quondam pirates' nest, perhaps an Egyptian outpost against the intrusion of foreigners, called Rhakotis. A tongue of land about two miles wide and several miles long between the

1. Arrian: The Anabasis of Alexander, tr. E. J. Chinnock, London, 1893 (Bk. III-1).
2. Odyssey (W. C. Bryant, tr. Boston, 1871), IV-354.

sea and lake here formed the coast. On the south was Lake Mareotis, one of the many bodies of water which bestride the base of the great delta of the Nile (very similar to the lakes and waters in the delta of the Mississippi). On the north was the Mediterranean Sea in which was this long narrow island (Pharos) about a mile from shore, sheltering the land from the terrors of wind and wave and forming the bulwark for safe harbour. This was actually and ideally achieved by the natural feature of the land and an artificial work of man. From the shore line toward the east stretched out a long slender arm of land, the promontory Lochias, almost touching the island of Pharos. To the west was to be built a causeway (called the Heptastadium, i.e. 7 stadia, 4270 ft. long), the better part of a mile long from the mainland to the island of Pharos closing the bay toward the west and making the perfect harbour.

On the 25th day of Tybi (20th January 331 B.C.), when Alexander beheld this site[1], his genius at once sensed its topographical fitness for a great city[2]. With his usual quick thinking and prompt decision he decreed that here would be built the city that should perpetuate his name and fame. His enthusiasm mounting, he actually traced the boundaries of the new metropolis and pointed to the places where temples to the gods and public works should grace his city [3]. Dinocrates, his architect, who had accompanied Alexander on the Egyptian expedition, was instructed to draw plans for the building of a spacious and magnificent veritable mistress of the trade of the East and the West and the Center of the arts and intellectual endeavors of mankind. And from what we know of Dinocrates[4], his plans must have been grandiose, and in his usual attempt to excite the exalted imaginings of his ardent patron [5], he must indeed have promised him:

The could-capp'd towers, the gorgeous palaces,
The solemn temples ----

And so by fiat the amazing son of Philip founded Alexandria (winter, 331-0 B.C.), which he himself was never to see, although his body, and we hope his spirit, became for at least seven centuries the diving guardian of its imperial splendours. After the conquest of Egypt (331 B.C.), Alexander appointed Cleomenes at least the

1. The annual Foundation Foundation Festival of Alexandria was held on this date (25th of Tybi), hence legend assigns January 20, 331 B.C. as the natal day of the famous city (ch. Bevan, p.7)
2. This view is ably supported by Hogarth (David D. Hogarth: Philip and Alexander of Macedon, New York, 1897, pp. 187-193), although Mahaffy (Empire of the Ptolemies, p. (2) lightly dismissed the selection of the site, as one that might have been chosen "anywhere else on the coast".
3. The city was to be of the "modern" rectangular type, with broad straight streets intersecting at right angles; in the style of the Milesian architect Hippodamus, whose work extended from the Asian coast to Magna Graecia, and who had made the crooked streets of Piraeus straight.
4. This was the Macedonian (Rhodian according to The Romance of Alexander) architect who boasted that the he would shape Mount Athos into the figure of Alexander, with a city held in his left hand and a vast basin in his right which would receive all the rivers of the mountain (Vitruvius, Bk. II, pref.; and Plutarch: Alex., 72) Have we not in our time ventrured to shape one of the Black Hills into the figures of Washington, Lincoln, and Roosevelt I?
5. Candor requires reference to: Lucian: Pro imaginibus, 9.
6. Demonsthenes: Against Dionysodorus, 1285 (7); Pseud.
7. Aristotle: Oeconomica, 1352 a (16) to 125b (25).
8. Arrian: Anabasis of Alexander, VII-23-6. It is true that Arrian most probably used the Memoirs of Prolemy, one of his two basic authorities, and that Ptolemy put Cleomenes to death.

Collector of Revenues for the province. Demosthenes [6] calls him "ruler of Egypt" and exposes his dishonest manipulation of the grain-trade; Aristotle [7] calls him "governor of Egypt" and recites instances of fraudulent conduct with merchants, priests of the temple, and government-officials; and Arrian [8] says he was "an evil man who had done many grievous wrongs in Egypt".

Cleomenes was the first to commence the building of Alexandria, the building of which was at once begun. "King Alexander", writes Aristotle, "had given Cleomenes command to establish a town near the island of Pharos, and to transfer thither the market hitherto held at Canopus." Undoubtedly he was the first entrusted with the building of the city, and Justin[1] even calls him one of the architects of Alexandria, along with Dinocrates[2]

Now as to what progress Cleomenes of Naucratis (who was not satrap of Egypt, but nomarch of the Arabian district of Egypt and receiver of the tribute from all Egypt) made we do not know. But Alexander died shortly after (323 B.C.) and in the distribution of the empire Ptolemy obtained the satrapy of Egypt. Cleomenes was left as an officer under Ptolemy, who under a suspicion that he was in sympathy with Perdiccas, had him put to death. Cleomenes had amassed, doubtlessly dishonorably, the amazing fortune of 8000 talents, which treasure came into the possession of Ptolemy.

Dinocrates the architect laid out the city and erected some of the principal buildings. Under Ptolemy Soter (first as satrap to 305 B.C. and then as king to 283 B.C.) and under his son although it was lavishly embellished by almost every ruler of the Ptolemaic line, the Hellenic kings who from little vantageground on the edge of the coast of Egypt ruled that ancient land and people from Alexander's death (323 B.C. - Ptolemy I) to the ultimate triumph of Caesar's fortunate grandnephew Augustus (30 B.C. - Cleopatra).

The ancients[3] tell us that the general ground-plan of the city was in the shape of a Macedonian chlamys or military cloak. Its site was "washed by two seas" , on the north by the Mediterranean, on the south by Lake Mareotis . It was built on a narrow sandy neck of land, consisting of low undulating hills, running obliquely from north-east to south-west for some three miles, fifteen mile circuit of the city walls.

The city embraced or was divided into ethnic regions:

1. The original Rhakotis, or native Egyptian quarter, in which was erected the

---

1. Justin: XIII-4; also Mahaffy: Empire of Ptolemies, p. 10
2. Even Weniger says Dinocrates the architect drew the plans, and Cleomenes supervised the work. Prof. Weniger: Das alexandrinische Museum, Berlin, 1875, (p. 11).
3. Plutarch: Alexander, 5-11; Strabo: Geography, 17-18.

Serapeum, considered the most magnificent public building, the Capitol at Rome alone excepted, in the ancient world.

2. The Brucheion or Royal Greek-Macedonian quarter occupied the entire front of the Great Harbor from the promontory of which joined the city to the island of Pharos. In the Royal quarter dwelt the Greek-Macedonians and the many races and peoples of Europe and Asia who came to live in the city of Alexandria. Here were the offices of government, the marts of trade, and the great public buildings, above all the mausoleum (Soma) of the conqueror, the Great Museum with its far-famed Library and its adjuncts, such as the Theatre for lectures and readings, Beyond, on the slender promontory of Lochias, amid gardens and groves of exotic trees, plants, and flowers, were palaces of the Ptolemaic kings, vast piles of buildings and estates, which extended to the heart of the Greek city.

3. The third district of the city, the Jewish quarter, was almost as large as the Greek or Royal quarter. It had its own walls, and here dwelt the vast population of Alexandrian Jews, not in ghetto, but practically in a city of their own, immediately governed by their own Ethnarch, having their own sanhedrin or council and under their own laws. There were many quarrels between the Greeks and Jews of Alexandria and the privileges of the Jews were abolished, curtailed or restored (particularly by the Romans) with every political wind that affected this turbulent city.

The city is further described1 as being divided into five sections bearing the first five letters of the Greek alphabet: Alpha, Beta (thought to have comprised the palaces of the Ptolemaic kings, the Museum, Library, and Soma of Alexander), Gamma, Delta (the Jewish quarter), and Epsilon. The location and use of three of these sections are unknown.

Within these three districts - Egyptian, Greek, and Jewish, or the five alphabetical quarters - the vast population divided into many groups or classes, chief of which may be distinguished.

1. a fabulous dissolute court of oriental luxury; 2. the Macedonian soldiery; 3. Greeks from the mainland and the islands of the Hellenic seas; 4. Afrasian Greeks of the littorals from Cyrene to Bithynian Chalcedon; 5. man of the Syrias and of all the states of Asia Minor; 6. Arabians, Babylonians, Assyrians, Medes, and Persians; 7. Carthaginians, Italians, Gauls; 8. Iberians and men from beyond the Pillars of Heracles, and from far-off Ind; 9. the intellectuals, scholars, poets, critics, scientists, artists of every vogue, and the dons of the Museum and the bookmen of the Library; 10. the merchants from all the world and local industrialists; 11. the Jews, numerous and important; 12. the mixed rabble, grading from political sycophants

---

1. Philo: In Flaccum (525), VIII-55, London, 1941. Philo says two of the quarters were called and mostly inhabited by Jews, but he does not give the letters; Josephus (The Jewish War, II-18-8) would restrict the Jews to the Delta-quarter.
2. Wilcken, In Hermes, XL (1905), pp. 544 ff. (apud: Bevan, p. 241).

(non-Egyptian); and, finally 13. from all the earth the vast horde of governmental and private slaves, the leper-mark of ancient civilization. Truly the so-called Potters Prophecy, which we have in some fragmentary papyri of the second and third century A.D., proclaimed the fact :

This City was a universal nurse (pantotrophos), every race of men did settle in her2.

Alexandria from its foundation was one of the world's most beautiful cities. More than seven hundred years had to elapse before Rome could boast (under Augustus) of having been turned from brick into marble. Alexandria was marble from birth. The city was laid out on the most magnificent lines. with great boulevards cutting at right angles and side-streets wide enough for horses and chariots to course.

The city was cut into four unequal parts by two great avenues, paved with squares of granite : one, the Canopic Way, with its Mesonpedion, beginning at the Canopic Gate in the Jewish quarter, ran over three miles from north-east to south-west, through the Royal quarter and out through Rhakotis by the Necropolis Gate, where in the West was the City of the Dead1; the other boulevard ran south-east to north-west from the Sun Gate on or near the Mareotic lagoon to the Moon Gate at or near the beginning of the Mole which connected the Royal quarter with the Island of Pharos, or perhaps more easterly on the Great Harbor. These great streets were over one hundred feet wide and cut at right angles in the Brucheion, the Royal or Greek quarter. On either side these avenues were flanked with stately marble colonnades, fairways from sun and weather, through which sheltered passages the din of many tongues provoked sonorous sounds, as to-day may be heard in the covered streets of Bologna.

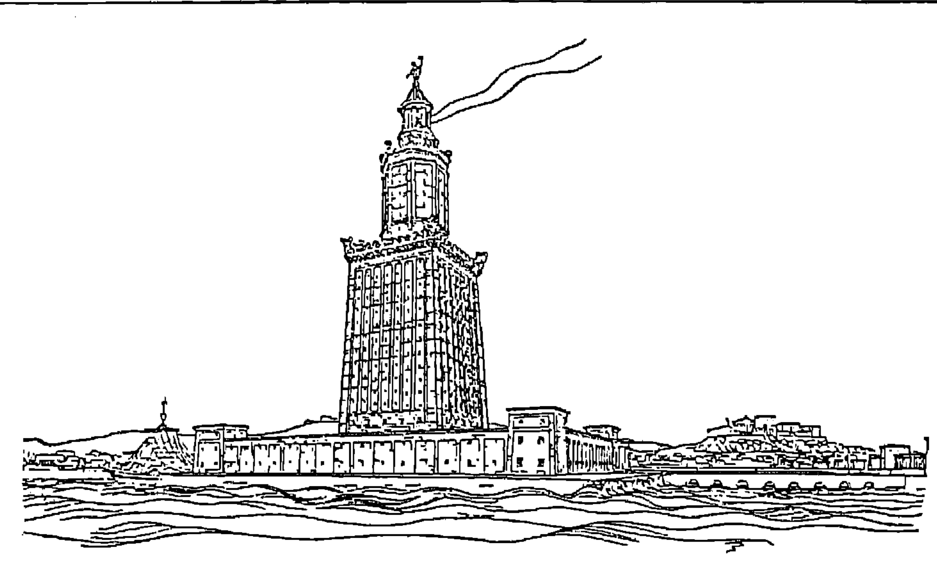
The centers of the streets were embellished with monuments, in which the number of obelisks and sphinxes offered reasonable flattery to the humbled pride of the conquered native Egyptians.

There were at least seven great streets running parallel to and including the Grande rue Longitudinale, the length of the city, something less than a thousand feet apart; and at least eleven great streets running parallel to and including the street of the Sun-Moon (Grande rue Transversale) at intervals of about eleven hundred feet, the width of the city; and between these was a series of secondary streets2.

So solidly was the city constructed that even the ordinary dwellings, as well as the better city residences, were built of stone, without wooden floorings and timbers, with foundations of masonry, upon which arose vaulted arches, enclosing cellars and cisterns connected with the waters of the Nile. The water thus conveyed became in time clear of mud and fit for domestic use. The very roofs of the houses were made of rubble or paved with stone1. This absence of wood in construction made Alexandria a city indestructible and more fireproof than any city of antiquity of most cities of modern times.

---

1. This was the Grande rue Longitudinale of Saint-Genis, who says: "elle se dirige de l'est-nord-est à l'ouest-sud-ouest." (Vide: À mémoire: Description des Antiquités d'Alexandrie et de ses environs, by M. Saint-Genis, in the monumental: Description de l'Egypte, Paris, 1818 (Antiquités, Vol. II, p. 57).
2. Mahmoud-el-Falaki: Mémoire sur l'ancienne Alexandrie, Copenhagen, 1872.



The lighthouse of Alexandria (Pharos), built by Sostratus of Cnidus.
3rd cent. B.C. (After Tiersch)

The great city spread over its three quarters on the mainland and the island of Pharos presented a glorious assemblage of marts of trade, factories of industry, of institutions of culture, and of the peoples of the known world. Immense docks bordered its two harbors (one on either side of the causesway called Heptastadium) where the ships of all nations made ports2. Huge warehouses, perhaps to the west of the Mole, stored the grain and products of the fertile valley of the Nile, ready for export to Greece and Rome. From the littoral, great steps of marble descended into the pellucid waters of the sea.

There were military establishments for the Macedonian and mercenary soldiers, barracks for the men, and arsenals for the implements of war: there were quarters, goodly slums we may be sure, for the sailormen with a Poseidonium for their offerings; there was a Gymnasium and a Stadium for relaxation and athletics; a Hippodrome for horse and chariot-races; theatres for lectures and public readings, and the open "Greek Theatre" for drama, where the spectators from their seats could

1. The author of the Alexandrian War confirms the above description.
2. Dio Chrysostom: The Thirty-Second Discourse (36), tr. H. Lamar Grosby, L.C.L., Vol. III-207:
Not only have you a monopoly of the shipping of the entire Mediterrranean by reason of the beauty of your harbors, the magnitude of your fleet, and the abundance and the marketing of the products of every land, but also the outer waters that lie beyond are in your grasp, both the Red Sea and Indian Ocean whose name was rarely heard in former days. The result is that the trade, not merely of islands, ports, a few straits and ithmuses, but of practically the whole world is yours. For Alexandria is situated, as it were, at the cross-roads of the whole world is yours. of even the most remote nations thereof, as if it were a market serving a single city, a market which brings together into one place all manner of men, displaying them to one another and, as far as possible, making them a kindred people.

see beyond the stage the little islet of Antirrhodus in the Great Harbor, and the burning torch of Pharos, one of the wonders of the ancient world. This great lighthouse, the prototype for all land signals for the sea, built by Sostratus the Cnidian, was five hundred ninety feet high and partly survived until the fourteenth century, when it succumbed to earthquake and the sea. The Theatre of Comedy was much patronized by the Alexandrians — that is some classic pieces, with much of even lighter vein, descending to vulgar buffoonery and indecent pantomime[1]; and the simple and fickle populace crowded the Marionette Shows, in which the great engineer Heron (like Leonardo at Milan for the Visonti) had to devise ingenious contrivances for the puppet-plays. There were temples of all the gods, particularly Greek and Egyptian, culminating in the mighty Serapeum where Greek and Egyptian could meet in common worship; there was the Panium, a curious shrine to Pan on the top of an artificial mound reached by a laborious winding path from which vantage-spot the teeming city could be surveyed; there were parks of wild animals and gardens of tropical plants; and above all, that which could be found in no other city of the ancient world, there were the Royal Museum and the Alexandrian Library.

No wonder that Achilles Tatius, the last of the early Greek novelists, with permissible hyperbole, particularly if he were an Alexandrian, describes this fair city in the opening of the 5th Book of his story of Clitophon and Leucippe:

After a voyage lasting for three days, we arrived at Alexandria. I entered it by the Sun Gate, as it is called, and was instantly struck by the splendid beauty of the city, which filled my eyes with delight.

From the Sun Gate to the Moon Gate - these are the guardian divinities of the entrances - led a straight double row of columns, about the the middle of which lies the open part of the town, and in it so many streets that walking in them you would fancy yousefl abroad while still at home. Going a few hundred yards further, I came to the quarter called after Alexander, where I saw a second town; the splendour of this was cut into squares, for there was a row of columns interesected by another as long at right angles. I tried to cast my eyes down every street, but my gaze fixed, while that which I expected to see would drag it on to the next. I explored therefore every street, and at last, my vision unsatisfied, exclaimed in weariness, "Ah, my eyes, we are beaten." Two things struck me as especially strange and extraordinary - it was impossible to decide which was the greatest, the size of the place or its beauty, the city itself, or its inhabitants; for the former was larger than a continent, the latter outnumbered a whole nation. Looking at the city, I doubted whether any race of men could ever fill it; looking at the inhabitants, I wondered whether any city could ever be found large enough to hold them all. The balance seemed exactly even.

---

1. Where there were mostly: Both mimes and dancers plying nimble feet. But how well Chrysostom, in The Thirty-Second Discourse (4): For the organ of hearing of a people is the theatre, and into your theatre there enters nothing beautiful or honorable, or very rarely; but is always full of the strumming of the lyre and of uproar, buffoonery, and scurrility (III-175).

It so fortuned that it was at that time the sacred festival of the great god whom the Greeks call Zeus, the Egyptians Serapis, and there was a procession of torches. It was the greatest spectacle I ever beheld, for it was no sign of night - it was as though another sun had arisen, but distributed into small parts in every direction; I thought that on that occasion the city vied with the sky for beauty[1].

To the exuberance of the Alexandrian novelist we would add an epitome of the sober geograher Strabo, who visited Egypt in the days of Augustus and lived in Alexandria (225-20 B.C.), where it is most reasonably believed that he used the Alexandrian Library for his researches and for the quotations from many authors in which his Geography abounds.

His description begins as he enters the Great Harbor; on the right hand are the island and tower of Pharos, on the left the reefs and the promontory Lochais, with a royal palace upon it; on sailing into the harbor on the left are the inner royal palaces, continuous with those on Lochias, and groves with numerous painted lodges; in the harbor in front of a private artificial dock of the king, lies a small island, Antirrhodus, upon which is a palace and a small harbor. Above the royal dock lies the theatre; then the Poseidium, an elbow projecting from the Emporium; to this elbow of land Antony added a mole projecting into the water, and on its extremity he built a royal lodge which he called his Timonium where he intended to spend in solitude his last days. Then, the Caesarium, the Emporium, and the warehouses; and after these the ship-houses which extend to the Heptastadium. So much for the Great Harbor.

After the Heptastadium we come to the Harbor of Eunostus (to the west); above this, an artificial harbor called Cibotus and more ship-houses; then a navigable canal to Lake Mareotis; outside the canal there is left but a small port of the city, when we come to the suburb, Necropolis, with gardens-graves, and establishments for embalming of corpses; inside the canal, on the so-called Acropolis, in Rhakotis, the great Serapeum.

The city is full of public and scared structures, the most beautiful is the Gymnasium, with porticoes more than a stadium in length; then the Courts of Justice in the center of the city; here, too, is the Paneium, a rocky hill, ascended by a spiral road, from the summit a view of the city. The broad street runs lengthwise from the Necropolis, past the Gymnasium to the Canobic Gate, and then one comes to the Hippodrome (beyond the walls); passing through the Hippodrome one comes to the settlements Nicopolis, where Augustus defeated the last remnant of Antony's followers, and Eleusis on the Canobic Canal, a lodging-place for shameless revelry, for those who lead the "Canobic" life.

Alexandria contained most beautiful public precints, and royal palaces, consituting one-fourth of the city; "there is building upon building"; all connected with one another.

---

1. Achilles Tatius: Clitophon and Leucippe, tr. S. Gaselee, London, 1917, L.C.L. (Bk. V-1-2)

"The Museum is also a part of the royal palaces; it has a public walk, an Exedra with seats, and a large house, in which is the common mess-hall of the men of learning who share the Museum."
The Soma also is a part of the royal palaces; this enclosure contains the burial-palaces of the kings and that of Alexander.
The happy advantages of the city: the only palace in Egypt by nature well situated for commerce by sea with its good harbors, and commerce by land because the Nile conveys everything to it: "the greatest emporium in inhabited world"1.
And yet to all this we should add the salubrity of its climate and not forget that seeming military necessity has wrought the destruction of the far-farmed city of Tyre, leaving the newly founded city of her conqueror undisputed mistress of the seas and roads of commerce as well as of the heart of all of the things of intellect and culture in the then known world.

In this famous city there were four monumental buildings which probably surpassed all others of their kind of which we have any knowledge:

١١ - في "الموسوعة العربية الميسرة"

الاسكندرية: مدينة سكانها ١,٥١٣,٠٠٠ نسمة بمصر، على ساحل البحر المتوسط، غربي فرع رشيد، تقع خلفها بحيرة مريوط. أنشأها الاسكندر الاكبر (٣٣٢ ق.م.) عاصمة مكان قرية راقوده (راكوتيس) بعد أن وصل الساحل بجزيرة فاروس التي تقع تجاهه.

ظلت عاصمة مصر حتى ٦٤١م، ازدهرت مركزا للثقافة العالمية في العصر البطلمي، وكانت تشتهر بمكتبتها الفنية. احتلها الرومان (٣٠ ق.م.) وكانت أعظم عاصمة اقليمية في الامبراطورية الرومانية.

يسكنها أكثر من ٣٠٠ ألف نسمة من المواطنين الاحرار. فتحها عمرو بن العاص (أكتوبر ٦٤١) ونقل العاصمة الى الفسطاط فقل شأن المدينة، وتحولت الحركة التجارية الى رشيد، وأخذ عدد سكانها يتضاءل حتى وصل الى ٤ آلاف نسمة، وفي أوائل القرن ١٩ عادت الحياة اليها بعد حفر ترعة المحمودية (١٨٢٠) وأخذ عدد سكانها يزداد – ثانية مدن مصر وميناؤها الاول. يرد اليها نحو ٧٥٪ من واردات البلاد، وتصدر حوالي ٩١٪ من صادراتها. ربطت بالقاهرة بخط حديدي (١٨٥٦)، كما ترتبط بها مائيا (ترعة المحمودية وفرع رشيد) وبريا بطريق من الدرجة الاولى، تقوم فيها صناعات كبس القطن واعداده للتصدير، والورق ودبغ الجلود، والمنسوجات القطنية، أعظم المصايف المصرية. أنشئت بها (١٩٤٢) جامعة بها ثماني كليات.

١٢ - في "موسوعة المورد"

الاسكندرية: **Alexandria**

مدينة مصرية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تعتبر كبرى مدن مصر بعد القاهرة، تنسب إلى الاسكندر الكبير لأنه هو الذي أنشأها عام ٣٣٢ ق.م. اشتهرت قديما بمنارتها التي عدت إحدى عجائب الدنيا السبع (را. Pharos) فتحها العرب عام ٦٤٠ للميلاد فالأتراك العثمانيون عام ١٥١٧. وبعد ذلك احتلها الفرنسيون خلال حملة نابليون بونابرت على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١). فيها جامعة أنشئت عام ١٩٤٢ - سكانها ٢.٥٠٠.٠٠٠ ن.

١٣ - في ENCYCLOPEDIA OF KNOWLEDGE

Alexandria (Egypt) Alexandria (Arabic: al-Iskandariya) is the chief port and second largest city of Egypt. The population is 2,917,327 (1986 est.). Alexandria is located on the west side of the Nile Delta on a strip of land between Lake Maryut and the Mediterranean Sea. An isthmus about 1.5 km (1 mi) wide connects the former island of Pharos with the mainland, separating the East and West harbors. The West Harbor serves as the city's port.

Contemporary City. Isthmian Alexandria is characteristically Egyptian. The European quarter stands on the mainland south of the East Harbor. The city has numerous mosques, palaces, monuments, parks, and gardens. A suburb, al-Raml, with its fine beaches, is known as the Egyptian Riviera. The West Harbor is the commercial center. Industries in the city include oil refining, motor-vehicle assemble, food processing, and textile weaving. The bulk of Egypt's foreign trade passes through the port of Alexandria. Excellent railroads and highways connect it with Cairo and other cities.
History. For more than 2,000 years Alexandria was the largest city of Egypt. It was founded in 332 BC by Alexander the Great and was well planned. A lighthouse,one of the SEVEN WONDERS OF THE WORLD , was built on the island of Pharos in 280 BC.

١٤ - في THE NEW CAXTON ENCYCLOPEDIA

Alexandria
(aleksahn'dria) Egyptian city and port of the Mediterranean sea; pop. 2,150,000. It is situated at the extreme north-western tip of the Nile delta on the narrow strip of land which separates the coastal lagoon, Lake Maryut, from the seas.
Alexandria was one of many cities of that name established by Alexander the Great. Founded in 322 B.C., it replaced Memphis as the capital of ancient Egypt. It rapidly became the political and commercial centre of the eastern Mediterranean, and one of

the largest and richest cities of the ancient world. It ws for long a great centre of Hellenistic culture. The royal sector covered a third of the city and contained botanical and zoological gardens. In this sector also were the royal tombs from the time of Alexander the Great onwards.
On the small island of Pharos opposite the city was built the famous lighthouse which was nearly 400 ft high. Torches shining from its upper stories guided ships safely into harbor. The island was joined to the mainland by a mole nearly a milelong. The accumulation of silt on either side of the mole has consolidated island and mole into a T-shaped piece of land over half a mile wide and now fully built over. Of the two harbors, the eastern was once the great harbor, but is today little more than an open bay used by fishing-boats, while the western harbor has been developed as the modern port.
The city retained its importance for over a thousand years, under Greeks, Romans, and Arabs, but its decline started with the development in the 16th century of the new sea-route to the East round the Cape of Good Hope. The opening of the Suez Canal in 1869 helped restore its former importance, though Mehemet Ali had already done much to revive the port in the early years of the century.
British forces under General Ralph Abercromby secured an important victory over a French army outside Alexandria in 1801 and frustrated Napoleon's Egyptian expedition. It came to the fore again in 1882 when, after a massacre of European civilians, it was bombarded by an Anglo-French fleet and subsequently occupied by British forces as a prelude to the occupation of Egypt itself.
Alexandria now ranks after Genoa and Mar-seilles as the third Mediterranean port. It has many buildings in modern style. Unfortunately the modern city is built directly over the ancient one, which virtually prevents archaeological excavation. Alexandria is today once again a cultural centre with a famous university and museum. It has road and rail links with Cairo, and international airport. Most of Egypt's foreign trade, particularly her cotton crop, moves through Alexandria.

10 - في موسوعة BRITANNICA

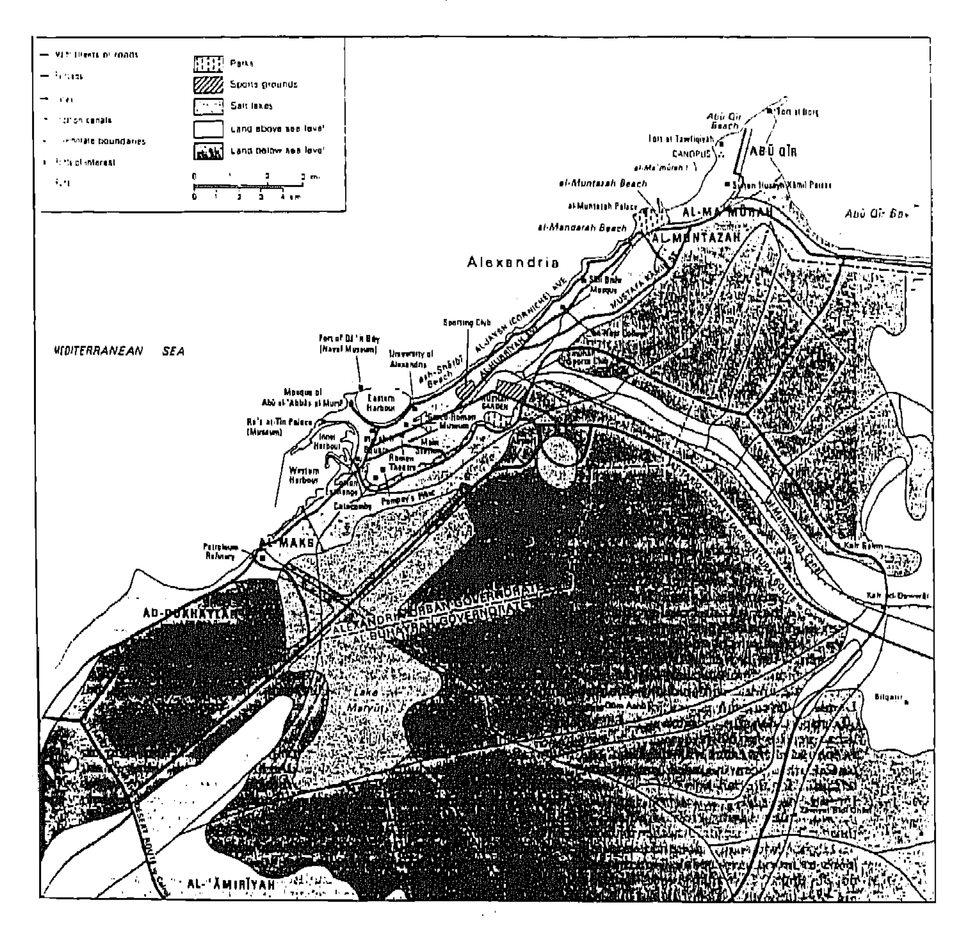
Alexandria (Arabic al- Iskandariyah), once the greatest city of the ancient world, was the capital of Egypt from its founding by Alexander the Great in 332 BC to AD 642, when it was subdued by the Arabs, It is the second largest city, an urban governorate (muhafazah), and the chief seaport of Egypt . It lies on the Mediterranean Sea at the western edge of the Nile Delta, about 114 air miles (183 kilometer) on northwest of Cairo.
Alexandria has always occupied a special palace in the popular imagination by virtue of its association with Alexander and with Mark Antony and Cleopatra, immortalized by Shakespeare. Alexandria also played a key role in passing on Hellenic culture to Rome and in the theological disputes over the nature of Christ's divinity that divided the early church, The legendary reputation of ancient Alexandria grew through a thousand years of serious decline following the Arab conquests, during which time virtually all traces of the Greco-Roman city

disappeared. By the time Napoleon invaded Egypt in 1798, Alexandria had been reduced to a fishing village. The modern city and port that flourished on the back of the cotton boom in the 19 th century has, therefore, little in common with the Alexandria of the past.

The free port status granted Alexandria by the Ottoman Turks accentuated the cultural ambivalence inherent in the city's location - extended along a spit of land with its back to Egypt and its face to the Mediterranean. This idea of a free city, open to all manner of men and ideas, was something the new Alexandria had in common with the old.It was a theme the Greek Constantine Cavafy, drawing heavily on its legendary past, developed in his poems of the city. This idea of Alexandria was taken further by the English writer Lawrence Durrell in his four-part novel, The Alexandria Quartet.

Since the 1952 coup in Egypt most of Alexandria's foreign community has departed. Nevertheless, the city remains a thriving commercial community, an important industrial centre, and Egypt's principal holiday resort.

This article is divided into the following sections.



Physical and human geography

THE LANDSCAPE

The city site. The modern city extends 25 miles east to west along a limestone ridge, one to two miles wide, that separates the salt lake of Mareotis, now partly drained and cultivated, from the Egyptian mainland. An hourglass-shaped promontory formed by the silting up of a mole (the Heptastadium). which was built soon after Alexandria's founding, links the island of Pharos with the city centre on the mainland. Its two steeply curving bays now form the basins for the Eastern Harbor and the Western Harbor.

Climate. The prevailing north wind blowing across the Mediterranean, gives Alexandria a markedly different climate from that of the desert hinterland. The summers are relatively temperate, although humidity can build up in July and in August, the hottest month. when the average temperature reaches 87 F (31 C) Winters are cool and invariably marked by a series of violent storms. Which can bring torrential rain and even hail. The mean daily temperature in January, which is the coldest month, is 64 F (18 C)

The city plan. Designed by Alexander's personal architect, Dinocrates, the city incorporated the best in Hellenic planning and architecture. Within a century of its founding, its splendours rivaled anything known in the ancient world. Pride of ancient Alexandria and one of the Seven Wonders of the World was the great lighthouse, the Pharos of Alexandria, which stood on the eastern tip of the island of pharos. Reputed to be more than 440 feet (135 metres) high, it was still standing in the 12th century. In 1477, however, the sultan Qait Bay used stones from the dilapidated structure to build a fort (named for him), which stands near the original site of the Pharos.

The Canopic way (now al-Hurriyah Avenue) was the principal thoroughfare of the Greek city, running east end west through its centre. Most of the Ptolemaic and, later, Roman monuments stood nearby. The Canopic Way was intersected at its western end by the Street of the Soma (now an-Nabi Danyal Street), along which is the legendary site of Alexander's tomb though to lie under the mosque an Nabi Danyak, Close to this intersection was the Mouseion (Museum), the city's academy of arts and sciences, which included the great Library of Alexandria. At the sea-ward end of the Street of the Soma were the two obelisks known as Cleopatra's Needles, which were given in the 19th century to the cities of London and New York.

Between al-Hurriyah Avenue and the railway station is the Roman Theatre, which was uncovered in 1959 at the Kawm al-Dikkah archaeological site, At the south-western extremity of the ancient city are the Kawm ash-Shuqafah burial grounds, with their remarkable Hadrianic catacombs dating from the 2nd century AD. Nearby, on the site of the ancient fort of Rakotis, is one of the few classical monuments still standing: the 88-foot-high marble column known as Pompey's Pillar (actually dedicated to Diocletian soon after 297). Parts of the Arab wall, encompassing a much smaller area than the Greco-Roman city, survive on al-Hurriyah Avenue but the city contracted still further in Ottoman times to the stem of the promontory, now the Turkish Quarter. It is the oldest surviving section of the city, housing its finest mosques and worst slums.

The modern city only exceeded the size of the old Greek one at the turn of the 19th century, after which it expanded dramatically. Midan at-Tahrir ("Liberation Square") used to be the commercial centre, close to the Cotton Exchange and the Bourse. The commercial centre has moved east-ward to Sa'd Zaghlul Square, where the Cecil Hotel and the regional headquarters of the World Health Organization are situated, and inland toward the railway station. Blocked to the west by the port and the industrial area, urban development moved eastward along the Corniche, a seaside promenade officially called al-Jaysh Street, and then inland. Today the Corniche is a ribbon of beach huts, bathing clubs, and cafes faced across the road by a continuous wall of hotels and holiday/apartment blocks.

THE PEOPLE

From the late 19th century to the 1980s the population grew tenfold-the result of high birthrates and migration from the countryside. At the 1976 census the population stood at more than 2,000,000, with half the people under 20 years of age. Projections show that the city will have more than twice that number of people by the year 2000. The once sizable foreign community, which in 1947 still formed one-tenth of the population. has shrunk to insignificant numbers, largely in reaction to the nationalization program and the Israeli-Egyptian conflict. Most Alexandrians belong to one of two main religious groups, the Egyptian Muslims and the Christian Copts.

THE ECONOMY

Industry and commerce. Alexandria's chief economic activities, banking shipping, warehousing, and textile manufacturing, reflect the importance of the port and the cotton trade. The city has become an important industrial centre, accounting for about one-third of Egypt's industrial output. Most industrial development has taken palace in the western approaches to the city around the more modern Western Harbor and along its southern flank. Industry is now the city's chief employment sector.

The area around the port known as Mina al-Basal contains the warehouses and the Cotton Exchange. West across the al-Mahmudiyah Canal is al-Qabbari neighborhood, site of the asphalt works and rice and paper mills. Farther to the west is al-Maks with its salt and tanning industries. There, also, are Alexandria's principal oil refinery, a cement works, and, farther on, the limestone quarries. Other industrial development is taking place still farther west in as-Dukhaylah. to the south in al-Amiriyah, and south of Lake Maryut. Lighter industry is concentrated on other banks of the al-Mahmudiyah Canal.

Agriculture is an important economic activity in the hinterland, and land reclamation has been attempted with some success.

The Port. The manor portion of Egypt's foreign trade passes through Alexandria's two main harbors, of which the Western Harbor is by far the more important. All of the country's cotton

and a large part of its oil are exported through the port, as are traditional items such as fruits, vegetables, perfumes, and some finished goods. By far the largest import is grain. The port handles considerably more than its rated capacity, but improvements are being implemented to relieve congestion, which can be severe. A container

terminal was added, and a container port across the bay at ad-Dukhaylah is expected to double Alexandria's port city capacity. Egypt's dependence on the port of Alexandria will gradually diminish as the port at Damietta develops.
Transportation. Alexandria is linked to other Egyptian urban centres by railway, roads and air services. It also is connected by canal with the Nile. The main rail link to Cairo has been upgraded and Alexandria is also the terminus for the rail line that runs to as-Sallum on the Libyan border. The desert route to Cairo has been improved, thus relieving pressure on the agricultural route through the delta region. Another main roadlinks the city to Libya. Twice-daily air services operate to Cairo, but plans to introduce scheduled international services have not developed. Given the severe limitations on expanding the existing airport at Nuzhah, built on land reclaimed from Lake Maryut, al-Amiriyah was selected as the site of the new airport.

ADMINISTRATION AND SOCIAL CONDITIONS

Government. In 1895 Alexandria became the first fully constituted municipality in Egypt. Based upon an earlier organization formed by the foreign merchants, it had a high degree of autonomy in financing the city govrenment. after the 1952 revolution the municipality lost its moneyaccordance with the national govrenment's decentralization policy, the city and its hinterland were incorporated into a muhafazah (governorate). An appointed governor and nostly elected council administer the mufafazah and are responsible to the ministry of local affairs.

Services. in city services alexanderia is on a par with other urban muhafazat of Egypt, providing electricity and pure drinking water to all but a small persentage of homes, less than half o f the city is provided wi th sewerage, however and pollution of the beaches is becoming a major health hazard. A new sewerage system is under development, part of an overall plan of city improvements.

Education. In Alexandria, the great learning centre of the ancient world, the state supervises educations, as is the rule throughout Egypt. The state system is divided into primary, preparatory, secondary and technical schools and is the path taken by the vast majority of Egyptians. A few private schools survive from before the 1952 revolution. The University in 1942 and accommodating about 100,000 students, lies just east of the city centre. Its library is among the largest in Egypt.

CULTURAL LIFE

Alexandria's most important museum, the Greco-Roman Museum, situated behind the Municipality Building on al-Hurriyah Avenue, is noted for its collection of antiquity, most of which comes from finds within the city. Renewed interest in the classical period has revived archaeological exploration, which is focussing on Kawm ad-Dikkah, the underwater site of the Pharos lighthouse, and the search for Alexander's tomb. The Musuem of Fine Art, located across the railway line from the city's stadium, presents exhibitions of modern and local art. In addition, two of the royal palaces, Ras at-tin Palace on Pharos island and al-Muntazah Palace at the eastern end of al-Jaysh Avenue are open to the public. Alexandria is well endowed with outdoor recreational establishments. The most popular is the Shallalat Gardens surrounding the remnants of the Arab walls. The Sporting Club and the Smuhah

Sports Club provide a variety of sporting facilities. There are also fine botanical gardens and popular weekend beach resorts.

History

FOUNDATION AND MEDIEVAL GROWTH

The Greek period. Alexander the Great founded the city in 332 BC after the start of his Persian campaign; it was to be the capital of his new Egyptian dominion and a naval base that would control the Mediterranean. The choice of the site that included the ancient settlement of Rakotis (which dates back to 1500 BC) was determined by the abundance of water from Lake Maryut then a spur of the Canopic Nile, and the good anchorage provided offshore by the island of Pharos.

After Alexander left Egypt his viceroy, Cleomenes, continued the creation of Alexandria. with the breakup of the empire on Alexander's death in 323, control of the city passed to his viceroy, Ptolemy !, who founded the dynasty that took his name. The early Ptolemies successfully blended the religions of ancient Greece and Egypt in the cult of Sarapis and presided over Alexandria's golden age. Alexandria profited from the demise of Phoenician power and from Europe's growing trade with the East via the Nile and the canal that then linked it with the Red Sea. Indeed Alexandria became within a century of its founding the greatest city in the world and a centre of Greek scholarship and science. Such scholars as Euclid, Achimedes, Plotinus the philosopher, and Ptolemy and Eratosthenes the geographers studied at the Mouseion, the great research institute founded by the Ptolemies.

The Roman period. The decline of the Ptolemies in the 1st and 2nd centuries BC was matched by the rise of Rome. Alexandria played a major part in the intrigues that led to the establishment of imperial Rome. In Alexandria, Cleopatra, the last of the Ptolemies, courted Julius Caesar and claimed to have borne him a son. Her attempts at restoring the dynasty's fortunes, however, were thwarted by Caesar's assassination and her unsuccessful support of Mark Antony against Caesar's great-nephew Octavian. In 30 BC, Octavian (later Augustus) formally brought Alexandria and Egypt under Roman rule.

In AD 45 St. Mark reputedly made his first convert to Christianity in Alexandria. Thenceforth the city's growing Christian and Jewish communities united against Roman paganism. Periodic persecutions by various early emperors failed to subdue these communities, and when the empire formally adopted Christianity under Constantine 1, the stage was set for schisms within the church.

The first conflict that split the early church was between two Alexandrian prelates, Athanasius and Arius, over the nature of Christ's divinity. It was settled in 325 by the adoption of the Creed of Nicaea, which affirmed Christ's spiritual divinity and branded Arianism, the belief that Christ was lower than God, as heresy. Arianism, however, had many imperial champions, and this sharpened the conflict between the Alexandrian church and the state. In 391 Christians destroyed the Sarapeum, sanctum of the Ptolemaic cult and what had been saved by Cleopatra of the great Mouseion library. In 415 a Christian faction killed the Neoplatonist philosopher Hypatia, and Greek culture in Alexandria quickly declined.

With the ascendancy of the patriachate of Constantinople, the local church

adopted Monophysitism (belief in the single nature and therefore physical divinity of Christ) as a way of asserting its independence. Although Monophysitism was rejected by the Council of Chalcedon (451), the Alexandrian church resisted Constantinople's attempts to bring it into line. An underground church developed to oppose the established one and became a focus of Egyptian loyalities. Disaffection with Byzantine rule created the conditions in which Alexandria fell first to the Persians, in 616, and then, in 642 to the Arabs.

The Islamic period. The Arabs occupied Alexandria without resistance. Thenceforth, apart from an interlude in 645 when the city was briefly taken by the Byzantine fleet, Alexandria's fortunes were tied to the new faith and culture emanating from the Arabian deserts. It was soon eclipsed politically by the new Arab capital at al-Fusjaj (later to be absorbed into the modern capital, Cairo), which became the strategic prize for those wanting to control Egypt. Nevertheless, Alexandria continued to flourish as a trading centre, principally for textiles and luxury goods.

Having survived the early Crusades relatively unscathed, the city came into its own again with the development of the East-West spice trade, which Egypt monopolized. Unfortunately this trade was lost after the discovery of the sea route to India in 1498 and the Turkish conquest of Egypt in 1517. Under Turkish rule the canal linking Alexandria to the Rosetta branch of the Nile was allowed to slit up, strangling the city's commercial lifeline. Alexandria once again contracted into a small fishing village.

EVOLUTION OF THE MODERN CITY

Alexandria's rebirth began when Muhammad Ali Pasha was appointed Ottoman viceroy of Egypt in 1805. Hoping to modernize Egypt, he reopened Alexandria's access to the Nile by building the 45-mile-long al-Mahmudiyah Canal (completed between 1818 and 1820), new docks, and an arsenal (1828-33), where he located industry. Foreign traders were encouraged by the Capitulations, which gave them certain legal rights and privileges (for instance, to be tried in their own courts), and they began to settle in and develop the city. Cotton was introduced into Egypt in the 1820s, and by the 1840s Europe's growing appetite for the commodity was making Alexandria rich. The city became an increasingly important banking and commercial centre. The opening of the Cairo railway in 1856, the cotton boom created by the American Civil War in the early 1860s, and the opening of the Suez Canal in 1869, which reestablished Egypt as the principal staging post to India, led to another cycle of rapid growth.

The British bombardment of the city in 1882 to put down a local nationalist revolt led directly to the British patronage the foreign community continued to flourish. Alexandria played its part in the nationalist struggle between and after the world wars. In 1952 it witnessed King Farouk's departure from Egyptian soil after the revolution. In 1956 the failure of the tripartite British, French and Israeli invasion discouraged continued residence of the foreign community. the sequestrations that followed Suez and the subsequent nationalizations in the early 1960s drove many more foreigners out.

During the 1960s Alexandria was thoroughly Egyptianized and brought firmly

under Cairo's control. It benefited, however, from Pres. Gamal Abdel Nasser's industrialization program, particularly in food processing and textiles, which had been much expanded between the wars. The city was adversely affected by the devastating defeat in the Six-Day War of June 1967, the dislocation created by the closure of the Suez Canal, and the evacuation of the Canal Zone. The port was swamped by trade diverted from Port Said and had not fully recovered when in 1974 the introduction of an open-door policy led to a flood of imports.

Liberalization, coupled with tentative moves at decentralization under pres. Anwar el-Sadat, revived calls by the merchant community for greater financial autonomy. These in turn have created a new sense of civic identity and pride. The discovery in 1976 of offshore and onshore natural gas has spurred industrial development, principally at ad-Dukhaylah, a major iron and steel centre. Refinery facilities are being upgraded, and Egpyt's embryonic petrochemical industry has been established at al-Amiriyah. Alexandria's access to the outside world is also being promoted to encourage in al-Amiriyah. The city has launched a master plan designed to bring massive civic improvements in the late 20th century.

BIBLIOGRAPHY. ANTHONY DE COSSON. *Mareotis* (1935), is an authoritative, well written history and description of the Maryut district; and PERCIVAL G. ELGOOD, *The Ptolemies of Egypt* (1938), is a scholarly but lively history of the Ptolemies from Ptolemy 1 (died 283 BC) to Cleopatra (died 30 BC). MARY ROWLATT, *A Family in Egypt* (1956), based on family letters includes descriptions of 19th and 20th century European life in Alexandria. The same author's *Founders of Modern Egypt* (1962), is a detailed account of Egyptian events of the 1870s and 1880s that cultimated in Alexandria. JACQUES BERQUE, *Egypt: Imperialism and Revolution* (1972, originally published in French, 1967), is a monumental history of Egypt under British rule; it contains vivid firsthand accounts of late 19th and early 20th-century Alexandria, LAWRENCE DURRELL. *The Alexandria Quartet: Justine, Balthazar, Mountolive, Clea*, 4 vol. (1957-60; reissued 1970 in 1 vol.) is a group of four novels, set in Alexandria between the world wars; it is widely attributed with having revived modern interest in Alexandria. E.M. FORSTER, *Alexandria: A History and a Guide*, new ed. (1982), is a revision of the classic guide to the city, as it was in the 1920s, with notes describing how the same places look half a century later; it includes a detailed account of the Greco-Roman Museum. C.P. CAVAFY, *Collected Poems*, trans. by EDMUND KEELEY and PHILIP SHERRARD, ed by GEORGE SAVIDIS (1975), is the first English publication of the poems of the city's most illustrious modern poet writing in Greek.

١٦ - في PURNELL'S NEW ENGLISH ENCLOPEDIAN

Alexandria

Egyptian city and port on the Mediterranean Sea: pop.1,510,000. It is situated at the extreme north-western tip of the Nile delta on the narrow strip of land which

separates the coastal lagoon Lake Maryut from the sea
Alexandria, one of the many cities of that name established by Alexander the Great, was founded in 322 BC. and replaced Memphis as the capital of ancient Egypt. It rapidly became the political and commercial centre of the eastern Mediterranean, and one of the largest and richest cities of the ancient world. It was for long a great centre of Hellenistic culture. The royal sector covered a third of the city and contained botanical and zoological gardens. In this sector were also the royal tombs from the time of Alexander the Great onwards.
On the small island of Pharos opposite the city was built the famous lighthouse which was nearly 400 ft. high. Torches shining from its upper stories guided ships safely into harbor. The island was joined to the mainland by a mole nearly a mile long. The accumulation of silt on either side of the mole has consolidated island and mole into a T-Shaped piece of land over half a mile wide and now fully built over. Of the two harbors, the eastern was once the great harbor, but is today little more than an open bay used by fishing-boats, while the western harbor has ben developed as the modern port.
The City retained its importance for over a thousand years, under Greeks, Romans, and Arabs, but its decline started with the development in the 16th century of the new sea-route to the East round the Cape of Good Hope. The opening of the Suez Canal in 1869 helped restore its former importance, though Mohammed Ali had already done much to revive the port in the early years of the century.
British forces under Abercromby secured an important victory over a French army outside Alexandria in 1801 and thereby frustrated Nepoleon's Egyptian expedition. It came to the fore again in 1883 when, after a massacre of European civilians, it was bombarded by an Anglo-
French fleet and subsequently occupied by British forces as a prelude to the occupation of Egypt itself.
Alexandria now ranks after Genoa and Marseilles as the third Mediterranean port. It has many buildings in modern style. Unfortunately the modern city is built directly over the ancient one, which virtually prevents archaeological excavation.Alexandria is today once again a cultural centre with a famous university and museum, It has road and rail links with Cairo, and an international airport. Most of Egypt's foreign trade, particularly her cotton crop, moves through Alexandria.
The famous library at Alexandria with Its thousands of manuscript books. Many of them original Latin and Greek works, was destroyed when Julius Caesar captured the city in 30 B.C. Restocked on the base of an immense library of manuscripts from Pergamum given to CleopatrA by Mark Antony, it was again dispersed in 390 A.D. and finally came to an end in 642 A.D. when Moslems captured the city.

الوصف العام لمدينة الإسكندرية قديماً:

ويقال لها أحياناً «الأسكندرية»، كما يطلق عليها «أسكندرية»، وكانت تعدّ في زمن البطالمة ثاني مدن العالم، وقد شيّدها الاسكندر الكبير عام ٣٣٢ قبل الميلاد.

وقد حلّت محل ممفيس MEMPHIS[١] كعاصمة لمصر القديمة، كما أنها المركز الهيليني HELLENISTIC CENTRE[٢] للثقافة والعلوم في العصور القديمة، وسرعان ما أصبحت المركز السياسي والتجاري لشرق بحر الأبيض المتوسط، وواحدة من أوسع وأغنى مدن العالم القديم.

ومرفأ الاسكندرية يتكون من شبه جزيرة كانت في الأصل جزيرة تسمى «فاروس PHAROS»[٣] يصلها بالشاطئ لسان طوله «٧ ستاد»[٤]، وهو يعرف لهذا السبب باسم «هبتاستاديوم HEPTASTADIUM» أي دي السبعة ستاد.

وتقع الاسكندرية على البحر الأبيض المتوسط في الحافة الغربية لدلتا النيل، على بعد ١٨٣ كيلومتراً من القاهرة: وقد بُنيت على هيئة شريط من الأرض تمثّل نتوءاً يفصل بحيرة مريوط على شكل حرف (T) يمتدّ الى البحر الأبيض المتوسط حيث يشكّل ساق هذا الحرف في الأصل حاجزاً يؤدي الى جزيرة فاروس. ولكن مع مرور الزمن تمّ تعريضه بواسطة الطمي SILT ليصبح برزخاً ISTHAMUS مشكّلاً ميناءين: المرفأ القديم على الشرق، والمرفأ الجديد على الغرب.

وقد وُصفت الاسكندرية[٥] بأن القادم اليها على احدى السفن التجارية الكبرى التي كانت تحمل الواحدة منها أربعة آلاف طن، إذا وجّه بصره شطر المدينة الى ما وراء المنارة، لرأى الأسطول الحربي الذي بناه البطالمة راسياً صفوفاً في الميناء، ولرأى أيضاً من خلال الصواري بحراً آخر من الأشجار الباسقة والرياحين الخضراء النابتة في الحدائق الملكية الأنيقة، حيث يشاهد القصر الملكي المبني بالرخام الناصع البياض قائماً على رقعة ناتئة من الأرض الى البحر يتكون منها الجانب الشرقي من المرفأ.

وكان عند الطرف الآخر من الحديقة عن جانب القصر، مجموع بنايات المتحف الملكي الرخامية، وفيها مكتبته الكبيرة وقاعات المحاضرات وغرف المعرض وأروقة وغرف لسكن الفلاسفة ورجال العلم الذين كانوا يقيمون ضمن المتحف. وكان بجواره هيكل سيرابيس SERAPIS[٦] الفخم، اله المملكة الجديد.

فضلاً عن ذلك، كانت في المدينة مبان عمومية فخمة كبنايات الألعاب الرياضية والحمامات وأماكن السباق والمنتدى الكبير ودار الموسيقى والأسواق والمباني المشيّدة على طراز «باسيليكا BASILICA»[٧].

ولعلّ من المناسب أن نذكر هنا ما أورده ابن خلدون في مقدمته حين تعرّض للأخطاء التي يقع فيها بعض المؤرخين، ومن جملتها «الجهل طبائع الأحوال في العمران» انه ضرب مثلاً كما نقله المسعودي عن الاسكندر لمّا صدّته دواب البحر عن بناء الاسكندرية، وكيف اتخذ صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى صوّر تلك الدواب الشيطانية التي رآها وعمل تماثيلها من أجساد معدينة ونصبها حذاء البنيان ففرّت تلك الدواب حين خرجت وعاينتها وتمّ بناؤها في حكاية طويلة من أحاديث خرافة مستحيلة(٨).

ولقد ازدهرت الاسكندرية وغدت مركزاً للثقافة العالمية في العصر البطلمي PTOLEMAICAGE، حيث اشتهرت بمكتبتها الغنية وبمدرستها اللاهوتية والفلسفية في القرنين الثاني والثالث.

مدرسة الإسكندرية ALEXANDRIAN SCHOOL:

لقد أسهبت دائرة المعارف(*) بوصف مدرسة الاسكندرية وتناولت مختلف المدارس التي تندرج تحت هذا الاسم والتي تنتمي الى مختلف المذاهب. ونرى من المفيد أن نقتطف منها بعض الفقرات للوقوف على التيار الفكري والعلمي في هذه الحقبة من التاريخ.

١ - المدرسة اليونانية:

أنشأها أول الملوك اللاغوسية نحو سنة ٢٨٨ ق. م. وبلغت من النجاح أعظمه الى أن أبطلها الامبراطور ثيودوسيوس سنة ٣٩١ للميلاد.

وكان بطليموس يقتدي الاسكندر في أهوائه ويضرب نقوداً مثل نقوده فاقتفى أثره أيضاً في حبه للآداب والمعارف، وكان يحب مجالسة العلماء ويدعوهم الى مجلسه من سائر البلدان ويلقي عليهم مسائل علمية وعين لهم منزلاً في قسم من قصره ليتعاطوا فيه أعمالهم الأدبية وسماه موزيوم، ثم جمع مكتبة مؤلفة من كل الكتب التي كانت في بلاد اليونان ومصر وآسيا وجعلها في قصره ليتمكن العلماء من الحصول على كل فائدة أرادها. فصار ذلك الموزيوم عند سقوط المدارس اليونانية مدرسة أدبية للبلاد اليونانية كافة. على أنها لم تكن مدرسة فلسفية كالاكديمية والليسيوم في أثينا ولا مدرسة للتعاليم الأدبية والسياسية كمدرسة فيثاغورس ولا مدرسة التنجيم

(*) دائرة المعارف: للمعلم بطرس البستاني – المجلد الثالث – دار المعرفة – بيروت ص ٥٨٢ – ٥٨٨

والكهانة لمدرسة بابل ومنف ولا مدرسة للطب كالمدارس الطبية التي كانت في جوار بعض هياكل اليونان بل كانت مدرسة عامة تحتوي على أسباب كثيرة للتفقه والتفنّن فنشأ عن المجلس الذي ألفه بطلميوس لنفسه عمل عظيم نافع اكتسب به هو والذين دخلوا الموزيوم مجداً أثيلاً وفخراً جزيلاً.

... ومنذ تأسست المدرسة المذكورة أقام فيها ابن لاغوس(*) معبداً حتى لا ينفصل الدين عن العلوم والآداب وأقام بها رئيساً ليحفظ فيها النظام وناظراً للمكتبة. وكانت أحوال المكتبة تتقلب بتقلب أحوال الاسكندرية.

وقد جعل لذلك خمسة أعصر كبيرة، فالثلاثة الاولى منها كانت في عهد غوسية، والعصران الأخيران في عهد الامبراطورية الرومانية.

أما العصر الأول، فهو أقصر الأعصر الخمسة ولا ينطوي إلاّ على المدة التي ملك فيها بطلميوس سوتر (من سنة ٣٠٤ الى ٣٨٤ ق. م.)، وهو العصر الذي جرت فيه التجارب الاولى. وفيه نبغ اقليدس وكان ذا عقل ثاقب فجعل للمدرسة ادارة منتظمة واخترع في مصر طريقة التعليم. ثم وضع علم الرياضيات ولكنه كان صارماً فنفرت منهُ الناس ولم تقبل عليه التلامذة واضطرهُ الامر في حديث جرى له مع الملك الى ان يقول له ان طريقة الملوك ليست من طرق الهندسة. أراد بذلك انها معوجة. وكان في موزيوم الاسكندرية في عهد اقليدس فيليتاس الشاعر وديودوروس كرونوس المنطقي والفيلسوفان الشهيران وهما ثيودوروس الجاحد وهيسيغيوس المقلب بسيثاناتوس وسياسي أدبي وهو ديمتريوس فاليروس قيل وهو الذي اشار على بطلميوس سوتر بانشاء الموزيوم فكان له بذلك فخر عظيم.

العصر الثاني، وهو ازهى العصور الخمسة وازهرها وهو المراد اعتيادياً عند ذكر مدرسة الاسكندرية ومدته من عهد بطلميوس الثاني (فيلاذلفوس) الى عهد بطلميوس السابع (افرجيتس) وذلك عبارة عن ٨٧ سنة اولها سنة ٢٦٤ وآخرها سنة ١١٧ ق. م. ولما جلس بطلميوس الثاني على تخت الملك خمد هياج الناس في طلب الفتوحات التي تعوّدوها في ايام ابيه رفيق الاسكندر واخذوا يميلون الى التعمق في الامور العلمية وتنشرح لها صدورهم اكثر من الذين سلفوا. ولم يقتصر فيلاذلفوس على جمع الكتب في بلاطهِ وجمع امور كثيرة تتعلق بعلم المواليد بواسطة قوم من اليونان بل دعا اليه جماعة من المصريين واليهود ليستعين بهم أيضاً على اجراء مقاصده ولم تصل الينا اسماء اليهود الذين اتصلوا به الا اننا نعلم انهم كانوا ٧٢ وهؤلاء ترجموا كتاب العهد القديم (اطلب سبعينية) واخذت عنهم المدرسة رواياتٍ من التاريخ القديم ومبادئ شرعية وادبية كان اليونان يجهلونها الى ذلك الوقت. وحاول فيلاذلفوس احياء الشعر بعد اندراسه واقام في

(*) لاغوس: والد بطلميوس أحد قواد الاسكندرية وجدّ البطالمة.

أعياد باخوس العاباً ومصارعات جلبت الى الاسكندرية افحل شعراء تلك الايام واشتهرت اشعارهم أيّ اشتهار حتى ظن الناس ان بضاعة الشعر التي كسدت في بلاد اليونان برواج الفلسفة وحوادث السياسة سترجع في مصر الى أهميتها السابقة. وبعد ان جدت المدرسة في ميدان الشعر أخذت في درس الآداب وفن التحقيق فلم تلبث ان نجحت في ذلك نجاحاً عظيماً، وكانت تآليف اوميروس قد جمعت بامر بيستراتوس الا انها كانت تشفُّ عن خللٍ كبير فباشرت المدرسة اصلاحها وفي مدة قصيرة صدر منها بهمتها عدة مجموعات متنوعة. فان زينودوتس الافسي صحح مجموعة اشعار اوميروس ونشرها واصدر بعدهُ ارتسوفانوس البيزنطي مجموعة اخرى وقام بعدهما ارسترخوس فاصلح مجموعتيهما وكان كل من الثلاثة المحققين المذكورين الناس الى ارائه فصار لهم تلامذة كثيرون وكان لارسترخوس وحدهُ أربعون تلميذاً بل اربعون عالماً يدافعون عن مبادئه ويردون مقالات التابعين كراتس المليسي وكان غراما طبقياً مشهوراً اقامهُ الملوك الاتّالسة في مدرسة برغاموس مناظرة مدرسة اللاغوسيين. وكذلك العلوم الطبيعية والرياضية نجحت ايضا نجاحاً عظيماً وأنشأ ايراتسثينس الكتبيّ في الاسكندرية علمي الجغرافية والتنجيم وخلفهُ اغا ترخيلس وارستيلّس وتيموخاريس وكونون فأكملوا ما قام به واظهر ارسترخوس حركة الارض وجدّ ابّرخوس وابلونيوس البرغي واضع القطاع المخروطي في تكميل ما وضعهُ اقليدس ووضع فن التشريح كل من راسسترانس وهيروفيلس اللذين اقامهما اللاغوسية في المدرسة فكان ذلك توطئةً لاختراع فن الطب. ومع ان مدرسة الاسكندرية بلغت اسمى درجات المجد لم تصل فيها الفلسفة الى ما وصلت اليه الفنون المقدم ذكرها وذلك لأن معلميها وهم سترانون وكولوتيس وسفيروبس ومينيكراتس وساتيروس لم يكونوا من ذوي العقول الثاقبة وكان اكثرهم على مذهب الاكاديمية الساقطة أو على مذهب بيرو وابيقوروس ومن الدجالين والمدّعين القائلين بتفضيل المعرفة الاختبارية أو العملية على المعرفة العلمية أو النظرية، ثم تغيرت الاحوال وجاء الزمان بالانقلاب الذي يطرأ على الامم الناجحة عند انتقالها من مذاهب قديمة الى مذاهب حديثة وكان افرجيتس قد خلع اخاهُ عن تخت الملك وقتل ابن اخيهِ وطرد شقيقتهُ ليتزوج بنتها وذبح ابنهُ ليستقر لهُ الملك فلم يتمكن من توطيد سلطته الا بالقساوة والقاء الخوف في قلوب الامة فهرب اهل الاسكندرية من جوره واعتسافهِ وسقطت مدرستها من أعلى درجات التقدم وامتلأت بلاد اليونان وجزائر البحر المتوسط من المؤلفين والعلماء الذين حملتهم مظالم الملك على الرحيل عن أوطانهم فسار تلاميذ اراستراتس الى أزمير وتلاميذ هيروفيلس الى اللاذقية اما ارسترخوس واتباعهُ فتشتت شملهم وكان تفرق أولئك الفطاحل من أعظم المصائب التي طرأت على العلوم والآداب في الازمان القديمة.

العصر الثالث، من بطلميوس كاكرغيتس الى كليوبطرة وذلك من سنة ١١٧ الى سنة ٢٩ قبل الميلاد. فان الملك الذي انزل بالآداب والعلوم تلك البلية الطامّة ارجع المدرسة التي خربها وكان

محبًّا للمعارف كاجداده اللاغوسية ومؤلفاً كسلفه فجدَّ في تعويض ما رزئت به العلوم من جري سوء سياسته. فاشترى كتباً كثيرة وكانت اثينا قد اهدت اليه مؤلفات اوريبيذيس فسمح باصدار حبوب مصر اليها مكافأةً لها على ذلك. ثم استعار منها كتباً اخرى وخسر ما رهنهُ عندها ليتمكن من ابقاء الكتب المذكورة في مكتبته، وكان الاتالسة منذ زمنٍ مديد يسابقون اللاغوسية الى نشر الآداب والعلوم وجمع الكتب فعاملهم بطلميوس السابع بالقساوة ومنع اخراج البردي من مصر لأن القراطيس كانت تؤخذ من أصله ولم يخطر بباله ان الكتب التي يجمعها الأتالسة يكون مصيرها الى مكتبته غير ان منعهُ خروج البرديّ من بلاده حمل الناس على اختراع رقّ الغزال. وكان قد نشأ عن محبة اللاغوسية للكتب مساوئ كثيرة في عهد فيلاذلفوس نفسه لأن العلماء نشروا رغبةً في ارضائهم كتباً ملفقة ونسبوها الى افحل المؤلفين ثم رجعوا الى تلك التجارة القبيحة وإذ كانت تأتيهم بالربح وكان الملوك لا يدققون في البحث عنها جروا عليها مدة طويلة وشاركهم اليهود في ذلك. ففسدت الآداب بتلك التآليف الفاسدة. إلا ان اتعاب بطليموس السابع والمصاريف التي قام بها لم تذهب على غير طائل. فغصّ الموزيوم بالعلماء كما كان سابقاً ورجعت الدروس فيه الى حالها السابقة ولكن الحركات والقلاقل حالت دون رجوع المدرسة الى رونقها الأول. فانه في عده كاكرغيتس الى وفاة كليوبطرة كثرت المظالم والفظائع والثورات والقلاقل فلم يتمكن الملوك من الاعتناء بالمدرسة فاخذت في السقوط وكان سقوطها سريعاً ولم يبقَ فيها حينئذٍ إلا غراماطيقيون وآلاتيون وسفسطيون ومعلمو فصاحة ولم تكن التآليف والفوائد الناشئة عنها موازية للمجد الذي بذلهُ كاكرغيتس في سبيل نجاحها.

العصر الرابع، من سنة ٣٠ ق. م. الى سنة ٣٣٠ للميلاد ثم جاءت فتوحات الرومانيين مدرسة الاسكندرية ببلايا ومصائب كثيرة فانهُ فيما كان قيصر قاهربومبيوس اخذاً في استمالة كليوبطرة لتثبيت شوكته عصى اهالي الاسكندرية فامر بحرق الاسطول المصري الراسي في المرفأ فامتدت النار الى حي بروخيوم واحترقت مكتبة اللاغوسية. وقد ذهب بعض المؤرخين الى انهُ احترق في تلك النازلة من سبعمائة الى ثمانمائة الف مجلد وان كلاً من مكتبتي بروخيوم وسيرابيوم ذهبتا فريسة للنار. إلا انهُ يستفاد مما ذكرهُ المؤرخون عن حرق الاسكندرية ان الحيّ الذي كان فيه هيكل سيرابيس لم تصل اليه النار وانهُ لم يحترق بها الا المكتبة القديمة المسماة بالأمّ وكان عدد مجلدتها ٤٠٠ الف مجلد. اما المكتبة المسماة بالابنة فسلمت من النار وذكروا ان عدد مؤلفاتها كان ٣٠٠ الف مجلد. ولذلك لم تكن مدرسة الاسكندرية في حالة الخراب التام عند انتقالها من دولة اليونان الى دولة الرومان. ولم تلبث ان اتاها ذلك الانتقال بنفع عميم فان مرقس انطونيوس اهدى الى كليوبطرة مكتبة الاتالسة وكانت مؤلفة من مائتي الف مجلد. ونهج اوغسطوس قيصر منهج مرقس انطونيوس في مساعدة تلك المدرسة. واما الامبراطور كلوديوس الذي كان من المؤرخين فأنشأ في الاسكندرية مكتبة جديدة وكانت مكتبة اللاغوسية لم تزل باقية

في حي بروخيوم أو في غيره من الاحياء. وذكر استرابون وقد زار مصر بعد احتراق البروخيوم بسنين عديدة ان مداخيل المكتبة كانت على حالها السابقة وان الامبراطورين كانوا يعينون لها رؤساء كما كان ملوك مصر يفعلون من قبلهم الا انهُ حال دون رجوع المدرسة الى رونقها الاول موانع شتى منها ان علماءها كانوا يتكلمون بلغة لم تكن لغة ملوك البلاد. وكان الرومانيون يحبون الآداب اليونانية الا انها لم تكن نفس آدابهم. وكان المصريون واهل رومية ايضا يستغربونها. وبعد ان حاول جماعة من أهل الأدب والمؤلفين الاقامة في الاسكندرية والمعيشة فيها رحلوا عنها واقاموا في رومية وحاول بعضهم التأليف في لغة القياصرة. اما المدرسة فبذلت ما بقي لها من النشاط للتغلب على تلك المصاعب ورجعت الى التحقيق بهمة عالية فبحثت عن التآليف القديمة والتاليف التي صدرت في عهد بريكليس بحثاً خصوصياً ورتبت جدولاً لمؤلفيها اصح من الاول وعلقت على تلك التآليف شروحات الذ من الشروحات السابقة وبذلت العناية في التمييز بين لغاتها ودققت كل التدقيق في مراجعة قواعد اللفظ والموسيقى والفصاحة والشعر ثم اجتهدت في ان تجعل للغة التي اصطلحت عليها ما كان للغة اثينا القديمة من الضبط والطلاوة لأنها زعمت ان اثينا فقدت اللغة الصحيحة فهذا ما اشتغل به ذيذيموس وثيون وارخبيوس وجماعة من العلماء اشتهروا باسم ابلونيوس وافرانور وابيون وهنستيون وكلهم غراماطيقيون. اما ميموجينس واسترابون وكلوديوس بطليموس فاكملوا الجغرافية العلمية والسياسية التي الفها ايرانسثينس واغاترخيذس واعتنوا باتقانها حتى بلغت اعلى درجات الكمال في الاعصر السالفة ورقي كلٌ من بطليموس وديوفنتس علم الهيئة واوصل سورانوس وغاليونس فن الطب الى درجة استمر فيها مدة عشرة قرون. وقرر بلوتينوس خلف بوتامون وامونيوس سكّاس وسلف برفيوبوس وجمبليك مبادئ جديدة كانت قد انقذت دين الوثنيين من السقوط لو كان انقاذهُ ممكناً. ورأى انطيوخوس احد فلاسفة الاسكندرية وكان تلميذ فيلون ورئيس الاكاديمية الخامسة انهُ لابد من الرجوع الى مبادئ ثابتة فانتخب ما استحسنهُ من تعاليم زينون وافلاطون وارسطوطاليس وعلم به في اثينا والاسكندرية ورومية فتبعهُ قوم لقبوا بالاكلكتة او اهل المعقول غير ان اناسيذيموس الفيلسوف السبكتيكي قام بعدهُ ودحض تعاليمهُ واقوالهُ في مدرسة الاسكندرية. واما بوتامون الاسكندري فتعمق في مذهب اهل المعقول واختار احسن ما علّمهُ افلاطون وارسطوطاليس وزاد عليهِ امونيوس سكاس فحاول التأليف بين الدين المسيحي ومذاهب كل من الشرق وبلاد اليونان باتخاذهِ مذهباً غنوسطياً فلسفياً الا ان بلوتينوس اشهر تلاميذهِ رفض دين النصارى والغنوسطين وحاول احياء الفلسفة والنظامات اليونانية بمذهب افلاطون فتمسك به كل التمسك وخلطهُ باسرارٍ تجاوز بها حدود الاعتدال. واقتفى اثرهُ في ذلك تلميذهُ بُرْفيريوس وجمبليك تمليذ برفيريوس وحاولا ان يجعلا مذهب افلاطون احسن المذاهب واوجهها لسدّ احتياجات الامم التي فسا بينها مذهب السكبتيكة اي مذهب الريب والكفر. الا ان تعاليم اخرى وطيدة وهي التعاليم المسيحية سدّت تلك الاحتياجات وابطلت معابد الاقدمين ومدارسهم.

العصر الخامس، من قسطنطين الى ثيودوسيوس وذلك من سنة ٣١٢ الى سنة ٣٩١ للميلاد. وكان بلوتينوس وبرفيريوس وجمبليك رؤساء مدرسة الاسكندرية يكرهون الديانة النصرانية ويسعون في ابطالها. فذهب ما كان لمدرسة اللاغوسية من الرونق الأدبي والعلمي وصارت مدرسة للجدال والمشاحنات وكان النصارى قد كثروا في الاسكندرية فسلكوا نحو الموزيوم مسلكاً جديداً واستعملوا ما كان لهم من النفوذ عند قسطنطين وخلفائه ليحملوهم على ابطال تعليم الفلسفة الوثنية. ويتضح من النظامات الامبراطورية الواردة في قانون ثيودوسيوس ان البلاط البيزنطي شرع باقفال المعابد والمدارس الوثنية. ولم يقتصر على ترك الموزيوم والسيرابيوم وشأنهما بل كان لهما من أشد المقاومين وقد سمح لهما بمداومة تعاليمهما توفيراً لذكر اللاغوسية وارضاء للاهالي الذين كانوا يتقاطرون اليهما الا انهُ كان يقابل تآليفهما الصادرة في غير محلها بالازدراء والاحتقار. وفي عهد يوليانوس القصير المدة جاء الاسكندرية كثيرون من محبي الآداب اليونانية فاقاموا فيها واحيوا الفلسفة بعد اندراسها ونبغ في ذلك العصر سيريانوس وكان عازماً على نقل المدرسة الى اثينا الا انهُ حدث خلاف جديد سقطت به سقوطاً تاماً.

وسنة ٣٩١ عزم ثيوفيلس بطريرك الاسكندرية على هدم السيرابيوم وكان اشهر معابد الوثنيين فاهاج الفيلسوف اولمبياس عبدة المعبود سيرابيس فاجتمعوا في الهيكل وصمموا على الدفاع فكتب البطريرك الى الامبراطور يخبرهُ بمقاومتهم فورد منهُ جواب بهدم الهيكل المذكور وكان الموزيوم باقياً الى ذلك العهد الا ان من المؤرخين من ذكر انهُ هدم ومنهم من قال ان البطريرك اقتصر على طرد الفلاسفة منهُ. اما الفيلسوفة ايباتيا فتمكنت بعد ذلك في زمن سكينة وسلام من تعليم الفلسفة اليونانية في الاسكندرية ولم يكن اتكالها على ما تصادفهُ فلسفتها المقترنة بجمالها من القبول عند الناس بل كانت تظن ان اعتدال تعليمها يسهل لها بلوغ مقصدها. الا ان الاهالي ثاروا عليها وقتلوها سنة ٤١٦ وربما قام بعدها بالاسكندرية بعض غراماطيقيين وشعراء وفلاسفة من اليونانيين على غير دين النصارى ولكنهم لم يتمكنوا من الاقامة فيها الا بمراعاة ذلك الدين كل المراعاة. وافل قمر المدرسة اليونانية بعد ان وصلت الى ما وصلت اليه من العز والمجد وبعد ان استمر الموزيوم مدة سبعة قرون اول المدارس اليونانية ووضع عدة علوم زانها بتآليف جمة ولولا تلك التآليف لبقيت علوم اليونان القديمة ناقصة فكانت تآليفها سبباً لتمدن العالم.

وأما المدرسة اليهودية فربما كان انشاؤها قريباً من العهد الذي انشئت فيه المدرسة اليونانية لأنهُ يمكن ان ينسب انشاؤها الى السبعين مترجماً الذين دعاهم ثاني اللاغوسية من فلسطين الى مصر لترجمة العهد القديم الى اللغة اليونانية ومما يوجب الاسف ان اسماء المترجمين المذكورين فقدت عن آخرها والسكوت عنهم دليل على انهم لم يكونوا من اعضاء الموزيوم لأنهم يهود. لذلك لم يذكر الا شيء قليل عن اول علماء هذه المدرسة وقد سماهُ المؤرخون ارستوبولوس الا ان

العصر الذي نبغ فيه غير معروف تماماً ومن المستصعب البحث عن تآليفه والحكم فيها غير ان القدماء قالوا ان محبتهُ لديانة اليهود جعلتهُ يومل بانحياز الفلاسفة اليها . فادخل في جلّ كتب الوثنيين اشعاراً من نظمه تحتوي على مبادئ الشريعة الموسوية فصادف سعيهُ هذا قبولاً لدى يهودي آخر من الاسكندرية اسمهُ فيلون نبغ في اوائل الديانة المسيحية فوفّق بين دين اليهود ومذهب افلاطون وملأ التاريخ المقدس بالتشابيه والاستعارات ليحمل اليونانيين على قبول الدين والتاريخ المذكورين. ومن المعلوم ان يوسيفوس حذا في تاريخ امته حذو فيلون في تقريره عقائدها لتحوز القبول عند اليونانيين والرومانيين ولم يذكر المؤرخون النجاح الذي فاز به كل منهما . وخمل ذكر المدرسة اليهودية في مصر بعد فيلون. وقد ارتأى المحققون ان المدرسة المسيحية التي انشئت في مصر في القرن الاول للميلاد وميل اليهود الى المخاصمة والمقاومة مما سبب سقوط هذه المدرسة.

واما المدرسة المسيحية فكان المقصود الاصلي من انشائها عضد تلك الديان. ولا يخفى ان الذي بشر بالانجيل في مصر هو القديس مرقس البشير. وذكر المؤرخون ان انيموس كان اسقفاً للاسكندرية في عهد نيرون الا ان الدين المسيحي لقي في الاسكندرية مصاعب لم يلق مثلها في غيرها. وكان لابد لهُ من التغلب عليها. وسببها ان الشعب كان يكره دين اليهود الذي هو أساس النصرانية وكان علماء الموزيوم الذي كانت في ايديهم ادارة الشعب اقل الناس استعداداً لقبول تعاليم مصدرها كمصدر الدين المسيحي فرأى النصارى في الحال انه لابد من اصلاح تعليمهم اصلاحاً خصوصياً في مدينة غاصة بالفلاسفة والمحققين فأنشاؤا مدرسة خصوصية للذين كانوا يريدون ان يتضلعوا من معرفة الآيات الكريمة وفي أواخر القرن الثاني انحاز بنتينوس احد الرواقيين القدماء الى تلك المدرسة التي كانت تناظر الموزيوم في العلوم الأدبية والدينية وجعل مديراً لها. ثم اعتنق الفيلسوف اثيناغوراس الاثيني الدين الجديد واستلم ادارة مدرسة خلفهُ فيها قوم اعظم منهُ. وفي عهد اكليمنضوس الاسكندري واوريجانوس بلغت تلك المدرسة اسمى درجات المجد وفاقت مدرسة انطاكية مع انهُ كان فيها علماء كثيوفيلس ولوسيانوس. ووقع عليها في عهد ديوكلتيانوس سنة ٢٨٤ للميلاد اضطهاد شديد الا انها رجعت الى رونقها الاول بعد وفاة المضطهد. ومع ان خلفاء اوريجانوس واكليمنضوس كانوا دونهما في الحذق كان لهم ما لسلفيهم من السطوة والنفوذ وهم يعتبرون في الغالب آخر رؤساء المدرسة المسيحية. وللوقوف على اهمية التعاليم المسيحية في الاسكندرية ينبغي امعان النظر في تآليف القديس بطرس البطريرك وتآليف خلفه القديس اسكندر وتآليف القدس اثناسيوس اشهر اخصام آريوس وتآليف القديس غرينوريوس النزينزي ويوليوس الافريقي المؤرخ المعتبر وايسيخيوس صاحب القاموس اليوناني النفيس والقديس مكاريوس الملقب بالشاب وكان تقياً متقشفاً ونونس بانبليس صاحب القصيدة المسماة ذبونيسياكة وذيذيموس معلم التعليم المسيحي والقديس كيرلوس البطريرك الخطيب

الفصيح وسينيسيوس تلميذ ايباتيا الشهيرة واسقف بتولمايس في مصر وزد على هؤلاء الفطاحل جماعة من المؤلفين يعتبرون في الغالب وثنين من حيث نسق تآليفهم مع انهم كانوا على دين النصرانية. وقد اشتهرت هذه المدرسة بالعلم اكثر من كل المدارس النصرانية التي انشئت في القرون الاولى للميلاد لأن العلوم كانت لها ضربة لازب لوجودها في وسط ديانة يهودية مستندة الى الفلسفة ومدارس يونانية او مصرية مستندة الى النظامات العمومية وارتقة اريوس وهي دقيقة تميل اليها القلوب ومقاومين اشداء أقلقوا الكنيسة في ازمانها الاولى وهم الغنوسطيون اي اهل التوليد. واعتنى علماء تلك المدرسة بأن يعرضوا الدين المسيحي على الناس عرضاً تعمقوا فيه البحث عنهُ وذلك ما سماهُ القديس اكليمنضوس الاسكندري الغنوسطية الحقيقية المضادة للغنوسطية الارتقية التي انتحلت هذا الاسم زوراً وبعد ان عرضوا الايمان المسيحي على ذلك المنوال الفوا تأليف شتى لتفسير التوراة خصوصية في قواعد الاعتقاد والقانون الوجيز المكمل المنسوب الى القديس اثناسيوس. وكل الارتقات المشهورة ولا سيما ارتقات الالفيين وسابيليوس واريوس ونسطور واوطيخا والغنوسطيين صادفت مقاومين اشداء في المدرسة المسيحية نعم ان اوريجانوس احد اكابر علمائها سقط في بعض اغلاط إلا انهُ نقض اعظم منها كثيراً ولهُ بذلك مزيد فخر.

واما المدرسة الغنوسطية أي مذهب التوليد فأنشئت في فلسطين او في سورية عند ظهور الدين المسيحي ولم يكن مذهب الغنوسطيين الا موفقاً بين الدين الجديد والاديان القديمة واقيم له في الاسكندرية مدرسة في اوائل القرن الثاني للميلاد واشتهر مؤسسها باسيلينس قبل ان اشتهر القديس بنتينوس وكان اشتهارهُ نحو سنة ١٢٥ للميلاد وخلاصة تعليمه انهُ انبثق من الله الذي لا يجدهُ وصف سبعة اصوات وان ثلثمائة وخمسة وستين روحاً مقامة لادارة العالم. وادعى بأنهُ أخذ هذا التعليم عن القديس متى الرسول وعن غلوسيوس احد تلاميذ القديس بطرس الرسول وعرضهُ على الناس بوجه سري مبهم فتبعه قوم كثيرون واستمر مذهبهُ هذا الى اواخر القرن الرابع. وقام بعدهُ فالنتينوس فانشأ بدعة جديدة او مدرسة غنوسطية ثانية فكان تبعتها اكثر من تبعة المدرسة الاولي وانقسمت الى عدة فروع تحت رئاسة هرقليون وبطليموس ومرقس. وفي ذلك العصر نفسه او في العصر الذي بعدهُ انشئت في مصر غنوسطية ثالثة وهي مدرسة الاوفينة فانقسمت ايضا الى عدة فروع منها مدرسة السيثيين والقائينيين وهما شرُّ فروعهما فانهما كانتا عاملتين على تزييف الكتب المقدس والعقائد المسيحية وتحريف تاريخ الوحي وافساد العادات وكانت سيرتهما من اقبح السير. ولما انفتح باب الفساد دخلتهُ مدرسة اخرى وهي مدرسة الكربوكراتية الا ان المدرسة المسيحية والمدرسة اليونانية في الاسكندرية جدتا في ابطال تعاليم الغنوسطيين فعاقتا نجاح مدارسهم وآخر واحدة منها انقرضت قبل ان فتح المسلمون مصر بقرن واحد. والامر التي اصدرها يوستنيانوس سنة ٥٣٠ هي آخر الاوامر التي صدرت من

البلاط البيزنطي ضد اوفينة مصر. اما المدرسة المسيحية فهي التي حلت بها اعظم المصائب في مدينة الاسكندر فان عمرو بن العاص فتح الاسكندرية سنة ٦٤٠ للميلاد في ايام الخليفة عمر بن الخطاب وقد ذكر في رواية شرقية رواها ابن العبري ان عمراً المذكور احرق مكاتب تلك المدينة بعد ان استشار الخليفة في امرها فاحمى بها حمامات المدينة وكانت ٤٠٠٠ حمام مدة ستة اشهر الا ان كثيراً من الحوادث والادلة ينقض تلك الرواية فان قصر بروخيوم او مكتبتهُ كانتا قد حرقتا حين غزا قيصر البلاد المصرية واقفرحي بروخيوم من عهد اوربليانوس ونهب ديوكلتيانوس المدينة. وفي عهد ثيودوسيوس هدم السيرابيوم ولم يذكر المؤرخون ما ناب فوريوم كلوديوس ولكن بعض مجلداتها نجا من الدمار الا ان ثيودوسيوس الثاني نقل الى الولايات كل الكتب النادرة التي كانت في مكاتب الاسكندرية. وفي عهد القديس كيرلوس البطريرك وعهد مرشيانوس حصل في الاسكندرية قلاقل وسجس واستولى عليها العجم في عهد هرقليوس وكان امونيوس ويوحنا فيلوبوناس الغرماطيقيان لم يزالا يتفقهان في الاسكندرية مع ما صارت اليهِ مكاتبها من الدثار قبل ان فتحها عمرو بن العاص بثلاثين سنة فلم يتمكنا من تحقيق ما ذكرهُ بعض المؤرخين من أنهُ كان يوجد في المكاتب القديمة ٤٠ كتاباً في شرح تعاليم ارسطوطاليس وهذا كلهُ يثبت خراب مكاتب الاسكندرية قبل فتح المسلمين لتلك المدينة ثم بعد سنة ٦٤٠ الميلاد وهي السنة التي فتحت فيها الاسكندرية خمل ذكر المكتبة القديمة ولم يتكلم عنها مؤرخ الا ان الاسكندرية جعلت بعد ان رزئت بما رزئت بهِ مركزاً للعلوم لأن الخليفة المتوكل اقام فيها سنة ٨٤٥ مدرسة ومكتبة اسلاميتين فنجحتا نجاحاً عظيماً ومع ان الترك فتحوا المدينة المذكورة ودمروا قسماً منها سنة ٨٦٨ ثبت كل من المدرسة والمكتبة الى القرن الثاني عشر.

الوصف العام لمدرسة الإسكندرية

تميّزت بهذا الاسم الدراسات الأفلاطونية التي كانت تروّج لها مجموعة الفلاسفة الذين عاشوا في الاسكندرية في الفترة بين من منتصف القرن الرابع حتى سقوط المدينة بيد العرب عام ٦٤٢م، وهي دراسات لغتها اليونانية واللاتينية، وترتبط بتعاليم مدرسة أثينا، فكان معلّموها يتلقّون العلم في أثينا، وقد يصبحون هم أنفسهم معلمين يحاضرون بقاعاتها.

ومع ذلك فقد فهمت كلّ من مدرستي أثينا والاسكندرية، الأفلاطونية بطريقة تختلف عن الاخرى. فبينما شاع الجوّ الديني في أثينا وانتشرت فيها الصوفية وذاع التأمل والنسك، كانت الاسكندرية معقل الاتجاهات الوثنية، وليس هناك من تناول أي شأن من شؤون الدين الاّ لدى اللاهوتي اليهودي (فيلون PHILO ٢٠ ق. م – ٥٤م)، وهو من مواليد الاسكندرية، حاول ان

يشرح الدين بتعابير الفلسفة اليونانية وأكثر من استعمال الطريقة الرمزية. وقد تأثر بافلاطون[٩] في المقام الأول، ولكنه تأثر بأرسطو[١٠] والكلبيين CYNICS[١١] والرواقيين STOICS[١٢] أيضا. وقد فسّر التوارة تفسيراً مجازياً ليثبت انها تشتمل على آراء فلاسفة اليونان.

وقد نشأت في هذه الفترة، المدرسة الافلاطونية الجديدة أو المحدثة NEOPLATONISM[١٣] التي أسّسها أمونيوس سكّاس أو الحمال AMMONIUS SACCAS (١٧٥ - ٢٤٢م) وهو فيلسوف يوناني اسكندري وأستاذ أفلوطين PLOTINUS (٢٠٥ - ٢٧٠م) وهو فيلسوف روماني مصري النشأة، رحل الى روما حيث تتلمذ عليه «فرفوريوس PORPHYRY ٢٣٣ - ٣٠٤م» أحد ابرز ممثلي الفلسفة الافلاطونية المحدثة، ووضع ترجمة لحياة أفلوطين. وقد قام بانتقاد النصرانية انتقاداً قاسياً في كتابٍ دعاه «ضد النصارى AGAINST THE CHRISTIANS».

ومن العلماء المشهورين في الأفلاطونية، اللاهوتي المسيحي المولد «أوريجنس ORIGEN ١٨٥ - ٢٥٤م». وقد قام بوضع عدد من الشروح التوراتية والرسائل اللاهوتية، وسجن عام ٢٥٠ ولقي نحبه في صور / لبنان متأثراً بالعذاب الشديد الذي لقيه.

وكذلك «القديس كليمنت الاسكندري SAINT CLEMENT OF ALEXANDRIA ١٥٠ - ٢١٥ م» وهو لاهوتي نصراني يوناني، درس في الاسكندرية ودرّس فيها. ويعتبر أحد مؤسسي المدرسة الاسكندرانية في اللاهوت. وقد اضطر الى مغادرة الاسكندرية خلال حملة الاضطهاد التي تعرّض لها النصارى هناك حوالي العام ٢٠٣م، ومن ثم اكتنف الغموض حياته.

ومما هو جدير بالذكر انه الى جانب هذه الحركة الفلسفية، كانت هناك أيضاً حركة واسعة في الأدب والعلم والفن، وأطلق على هذه الحركات مدرسة الاسكندرية، وقد عاشت من سنة ٣٠٦ ق.م - ٦٤٢ ب.م. وكان يغذّي هذه الحركة متحف الاسكندرية ومكتبتها المشهورة.

ويقسّم مؤرخو هذه المدرسة تاريخها الى عصرين:

العصر الأول:

من قيام دولة البطالسة الى غلبة الرومان (أي ٣٠٦ ق.م الى سنة ٣٠م) وقد عدّت الاسكندرية في هذا العصر في مقدمة بلاد العالم في الأدب.

العصر الثاني:

من سنة ٣٠م الى سنة ٦٤٢م، وهي سنة فتح العرب للاسكندرية، وفي هذا العصر كانت الفلسفة تأخذ نصيباً كبيراً في الحركة الفكرية.

غير أن النصرانية قامت في الاسكندرية بجانب الفلسفة اليونانية. وقد اختلفت النصارى فيما بينهم طوائف وشيعاً، وتجادلوا في طبيعة المسيح وناسوته ولاهوته وعلاقة المسيح به، فأخذوا يستعينون بالفلسفة وما فيها من منطق وأبحاث وجدل.

وكان اتصال النصرانية بالفلسفة اليونانية بمثابة أول حركة للاتصال في الاسكندرية، كما اتصلت اليهودية بالفلسفة في الاسكندرية ايضا من قبل ذلك على يد (فيلون) ومن تلاه بعد ذلك.

وهكذا نجد بأن النمط الاسكندري أخذ ينتشر في مزج النصرانية بالفلسفة في انحاء الشرق، وأصبح كثير من رجال الكنيسة يعلّمون النصرانية مفلسفة، أو الفلسفة منصّرة. وحاولا جّدياً في التوفيق بين ما يتعارض بنيهما:

فمثلاً: قالت النصارى «إن المسيح ابن الله» والأبوّة مقدّمة على البُنّوة.. تقدُّم السبب على المسبَّب، واذن كان الله قبل المسيح. وترى الفلسفة ان العلة الاولى، او بعبارة أخرى «الله» لا يلحقه تغيّر فكيف يكون أباً، وكان قبلُ غير أب، فيجب أن يفسّر الابن تفسيراً يتفق والفلسفة وهكذا.

وكان معظم القائمين بهذه الحركة النصارى النّساطرة، فبثُّوا مدارسهم وتعاليمهم في الشرق، وكانوا يعلّمون باللغة السريانية، وينقلون الكتب اليونانية الى السريانية.

لقد كانت الكنيسة الاسكندرانية والمصرية تسير في الغالب على مذهب اليعاقبة[١٤]، وكانت لغتها السريانية SYRIAC LANGUAGE[١٥] والقبطية COPTIC[١٦].

وكان ما ينتجه النساطرة في آسيا[١٧] والفلسفة باللغة السريانية، أكثر من انتاج اليعاقبة في مصر، لأن الجدل الديني في آسيا، وخاصة في العراق، بين النصارى بعضهم البعض، وبين النصارى وغيرهم من أهل الديانات الاخرى، كان اكثر منه في مصر.

وقد اشتهرت مدرسة الاسكندرية بالطب والكيمياء والعلوم الطبيعية حتى عند الفتح العربي، رغم ان أبحاثها إذ ذاك ممزوجة بالسحر والطلاسم والتنجيم.

ومما يلاحظ على اليعاقبة في مصر ميلهم الىٰ مذهب الافلاطونية المحدثة والتصوف ومعيشة الأديار والرهبنة، بينما يلاحظ على النساطرة في آسيا ميلهم الى التفكير الفلسفي والمنطق من غير اغراق في الرهبنة والروحانية رغم وجود ديار لهم.

فضل مدرسة الإسكندرية على الحضارة العالمية

ذكر العديد من المؤرخين الاغريق ان الطبيب الأسطوري (اسكليبيوس ASCLEPIUS) انه قد تعلّم الطب في مدارس مصر الطبية وخاصة مدرسة امحوتب IMHOTEP الشهيرة في مدينة منف. وعندما عاد الى مدينة اثينا، أنشأ مدرسة طبية على غرارها ونقل اليها جميع العلوم الطبية المصرية وقام بتدريسها لتلاميذه.

وبعد وفاته أخذ طلابه بانشاء عدة مدارس طبية في مدن كوس وكنيدس وابيداوروس وبرغاموم وسميت الاسكليبيا.

وقد توافد على مصر العديد من الاغريق لتعلّم مهنتي الطب والصيدلة، والتحقوا بمدارس معابد انو (هليوبوليس) ومنف (ممفيس) وسايس بالدلتا حيث اشتهر فهم كثيرون.

وحوالي عام ٥٧٠ ق. م. سمح الملك أمازيس الثاني AMASIS II (٥٦٩ – ٥٢٥ ق. م. الذي بنى معبد ايسيس ISIS في ممفيس) للجالية اليونانية المنتشرة في مصر بالتوطن شمال غربي الدلتا، غرب فرع رشيد وقبالة مدينة سايس بانشاء مدينة اغريقية لهم سميت «نقراطيس» والتوطن فيها باعتبارهم جنوداً مرتزقة.

وفي عام ٣٣٢ ق. م. غزا الاسكندر المقدوني أرض مصر وأمر بانشاء مدينة الاسكندرية على البحر الأبيض المتوسط على انقاض قرية صغيرة كانت قديماً ميناء مهما، مستعيناً بالأهالي من مدينة نقراطيس. وهكذا ظهرت الى الوجود ثاني مدينة اغريقية في مصر. (المدينة الثالثة اسمها بطلمايس، وقد بناها بطليموس الأول، ومدينة رابعة مكان مرسى مطروح اسمها باراتونيوم).

وحينما آل الحكم الى بطليموس الأول أحد قادة جيوش الاسكندرية بعد وفاته عام ٣٢٣ ق. م. عمل على ازدهار مدينة الاسكندرية وجعلها عاصمة العلوم والفنون في العالم الهيلينيستي. فأمر بانشاء جامعة الاسكندرية والمكونة من العديد من المنتزهات والمباني والقاعات وهيكل لإلهات الشعر، بالاضافة الى العمود الفقري لها، وهو المبنى الموسيون MOUSEION (المتحف) والذي احتوى على قاعة كبيرة بها مقاعد ومناضد للدراسة وغرف ومعامل للتحليل والتجارب والتشريح وحديقة حيوان بها متحف للحيوانات المحنّطة والاحجار والمعادن ومعهد ومرصد فلكي كبير له قبة واسعة وحديقة نباتية لزراعة مختلف النباتات الطبية، اضافة الى صالة كبيرة للتمشي فيها على غرار مدارس أرسطو، وصالة اخرى للجلوس والمناظرات وقاعات كبيرة لايواء الطلبة.

وقد ألحق بها بطلميوس الأول مكتبة كبيرة ضمن حوالي نصف مليون كتاب ومجلد من أمهات المؤلفات اليونانية والمصرية والعبرية والأثيوبية والفينيقية وغيرها.

وقد حدثنا الدكتور سمير يحيى الجمال في مقال له بالاهرام (٢٨ فبراير ١٩٩٠) ان من أكثر العلوم ازدهاراً أيام حكم البطالمة كانت الطب والصيدلة واللتان كانت لهما مدرستان شهيرتان ضمن نطاق جامعة الاسكندرية التي ضمت العديد من مشاهير العلماء والاغريق في وفي مقدمتهم هيروفيلوس رائد علم التشريح[١] وايراسيستروتوس رائد علم وظائف الأعضاء «الفسيولوجيا»[٢].

ثم ظهرت مدرسة طبية اخرى أسّسها الطبيب الاسكندري المولد «سرابيون الكبير ٢٢٠ – ١٥٠ ق. م» بالاشتراك مع خلفاء الطبيب فيلينوس وتلامذته، وكان مهتماً بالعلاج الطبي مستعيناً بالتراث الطبي المصري القديم، وأدخل في العلاج الكثير من عقاقيرهم القديمة والتي ظلت معمولاً بها في أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادي.

وظهرت كذلك الطبيبة مترادورا المتخصصة في أمراض النساء، وماريئس الاسكندري جرّاح الجمجمة، والطبيب انتيللس جراح العيون العظيم.

ولقد احترق جزء كبير وهام من مكتبة الاسكندرية الكبيرة عام ٤٧ ق. م. حينما حصر القيصر يوليوس المدينة للانتقام من غريمه بومبي الذي لجأ الى الملكة كليوبترة السابعة وأخيها الملك بطليموس الرابع عشر، ولكن قيصر عوضها بجزء كبير من مكتبة مدينة برغاموم.

وفي القرن الثالث الميلادي أغلق رجال الدين مدرسة متحف الاسكندرية وطرد طلابها . وفي أيام حكم القيص فالنس عام ٣٣٦م حول المتحف الى كنيسة ونهبت مكتبها وطورد فلاسفتها بتهمة السحر والشعوذة.

وفي عام ٣٨١ خربت مكتبة السرابيوم بعد هدم المعبد بأمر من القيصر ثيودوسيوس THEODOSIUS واشعلت النيران في المكتبة.

وفي القرن الخامس الميلادي هجم بعض المتعصبين على ما تبقى من المتحف وحطموا صور الآلهة الاغريقية وبعثروا أثاثها «وكان ذلك بعد ان امتدت يد التخريب في معظم مراكز الحضارة الاغريقية واحداً بعد الآخر إذْ اختفت مدرسة الفلسفة في اثينا عام ٥٢٩ وأحرقت مكتبة البلاتيوم في روما عام ٦٠٠م».

وعندما دخل العرب مدينة الاسكندرية عام ٦٤٢م لم يكن هناك منذ زمن طويل أي أثر للمكتبات الكبيرة للجامعة وبقي بعض المباني الدراسية الى عام ٧١٩م عندما دمّرها زلزال كبير أصاب المدينة وهدم ما تبقى من الجامعة واندثرت نهائياً. وبذلك ثبت كذب الذين قالوا إن عمرو بن العاص احرق كل الكتب الموجودة بمكتبة الاسكندرية كوقود في الحمامات العامة.

وعندما تمّ فتح مصر على يد عمرو بن العاص عام ٦٤٢م ودخلوا مدينة الاسكندرية هرب

العديد من علماء الاسكندرية المصريين والرومان خوفاً من اضطهاد العرب لهم واستوطنوا مدينة انطاكية بالشام حيث أقاموا معهداً علمياً كبيراً عمل على نشر العلوم المصرية والاغريقية والرومانية في جميع البلدان المجاورة.

وفي عام ٧١٨م، امر الخليفة عمر بن عبدالعزيز بنقل جميع ما تبقى من علماء مدرسة الاسكندرية الى مدينة انطاكية وذلك لقربها من مدينة دمشق عاصمة ملكه، وقام هؤلاء العلماء بتدريس جميع العلوم والآداب المصرية باللغة الاغريقية.

وفي عام ٨٦٠م، عمد الخليفة المتوكل الى نقل مدرسة انطاكية العلمية وعلمائها ذوي الاصل المصري الى مدينة حرّان بآسيا الصغرى حيث مارست نشاطها العلمي في نشر العلوم.

وفي عام ٩٠٠م، أمر الخليفة المعتضد بنقل هذه المدرسة وعلمائها الى مدينة بغداد مقرّ الخلافة الجديد. وازداد بذلك تقدم الترجمة من الاغريقية الى العربية لأمهات الكتب المصرية والاغريقية.

هوامش اضافية:

(١) هيروفيلوس HEROPHILUS (٣٣٥ – ٢٨٠ ق. م.):

مؤسس المدرسة الطبية الاسكندرية. جراح وعالم تشريح يوناني. عاش شطراً كبيراً من حياته في الاسكندرية، حيث أسس مدرسة لتعليم التشريح. كان اول من قام بتشريح جسم الانسان لمقارنته مع الحيوانات الاخرى. عدّ نبضات القلب، ووصف العين والكبد والغدد اللعابية والاعضاء التناسلية عند الجنسين. يعرف في كثير من الاحيان بـ «أبي علم التشريح».

(٢) ايراسيتراتوس ERASISTRATUS:

طبيب وعالم تشريح يوناني من أهل القرن الثالث قبل الميلاد، يعتبر بعض الباحثين أبا الفيسيولوجيا ومؤسسها. أنشأ مدرسة لعلم التشريح في الاسكندرية. عُرف بدراساته في حقل الدماغ والأعصاب والأوعية الدموية. لاحظ الفرق بين الأعصاب المُورِدة SENSORY NERVES والأعصاب الحركية MOTOR NERVES وكان أول من وصف صمامات VALVES القلب. اعتقد بأن الهواء يدخل الرئتين والقلب فتنقله الشرايين الى سائر أجزاء الجسم وان الأوردة تنقل الدم من القلب الى أعضاء الجسد جميعاً.

(٣) ثيودوسيوس الاول الكبير THEODOSIUS 1 THE GREAT (٣٤٧ – ٣٩٥ م):

امبراطور روماني منح القوط GOTHS حق الاقامة في اراضي الامبراطورية وأسند الى

زعمائهم بعض المناصب العليا. الغى مهرجانات الألعاب الاولبية عام ٣٩٣(*). قسّم الامبراطورية قبيل وفاته الى جزءين، غربي وقد جعله عليه ابنه هونوريوس HONORIUS، وشرقي وقد جعل عليه ابنه أركاديوس ARCADIUS.

(*) الغاء مهرجانات الالعاب الاولبية لارتباطها بالوثنية القديمة حيث كانت مكرّسة لـ «زيوس ZEUS» رب الأرباب في المنيولوجيا اليونانية.

المسلمون و مدرسة الإسكندرية في العهد الأموي والعباسي

بالنسبة للعهد الأموي ثمة لمحات بأن الزمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (-/٩٠هـ = -/٧٠٨م) - الذي بويع بالخلافة بعد موت أبيه فزهد بها وانصرف يؤلف ويترجم كتب الكيمياء والطب والنجوم - قد أوعز استيفان الاسكندراني أن يترجم له بعض الكتب، كما ان الطبيب السكندري ابن أبجر أسلم على يد عمر بن عبدالعزيز، ويصحبه ويستطبه عمر، ويعتمد عليه في صناعة الطب.

وفي العصر العباس، هناك ذكر عن بعض تلاميذ المدرسة الاسكندرانية، فقد روى ابن أبي اصيبعة[١٨] ان «بليطيان» كان طبيباً نصرانياً مشهوراً بديار مصر، وكان بطريركا على الاسكندرية في أيام المنصور، فلما ولي الرشيد مرضت له جارية مصرية، فطلب لها طبيباً مصرياً، لأنه أبصر بعلاجها، فأرسل اليه «بليطيان». وبعده كان سعيد بن توفيل طبيب احمد بن طولون[١٩].

ورغم كل ذلك. فقد لوحظ ان اتصال مدرسة الاسكندرية بالخلفاء العباسيين لم يكن كاتصالهم بمدرسة «جند يسابور»[٢٠] و «حران»[٢١] وأمثالهما. وربما كان بعد المسافة وتميز كل من هذه المدارس بمناهجها هما أحد الأسباب في ذلك.

على أيّ حال. فان النساطرة واليعاقبة قد قاموا بتفسير كثير من كتب اليونان حيث نقلوها من هذه اللغة الى اللغة السريانية. وعندما اتصلوا بالعرب قاموا بنقل هذه الكتب من السريانية الى العربية وشرحها.

ومما يؤاخذه البعض على ما قام به هؤلاء النساطرة واليعاقبة[٢٢] ما يلي:

١- قلة الابتكار فلم يزيدوا على ما نقلوا علماً جديداً، ولانظريات جديدة، ولا كثيراً من الآراء الجديدة.

٢- انهم حتى في كثير مما نقلوا، لم ينقلوا في دقة ما كان عند اليونان، بل غيّروا فيه، وحرّفوا. وكثير من الأخطاء التي وقع فيها العرب علمياً كان منشؤه هذا الخطأ السرياني.

والواقع ان هذه المآخذ تستحق في بعض جوانبها المناقشة واثارة التساؤلات منها: هل يفترض في هؤلاء المترجمين ان يضيفوا علوماً وآراء جديدة زيادة على ما ترجموه وبالتالي تخرج مهامهم من مجرد دائرة الترجمة الى مجال التشريع والنقد والتفسير والتعليق والتصحيح. ومن ثمّ هل كان قيام هؤلاء بالترجمة من اليونانية الى السريانية بمبادرة ايجابية من قبلهم ام بتكليف من الآخرين؟ وما هي الغاية للترجمة الى السريانية، وكيف تم اكتشاف الأخطاء. هذه الاسئلة وغيرها جديرة بالمناقشة وذلك لتجنب الوقوع في مجرد الانتقاص واستبعاد فضل هؤلاء في الترجمة مهما كانت درجته.

وما وصل الى المسلمين من علم في الطب والجبر والهندسة والكيمياء والفلسفة، يأتي قسم منه مما أخذوه عن اليونان، وقسم ابتكروه بأنفسهم[٢٣].

فتح الاسكندرية من قبل المسلمين

لقد حوّل الروم حصن «كريون»[٢٤] الذي يبعد عن الاسكندرية ٣٦ كيلومتراً الى خط دفاع أول عن المدينة. وبعد ان سقط حصن بابليون «ممفيس»[٢٥] - في موقع القاهرة الحالي - بيد المسلمين، ترك عمرو بن العاص قائد الحملة حامية بقيادة «خارجة بن حذافة السهمي» وتوجّه مع بقية الجيش نحو الاسكندرية. وكان جيش عمرو قد وصل تعداده الى ١٥ ألف مقاتل (وقيل ٢٠ ألفاً) بعد أن أمدّه الخليفة عمر بن الخطاب بالزبير بن العوام[٢٧]. ومعه ثمانية آلاف مقاتل. وكان لزاماً على عمرو قبل الوصول الى الاسكندرية أن يقاتل حامية حصن كريون بقيادة قائد الرومان الكبير «ثيودور» الذي بلغ عدد جيشه المتمركز في الحصن والاسكندرية نحو خمسين ألف مقاتل.

واذا علمنا أن كريون كانت في ذلك الحين مدينة تجارية كبيرة تشرف على الترعة التي تزوّد الاسكندرية بالمؤن وتتصل بهذه المدينة بسلسلة من الحصون، أدركنا كم كان لهذا الحصن من أهمية لدى الروم، لذا كان دفاعهم عنه دفاع المستميت، حيث لقي المسلمون في حربهم حول هذا الحصن مقاومة شديدة من المدافعين، وكانت الغلبة لأكثر الفريقين صبراً، فهزم الروم وتركوا

الحصن منسحبين نحو الاسكندرية، إلا ان عمراً لم يترك لهم مجال التحصّن فيها من جديد، فلحقهم حتى بلغ أسوار الاسكندرية وضرب الحصار حولها الذي دام أربعة أشهر (وقيل سنة) وانتهى بخضوعها لهم.

وقد اختلف المؤرخون في أمر فتح الاسكندرية، وهل تمّ صلحاً أم حرباً؟ ولكن المرجح ان دخول المسلمين اليها تمّ صلحاً، وذلك بعد مفاوضات طويلة وشاقة بين عمرو بن العاص والبطريرك كيروس أو «قيروس» الذي كلّفه الامبراطور «هيركلوناس HERACLONAS ٦١٥ – ٦٤١م»، امبراطور بيزنطية باجراء المفاوضات مع المسلمين وعقد الصلح معهم. وأبرز شروط هذا الصلح، الجزية على من بقي في المدينة، والأمن لمن رحل عنها، والهدنة أحد عشر شهراً ليتسنّي للجيش الرومي ولغيره من الرحيل.

وكان فتح عمرو بن العاص الاسكندرية عام ٦٤١ للميلاد، حيث نقل العاصمة بعد ذلك الى «الفسطاط»[٢٨].

وعندما تحوّلت الحركة التجارية الى مدينة «رشيد» قلّ شأن الاسكندرية وأخذ عدد سكانها يتضاءل أيضاً حتى وصل الى أربعة آلاف نسمة.

وفي اوائل القرن التاسع عشر، عادت الحياة اليها بعد حفر ترعة المحمودية[٢٩] عام ١٨٢٠، فأخذ عدد سكانها يزداد ثانيةً، وأصبحت ثانية مدن مصر وميناءها الأول.

المناقشة:

هذه مجرد نماذج لفقرات اقتبست من المراجع القديمة مما كتب عن مدينة الاسكندرية ورغم بعض الأوصاف التي لا تخلو من تجاوز الحقائق وتكاد تكون من صنع الخيال والافتتان بالمبالغات، إلاّ أنها في مجملها تلقي الضوء على أهمية هذه المدينة ومدى ما تتمتع به من مكانة تاريخية منذ قديم الزمان وانعكاسات كل ذلك على التراث الفكري والعلمي على مدى العصور.

الى جانب كل ذلك، فقد كانت مدينة الاسكندرية مركزاً كبيراً أيضا للصناعة والتجارة، حتى أن مثلاً قديماً كان يقول «تستطيع أن تجد أي شيء في الاسكندرية ما عدا الجليد».

وكان مما هيّأ لمدينة الاسكندرية أن تكون مركزاً للعلوم وقبلةً للعلماء والفلاسفة قيام بطلميوس الأول (٣٦٧ – ٢٨٣ ق. م.) أحد قواد الاسكندر الذي يتولى حكم مصر بعده، بانشاء مكتبة ضخمة أضحت أشهر المكتبات في الأزمنة القديمة حيث كانت تحتوي في وقت من الأوقات على ٠٠٠ر٧٠٠ كتاب.

وكانت الكتب على هيئة ملفات اسطوانية عبارة عن شرائح طويلة من ورق البردي ملفوفة على أعواد من الغاب، وكانت كلها مخطوطة باليد. وسنأتي على ذكر كل ذلك بالتفصيل في بحث لاحق.

ومما ساعد على ازدياد شهرة الاسكندرية، الفنار العظيم الذي بناه بطلميوس الثاني (٣٠٨ - ٢٤٦ ق. م) ابن بطلميوس الأول الذي يعرف أيضا بـ «فيلادلفوس PHILADELPHUS» والذي اعتبر احدى العجائب السبع في الدنيا القديمة. وقد أقيمت على جزيرة فاروس PHAROS وصلت بالمدينة برصيف فصل المرفأ الداخلي عن المرفأ الخارجي. وتعرف هذه الجزير حالياً باسم رأس التين.

هذا، وقد ظلت الاسكندرية خلال القرون جزءاً من امبراطورية بعد أخرى. وفي أثناء ذلك دمرّت مكتبتها بأيدي الغزاة (مما سيجيئ ذكر ذلك فيما بعد) وتهدّم فنارها على اثر زلزال، وزحف الطمي على مينائها، وكاد أن يردمها حتىء فقدت المدينة كثيراً من أهميتها عند نهاية القرن الثامن عشر.

ثم تغيّر الحال في أوائل القرن التاسع عشر حين تمّ تطهير الميناء وبعد حفر قناة تتصل بنهر النيل أصبحت الاسكندرية ثغراً عظيماً مرة اخرى فيها الكثير من الآثار اليونانية والرومانية.

ويمكن، على أيّ حال، أن نقوم باستخراج خلاصة هذه الأوصاف من مصادر مختلفة للتعرّف على ما يقارب الحقائق عن هذه المدينة العريقة قديماً، كما سيأتي ذكر ذلك بعد هذا البحث.

هوامش
الفصل الخامس

هوامش
الفصل الخامس

١- ممفيس MEMPHIS:

عاصمة مصر الفرعونية في عهد المملكة القديمة. تقع أطلالها على الضفة الغربية من نهر النيل، على مبعدة اثني عشر ميلاً (حوالي ١٩ كيلومتر وربع الكيلومتر) الى الجنوب من القاهرة أسّسها فرعون مصر الملك مينا MENES مؤسّس مملكتي الجنوب والشمال فعُرف بـ «ملك مصر العليا ومصر السفلي»، اكتشف قبره عام ١٨٩٧.

وقد كشفت الحفريات الآثارية التي أجريت فيها عن بعض القصور والهياكل وعن تمثالين ضخمين للملك رمسيس الثاني RAMESES II:

ومن الجدير بالذكر ان هناك أيضاً مدينة بنفس الاسم (ممفيس) في الزاوية الجنوبية الغربية من ولاية تنيسي TENNESSEE الأميركية، تقع على نهر المسيسيبي MISSISSIPPI RIVER، أسّست عام ١٨١٩ ودُعيت على اسم مدينة ممفيس المصرية بسبب من الشبه بين موقعها على المسيسيبي وموقع ممفيس القديمة على النيل.

٢- الهيلينية HELLENISM:

الحضارة الهيلينية هي الحضارة التي نشأت خارج بلاد اليونان بتأثير من الفكر اليوناني. راجع الفقرة (٢) من هوامش الفصل السادس (المكتبات).

٣- فاروس PHAROS:

شبه جزيرة قرب الاسكندرية كانت أصلاً جزيرة، أمر الاسكندر المقدوني بوصلها بالبّر، أقيمت عليها منارة اعتبرت احدى عجائب الدنيا السبع، وعرفت بمنارة الاسكندرية. وقد بنى هذه المنارة بطلميوس الثاني PTOLEMY II (راجع الحكام البطالمة في الفصل الرابع) عام ٢٨٠ قبل الميلاد. ويقال إن ارتفاعها كان يزيد على ٤٤٠ قدماً (حوالي ١٣٥ متراً) وانها كانت تتألف من ثلاثة أدوار، أولها مربع، وثانيها ثلاثي الأضلاع، وأعلاها اسطواني الشكل. وقد دمّر الزلزال منارة الاسكندرية تدميراً جزئياً في ٧ أغسطس ١٣٠٣ للميلاد، ثم دمّرها تدميراً كاملاً حوالي العام ١٣٤٦. وفي عام ١٤٧٧ شيّد قايتبابي (أحد سلاطين المماليك الشراكسة بمصر) على أنقاضها قلعة المنارة.

٤- ستاد:

مقياس يوناني مقداره ٦٠٠ قدم يوناني أو ٥٨٢ قدماً انكليزياً.

٥- الدكتور جايمس هنري براستد:

العصور القديمة: ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

٦- سيرابيس SERAPIS:

اله الشفاء عند قدامى المصريين، انتشرت عبادته في العهدين البطلمي والروماني.

٧- باسيليكا BASILICA:

هي في الأصل اسم لبناية عمومية رومانية، وكذلك لشكل من الكنيسة المسيحية مأخذ جزئياً منها.

إن باسيليكا الرومانية كانت عبارة عن بناية صُمّمت خصيصاً لادارة الأعمال القانونية والتجارية، وقد جاء الاسم من الكلمة الأثينية BASILEIOS STOA والتي كانت قد صممت في الأصل كبناية ملكية لادارة الأعمال العمومية، وكانت البناية مستطيل الشكل مع باحة رئيسية وممشى تفصلها صفوف من الأعمدة، ويقع المدخل في أحد جوانبه أو في نهاية البناية.

هذا وان مصطلح «باسيليكا» قد توسّع استعماله بحيث يرمز الى الفخامة والوقار للكنائس المميزة.

٨- راجع.. مقدمة ابن خلدون (ص ٣٦) - دار القلم - بيروت ط ١ - ١٩٧٨.

٩- أفلاطون PLATO (٤٢٨ - ٣٤٧ ق. م).

فيلسوف يوناني، يعدّ هو وسقراط SOCRATES ٤٧٠ - ٣٨٩ ق. م. (وكان أفلاطون من أتباعه) وأرسطو ARISTOTLE ٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م، واضعي الأسس الفلسفية الثقافية ومعظم مؤلفاته محاورات DIALOGUES عالج فيها موضوعات مختلفة كالرياضيات والسياسة والتربية والحب والصداقة والفضيلة. أنشأ في أثينا مدرسة دعيت بالأكاديمية، كان لها أثر كبير في انتشار المعرفة.

مؤلفات أفلاطون

لقد خلف أفلاطون (عدا بعض المحاورات والرسائل) عدداً من المؤلفات، أهمها:

أ- الجمهورية THE REPUBLIC أو كتاب السياسة.

وقد رسم في هذا الكتاب صورة للمدينة الفاضلة كما تخيّلها، معلناً ان لاصلاح للجنس البشري إلاّ إذا أصبح الفلاسفة حكاماً أو أصبح الحكام فلاسفة.

ب- القوانين THE LAWS (النواميس):

وقد جاءت «القوانين» تعديلاً وتنقيحاً للجمهورية، حيث لم يعد مطلوباً من الحكام أن يكونوا فلاسفة. ويبدو انه وضع «القوانين» مراعاة لطاقات البشر ومقتضيات الحياة.

ويعتقد أفلاطون أن النفس بسيطة وثابتة، وأنها توجد من قبل الولادة وتبقى بعد الموت، وهي روحية ولا يتحقق خلاصها من المادة إلاّ في عالم روحي.

والفضائل ثلاث تقابل قوى النفس الثلاث (الناطقية والغضبية والشهوية)، فالحكمة فضيلة العقل، والشجاعة فضيلة الغضب، والعفة فضيلة الشهوة، وبها يتحقق في النفس التوازن، والتوازن عدالة، والعدالة ليست فضيلة بل هي حالة الصلاح المترتبة على التوازن الذي يحدثه اجتماع الحكمة والشجاعة والعفة في الفرد، والانسان الصالح هو الانسان العادل بهذا المعنى، وينعكس صلاحه أو عدله على الآخرين في تعامله معهم، وبالعدالة تتحصل السعادة.

ولقد عرف الاسلاميون أفلاطون، ولقبّوه بالالهي. وكان ممن تأثروا به مدرسة الرازي ومدرسة المعتزلة ومدرسة الفقهاء الظاهرية والمفكريين السلفيين من الحنابلة، وابن تيمية وابن القيّم والصوفية، وعرفت نظرياته في الحب طريقها الى كتابي الزهرة لابن داود وطوق اليمامة لابن حزم.

جـ- طيماوس TIMAEUS:

ويمثل هذا الكتاب آراء أفلاطون في الفلك، ونشوء العالم، والعناصر، وما الى ذلك.

د - سوفسطس (آراء في الفن وأقسامه، والمعاني وأنواعها وأجناسها، والخطأ والحكم، والوجود واللاوجود الخ..).

منهج أفلاطون:

لقد استند أفلاطون في منهجه وعرض آرائه الى المحاورة التي تقوم على أصول ثلاثة:

(١) الأخذ بعنصر المسرح من أشخاص، وأحداث، تجري في زمان ومكان معيّنين، وتعرض عرضاً مشوّقاً، يستأثر باهتمام القارئ. أما الشخصية الرئيسية دائماً فهي سقراط.

(٢) الجدل: وهو النقاش الذي يدور بين أشخاص المحاورة ويوضح آراء أفلاطون، وآراء أهل زمانه جميعاً، فهو من هذه الزاوية سجل لعصره.

(٣) الشرح: ويقوم على الخطاب والقصة المليئة بالرموز الموحية.

الأفلاطونية PLATONISM:

وتعني فلسفة أفلاطون وبخاصة جانب المُثُل فيها. وقوامها أن للمعاني أو القيم الكلّية وجوداً في عالم لا صلة له بالعالم المدرَك بالحواس. وأن وجودها ذاك مستقلّ عن وجود الجزئيات التي تتمثل فيها هذه المعاني. ومن هنا كان لكل ضرب من الجزئيات فكرة أو مثال جاءت المفردات الجزئية على غراره، وكلما اقترب الفرد من المثال حقق ماهية الضرب الذي ينتسب اليه.

١٠- أرسطو «أرسطوطاليس» ARISTOTLE ٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م:

فيلسوف يوناني تلميذ أفلاطون، وأستاذ الاسكندر المقدوني، وقد جرت فلسفته في اتجاه مغاير لمثالية أفلاطون، وتعاظم اهتمامها شيئا فشيئاً بالعلم وظواهر الطبيعة.

من أشهر آثاره «الأورغانون ORGANON» في المنطق، وكتاب «السياسة POLITICS»، وكتاب «ما وراء الطبيعة METAPHYSICS» وكتاب «الطبيعة PHYSICS» وكتاب الشعر POETICS:

المقولات CATEGORIES:

في المنطق: الأبواب الأساسية التي يمكن أن تندرج تحتها جميع فكراتنا عن الأشياء، والمقولات عند أرسطو عشر، وهي:

- الجوهر SUBSTANCE (رجل، أسد، ابريق).
- الكم QUANTITY (الطول، العرض، الاتّساع).
- الكيف QUALITY (أبيض، أصفر).
- الاضافة أو النسبة RELATION (أصغر من كذا، أكبر من كذا).
- الزمان TIME (أمس، اليوم).
- الوضع POSITION (قائم، قاعد).
- الحالة STATE (تقلّد سيفاً، ارتدى معطفاً)
- الفعل ACTION (يشتري، يراقب).
- الانفعال AFFECTION (يُشرَب، يُؤكَل).

١١- الكلبيون CYNICS:

لفظة CYNIC الانكليزية مأخوذة عن لفظة KINOKOS اليونانية، ومعناها: «شبيه بالكلب» ولعل أتباع هذا المذهب قد عُرفوا بهذا الاسم بسبب طريقة حياتهم و«نباحهم» في وجه المجتمع الفاسد مهيبين به الى التخلّي عن حماقاته ومظالمه، والعودة الى الحياة الطبيعية.

والكلبية (المذهب الكلبي CYNICISM (CYNIC SCHOOL: مذهب أسّسه في أثينا الفيلسوف اليوناني «أنتيشينس ANTISTHENES ٤٤٤ - ٣٧٠ ق. م» وكان من أبرز ممثليه الأوائل «ديوجينس DIOGENES ٤١٢ - ٣٢٣ ق. م» الفيلسوف الزاهد المتقشّف THE AUSTERE ASCETIC PHILOSOPHER الذي عاش عيشة الشحاذين. وقد دعا أصحاب هذا المذهب العودة الى الحياة الطبيعية، وقالوا بأن الفضيلة هي الخير الأوحد وبأن ضبط النفس هو وحده السبيل الى تحقيقها. وعمدوا أيضا الى نقد المجتمع ومؤسساته القائمة، بما فيها الأسرة والولاءات الضيّقة، على أساس من الايمان بالحرية الشخصية والمساواة بين الناس، ومن «نظرة عالمية» الى مختلف المشاكل الانسانية.\

١٢- الرواقية STOICISM:

مـذهب فلسـفي أنشـأه الفـيلسـوف اليـوناني «زينون السـيـشـيـومي ZENO OF CITIUM»(١٢/١) حوالي العام ٣٠٠ قبل الميلاد. وهو يقول بأن العالم كلّ عضوي تتخلّله قوة الله الفاعلة، وبأن رأس الحكمة معرفة هذا الكل، مع التأكيد على أن الانسان لا يستطيع أن يلتمس هذه المعرفة إلاّ اذا كبح جماح عواطفه وتحرّر من الانفعال. والرواقيون يدْعون الى التناغم مع الطبيعة، والصبر على الشدائد، والأخذ بأهداب الفضيلة، لأن الفضيلة هي ارادة الله.

ومن أشهر الرواقيين في عهد الرومان «سنيكا SENECA»(١٢/٢).

١/١٢: زينون السشيومي (الرواقي) ٣٣٥ - ٢٦٣ ق. م:

فيلسوف يوناني فينيقي الأصل. من مواليد شيشيوم CITIUM بجزيرة قبرص. شدّ رحاله الى أثينا، حوالي العام ٣١٢، حيث درس مختلف المذاهب الفلسفية اليونانية، وكوّن مذهبه الخاص الذي عُرِف بـ «الرواقية» بعد أن اختار للتبشير بهذا المذهب، من حوالي العام ٣٠٠ حتى وفاته، رواقاً في أثينا كان يؤمّه خلق كثير. وقد تركت الرواقية أثراً كبيراً في الفكر الفلسفي والأخلاقي خلال العهدين الهليني والروماني.

٢/١٢ سنيكا SENECA (٤ - ق. م - ٦٥ م):

سنيكا لوسيوس آنايوس SENECA LUCIUS ANNAEUS طبيب وفيلسوف وزعيم سياسي روماني. يعدّ ألمع نجوم الحياة الفكرية في روما خلال النصف الأول من القرن الأول للميلاد. تمتّع بسلطة واسعة في الشطر الأول من عهد نيرون. ولكنه أتّهم بعد ذلك بالتآمر على حياة هذا الامبراطور فأكره على الانتحار.

وضع عدداً من الكتب في الفلسفة الرواقية وألّف تسع مسرحيات تراجيدية. يعرف بـ «الأصغر THE YOUNGER».

١٣- أ لأفلاطونية المحدْثة NEOPLATONISM OR NEO - PLATONISM:

هي مذهب فلسفي نشأ في الاسكندرية في النصف الاول من القرن الثالث للميلاد، معّدِلاً تعاليم أفلاطون بحيث تنسجم مع المفاهيم الأرسطووية ARISTOTELIAN وما بعدها.

ويرتكز مذهبهم على نظرية الفيض أو نظرية الصدور EMANATIONISM، وهي نظرية قال بها فلاسفة الأفلاطونية المحدثة، وهي تذهب الى أن جميع الكائنات فاضت أو صدرت عن ذات عليا (أو مبدأ أول)، فهي بهذا الاعتبار نسخ جزئية أو باهتة عنه.

وتفصيل ذلك، عند أصحاب هذه النظرية، أن الله هو الموجود الأول وانه يتأمل ذاته فيفيض عنه كائن واحد هو «العقل الأول»، وهذا العقل الأول هو، عندهم صورة الله، ولكنه ليس الله نفسه، ثم أن هذا العقل يتأمل ذاته فيصدر عنه كائن آخر هو «النفس الكلية» تفيض كائنات متعدّدة هي نفوس الكواكب. وهكذا يتواصل الفيض فتصدر عن كل كائن كائنات أقل شبهاً بالعقل الأول.

وكلمة مذهب الفيض EMANATIONISM, مأخوذة من EMANATIO اللاتينية بمعنى الصدور والفيض، وهو المذهب الذي قال به أفلوطين PLOTINUS. واقتنع به الفلاسفة المسيحيون والمسلمون في العصور الوسطى مثل يوحنا سكوت J. E. SCOT (٨٣٠ – ٨٧٨) والفارابي AL-FARABI (٨٧٨ – ٩٥٠م)، وابن سينا AVICENNA (٩٨٠ – ١٣٠٧م)، وابن رشد AVERROES (١١٢٦ – ١١٩٨م)، ويفسّر نشأة الكون بردّه الى مبدأ أعلى يصدر عنه الخلق كالاشعاع أو الدفق، بشكل سرمدي، ولا يقلّل هذا التدفق الدائم من الأصل، ولذلك يقال إنها عملية من باب المجاز وليس الحقيقة. والكائنات الأقرب للمبدأ هي الأكمل، ومنها تفيض كائنات أدنى، وعلى ذلك فمذهب الفيض نقيض مذهب الخلق CREATIONISM والتطوّر EVOLUTIONISM. فالأول يفترض مبدأ علوياً يخلق الكائنات من العدل أو من مادة كانت موجودة من قبل، والثاني يفترض صدور الكائنات من بعضها البعض في سلسلة متطوّرة للأحسن.

مؤسسة الأفلاطونية المحدثة هو «أمونيوس سكّاس AMMONIUS SACCAS» (١٧٥ – ٢٤٢ ق. م)، وهو فيلسوف اسكندري واستاذ الفيلسوف الروماني، مصري النشأة «أفلاطون PLOTIUUS ٢٩٠٥ – ٢٧٠ ق. م».

– راجع ايضا (فجر الاسلام) اسعد أمين – مكتبة النهضة المصرية ط ١٤/١٩٨٦ – ص ١٢٨ – ١٣٤.

١٤- اليعاقبة JACOBITES:

فرقة نصرانية سريانية نشأت في القرن السادس للميلاد، وقالت بأن للمسيح طبيعة واحدة ليس غير هي الطبيعة الالهية. يقيم معظهم في سوريا والعراق، وقلّة منهم في تركيا ولبنان والملكة الأردنية الهاشمية والولايات المتحدة الأميركية.

واليعاقبة مدينون باسمهم لزعيمهم يعقوب البردعي JACOB BARADAI المتوفي عام ٥٧٨. وتفرّعت منهم في القرن الخامس الكنيسة المارونية، كما تكوّنت في القرن السابع عشر كنيسة سريانية كاثوليكية.

وفي الهند طائفة من السريان هم «المالنكاريون» وهي طائفة من المسيحيين في جنوب غربي الهند، تنتمي الى الكنيسة السريانية الكاثوليكية، انفصلت عن المالاباريين(١/١٤) اليعاقبة وعادت الى وحدة الكنيسة الجامعة ١٩٣٠.

١/١٤: المالاباريون:

طائفة من المسيحيين تقطن ساحل مالابار MALABAR جنوب غربي الهند. يقال انهم حفدة المسيحيين الذين تنصّروا على يد توما الرسول. انتموا طقساً وعقيدة الى الكنيسة النسطورية، وهم اليوم فرعان: المالاباريون الكاثوليك الذين عادوا الى وحدة الكنيسة الجامعة (القرن ١٦ – ١٧) وتبنّوا طقوس الكلدان الكاثوليك والمالاباريين النساطرة يقيمون على سواحل الهند الشرقية.

١٥- اللغة السريانية SYRIAC LANGUAGE:

لغة من شعبة اللغات السامية الشمالية الغربية. كانت وسيلة التعبير السائدة في سوريا منذ

القرن الثالث للميلاد حتى الفتح العربي. وهي لاتزال تُستَخدم الى اليوم في الطقوس الدينية عند عدد من الكنائــس المسيحيــة الشرقيــة. ويبلغ عدد حروف اللغة السّريانية اثنين وعشرين حرفاً كلها ساكنة CONSONANTS.

هذا ويمكن تقسيم اللغات السامية الى ثلاث شعب:

أ – شعبة شمالية شرقية: وتمثلها اللغة الأكادية.

ب– شعبة شمالية غربية: وتمثلها اللغات الكنعانية، والأمورية، والفينيقية، والآرامية، والسّريانية، والعبرية.

جـ– شعبة جنوبية: وتمثلها اللغتان العربية والأمهرية أو الحبشية.

١٦– القبطيّة COPTIC:

لغـة الأقبـاط، وهـي لغـة حـاميّـة HAMITIC متـحـدّرة من اللغـة المصـرية القـديمـة. ويذهب البـاحثـون الى أنهـا تمثّل المرحلة الأخيرة من هذه اللغة. وقد نُطق بهـا في مصـر منذ القرون الاولى للميـلاد (حوالي القرن الثالث). وهـي تنقسـم الى ست لهجـات: أربع منهـا انتشرت في مصر العليا واثنتان انتشرتا في مصر السفلى.

والقبطية تُكتَب – على خلاف اللغة المصرية القديمة – بأحروف يونانية، وتشتمل على عدد من الألفاظ القبطية الاغريقية. وعلى الرغم من أن الكنيسة القبطية[١/١٦] لاتزال تستخدم اللغة القبطية في طقوسـها، فإن فهمها اليوم مقصور أو يكاد على فئة ضئيلة من العلمـاء. وترقى آخر النصوص القبطية المعروفة الى القرن الرابع عشر للميلاد.

١/١٦: الكنيسة القبطية COPTIC CHURCH:

الكنيسـة التي ينتسب اليها أقبـاط مصـر[١/١/١٦]، وهـي تقـول بأن للمسيح طبيعة واحدة ليس غير، هـي الطبيعة الالهية أو مـا يسمى بـالمونوفيـزية MONOPHYSITISM (مذهب الطبيعة الواحدة) التي تلاشت فيها الطبيعــة الانسانيــة. وكــان رد فعـل للنسطوريــة التي قالت بأن للمسيح طبيعتين ولقد كان «أوطيخا EUTYCHES»[٢/١/١٦] أول من قال بهذا الرأي. وقـد حـرّم المجـمع الخلقـيـدوني COUNCIL OF CHALCEDON (٣/١/١٦) المونوفـيـزية عـام ٤٥١ للمـيـلاد. ومن الكنائس التي تدين بهـذا المذهب، الكنائس القـبطيـة والسريانية والأرمنية.

١/١/١٦: الأقباط COPTS:

أبناء مـصـر المنحـدّرون من أصـول ترقي الى مـا قبـل الفتح الاسـلامي، وهـم نصـارى تابـعـون للكنيسـة القبطية المونوفيزية كما ذكرنا أعلاه. ويشكل الأقباط اليوم نحـواً من ٧٪ من مـجموع المصريين.

٢/١/١٦: أوطيخا (يوتيخيس) EUTYCHES (٣٨٤ – ٤٥٦م):

راهــب ولاهـوتــي مــســيــحــي مــن رجــال الكنيــســة الشــرقــيــة بالقــسطنطينيــة

ARCHIMANDIRTE AT CONSTANTINOPLE. وهو مؤسس الفرقة الأوطخاوية EUTYCHIAN SECT التي قالت بأن للمسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة الالهية ليس غير. وقد اتّهمه مجمع خلقيدونيا COUNCIL OF CHALEDON (عام ٤٥١) بالهرطقة وحرمه من شركة المؤمنين، مؤكداً على ان للمسيح طبيعتين اثنتين احداهما الهية DIVINE والأخرى بشرية HUMAN.

٣/١/١٦: المَجْمَع: المجمع الكنسي COUNCIL:

اجتماع أو مؤتمر يعقده أساقفة الكنيسة النصرانية لتحديد مسائل العقيدة، أو لمقاومة الهرطقة HERESY أو لاصلاح الكنيسة نفسها.

ويكون المجمع «مسكونياً ECUMENICAL» إذا شهده أساقفة الكنيسة كلها.

اما اذا اقتصر الاجتماع أو المؤتمر على أساقفة يمثلون مقاطعات أو بطريركيات بعينها، فعندئذ يُعرَف بـ «السّنودُس SYNOD».

وفي الكنيسة الكاثوليكية، لا يكون المجمع مسكونياً، إلا إذا كان انعقاده بدعوة من البابا.

ومن أهم المجامع المسكونية في التاريخ «مَجْمع نيقية COUNCLL OF NICALEA»(١/٣/١/١٦) الذي حرّم الآريوسية ARIANISM(٢/٣/١/١٦) ووضع قانون ايمان عُرف بـ «العقيدة النيقاوية NICENE CREED»(٣/٣/١/١٦) و «مجمع خلقيدونيا» عام ٤٥١ الذي أكد على أن للمسيح طبيعتين اثنتين وحرّم المونوفيزية أو القول بالطبيعة الواحدة. ومجمع كونستانس COUNCIL OF CONSTANCE(٤/٣/١/١٦) الذي عقد عام ١٤١٤ – ١٤١٨ لاصلاح الكنيسة الكاثوليكية ورأب الصدع الخطير الذي أصابها اثر «الانشقاق العظيم GREAT SCHISM»(٥/٣/١/١٦).

١/٣/١/١٦: مجمع نيقية COUNCIL OF NICAEA:

أ- أوّل المجامع الكنسية المسكونية. عقد في مدينة نيقية NICAEA ALSO NICE (مدينة بيزنطية قديمة شمال غربي تركيا وشرق بحيرة ازنيق IZNIK تقوم على انقاضها اليوم بلدة ازنيق عام ٣٢٥ للميلاد بدعوة من الامبراطور قسطنطين الاول، أو قسطنطين الكبير ٢٨٠ – ٢٣٧م(١/١/٣/١٦) وحرّم الاريوسية(٢/٣/١/١٦) التي ذهبت الى ان المسيح مخلوق وليس الهاً، ووضع قانون ايمان (عرف فيما بعد بالعقيدة النيقاوية – راجع الفقرة التالية) ينص على المساواة المطلقة بين الابن والأب في الثالوث الأقدس.

ب- مجمع كنسي مسكوني عقد في نيقية عام ٧٨٧م، بحث مشكلة تقديس الصور والتماثيل الدينية (الايقونات) فقرّر أن الايقونات جديرة بالاعظام والاجلال ولكنها لا تستحق العبادة.

١/١/٣/١٦: قسطنطين الأول CONSTHNETINE 1:

قسطنطين الكبير COSTANETINE THE GREAT (٢٨٠ – ٣٣٧م): امبراطور روماني

(٣١٢ – ٣٣٧م) تنصّر عام ٣١٣، فكان أول امبراطور مسيحي. اعاد بناء مدينة بيزنطة BYZANTIUM عام ٣٣٠ ودعاها على اسمه «القسطنطينية CONSTANTENOPLE. – واهو الاسم القديم لمدينة اسطنبول –». ومن ثم نقل عاصمة الامبراطورية الرومانية من روما اليها، وشيّد عدداً كبيراً من الكنائس.

١٦/١/٣/٢: الآريوسية ARIANISM:

مذهب آريوس ARIUS، اللاهوتي النصراني اليوناني، الذي ذهب الى ان المسيح مخلوق وليس إلهاً كما تقول النصرانية. وقد بنى آريوس مذهبه هذا على أساس فردانية الله الذي هو وحده «الموجود بذاته SELF - EXISTENT» أي «الموجود من غير موجد». اما المسيح، وهو عند النصارى، ابن الله، فليس «موجدا بذاته» ومن هنا فليس يصحّ الزعم انه اله. وقد شجب مجمع نيقية عام ٣٢٥م مذهب آريوس واعتبره هرطقة.

١٦/١/٣/٣: العقيدة النيقاوية NICENE CREEA:

هي الصيغة الرسمية للعقيدة النصرانية، وبخاصة ما يتصل منها بالثالوث الأقدس TRINITY كما وضعها مجمع نيقية عام ٣٢٥ للميلاد ويطلق اسم العقيدة النيقاوية أيضا على عدة تعديلات لهذه الصيغة تأخذ بها اليوم الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة الشرقية الارذوكسية وبعض الكنائس البروتستانية.

١٦/١/٣/٤: مجمع كونستانس COUNCIL OF CONSTANCE:

مجمع عقد في مدينة كونستانس (جنوب غربي المانيا على بحيرة كونستانس) عام ١٤١٤ – ١٤١٨ لاصلاح الكنيسة الكاثوليكية ورأب الصدع الخطير الذي أصابها اثر «الانشقاق العظيم» (أ). وقد وفّق المجمع الى ذلك في نوفمبر ١٤١٧، فوضع حدا لذلك الانشقاق، وانصرف الى درس قضيتي جون ويكليف WYCLIFFE (ب) وجون هس HUSS (جـ) فشجب تعاليمهما واتهمهما بالهرطقة.

(أ) الانشقاق العظيم GREAT SCHISM أو الانشقاق الغربي WESTERN SCHISM:

هو انشقاق حدث في الكنيسة الكاثوليكية ودام من عام ١٣٧٨ الى عام ١٤١٧. نشأ عن الخلاف بين الكرادلة حول شرعية انتخاب البابا أوربان السادس (د). وقد أدى هذا الانشقاق الى ازدواج في البابوية. فكان في روما بابا، وفي آفينيون AVIGNON بفرنسا باباً آخر معاد له ANTIPOPE (هـ). وأخيراً وضع مجمع كونستانس حداً لهذا الانشقاق في نوفمبر ١٤١٧.

(ب) جون ويكليف JOHN WYCLIFFE (١٣٢٠ – ١٣٨٤):

لاهوتي انكليزي، يعتبر رائداً من روّاد حركة الاصلاح الديني REFORMATION. هاجم الكنيسة الكاثوليكية في معتقداتها وممارساتها، ودعا رجال الدين الى التخلّي عن ممتلكاتهم وأموالهم. كما أنكر سلطة البابا إذا تعارضت مع الكتاب المقدس، ومن أجل ذلك ترجم، بمساعدة بعض أتباعه، هذا الكتاب الى الانكليزية وقد اتُهم بالهرطقة.

(جـ) جون هس JOHN HUSS (١٣٧٢ – ١٤١٥):

مصلح ديني من أبناء بوهيميا BOHEMIA (في تشكوسلوفاكيا) يعتبر زعيم حركة الاصلاح الوطني التشيكي. وقد عمل فترةً في حقل التبشير ثم انتُخب رئيساً لجامعة براغ

PRAGUE، حوكم أمام مجمع كونستانس فاعتبره قضاته مُهَرطقا وحكم عليه بالاعدام شنقاً.

ويسمى أتباعه بـ «الهسّيين HUSSITES» الذي شكّلوا بعد اعدام زعيمهم حركة دينية شديدة المراس جمعت في صفوفها النبلاء والعوام على حدّ سواء، وانتشرت في بوهيميا بشكل واسع. وكان بين أبرز مطالبها حرية التبشير ومصادرة أملاك الكنيسة، ومعاقبة مرتكبي الخطايا الكبيرة، وتناول «القربان المقدس أو العشاء الرباني COMMUNION» على صورة خبز وخمر، لا على صورة خبز فحسب. وقد نشبت بين الهسّين من ناحية، والكرسي الرسولي (البابوية) من ناحية ثانية حروب ضارية لم تنته إلاّ عام ١٤٣٦ بعد أن وفّق الهسّيون الى تحقيق مطالبهم كلها تقريباً. وتعرف هذه الحروب بـ «الحروب الهسّية HUSSITE WARS».

د- أوربان (أو أوربانوس) السادس URBAN VI (١٣١٨ - ١٣٨٩):

بابا روما (١٣٧٨ - ١٣٨٩). عُرِف باندفاعه الى الاصلاح وقسوته على الكرادلة، حتى لقد أعدم خمسة منهم لمعارضتهم اياه. وعندئذ غادر ثلاثة عشر كردينالاً فرنسيا روما وأعلنوا ان انتخاب أوربان باطل لأنه تمّ بالترهيب، ورفعوا الكردينال الفرنسي روبير الجنيفي ROBERT OF GENEVA (عام ١٣٧٨) الى سدّة البابوية باسم كليمنت السابع CLEMENT VII وبذلك حدث الانشقاق العظيم.

هـ - البابا المعادي ANTIPOPE:

اسم يطلق على كل من «الباباوات» الذين انشقّوا، في فترات مختلفات من تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، عن بابا روما ونازعوه السلطة.

وقد اختلف الباحثون في عددهم، فقيل انهم خمسة وعشرون، وقيل إنهم أربعون. أما كتاب الفاتيكان السنوي VATICAN YEAR BOOK فقد جعل عددهم تسعة وثلاثين.

وأقدم الباباوات المعادين: هيبوليتوس HIPPOLYTUS (٢١٧ - ٢٣٥م)، وآخرهم فيليكس الخامس FELIX V (١٤٣٩ - ١٤٤٩).

١٧- النساطرة NASTORIANS:

نصارى آسيا الصغرى وسوريا الذين رفضوا قرار مجمع أفسُس COUNCIL OF EPHESUS (عام ٤٣١م) الذي اعتبر نسطوريوس NESTORIUS بطريرك القسطنطينية مهرطقا لقوله بأن الطبيعتين الالهية والبشرية ظلّتا منفصلتين في يسوع المسيح، ومن ثم هاجروا الى فارس والعراق وشبه جزيرة العرب.

١٨- موفق الدين أبوالعباس أحمد ابن أبي أصيبعة (١٢٠٠ - ١٢٧٠م):

طبيب عربي ولد في دمشق وأقام فيها، أشهر آثاره كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» وقد ترجم فيه لجمهرة كبيرة من الأطباء العرب والاغريق. له أيضاً كتاب «حكايات الأطباء في علاجات الأدواء».

١٩- أحمد بن طولون (٨٣٥ – ٨٨٤م):

مؤسس الطولونيين، الأسرة التركية التي استقلت بحكم مصر (٨٦٨ – ٩٠٥م) في ظل الخلافة العباسية. بنى مدينة «القطائع» على مقربة من القاهرة واتخذ منها عاصمة له. مدّ سلطانه على مصر وسوريا والثغور (١/١٩) والموصل. بنى الجامع المعروف باسمه في القاهرة. وقد ضعفت هذه الدولة في عهد ابنه (خُمارويه) ثم حبيش بن خمارويه ثم هارون بن خمارويه آخر الطولونيين الذين سقطوا عام ٩٠٥م في عهد الخليفة العباسي المكتفي.

١/١٩: الثغور أو العواصم:

هي الحصون التي شيّدها الخلفاء على الحدود بين بلاد المسلمين وبلاد البيزنطيين شمالي سوريا القرن التاسع، منها طرسوس، أدنه، مرعش، ملطية.

٢٠- جنديسابور:

مدينة ايرانية في خوزستان. أسّسها سابور الأول وأسكنها فيها الشعوب اليونانية التي أسرها. فتحها موسى الأشعري ٦٣٨ في عهد عمر بن الخطاب اشتهرت بمدرستها الطبية ولغتها الآرامية.

٢١- حران CARRAHAE:

مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين (تركيا) موطن أسرة ابراهيم الخليل بعد هجرته من أور (التوراة). كانت مركزاً هاماً على طريق التجارة من نينوى الى كركميش. دعاها الرومان كارهاي CARRAHAE. فيها سقط كاسيوس قاتل قيصر في معركة ضد الفريثيين(١/٢١). قاعدة بلاد مضر. فتحها العرب على يد عياض بن غنم ٦٣٩(٢/٢١) اشتهرت بالفلاسفة والعلماء منهم ثابت بن قرن وأولاده(٣/٢١) والبتاني(٤/٢١).

١/٢١: الفريثيون (البارثيون) PARTHIANS:

سكان فريثا (بارثيا) القديمة، وهي منطقة تاريخية تقع في الجزء الشمالي الشرقي من ايران الحديثة وتتطابق على نحو تقريبي مع مقاطعة خراسان الحالية. كانت تؤلف، على التوالي، جزءاً من الامبراطورية الأشورية فالامبراطورية الفارسية فالامبراطورية المقدونية قبل أن تثور في القرن الثالث قبل الميلاد لتشكّل الامبراطورية الفريثية أو البارثية، التي امتدّت في القرن الأول قبل الميلاد من بحر قزوين CASPIAN SEA الى الخليج العربي ومن نهر دجلة الى افغانستان، والتي قضى الساسانيون SASSANIDS عليها وعلى عاصمتها قَطْسيفون أو طيْسَفون CTESIPHON عام ٢٢٤ للميلاد. ويعتبر مثراداتس الأول MITHRADATES 1 (وقد حكم من عام ١٧١ الى ١٣٨ ق. م.) المؤسّس الحقيقي لهذه الامبراطورية.

٢/٢١: عِيَاض بن غَنْم بن زهير الفهري -/٢٠هـ = -/٦٤١م):

قائد، من شجعان الصحابة وغزاتهم. أسلم قبل الحديبية وشهد بدراً وأحداً والخندق. ونزل

بالشام أو المدينة وهو ابن ستين سنة.

٣/٢١: ثابت بن قُرّة (٨٣٦ - ٩٠١):

وُلد في حرّان. رياضي وطبيب وفيلسوف صابئي. عاش في ظل الخليفة المعتضد في بغداد. نقل الى العربية وشرح مؤلفات اليونان في الرياضيات والفلك. له «الذخيرة في علم الطب».

٤/٢١: (البتّاني) أبو عبدالله محمد بن جابر (٨٥٨ - ٩٢٩م):

عالم فلك ورياضيات عربي. يعتبر أشهر علماء الفلك العرب، عند الأوربيين، خلال القرون الوسطى. صحّح بعض آراء بطلْميوس. حدّد طول الفصول بدقة، ورصد الكسوف والخسوف. أشهر آثاره كتاب «الزّيج» المعروف بـ «زيج الصابئ»، وقد ترجم الى اللاتينية حوالي عام ١١١٦ وطبع بها عام ١٥٣٧.

٢٢- أحمد أمين:

ضحى الاسلام - دار الكتاب العربي - بيروت - ج ١، ط ١٠ - ص ٢٦٣.

٢٣- للتوسّع في هذا الصدد: راجع الكتاب أعلاه وكتاب «التمدّن الاسلامي» لجرجي زيدان، و «الفهرست» لابن النديم.

٢٤- كريون:

قرية بمصر، في مركز كفر الدوار، بمحافظة البحيرة، على الضفة اليمنى لترعة المحمودية. التقى عندها المسلمون بالروم وغلبوهم عند فتحهم لمصر (القرن ٧).

٢٥- بابليون أو «منف» أو «ممفيس»:

مدينة قديمة في مصر على شاطئ النيل بالقرب من القاهرة، كانت مرات عديدة عاصمة الفراعنة. وقد احتلّها عمرو بن العاص بعد أن هزم البيزنطيين في معركة «عين شمس» عام ٦٤١م.

٢٦- خارجة بن حذافة السهمي (٤٠هـ / ٦٦٠م):

صحابي قريشي عدويّ من الشجعان. شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص وولّي شرطته. قام يوماً في الناس يصلّي فاغتاله خطأً خارجي من المتآمرين على قتل علي ومعاوية وعمرو ظنّاً منه أنه عمرو.

٢٧- الزبير بن العوام (٣٦هـ / ٦٥٦م):

قريشيّ أسديّ، ابن عمة النبي، اعتنق الاسلام في أول صباه. وهو صحابي من العشر المبّشرة. هاجر الى الحبشة ثم المدينة، وقاتل في جميع الغزوات مع النبي. اشترك في فتح الاسكندرية. وهو من أهل الشورى في انتخاب الخليفة. انسحب من قتال علي في معركة الجمل، وقد اغتاله ابن جرموز وهو يصلّي ، وقيل أثناء نومه.

٢٨- الفسطاط:

مدينة بناها عمرو بن العاص (عام ٦٤٣م) بين النيل وتلال المقطم (فيما يعرف بالقاهرة اليوم والتي أنشأها القائد الفاطمي جوهر الصقلي عام ٩٦٩م) قرب بابليون على ضفة النيل الشرقية وأقام فيها مسجداً.

ازدهرت في عهد الأمويين وصارت مقراً لولاتهم ومركزاً حضارياً وعمرانياً ومن مدن الاسلام الزاهرة حتى تأسيس القاهرة. وكان مسجدها مركزاً هاماً للدراسات الدينية في عهد صلاح الدين الايوبي. وفي عام ١١٦٨م شبّ حريق ضخم في مدينة الفسطاط، ولكنها، مع ذلك، ظلّت محتفظة بمكانتها التجارية والصناعية. قضت عليها الأوبئة وبدأت بالتقهقر بعد طاعون ١٣٤٨م والانحطاط في عهد المماليك، وحلّت القاهرة محلها كمركز اقتصادي وتجاري. تقوم على أنقاضها اليوم مدينة امبابة.

٢٩- المحمودية:

ترعة في مصر تروي محافظة البحيرة، وهي أيضا اسم مدينة على ترعة المحمودية بالمحافظة المذكورة.

٣٠- راجع أيضاً «فتوح البلدان» للبلاذري - فتح الاسكندرية - ص ٣٠٩ - ٣١٤ - مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٧.



الفصل السادس

«المكتبات»

محتويات
الفصل السادس

الفصل السادس
المكتبات LABRARIES

مقدمة:

ليست المكتبة هي مجرد (ديكور) أو أداة من أدوات الزينة في البيت، بل هي ركن أساسي في المنزل والمدرسة والجامعة والمسجد، لأنها المعين الذي تزود الفرد والجماعة بالعلم والمعرفة، ولا غنى للأفراد والشعوب لهذه المناهل في عالم لا يتسع العيش فيه من دون هذا الزاد الذي يعتبر نبراساً لمواكبة التقدم والحضارة.

وتعتبر المكتبة والاهتمام بها دليلاً للرقي والتقدم والحضارة، فكلما كثر عدد المكتبات في قطر من الأقطار، وكثر عدد الكتب فيها وتنوع، وتمّ تنظيمها وفق أحدث الأساليب والأسس، ويتبعها بالتالي زيادة عدد روادها، كان ذلك دليلاً على رقيّ وسعيه في نشر الثقافة بين أبنائه.

ويعتبر علم المكتبة، في الوقت الحاضر، من العلوم الأساسية الحديثة، كسائر العلوم الاجتماعية والانسانية الأخرى. وقد نهض هذا العلم بصورة خاصة كنتيجة لثورة علمية إشرأبّت أعناقها في العالم العربي في أواسط القرن الماضي حيث تبلورت معظم العلوم الحديثة لتؤلّف علوماً مستقلّة لها أساليبها وموضوعاتها، فأخذت مدارس المكتبات تنتشر في العديد من أقطار العالم العربي، كما قام عدد من الجامعات بمنح درجات البكالوريوس والماجستير في حقول هذا العلم. وبدأ الاختصاصيون بدورهم بوضع مؤلفات في مواضيع هذا العلم بغية ترويجها وتعريفها لدى المثقفين غير المتخصصين.

ويجدر الذكر أن تطوّر المعرفة الانسانية، والثورة التقنية، وتقدم المعارف والمعلومات وعوامل أخرى قد أدّت بدورها الى تطوّر علم المكتبات نفسه الذي غدا علماً له أصوله وقواعده.

ومن أجل الالمام بعلم المكتبات، لابد، بادئ ذي بدء، من التوغل الى الجذور والمنابع القديمة للمكتبات ومتابعة سيرها وتطوّرها وأهدافها وآثارها، في محاولة للاستفادة منها وابتداع أساليب تطويرها وتحسينها وفق أحدث الأساليب تمشّيا مع مقتضيات العصر وما رافق العالم من تقدم ورقي في مختلف المجالات.

إن أقدم المكتبات المعروفة كانت مزيجاً من المواد المكتبية والوثائق والمحفوظات الحكومية والبلدية والترانيم الدينية.

ويمكن تقسيم مجموعات المواد المكتوبة قديما الى أربعة أقسام:

١- مجموعة المعابد، وهي مجموعة يغلب عليها الطابع الديني من صلوات وتراتيل وترانيم وما الى ذلك.

٢- السجلات والمحفوظات الحكومية التي تمتلكها الدولة، من شؤون الضرائب ورواتب الموظفين والمراسيم والقرارات والأحكام وغيرها.

٣- مجموعة سجلات رجال الأعمال في الشؤون التجارية والصناعية.

٤- مجموعة شجرات الانساب.

وقد تختلط هذه المجموعات ببعضها، غير أنها احتفظت بأهدافها في الاستفادة والاستعمال.

مفهوم كلمة المكتبة و مدلولاتها:

إن كلمة «المكتبة LIBRARY» مأخوذة في الأصل من اللفظ اللاتيني LIBER بمعنى الكتاب، وتسمّى أيضاً «دار الكتب» أو «خزانة الكتب»، وهي عبارة عن مبنى أو موضع في مبنى به مجموعة من الكتب والمراجع المختلفة، بما فيها المصادر المكتوبة WRITTEN، أو المطبوعة PRINTED، أو المخطوطة GRAPHIC أو المرئية والسمعية AUDIOVISUAL (بما فيها الأفلام FILMS، والصور PHOTOGRAPHS، والشرائط TAPES، والحاكي PHONOGRAPH، والسجلات RECORDS، والتسجيلات المرئية على القرص والشرائط VIDEO DISCS OR TAPES، والأفلام المصغّرة MICROFILMS، أو الحاسب الآلي ونظم المعلومات COMPUTER PROGRAMS).

إن كلمة LIBRAIRIE بالفرنسية «ونظائرها في اللغات الرومانسية الأخرى ROMANCE LANGUAGES»[1] ليس لها نفس المعنى الذي يستخدم للدلالة على المكتبة BOOKSHOP أو الناشر PUBLISHER، فان الكلمة التي تستعمل في كثير من الأقطار للدلالة على مجموعة من الكتب، عامة أو خاصة، هي مشتقة من الكلمة اللاتينية اليونانية BIBLIOTHICA، فهي بالفرنسية BIBLIOTHÉQUE، وبالايطالية والاسبانية BIBLIOTECA، والالمانية BIBLIOTHEK، وبالروسية BIBLIOTEKA. وفي اللغة اليابانية، فان كلمة TOSHOKAN تعني «بناية الكتب BUILDING OF BOOKS».

وفي الواقع ان استخدام كلمة LIBRARY للدلالة على غرفة أو عدة غرف من بناية تضم مجموعة من الكتب يعود الى القرن الخامس عشر.

لقد أولت مصر اهتماماً كبيراً بالمكتبات، فالفراعنة قد أنشأوا مكتبات كثيرة لحفظ سجلات الدولة ووثائقها، وكذلك لحفظ الكتابات الدينية وما يتّعلق بها.

وقد عمد الفراعنة الى تسمية المكتبة بأسماء مختلفة، فباني الهرم الأكبر خوفو (حوالي ٢٢٠٠ ق. م) سمّى مكتبته باسم «بيت الكتابات»، كما سمّى خلفاؤه مكتباتهم بأسماء متعدّدة منها «محفوظات الاسلاف» أو «قاعة كتابات مصر» أو «بيت الكتابات المقدسة».

ومن الثابت ان فرعون مصر رمسيس الثاني (حوالي ١٢٠٠ ق. م.) كانت لديه مكتبة في قصره في طيبة تضم حوالي ٢٠ ألف ملف من ملفات البردي، وقد سمّيت هذه المكتبة باسم «مكان انعاش الروح».

ومما ساعد على ازدهار المكتبات في مصر، وجود نبات البردي بغزارة والذي كان يستعمل بديلاً للورق، الى جانب تطوّر الكتابة المصرية وتخصص الرهبان ورجال الدين في الكتابة والتعليم وازدياد الوثائق والسجلات اضافة الى العوامل العامة الأخرى.

اما اليونان الذين ورثوا حضارة الشرق وعمدوا بالتالي الى تطويرها ونموّها، فقد استعملوا كلمة بيبليوثيكا BIBLIOTHECA للدلالة على المكتبة. وهذه الكلمة تتألف من مقطعين: الأول مقطع THECA للدلالة على المكان الذي توضع فيه الكتب، والثاني مقطع BIBLIO للدلالة على ملفات البردي التي تعتبر بمثابة الكتب. ولاتزال هذه الكلمة مستعملة حتى الوقت الحاضر للدلالة على المكتبة في فرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال ورومانيا وأميركا اللاتينية وغيرها من الدول التي تستقي أصول لغاتها من اللغة اللاتينية.

وكذلك الرومان، فانهم ورثوا الحضارة اليونانية وتبنّوها ونقلوها لأوربا بما في ذلك هذا اللفظ أيضاً للدلالة على المكتبة وعنهم ورثته الدول الناطقة باللغات المشتقة من اللغة اللاتينية كما ذكرنا.

وقد استعمل الرومان أيضاً كلمة أخرى للدلالة على المكتبة وهي LIBRI، وهي كلمة لاتينية معناها الكتاب نفسه، أو بالتحديد ملفّ البردي المكتوبة عليه الكتابة. ثم انتشر هذا اللفظ الى العالم الانكلوسكسوني ANGLO - SAXON ليكون LIBRARY ويعني مكتبة.

الجذور التاريخية للمكتبات.

إن أقدم من أنشأ المكتبات في العالم البابليون سنة ١٧٠٠ قبل الميلاد، ومن بقاياهم مكتبة عثر عليها علماء القرن الماضي في خرائب بابل وآشور، وهي عبارة عن قرميدات من الطين المجفف عليها كتابة بالحرف الاسفيني (المسماري)، يليهم المصريون القدماء فقد وصف (ديدوروس DIODORUS القرن الأول للميلاد) مكتبة وجدوها في قبر ملك مصري اسمه (أوسيمندياس) ثم اليونان وهم أول من أنشأ المكتبات العامة لعامة الناس، وأقدم منشئيها (بستراتوس) في أواسط القرن السادس قبل الميلاد، وذكر بلوتارك مكتبة في برغاموس مؤلفة من

٢٠٠,٠٠٠ مجلد. وأنشأ البطالمة مكتبة الاسكندرية الشهيرة، ثم الرومان وأولى مكتباتهم نقلوها من مقدونيا الى روما عام ١٦٧ ق. م. ثم استولوا على مكتبة برغاموس المذكور عام ١٢٣ ق. م.، ثم نقلوا مكتبات أثينا عام ٨٦. ولمّا عظم شأن قسطنطين في القسطنطينية أنشأ فيها مكتبة عام ٣٥٥م هذا عدا خزائن الفرس الذين ورثوا البابليين والأشوريين واحتكوا باليونان واختلطوا بجيرانهم الهنود. وكانوا يعرفون الكتابة وينقشونها على الأحجار باللغة الفهلوية (الفارسية القديمة)، ويؤيد ذلك ما جاء في كتب الأخبار عن فتح الاسكندر بلاد فارس، وما عثر عليه في عاصمتهم اصطخر (برسبوليس) باليونانية ومعناها مدينة الفرس، وهي احدى المدن الفارسية القديمة، وكانت تقع شمال شرقي شيراز الحديثة، وغدت مدينة هامة في عهد دارا وخلفائه، وكشفت الحفائر ان المنطقة كانت مأهولة منذ الألف الرابع ق. م) من خزائن الكتب فاستنسخها الاسكندر وأحرقها، وفيها ما كان قد جمعه الفرس من علوم الهند والصين الى تلك الأيام.

ويعتبر السومريون الذين يعودون الى أصل غير سامي من أقدم الشعوب التي استوطنت جنوبي بلاد الرافدين في أواخر الألف الرابع وبدايات الألف الثالث قبل الميلاد. وقد استعمل هؤلاء، الكتابة المسمارية واللوحات الفخارية في تسجيل معارفهم وآدابهم وحفظوها في مكتبات كانوا يسمونها (بيت اللوحات الكبير). ويدل هذا الاسم بذاته، على طبيعة المادة التي استعملوها في تسجيل المعلومات عليها، وهي اللوحات الفخارية، حيث ان منطقة جنوبي الرافدين كانت خالية من نبات كالبردي الذي كان يكثر في مستنقعات مصر مما يمكن استعماله كمادة للكتابة، فاستعانوا بالصلصال يكتبون عليه ويجففونه ويحرقونه ويحفظونه في جرار ويضعونه في أماكن هي أولى المكتبات ذكراً في التاريخ، وخصص بناء ليكون مكتبة. وقد اكتُشف هذا البناء في انقاض مدينة (أور UR) جنوبي العراق وذلك أثناء حكم (أورنامو) حوالي ٣٠٠٠ قبل الميلاد.

ومع ذيوع العلوم وانتشارها وشغف الناس بها، كان الميل الى دراسة اللغة وآدابها القديمة والفلسفات والأفكار والنظريات المتطوّرة يزداد ازدياداً كثيرا، وكان لابدّ لذلك من الحفاظ على هذه الكنوز الثقافية للاستفادة منها جيلا بعد جيل. ومن هنا نشأ الاهتمام بفهرسة الكتب والمؤلفات والوثائق والآثار الفكرية التي ابتدعها العقول النيّرة، بل وتعدّت الحاجة الى نسخ تلك الكتب والحصول على نسخ مضبوطة لا سيما تلك التي كتبت أو استنسخت بخط رديء. ولم تكن هذه المهمة يسيرةً وهيّنة، حيث يتطلب ذلك الى التعمّق في دراسة اللغة والقدرة على التفسير السليم والتعرّف على المصطلحات والوقوف على مسيرة التاريخ وأدواره ومجرياته وسير وآثار المؤلفين المعنيّين وأتباعهم والمؤيّدين والمتصدّين لهم.

وقد تفوّق البطالمة في الاسكندرية على سواهم في هذا المضمار، مما سنأتي على ذكرهم، فظهرت صناعة فهرسة مجموعة كبيرة من الكتب مع ذكر أسمائها وأسماء مؤلفيها، لا سيما

العناية بنشر الكتب القديمة بعد تصحيحها وضبطها، وأصبحت النسخ التي يصدرها مديرو مكتبة الاسكندرية وعلماؤها هي المعوّل عليها لدى سائر المكاتب الأخرى وجماعة النُسّاخ. فكانت النسخ الاسكندرية توزّع في كل مكان من العالم الهيليني[٢]. ومن هذه النسخ تسلسلت المخطوطات المحفوظة في مكاتب أوربا التي نسخت عنها طبعات كتب الشاعر الملحمي اليوناني «هوميروس HOMEER»[٣] المنسوبة اليه أشعار «الالياذة ILIAD»[٤] و «الاوديسا ODYSSEY»[٥] و «الأغاني الهوميرية أو الملاحم الهوميرية THE HOMERIC EPICS» التي أثرت تأثيراً كبيراً على مستقبل الشعر اليوناني، ومؤلفين آخرين.

إن هذه الصناعة – صناعة تحرير الكتب وتنسيق مواضيعها – اقتضت ولا شك تعمّقاً في دراسة اللغة لازالة الاختلاف والتفسير الصحيح لبعض الألفاظ والتثبّت من التهجئة، فكان ذلك مما يدعو علماء الاسكندرية الى تأليف معاجم اللغة، ففي عام ١٢٠ قبل الميلاد، تصدّي عالم اسكندراني اسمه «ديونيسوس ثراكس DIONYSUS THRAX» لوضع أول كتاب يوناني يدعى «TECHNE GRAMATIKE» في صرف اللغة ونحوها، تضمن أهم المصطلحات والحدود المصرفية والنحوية كأسماء أقسام الكلم التي لاتزال تستعمل في أوربا حتى الآن. وقد راج كتابه هذا رواجاً عظيماً، وظلّ الناس يتداولون استعماله قرناً بعد قرن حتى صار فيما بعد أساساً لكل ما ألّف من كتب الصرف والنحو في جميع لغات شعوب أوروبا الغربية.

وبالنسبة للآداب، فكادت تكون محصورة بين العلماء الذين كانوا في الاسكندرية حيث تنوعّت كتاباتهم لا سيما في الشعر. وقد اشتهر في هذا المضمار الشاعر اليوناني «ثيوقريطس THEOCRITUS ٣١٠ – ٥٢٠ – ق. م» الذي يعتبر مبدع الشعر الرعوي PASTORAL LITERATURE، وقد نُسبت اليه ثلاثون أنشودة رعوية IDYLL رسم فيها صورة رائعة للحياة الريفية في صقلية.

والأدب الرعوي، في صميمه، هو الأدب الذي يمجّد الحياة الريفية ويتّخذها مثلاً أعلى، فهو يصور مجتمع الرعاة ببساطته ونقائه مغايراً ما بينه وبين مجتمع المدينة بتعقيده وفساده.

ومن كبار الشعراء الذين برعوا في هذا المضمار، الشاعر الروماني «فرجيل VIRGIL»[٦] (٧٠ – ١٩ ق. م).

المكتبات قبل وبعد الفتح الاسلامي:

من المؤكد أن هناك كثيراً من المكتبات في العالم الاسلامي قبل الاسلام. فبالاضافة الى مكتبة الاسكندرية التي سيأتي ذكرها فيما بعد، كان من المعروف ان للسريان فيما بين النهرين[*] نحو

خمسين مدرسة تدرّس فيها العلوم السريانية واليونانية، أشهرها المدرسة اللاهوتية (الرّها) و (قِنَّسرين) في سوريا جنوبي حلب، و (نَصيبين) على الحدود السورية. وكانت هذه المدارس تتبعها مكتبات. وكذلك الأمر مدرسة (جنديسابور) في خوزستان التي أنشأها الملك الساساني كسرى أنو شروان (٥٣١ – ٥٧٩).

ومما يذكر أنه كان بمدينة (مرو) في تركمانستان خزانة من الكتب الفارسية أتى بها الملك الساماني (يزدجرد).

وقد روي ابن النديم في كتابه «الفهرست» صفحة ٢٤٠ ما يلي:

«قال أبو معشر في كتاب اختلاف الزيجات إن ملوك الفرس بلغ من عنايتهم بصيانة العلوم، وحرصهم على بقائها على وجه الدهر، وإشفاقهم عليها من أحداث الجوّ وآفات الأرض، أن اختاروا لها من المكاتب أصبرها على الأحداث، وأبقاها على الدهر، وأبعدها من التعفّن والدروس، لحاء شجر الخدنك، ولحاؤه يسمى التُّوز، وبهم اقتدوا أهل الهند والصين ومن فيهم من الأمم في ذلك.. ولما كان قبل زماننا هذا بسنين كثيرة تهدّمت من هذه المصنعة ناحية، فظهروا فيها على أزَج معقود من طين الشتيق، فوجودا فيه كتباً كثيرة من كتب الأوائل، مكتوبة كلها في لحاء التوز، مودعة أصناف علوم الأوائل بالكتابة الفارسية القديمة».

ومع مجيئ العصر العباسي، أخذت حركة التأليف والترجمة تنشط، كما أن صناعة الورق أخذت هي بدورها تتوسع، وتبع ذلك ظهور حرفة الورّاقين وكثرت المكتبات وزخرت بالكتب.

وكان أكبر مكتبة معروفة في ذلك العصر، هي «خزانة الحكمة» كما يسمّيها البعض، أو «بيت الحكمة» كما يسميها البعض الآخر.

ويرى الباحثون أن مؤسسها الأول هو «هرون الرشيد» الذي وضع نواتها، ثم جاء «المأمون» وعمل على إنمائها واثرائها.

وقد رووا بأن الرشيد ولّي النصراني السرياني «يوحنا بن ماسوية» ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون.

(*) ما بين النهرين: منطقة بين دجلة والفرات تمتد من جبال كردستان حتى الخليج بين جبال زاغروس وبادية الشام. مهد حضارات سومر وأشور وبابل.

وكان يعمل في خزانة الحكمة في عهد الرشيد، علماء مختلفو الثقافة مثل: يوحنا بن ماسوية الذي يترجم الكتب اليونانية، وابن نوبخت الذي كان ينقل من الفارسي الى العربي، وكذلك علان الشعوبي وغيرهم. فخزانة الحكمة كانت فيها كتب ولها رئيس وأعوان، وفيها كانت تنسخ وتترجم الكتب اليونانية والفارسية.

وفي عصر المأمون، اشتدت الرغبة الى الفلسفة والعلوم العقلية، وروى ابن النديم في كتابه «الفهرست» صفحة ٢٤٣:

«أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون، فكتب الى ملك الروم يسأله الإذن في إنقاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم، فأجاب الى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر، وابن البطريق، وسلْما صاحب بيت الحكمة، وغيرهم، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه اليه أمرهم بنقله فَنُقل، وقد قيل إن يوحنا بن ماسوية ممن نفذ الى بلاد الروم».

ومن كبار النقلة الذين عملوا في بيت الحكمة في عهد الخليفة المأمون، عام ٨٣٠ للميلاد، لترجمة الكتب العلمية والفلسفية الى العربية، حنين بن اسحق. وكان هؤلاء النقلة يترجمون الكتب اليونانية الى السريانية أولاً، ليصار بعدُ الى ترجمتها من السريانية الى العربية.

وكان المأمون مغرماً بكتب الفلاسفة اليونانيين، ولما علم بوجودها في جديرة قبرص، وكان قد هادن صاحب هذه الجزيرة، فأرسل سهل بن هارون اليه يطلب منه هذه الكتب في خزانة كتب اليونان. ولما استلمها المأمون اغتبط بها وجعل سهل بن هارون خازناً لبيت الحكمة.

كما قام المأمون بارسال بعثة الى القسطنطينية لاحضار الكتب اليونانية من طبية وفلسفية، ومن بينهم سلْم صاحب بيت الحكمة. ومن المعروف أنه كان في القسطنطينية مكتبة كبيرة أنشئت سنة ٣٣٦م، وقد عني بعض الملوك بتوسيعها حتى بلغ ما فيها نحو مائة الف مجلد، وقد قام البعض منهم باحراق بعض ما فيها من الكتب الدينية انتصاراً لمذهبه الديني، ولكنها جدّدت بعده، واتّسعت، وكانت في عصر المأمون زاخرة بالكتب.

ويظهر من نص ابن نباته أن بيت الحكمة كان مجموعة خزائن، كل مجموعة من الكتب خزانة، وأن سهل بن هارون كان مشرفاً على القسم الذين أحضرته بعثة القسطنطينية. وقد غلب الظن أن كتب الرشيد قد أفردت في خزانة، وكتب المأمون قد أفردت في أخرى، فكان ابن النديم يستعمل أحياناً خزانة المأمون وأحياناً خزانة الرشيد.

وقد زعم البعض أن بيت الحكمة كان جامعة كبيرة يتصل بها مكتبة ومرصد، غير انه لا توجد هناك نصوص تؤيد ذلك، وكل ما يدلّ عليه انها كانت مكتبة ملحقة بقصر الخليفة لا في مكان خارجي، حيث اعتاد الخلفاء ان يفعلوا ذلك في قصورهم.

تطوّر المكتبات الإسلامية في القرون الوسطى:

مع تطور تاريخ الفكر الاسلامي في القرون الوسطى، تطوّرت المكتبات الاسلامية في تلك الفترة بحيث يمكن تحديد ثلاثة نماذج من المكتبات في ذلك العصر:

أولها «بيت الحكمة» في بغداد زمن العباسيين، كما ذكرنا سابقاً. وكانت المكتبات أول الأمر ملكا لبعض الحكام أو لبعض الهواة أو المولعين بجمع الكتب. وكان الاهتمام منصباً بالدرجة الأولى على الكتب العلمية والفلسفية، وكان للمغانم أو الهدايا من البيزنطيين دور في الحصول على مثل هذه الكتب. كما قد يعمد بعض المولعين بالمعرفة، الى تأسيس مكتبات يقتصر العمل فيها على العلماء وذوي المعرفة، وهي غالباً مخصصة لفرع معين من فروع المعرفة وتقوم بالترجمات ووضع الشروحات والقيام بالأبحاث العلمية، وقد ازدهرت مثل هذه المكتبات مع صعود نجم المعتزلة.

أما المكتبة العامة في الاسلام، فقد تمثلت بالنموذج الذي يعرف بـ «دار العلم». وقد كانت هذه المكتبات بشكل الأوقاف الخيرية التي تمتاز ببنائها الخاص بها، وغالباً ما قام الشيعة بذلك بهدف الترويج لمعتقداتهم وآرائهم الدينية. وأشهر هذه المؤسسات «دار الحكمة» التي أنشأها في القاهرة عام ١٠٠٥ للميلاد، الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله لتدريس التعاليم الشيعية المتطرّفة ونشرها. وقد ألحق الحاكم هذه المؤسسة بالبلاط الملكي وزوّدها بمكتبة ضخمة. وكان منهاج التدريس فيها لم يقتصر على العلوم الاسلامية، بل تعدّى ذلك الى الطب وعلم الفلك أيضا. وكثيرا ما تعرف دار الحكمة هذه باسم «دار العلم».

وقد انقرضت هذه المكتبة بموت العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين سنة ٥٦٧هـ.

أما النمط الثالث من المكتبات، فقد ظهر بعد انتصار السنة وانشاء المدارس التي أصبحت من أهم المؤسسات التعليمية الاسلامية. وقد كانت المكتبات التي أنشئت بهذه الطريقة غالباً ما كانت ملحقة بالمدارس أو بالمساجد وأحياناً بالمستشفيات أو ببيوت المتصوّفة وخانقاتهم أي تكاياتهم. وتعتبر مجموعة الكتب التابعة لمكتبة المدارس حكراً على أعمال التدريس السنّي الطابع، وقلّما تؤلف هذه أبحاثاً معدّة للعامة، على أنه يمكن القول ان من جملة هذه المكتبات المخصصة للعامة عدداً قليلاً في العواصم، من ذلك، المدرسة النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك في بغداد ١٠٦٧ للميلاد (وقد اعتبر بعض الباحثين أن هذه المدرسة أو الجامعة هي أقدم الجامعات في العالم، وقد ذهب فريق من المحققين الى القول بأن جامعات أوربا الأولى اقتبست بعض نظامها عنها، وكذلك المدرسة المستنصرية التي أنشأها الخليفة العباسي المستنصر بالله في بغداد أيضا عام ١٢٣٤ للميلاد لدراسة المذاهب الأربعة وألحق بها مستشفى ودار للكتب.

وقد زارها الرحالة العربي ابن بطوطة عام ١٣٢٧ وأسهب في وصفها . وقد جدّدت عام ١٩٦٣)، والمدرسة التقليدية التي تعرف بالأشرفية في دمشق، والفاضلية والمحمودية في القاهرة.

وقد تعرّضت هذه المكتبات الى الانحسار وعلى فترات، خاصة إبان الحروب الصليبية، ثم إبان الغزو المغولي ثم التيموري. وخلال الحكم العثماني ظهر السلطان محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ كحام ومؤسس للمكتبات، ثم ظهر بعده سلاطين وحملة ألقاب قاموا بتأسيس العديد من الأوقاف ومن ضمنها المكتبات العامة، وبذلك أسهموا بتحويل مدينة اسطنبول (الاستانة سابقاً) الى مركز من أهم المراكز لجمع الكتب والمخطوطات.

ومن الجدير بالذكر أن القَلْقَشندي[١] في الجزء الأول من موسوعته «صبح الأعشى في ديوان الانشاء» بما يقال إن أعظم خزائن الكتب في الاسلام ثلاث، وذكر خزانة الخلفاء الخلفاء العباسيين ببغداد، وهي دار الحكمة أو بيت الحكمة، وخزانة الفاطميين بمصر «دار العلم» وخزانة بني أمية بالأندلس «مكتبة قرطبة».

أما في العصر الحديث، فقد ذاعت كلمة «دار الكتب» في العالم العربي، فهناك مثلا:

ا - دار الكتب المصرية:

كان انشاؤها وليد اهتمام المؤرخ والوزير المصري «علي باشا مبارك ١٨٢٣ – ١٨٩٣»، وانتقل هذا الاهتمام الى «اسماعيل باشا خديوي مصر ١٨٦٣ – ١٨٧٩» فأصدر أمره الى علي مبارك (مارس ١٨٧٠) بجمع المخطوطات النفيسة الموقوفة على المساجد والأضرحة والمدارس لتتكوّن من هذا الشتات نواة مكتبة عامة مفتوحة لأفراد الشعب.

ومما يذكر بأن الأستاذ أدولف جروهمام GROHMANN قام بنشر البرديات العربية المودعة في دار الكتب المصري، وقد نشر حتى الآن ستة مجلدات[٢].

---

(١) أحمد القَلْقَشندي (١٣٥٥ – ١٤١٨): مؤرخ وأديب مصري. نسبته الى قلقشندة بالقليوبية. له «صبح الأعشى في صناعة الانشا» جمع فيه معارف عامة ومعلومات أدبية وتاريخية وجغرافية، و«نهاية الأدب في معرفة قبائل العرب».

(٢) راجع: الدكتور عبداللطيف احمد علي – مصادر التاريخ الروماني – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت ١٩٧٠ – ص ٢٣٦ و ٢٣٧.

تعقيب :

ونحن نتحدث هنا عن دار الكتب المصرية، نود الاشارة هنا الى ما نشرته جريدة «الاتحاد الاسبوعي» في عددها الصادر من أبوظبي بتاريخ ١٩/٨/١٩٩٣ بعنوان «دار الكتب المصرية توقفت عن شراء الكتب منذ ٢٠ سنة. وان هناك مشروعاً لتطوير دار الكتب التي أنشئت في عام ١٨٧٠.

واستطرد المقال في ذكر مقابلة مع رويتر ان المشرف على المشروع قال إن العمل معطّل بانتظار فصل ادارة وميزانية دار الكتب المصرية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب التي تهيمن على الدار منذ عام ١٩٧١.

وستنقسم دار الكتب الجديدة بين مبنى ضخم مطلّ على النيل في بولاق والمبنى القديم الواقع بجوار متحف الآثار الاسلامية في القاهرة القديمة والذي عملت فيه الدار بين عام ١٩٠٤ و ١٩٧٠. ويتوقع المشرف على المشروع ان تبلغ تكاليف تطوير المبنى القديم ١٠٠ مليون جنيه مصرس «نحو ٣٠ مليون دولار»، وانه سيتم تخصيص هذا المبنى لمكتبة للدراسات الشرقية يضم مخطوطات عربية وفارسية وتركية وجميع المصادر والمراجع والدوريات المتصلة وقاعة بحث ومعرض لتاريخ الكتاب والخط العربي ومركز لتحقيق التراث وقاعة لأوراق البردي.

ومما قاله أيضا ان دار الكتب المصرية تمتلك نحو ٥٧٠٠٠ر مخطوطة قديمة و ٣٠٠٠ر بردية عربية وعدة ملايين من الكتب، ويعاني معظمها من ظروف تخزين سيئة، بل ان بعضها فقد في الثمانينات بسبب ضعف الرقابة الأمنية الى جانب ضياع الميزانية المخصصة لشراء الكتب على أغراض اخرى.

واستطرد قائلاً إن الميزانية السنوية لشراء الكتب للدار تبلغ ٨٠٠٠٠ر جنيه مصري فقط توزع بالاشتراك مع ٢٦ مكتبة فرعية في احياء القاهرة، وتوقفت الدوريات العلمية منذ ٣٠ عاما والميزانية ضعيفة جداً، والمصدر الوحيد للكتب الآن هو الايداع الذي يوجبه القانون.

هذا بعض ما أدلى به المشرف على المكتبة، ونحن إذ نعرب بدورنا عن الأسى والحسرة على ما آل اليه الوضع في هذا الصرح الثقافي الكبير الذي تتطلع اليه الأمة العربية قاطبة لا في مصر وحدها، نأمل من المسؤولين في مصر الثقافة والحضارة، أن تبادر الى ازالة هذه العقبات والشروع لا مجرد انقاذ ما تهاوى فحسب، بل أيضا الى المبادرة في وضع خطة طموحة للارتقاء بهذه المؤسسة والأخذ بأحدث الأساليب التي ينبغي ان توضع موضع التنفيذ دون ابطاء، لا سيما واننا نعلم بأن مصر الشقيقة قد احتلت الصدارة في العلم والثقافة، خاصة مبادرتها المضيئة لاحياء مكتبة الاسكندرية القديمة.

٣- دار الكتب الظاهرية:

وهي أشهر مكتبات سوريا، وتضمّ مجموعة قيّمة ونادرة من المخطوطات العربية. ويرجع الفضل في انشائها بدمشق للأديب اللغوي الشيخ طاهر الجزائري (١٨٥٢ - ١٩٢٠) الذي جمع شتات مخطوطات دمشق ووضعها في مكتبة القبة الظاهرية.

ومن الضروري التأكيد هنا بأن كلمة BOOKSHOP التي أشرنا اليها إنما تعني محل بيع الكتب، أما كلمة LIBRARY فانها تعني مكتبة للمطالعة والبحث، وليست محلاً لبيع الكتب، في حين تشير كلمة LIBRAIRIE الفرنسية الى محل بيع الكتب، أما المكتبة مكان المطالعة والبحث فتسمّى بالفرنسية BIBLIOTHEQUE وهي تقابل الكلمة الانكليزية LIBRARY.

أنـواع المكتبات KINDS OF LIBARARIES:

أولا - المكتبات القومية NATIONAL LIBRARIES:

وهي مكتبات تابعة للدولة مسؤولة عن نشر البيبلوغرافيا BIBLIOGRAPHY القومية (أي بيان تفاصيل التعريف بالكتب والمخطوطات القومية[٧] والحفاظ على التراث القومي، مخطوطاً ومطبوعاً، وتحتوي على مختلف الكتب في الفنون والعلوم باللغات المختلفة، وهي بالتالي ذات صيغة دولية أيضا لما لها من مجموعات متميزة.

وتعمل الدولة ضماناً لوصول الانتاج الفكري القومي الى المكتبة القومية على اصدار قانون الايداع DEPOSIT LAW. ويقضي هذا القانون بالتزامات نحو الناشرين والطابعين والمؤلفين بايداع عدد من النسخ المجانية من المطبوعات أو الكتب الصادرة في المكتبة القومية.

وتحصل المكتبات الوطنية على بعض الانتاج الفكري في شكل أفلام أو مصورات مصغرة MIUCROFORMS، كما تعمل علي قبول الهدايا من هذا الانتاج بهدف السيطرة التامة البيليوغرافية BIBLIOGRAPHICAL CONTROL على الانتاج الفكري داخل الدولة.

وتقوم المكتبة القومية باصدار البيليوغرافيا الوطنية، وهي تشمل نشرة قومية مسلسلة لحصر الانتاج الفكري القومي سواء كانا جارياً أو سبق اصداره.

كما تقوم أيضا باصدار الأدوات البيليوغرافية، وذلك باعداد المستخلصات ABSTRACTS والكشافات INDEXES، فهي بذلك تقوم بدور مركز المعلومات وحلقة الاتصال مع الخدمات البيليوغرافية داخل الدولة، وعلى المكتبة القومية التنسيق بين مختلف الخدمات البيليوغرافية في الدولة ووضع المعايير الواجب اتباعها.

ومن مهام المكتبة القومية، بناء وتنمية وتوثيق مصادر المعلومات المرجعية والموسوعية بما في ذلك تكوين مجموعة المراجع الهامة، وتبادل الدراسات والبحوث والتعاون بين المكتبات في شكل التخطيط لاعداد الفهرس الموحّد UNION CATALOG.

وبالتالي، فان التخطيط التنموي للمكتبات يعتبر من أهم المسؤوليات التي تتحملها المكتبة القومية، فهي تضع خطة وطنية للتعاون بين المكتبات ومراكز المعلومات، كاعداد الفهرس الموحد والقوائم الموحدة للدوريات، حيث يساعد هذا الفهرس المكتبة القومية في وضع وتقنين الأساليب الفنّية المستخدمة بمكتبات الدولة، وفي التدريب والتعليم والبحث والنشر في مجال المكتبات.

وأشهر هذه المكتبات في الغَرب هي:

أ – المكتبة القومية في باريس BIBLIOTHEQUE NATIONALE (BN):

كانت هذه المكتبة معروفة قبل الثورة الفرنسية باسم BIBLIOTHEQUE DU ROI، وكانت مملوكة بالأصل الى الامبراطور شارل الخامس (شارلكان CHARLES V ملك اسبانيا ١٥٠٠ – ١٥٥٨) وقد فتحت للجمهور عام ١٧٣٥.

ب – مكتبة الكونغرس الأميركية LIBRARY OF CONGRESS:

تأسست عام ١٨٠٠ في مدينة واشنطن، وكانت في بادئ الأمرّ تشغل جانبا من مبنى الكونغرس الأميركي (الكابيتول CAPITOL). وعندما أحرق هذا المبنى خلال حرب عام ١٨١٤، نُقلت عام ١٨٩٧ الى مبنى خاص قائم على مقربة من الكابيتول، وفي عام ١٨٥١ التهم حريق آخر ثلثي المكتبة. وهي اليوم تتألف من مبنيين كبيرين، هما أوسع ما اتخذ من مبان للمكتبات بالعالم، ويقوم المبنى على رقعة مساحتها ١٦٢٦٦٢ م٢ (١٨٩٧ – ١٩٣٩).

وقد أريد بهذه المكتبة في الأصل، أن تكون مرجعاً لأعضاء الكونغرس وغيرهم من رجال الدولة. وانها اليوم تعدّ أضخم مكتبات العالم بلا استثناء.

هذا من والجدير بالذكر، ان العاصمة الاميركية واشنطن تشهد في الوقت الحاضر عملية ضخمة تستغرق ثلاث سنوات لنقل محتويات الأرشيف الوطني الأميركي من مقرّه السابق الى مقرّه الجديد الذي تكلف انشاؤه قرابة ٢٥٠ مليون دولار.

وتتكلّف عملية نقل الوثائق هي الاخرى ٦٫٨ مليون دولار، ويقدر وزنها بعدّة أطنان من الوثائق.

جـ – المكتبة البريطانية THE BRITISH LIBRARY:

المتحف البريطاني THE BRITISH MUSEUM:

يقع المتحف في لندن، ويعتبر أحد أقدم المتاحف العالمية وأشهرها. أنشئ عام ١٧٥٣، ويشتمل على مكتبة ضخمة، وهو الدار القومية لحفظ التراث الأدبي والعلمي والفني بالملكة المتحدة. به أقسام للمخطوطات الشرقية والغربية، والكتب المطبوعة، والتحف والآثار والعملات والأنواط والبرديات واللوحات الفنية.

وقد ساعد على تضخم المجموعة صدور قانون ايداع المطبوعات، الي يقضي بايداع نسخة من كل مطبوع يصدر في الدولة ضمن مجموعة المتحف.

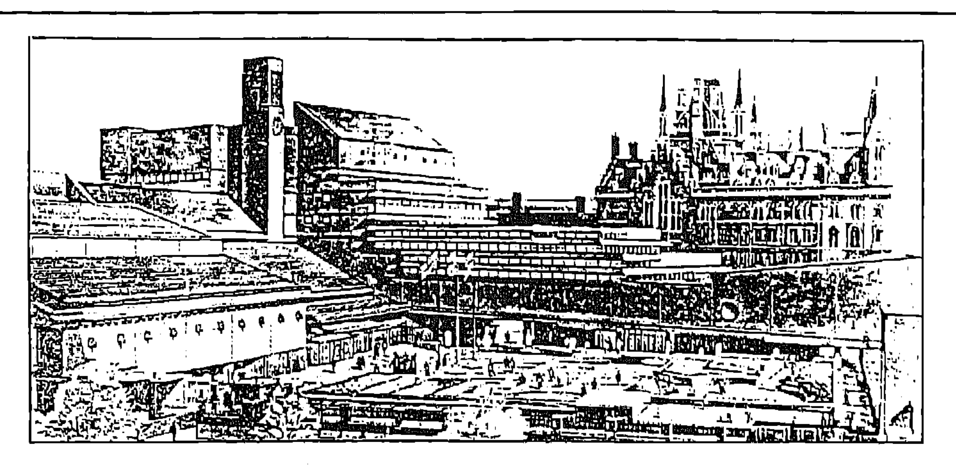
وبالاضافة الى مجموعات الكتب والمخطوطات، توجد بالمتحف مجموعات ضخمة من آثار شتى الحضارات، منها نسخة الكتاب المقدس القديمة، التي نقلت الى روسيا القيصرية، من دير

القديسة كاترين بشبه جزيرة سيناء، واشتراها المتحف من روسيا السوفياتية. وبه كذلك حجر رشيد المشهور ROSETTA STONE[٨].

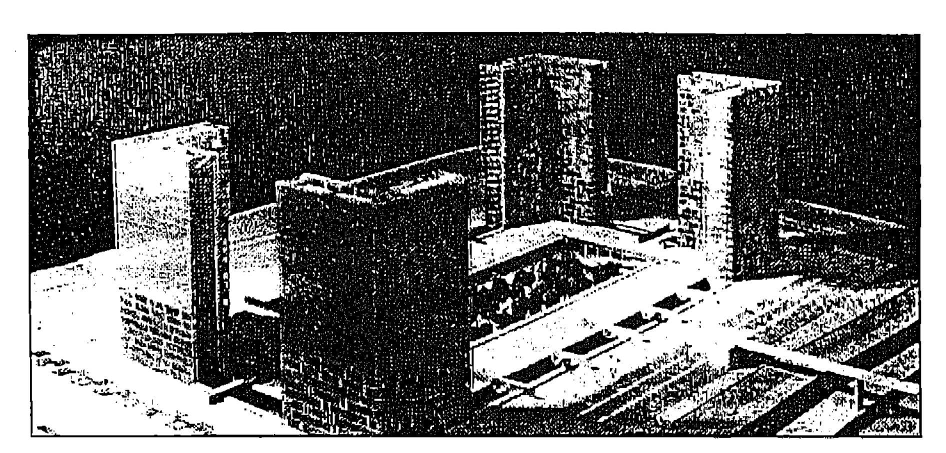
ومن المفيد أن نذكر هنا علاقة المتحف البريطاني بالإحياء الاغريقي (اليوناني) GREEK REVIVAL في فن العمارة، وهو اسم يطلق على الطراز المعماري الذي انتشر في أوروبا وروسيا والولايات المتحدة الأميركية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر والذي استمدّ أبرز خصائصه من فن العمارة اليونانية. والواقع ن «الإحياء الاغريقي» حلّ محلّ ما يعرف بـ «الإحياء الروماني ROMAN REVIVAL» بعد أن اتضح لأهل الفن المعنيين أن الطُرُز الاغريقية تعتبر أصفى الطُرَز المعمارية قاطبة.

ولعل من العوامل التي ساعدت على نشوء «الإحياء الاغريقي» حرب الاستقلال اليونانية على الاتراك (١٨٢١ - ١٨٢٩) والاهتمام المتعاظم - في مختلف الأوساط الفكرية - بالثقافة اليونانية.

ويعتبر مبنى المتحف البريطاني من أبرز الأمثلة على «الإحياء الاغريقي».



المكتبة البريطانية



المكتبة الفرنسية



مكتبة الإسكندرية

د - مكتبة لينين الرسمية LENIN STATE LIBRARY:

احدى كبريات المكتبات في العالم في موسكو، أسّست بعد ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ بزعامة لينين الذي كان قد درس أوضاع المكتبات في الروسيا وأوربا الغربية، وهي تضم اليوم حوالي ٢٥ مليون كتاب مطبوع ومليونين وخمسمائة ألف مخطوطة.

وسميت باسم لينين عام ١٩٢٤، ونمت نموّا كبيراً في أعقاب الثورة الروسية، بعد مصادرة عدة مكتبات كبيرة وضمها اليها، وشيّد لها مبنى جديد عام ١٩٣٠.

هـ - مكتبات قومية أخرى:

هناك مكتبات قومية أخرى تضم مجموعات مهمة ذات تاريخ طويل، مثل مكتبة البرت الملكية في بروكسل THE BIBLIOTHEQUE ROYAL ALBERT L. التي تأسست عام ١٨٣٧، والمكتبة الملكية الهولندية في لاهاي THE DUTCH ROYAL LIBRARY IN THE HAGUE التي تأسست عام ١٧٩٨، والمكتبة القومية المركزية في روما THE BIBLIOTECA NAZIONALE CENTRALE VITTORIO التي تأسست عام ١٨٧٥ الى جانب مكتبات قومية ايطالية أخرى في ميلانو ونابولي وباليرمو وتورين وفينيسيا.

وهناك ايضا المكتبة القومية النمساوية التي تأسست عام ١٤٩٣ من قبل الامبراطور مكسيميليان الاول ١٤٥٩ - ١٥١٩ MAXIMILIAN 1 وغيرها.

وفي معظم الأقطار الآسيوية توجد مكتبات قومية مثل المكتبة القومية في بكين وطوكيو وكلكتا ودار الكتب المصرية.

وفي بعض الأقطار كايسلندة والنرويج فان المكتبة القومية تكون ملحقة بمكتبة الجامعة.

ثانيا - المكتبات الخاصة PRIVATE LIBRARIES:

وهي المكتبات التي يتعهدها صاحبها ويفيد منها، فتكون وقفاً عليه، أو على من يشاركونه في ملكيتها، أو يرضى بإفادتهم منها. وهذا النوع شائع في العالم كله، لا سيما في البلدان المتطوّرة ثقافياً وحضارياً، وهو دليلٌ للرقي والتقدم.

غير أن هذه المكتبات لا تكون مفتوحة عادة للجمهور، كما أنها تختص فيما يستهويه المالك من مواضيع. وتنبع أهميتها في الجهود والتشبثات الفردية التي يبذلها المالك والبحوث والاستقصاءات التي يجريها بعيدة عن التعقيدات الروتينية وهي تزداد أهمية حين تتيح للعلماء والباحثين الاستعانة بها.

ثالثا - المكتبات العامة PUBLIC LIBRARIES:

وهي المكتبات التي تمتلكها مؤسسة حكومية، أو خاصة، أو جامعة، أو معهد للدراسات العليا. وتكون عادةً تحت تصرّف طلاب المعرفة والباحثين والعلماء. وقد تُجهّز بكتب مطبوعة، ومخطوطات، ووثائق تتناول شتى الاختصاصات، والمعارف، واللغات، أو تقتصر على اقتناء المؤلفات التي تعالج موضوعات معينة، وتتوجه الى نخبة من المحققين والمدققين في ميادين محدودة من المعارف. وهي جهاز للتعليم الذاتي المستمر واحدى ثمرات الديمقراطية، لأنها تقدم خدماتها بالمجان لجميع فئات الشعب بدون تمييز ولجميع الأعمار رجالاً ونساء ولجميع المستويات الثقافية.

رابعا - المكتبات المتخصصة

SPECIAL OR SPECIALIZED LIBRARIES:

هذا النوع من المكتبات قد يكون عاماً أو خاصا، وتتناول العلوم والاختصاصات المختلفة، في النواحي الفنية والعلمية والميكانيكية وغيرها. وقد تقتصر هذه المكتبات لغرض الانتفاع بها من قبل الأعضاء فقط أو عموم الباحثين والمختصين، مثال ذلك: المكتبة القومية للمراجع الخاصة بالعلوم والاختراعات، والتي تسمى حاليا بالمكتبة القومية للعلوم THE SCIENCE REFERFNCE LIBRARY والتي تعتبر قسماً من المكتبة البريطانية، وهي في الأصل قد تأسست في مكتب براءة الاختراع PATENT OFFICE بالملكة المتحدة.

ومع ظهور الثورة الصناعية، اشتدت حاجة الطبقة العاملة التي تدرس التكنولوجيا الى هذا النوع من المكتبات، حيث يقوم الصناعيون والمحسنون بتزويد التسهيلات والكتب للدراسات الفنية. ففي المملكة المتحدة تنامت المعاهد الميكانيكية في المدن الصناعية بشكل سريع ولتزوّد العاملين والتجار بالكتب والمحاضرات بأسعار أقل من مكتبات الاشتراك.

إن المكتبات المتخصصة تكون غالباً ملحقة بمؤسسات رسمية، كالدوائر الحكومية والمستشفيات والمتاحف وما شابهها حيث تقتصر مهامها على حاجيات تلك المؤسسات وقد تتوسع في حجمها ومحتواها عن طريق التعاون مع المكتبات الأخرى، وذلك لتسهيل الباحثين المختصين في الحصول على المعلومات المطلوبة وتلبية حاجاتهم فيما يلزم لهم من الخدمات.

خامسا - مكتبات الإشتراك SUBSCRIPTION LIBRARIES:

وهي قد تكون عامة أو خاصة. وقد انتشر هذا النوع من المكتبات منذ نهاية القرن السابع

عشر الى القرن التاسع عشر، وقد تأسس الكثير منها بمشاركة مجموعة من العلماء المهنيين من أجل استفادة الأكاديميات والكليات والمعاهد وعضويتها قد تكون مفتوحة أيضاً الى الجمهور.

ولايزال بعض هذا النوع من المكتبات قائماً حتى اليوم، ولعل أشهرها شركة مكتبة فيلادلفيا THE LIBRARY COMPANY OF PHILADELPHIA التي أسّسها بنيامين فرانكلين BENJAMIN FRANKLEN عام ١٧٣١، ومكتبة بوسطن THE BOSTON ATHENAEUM التي تأسّست عام ١٨٠٧، ومكتبة لندن THE LONDON LIBRARY التي افتتحت بمبادرة من المؤرخ الاسكتلندي توماس كارليل THOMAS CARLYLE عام ١٨٤١، وهي الآن تحتوي على مجموعة كبيرة من المؤلفات التي يمكن لأعضائها الاستعارة الى بيوتهم.

سادسا - المكتبات المدرسية SCHOOL LIBRARIES:

المكتبة المدرسية هي عبارة عن مجموعة منظمة من الكتب موجودة في مدرسة لاستعمال الطلبة أو المدرسين، ولكنها موجهة للطلبة على الأكثر.

وهي قد تضم كتباً مرجعية و /أو كتبا للقراءة بالمنزل، ويديرها مكتبي مهني أو مدرس، أو مكتبي – مدرس.

وكثراً ما يطلق عليها:

- مركز المواد التعليمية INSTRUCTIONAL MATERIALS CENTER.
- أو مركز المصادر التعليمية LEARNING RESOURCES CENTER.
- أو مركز الوسائل التعليمية MEDIA CENTER.

حيث أن دور المركز هو ايداع وتوزيع الوسائل السمعية والبصرية على مدرسي المدرسة.

مركز المكتبة المدرسية للوسائل التعليمية SCHOOL LIBRARY MEDIA CENTER:

هذا المركز هو عبارة عن منطقة في مدرسة ابتدائية أو مدرسة ثانوية تحتوي على مجموعة تتألف من الوسائل التعليمية التي تصاحبها معدات وخدمات يقدّمها موظفو الوسائل التعليمية وتكون ميسّرة للطلبة والمدرسين.

مكتبة المنطقة التعليمية SCHOOL DISTRICT LIBRARY:

وهي مصطلح أميركي يعني:

(أ) مكتبة في منطقة تعليمية، تتلقى ميزانيتها من الحكومة، وتستعملها المدارس وأهالي المنطقة بالمجان.

(ب) مكتبة عامة مجانية، تنشئها وتساندها مالياً المنطقة التعليمية ليستعملها أهالي المنطقة، ويرأسها مجلس التعليم المحلي أو مجلس منفصل للمكتبة يعيّنه مجلس التعليم.

(جـ) مجموعة من المواد المهنية في منطقة تعليمية يستخدمها الموظفون المهنيون والاداريون العاملون بالمنطقة، وهي قسم في برنامج الوسائل الذي تتولاه المنطقة التعليمية.

سابعا- دار الوثائق «أرشيف» ARCHIVES:

تعني كملة «الأرشيف ARCHIVES» في اللغة الانكليزية والفرنسية مجموعة الوثائق العامة المتعلقة بأعمال أي جهاز اداري (جهة حكومية أو مؤسسة أو شركة أو ما شبه ذلك) أو فرد، والتي انتهى العمل بها، وهي تحفظ بطرق خاصة لغرض صيانتها والمحافظة عليها بحيث يمكن الرجوع اليها عند الحاجة.

والارشيف عامة هو مجموعة الوثائق المنظمة التي تتضمن الأوراق والكتب والخرائط والتسجيلات السمعية والبصرية والمواد الوثائقية الاخرى التي نشأت أو التي وردت فيما يتعلق بتطبيق القوانين أو التي تتعلق بالمعاملات التجارية أو المعاملات العامة والتي رؤي الابقاء عليها لقيمتها المستمرّة.

وكلمة ARCHIVES مشتقة من الكلمة اليونانية ARCHEION (وتعني مبنى حكومي أو مكتب)، وكذلك الكلمة اللاتينية ARCHIVUM وتعني الورقة.

ويطلق هذا اللفظ على وثائق الوكالات الحكومية (الأرشيفات العامة PUBLIC ARCHIVES) والمؤسسات (أرشيفات المؤسسات INSTITUTIONAL ARCHIVES) ومؤسسات الأعمال التجارية (أرشيفات الأعمال التجارية BUSINUSS ARCHIVES)، والعائلات والأفراد (الأرشيفات الأسرية والشخصية FAMILY AND PERSONAL ARCHIVES).

أما أوراق الأسر والأفراد التي تفتقد طابع الأرشيفات الحقيقية فانها تسمى (مخطوطات تاريخية HISTORICAL MANUSCRIPTS).

ويلاحظ ان جزءاً بسيطاً من الأرشيفات الحكومية يتم طبعه ويطلق عليه (المطبوعات الحكومية GOVERNMENT PUBLICATIONS).

ومن طبيعة الأرشيفات أنها تعمل «كذاكرة» لحقوق وأنشطة مُنْشِئها، كما تساعده على صيانة حقوقه وتخطيط اجراءاته، وهي كذلك تقدّم معلومات عن التطوّرات السياسية والاقتصادية والثقافية في الماضي.

ولقد احتذت الجهات الحكومية في غرب ووسط أوربا حذو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في حفظ وثائقها في أماكن خصّصتها لذلك. كما تأكدت تلك الجهات من مزايا تركيز الأرشيفات

المحفوظة في عدة أماكن حكومية وذلك في عهدة جهة حكومية واحدة.

وكـمـثـال على تلك الجـهـات، الأرشـيـفـيـة المركـزية THE GENERAL ARCHIVES OF SIMANCAS التي أنشئت عـام ١٥٤٣ في اسـبانيـا، وأرشـيفـات DENASTY, STATE, AND COURT التي أنشئت في فيينا بالنمسا عام ١٧٤٩.

إن فكرة تركيز الأرشيفات في جهة حكومية واحدة كانت تطبق في فرنسا باستمرار. فقد أصبـحت NATIONAL ARCHIVES في باريس أثناء الثورة الفرنسـيـة مسـتودعاً لأرشيفات الحكومة المركزية، كما أنشئت هيئات أرشيفية تابعة في المحافظات وأصبحت مسؤولة عن وثائق المؤسسات البلدية والهيئات المحلية الأخرى.

وقد احتذت معظم دول أوربا الغربية والوسطى حذو فرنسا وقامت بانشاء شبكات من الهيئات الأرشيفية تابعة للتنظيم الاداري في الدولة.

وبعد الحرب العالمية الأولى أخذت روسيا ودول أوربا الشرقية في انشاء هيئات أرشيـفيـة حكومية.

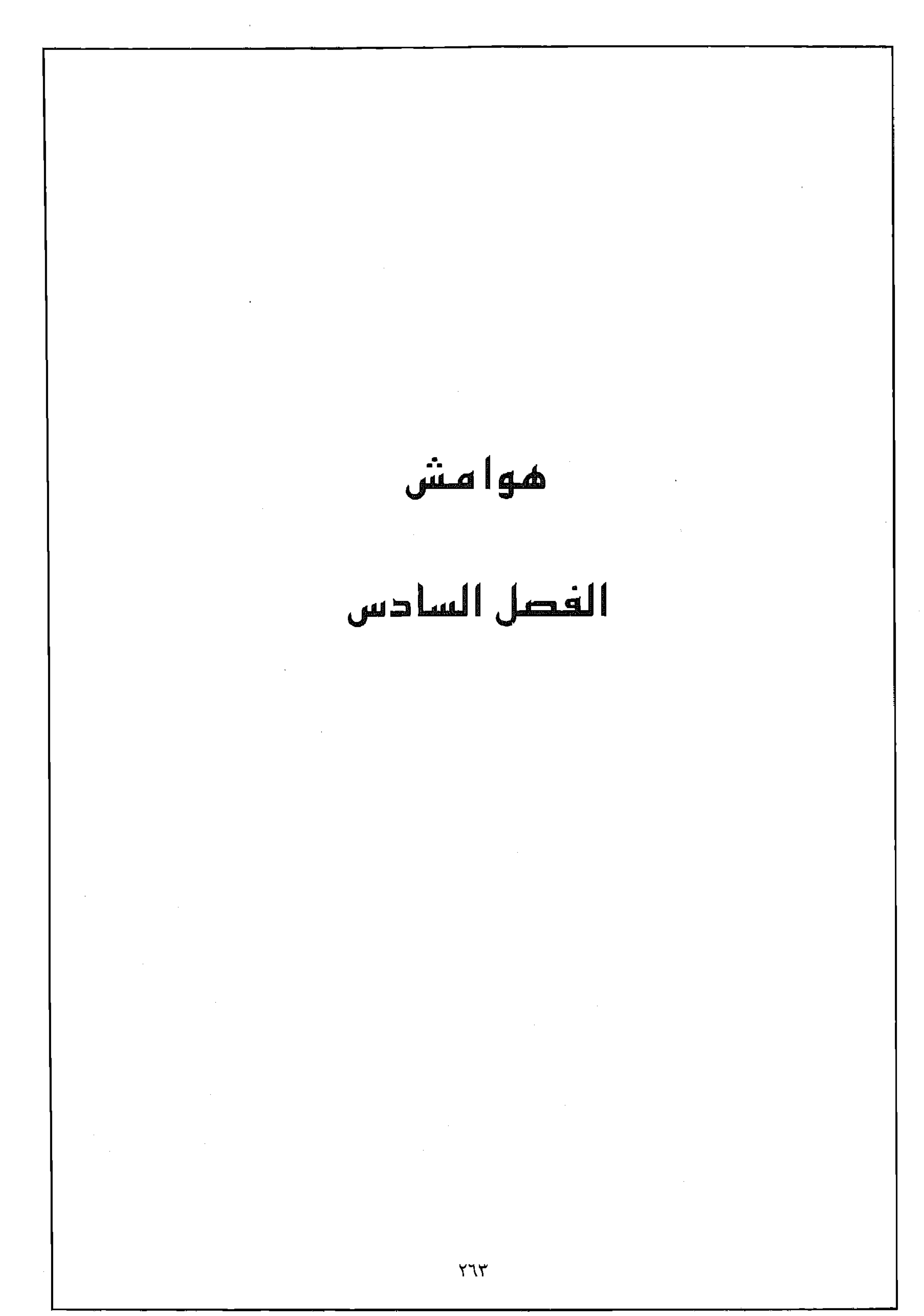
أما في مصر، فقد أنشئت دار المحفوظات بالقلعة في مدينة القاهرة كمكان مركزي لحفظ الوثائق الحكومية عام ١٨٢٩.

وأمـا فـي الولايـات المتـحدة الأمـيـركـيـة، فـقـد صـدر قـانـون انشـاء الأرشـيـف القـومي NATIONAL ARCHIVES فـي واشـنطن عـام ١٩٣٤. وفي عـام ١٩٤٩ انـتـقلت عـهـدتـهـا الى GENERAL SERVICE ADMINISTRATION، وسـمـيـت NATIONAL ARCHIVES AND RECORDS SERVICE، وقد تبعتها كندا بانشاء PUBLIC ARCHIVES في أوتاوا كما تحتفظ ولاياتها بأرشيفاتها الخاصة. وهناك جمعية مهنية تنظم الأرشيفيين في الولايات المتحدة الاميركـيـة وكـنـدا تسـمّي THE SOCIETY OF AMERICAN ARCHIVISTS حـيـث تنشـر AMERICAN ARCIVISTS عـام ١٩٤٨. كـمـا عـقـد أول مـؤتمـر دولـي للأرشـيـفـيـين INTERNATIONAL CONGRESS ARCHIVISTS في بارس عام ١٩٥٠.

ثامنا - المكتبات التجارية BOOKSHOPS

لم تفرّق اللغة العربية حتى الآن بين المكتبة LIBRARY التي تعنى دار الكتب أو خزانة الكتب التي تعني على أنها مبنى أو موضع في مبنى، به مجموعة من الكتب والمصادر المختلفة حسب مواضيعها بحيث يكون في مقدور طالبي المعرفة مراجعتها أو مطالعتها أو استعارتها، وبين المكتبة التجارية BOOKSHOP التي تقوم بشراء الكتب على أساس بيعها.

لـذا ومن أجل التمييز وعدم الخلط بينهما، نقترح تسمية الاولى بمصطلح (دار الكتب LIBRARY)، والثانية بـ «المكتبة BOOKSHOP».



هوامش

الفصل السادس

هوامش الفصل السادس

١- اللغات الرومانسية ROMANCE LANGUAGES

هي مجموعة من اللغات نشأت من اللغات اللاتينية، وبكلمة ادق، عن اللاتينية العامية التي كانت سائدة في عهد الامبراطورية الرومانية. واللغات الرومانية الحديثة هي الفرنسية FRENCH ، والايطالية ITALIAN والبرتغالية PORTUGUESE، والاسبانية SPANISH، والرومانية RUMANIAN، والبروفانسية PROVECAL (وهي اللغة التي ينطق بها في اقليم بروفانس PROVENCE في الزاوية الجنوبية الشرقية من فرنسا، ويطلق عليها احيانا اسم لغة أوك LANGUE D'OC، والقطلونية CATALAN وغيرها.

١/١ - اللغة القطلونية CATALAN LANGUAGE

وهي لغة رومانسية ينطق بها في الجزء الجنوبي من فرنسا، والجزء الشمالي الشرقي من اسبانيا (وبخاصة في قطلونيا CATALONIA وجزر البليار BALEARIC ISLANDS والقطلونية وثيقة الصلة باللغتين البروفانسية والاسبانية. وهي اللغة الرسمية في جمهورية اندورا ANDO RRA (الواقعة في جبال البيرنيه «البرانس » الشرقية على الحدود بين فرنسا واسبانيا.

وترقى اقدم مدوّناتها الى القرن الثاني عشر للميلاد.

٢- الهيلينية HELLENISM

حضارة بلاد اليونان القديمة وبمعنى آخص: الحضارة التي نشأت خارج بلاد اليونان نفسها بتأثير من الفكر اليوناني، والتي امتدت باتجاه الشرق خلال القرن الرابع قبل الميلاد اثر فتح الاسكندر المقدوني لسوريا ومصر واجزاء من آسيا. وبعد وفاة الاسكندر ازدهرت هذه الحضارة، التي اشتملت على عناصر كثيرة غير افريقية، وبخاصة في مدينة الاسكندرية وانشأت ادباً خاصاً وفلسفة خاصة بها ايضا وقد اقتبس الرومان ميراث الهيلينية الثقافي ونشروه في ارجاء امبراطورتهم.

وفي العصور الاوربية المظلمة تضاءل نفوذ الهيلينية، ولكنها عادت فعرفت انبعاثا جديدا في ايطاليا في القرن الرابع عشر بسبب من تدفق العلماء البيزنطيين عليها حاملين معهم تراث الاغريق العقلي(١/٢).

١/٢ - العصر الهلّيني HELLENISTIC (٣٢٣ ق.م - ٢٧ ق.م)

الفترة الممتدة من وفاة الاسكندر الكبير الى ارتقاء الامبراطور اغسطس AUGUSTUS عرش روما (٣١ ق.م) وقد تميز ، في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد بهيمنة الممالك الاغريقية - المقدونية (او الممالك الهلينية) في الشرق،و وبروز سلطان روما في الغرب، كما نميّز في القرنين الثاني والاول قبل الميلاد بسيطرة روما تدريجياً ، علي حوض البحر الابيض المتوسط بأكمله.

٣- هوميروس HOMER (النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد.)

شاعر ملحمي يوناني، لايعرف عن حياته غير بعض اللمحات المستفادة من شعره ويكاد الاجماع ، ينعقد، بين الباحثين، علي انه عاش في بعض المدن الايونية في النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد وقد نسبت اليه ملحمتا «الالياذة ILIAD» والاوديسّة ODYSSEY وهما اعظم ملاحم الاغريق. وقد كان لهاتين الملحمتين،

الزاخرتين بتصوير المآثر البطولية الخارقة والعواطف البشرية البسيطة، اثر عميق في الادب الغربي، وقد نقلتا الى اللغات الاوروبية الحديثة مرات كثيرة.

٤- الالياذة ILIAD:

كبرى ملاحم اليونان الكلاسيكية تقع في ٢٤ كتاباً وهي تنسب تقليدياً الى شاعر الاغريق «هو ميروس HOMER» ويقدر الباحثون انها نظمت في الفترة مابين العام ٧٥٠ و العام ٧٢٥ قبل الميلاد، بطلها «اخيل ACHILLES» الذي احرز انتصارات باهرة في السنوات التسع الاولى من حرب طروادة TORJAN، ثم اختصم مع قائد الحملة الاغريقية ضد طروادة، «أغا ممنون AGAMEMNON، بعد ان انتزع منه هذا الاخير جاريته المفضلة، بريسيس BRISEIS فامتنع عن القتال ليستأنفه بعد ذلك حين توسل اليه الاغريق، وعندما قتل صحابه «باتروكلس PATRO CLES» من قبل «هكتور HECTOR» خلال حصار طروادة، اخذ بثأره وقتله ثم سحله تحت عجلات المركبة، وتشير الاسطورة انه قتل بسهم من اخ لهكتور يدعى «باريس PARIS».

اما «اغا ممنون» فتروي الاوديسة ODYSSES كيف قتلته زوجته «كليتمنسترا CLYTEMNESTRA» وعشيقها ايجستوس AEGISTHUS» بعد عودته منتصراً من حرب طروادة (TROJAN WAR).

وقد نشبت حرب طروادة بسبب قيام «باريس» ابن «بريام PRIAM» ملك طروادة. بخطف «هيلانة HELEN» زوجة «مينيلاوس MENELAUS ملك اسبرطة SPARTA.

و«طروادة» هي مدينة قديمة في الاناضول على مسافة ٦,١/٢ كيلومتر شرقي مدخل الدردنيل من ناحية بحر ايجه يعرف موقعها اليوم باسم «حصار ليك» اسمها اللاتيني «ايليوم ILIUM».

٥- الاوذيسة ODYSSEY :

ملحمة شعرية تنسب الى الشاعر اليوناني (هوميروس) تعد هي و (الالياذة) رمز الوحدة والبطولة الهيلينتين، والاساس الذي قامت عليه التربية اليونانية طوال العصر الكلاسيكي. وهي تروي قصة «اوديسيوس ODYSSEUS» ملك «ايثاكا ITHACA»(*) بعد سقوط طروادة والمغامرات المتلاحقة التي قام بها خلال ابحاره عائداً من تلك المدينة الى ارض الوطن «ايثاكا».

٥/١: اوديسيوس ODYSSEUS:

ملك ايثاكا وبطل الاوذيسة استولى على مدينة «طروادة TROY» بحصان خشبي المعروف باسم «حصان طروادة»(٥/١/١) وعقب انقضاء الحرب أبحر عائداً الى إيثاكا فلم يبلغها الا بعد مغامرات طويلة تشكل موضوع «الاوذيسة» الرئيسي.

٥/١: حصان طروادة TROJAN HORSE

حصان خشبي ضخم اجوف صنعه الاغريق واتخذوا منه وسيلة لدخول طروادة خلال الحرب الطروادية.

وقد ذكر «فرجيل VERGIL» في «الانيادة AINEID» ان الاغريق ملأوه بجند منهم وتظاهروا بترك فكرة الحرب والارتداد عن اسوار طروادة تاركين الى جانبه رجلاً اقنع الطرواديين بان الحصان تقدمة الى الالهة «اثينا ATHENA - الهة الحكمة والفنون والحرف النسوية عند الاغريق تقابلها مينيرفا

MINERVA عند الرومان، وقد جعلها هوميروس في الالياذة الهة حرب تقاتل الى جانب ابطال الاغريق وتثبت اقدامهم في ميدان المعركة وان في وسعه ان يجعل مدينتهم منيعة... حتى اذا أُدخل الحصان المدينة خرج الجند من جوفه ليلاً، وفتحوا اسوارها في وجه القوات الاغريقية.

(*) ايثاكا ITHACA (ITHAKI):

صغرى الجزر الايونية IONIAN ISLANDS السبع الرئيسية، HEPTANESUS وهي:

كورفو CORFU, وباكسوس PAXOS ولوكاس LEVKAS، وايثاكا ITHACA، وسيفالونيا CEPHALONIA، و وسيثيرا CYTHERA، وزانتي ZANTE.

وهي تقع في البحر الايوني IONIAN SEA تجاه ساحل اليونان الغربي، على مقربة من مدخل خليج كورنث GULF OF CORINTH.

٦- فرجيل VIRGIL (٧٠ - ق.م).

اسمه الكامل: يوبليوس فيرجيليوس مارو PUBLIUS VERGILIUS وهو شاعر روماني كبير، درس الطب والرياضيات والبلاغة في روما، ودرس الفلسفة في نابولي، وتوفي متأثراً بحمى اصابته خلال زيارة قام بها لليونان. اشهر آثاره ملحمة الانيادة AENEID(١/٦) التي تروي مغامرات اينياس AENEAS(٢/٦) بعد سقوط طروادة.

١/٦ الانيادة AENEID :

ملحمة لاتينية للشاعر الروماني فرجيل، تروي مغامرات اينياس (٢/٦) عد سقوط طروادة واسطورة انشائه مدينة لافينوم(١/١/٦) نُظمت فيما بين عام ٢٩ وعام ١٩ قبل الميلاد وهي تقع في ١٢ كتاباً او باباً.

١/١/٦: لافينيوم LAVINIUM:

بلدة في الجزء الغربي من وسط ايطاليا، تقع على بعد ١٩ ميلاً الى الجنوب من روما. وتعتبر المركز الديني لقدامى الشعوب اللاتينية. تزعم الاساطير الرومانية ان «اينياس» بطل الانيادة بناها وسماها على اسم زوجته لافينيا LAVINIA ابنة لاتينوس LATINUS ملك لاتيوم وهي المنطقة التي تقع فيها هذه البلدة.

٢/٦: اينياس AENEAS :

بطل الانيادة ابوه «أنتيسيس ANCHISES الطروادي، وامه الآلهة « افروديت APHRODITE» الهة الحب والخصب في الميثولوجيا اليونانية، وتقابلها فينوس VENUS الرومان، وتدعى ايضا سيثيريا SYTHEREA - وقد لعب دوراً بارزاً في حرب طروادة. وعندما انتهت هذه الحرب فر حاملاً اباه على ظهره وممسكاً ابنه بيده، وكان قد اضاع زوجته في خضم الفوضى التي سادت طروادة بعد سقوطها - فبلغ بعد تشرد طويل - ساحل افريقيا الشمالية حيث نزل ضيفاً على ديدو DIDO ملكة قرطاجة(١/٢/٦) ووقع في غرامها. ولكنه مالبث ان غادر قرطاجة مبحراً الى ايطاليا،

وهناك اسس مدينة لافينيوم LAVINIUM التي تعتبر المدينة الام للعاصمة الايطالية روما.

٦/٢/١: قرطاجة CARTHAGE:

مستعمرة فينيقية على ساحل افريقيا الشمالية، وتقع على مبعدة ٩ اميال الى الشمال الشرقي من مدينة تونس الحديثة. اسسها الصوريون عام ٨١٤ ق.م. ثم اتّسعت وازدهرت واسست عدة مستعمرات على ساحل افريقيا الغربي وفي بعض الجزر القريبة منه. وهبط ابناؤها سواحل اسبانيا الغربية والبرتغال، ووصلوا الى الجزر البريطانية نفسها.

احتدم الصراع بينها وبين روما ابتداء من منتصف القرن الثالث الى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد. وقد ادى هذا الصراع الى نشوب الحروب البونية(*) التي انتهت بتدمير قرطاجة وإحراقها عام ١٤٦ ق.م.

وقرطاجنة هي انقاض مدينة قرطاج في تونس. وهي مركز سياحي يأتون اليه الكثير من الزوار والسائحين.

(*) الحروب البونية PUNIC WARS :

ثلاث حروب نشبت بين روما وقرطاجة وانتهت بان اصبحت روما هي سيدة الجزء الغربي من البحر المتوسط.

وقعت الحرب الاولى عام ٢٦٤ واستمرت حتى عام ٢٤١ ق. م، وفيها انتزعت روما جزيرة صقلية الاستراتيجية من ايدي القرطاجيين اثر معركة بحرية حاسمة بين الاسطولين الروماني والقرطاجي وقعت في جزر ايغادي EGADI ISLANDS – وهي جزر جبلية تقع في البحر المتوسط قرب صقلية تابعة لايطاليا.

ونشبت الحرب البونية الثانية (٢١٨ – ٢٠١ ق.م) بسبب الصراع بين الدولتين، وفيها عبر القائد القرطاجي هانيبال HANIBAL (٢٤٧ – ١٨٢ ق.م) جبال الألب من اسبانيا وغزا ايطاليا منّزلاً بقوات روما سلسلة من الهزائم قبل ان تتغلب عليه هذه القوات.

اما الحرب الثالثة فنشبت عام ١٤٩ وانتهت عام ١٤٦ ق.م بتدمير قرطاجة تدميراً كاملاً.

وتُعرف الحروب البونية ايضاً بـ.. الحروب القرطاجية CARTHAGINIAN WARS.

٧- ببليوغرافيا BIBLIOGRAPHY:

هي من الكلمات الافرنجية التي عربت في العصر الحديث، كما هو الشأن في كلمة «جغرافيا GEOGRAPHY» و «فلسفة PHILOSOPHY». وهي في اليونانية القديمة تدل على نسخ الكتب، واصبحت تعني بعد القرن السابع عشر بمعنى التأليف عن الكتب.

وقد انتقلت الكلمة الى اللاتينية، ومنها الى اللغات الاوروبية الحديثة ثم الى اكثر لغات العالم فيما بعد.

وقد جاءت كلمة «ببليوغرافيا» اصلاً من اللغة اليونانية القديمة على اساس انها مركبة من صدر (BIBLION) وهي صيغة التصغير المأخوذة من (BIBLOS) بمعنى «كتاب» ومن عجز (GRAPHIA) وهي اسم الفعل المأخوذ من (GRAPHEIN) بمعنى ينسخ وعند تركيبهما معاً تبدو الكلمة هكذا (BIBLIOGRAPHIA) فلما أخذتها اللاتينية كما هي دون تغيير وتبنّتها اللغات الأوربية الأخرى، نجدها في الانكليزية هكذا (BIBLIOGRAPHY) وفي الالمانية والفرنسية (BIBLIOGRAPHIE) وفي الاسبانية (BIBLOIGRAFIA).

ويقسم علماء المكتبات في الوقت الحاضر «البليوغرافيا» من حيث انواعها الى مايلي:

أ- البليوغرافيا التحليلية ANALYTICAL BIBLIOGRAPHY:

وهي التي تهتم بالوصف المادي للكتاب من حيث ورقه وطباعته وتنوع حروفه وعدد ملازمه وعلامات الطابعين وغير ذلك.

ب - البليوغرافيا النسقية أو المنهجية SYSTEMATIC BIBLIOGRAPHY:

وهي ذلك النوع الذي يحصي الانتاج الفكري في موضوع ما.

وتدرس «البليوغرافيا» في جامعات العالم العربي كمصر والسودان والسعودية وقطر بهذا المصطلح، وهو منهج يهتم بدارسة تطور البليوغرافيا وخاصة في العصور الاسلامية الزاهرة، وكذلك انواع البليوغرافيات ونماذج تطبيقية وتدريبات ومشاريع تفيد الطلاب.

٨- رشيد ROSETTA:

أ- رشيد (مدينة) RASHID ALSO ROSETTA:

مدينة في الجزء الشمالي من مصر، تقع على الجزء الغربي من دلتا النيل، على مبعدة ٣٥ ميلاً الى الشمال الشرقي من الاسكندرية وقد تأسست حوالي العام ٨٠٠ للميلاد وهي عاصمة مركز رشيد بمحافظة البحيرة بالقرب من البحر الابيض المتوسط.

ب- رشيد (حجر) ROSETTA STONE :

هو حجر بازلتي اسود يرقى الى العام ١٩٥ قبل الميلاد طوله ١١٤ سنتميتراً وعرضه ٧٢ سنتيمتراً (انظر الصورة المرفقة)، وهو نقش مكتوب بثلاث لغات، هي الهيروغليفية المصرية - HIEROGLYPHECS(ب/١)، والديموطيقية DEMOTEC SCRIPT(ب/٢)، واليونانية. مما ساعد عالم الآثار الفرنسي (جان فرانسوا شامبوليون JEAN FRANCIOS CHAMPOLLION (١٧٩- ١٨٣٢)، والفيزيائي البريطاني المختص بالآثار المصرية (توماس يونغ THOMAS YOUNG ١٧٧٣ - ١٨٢٩) اللذين درسا كلاً على حدة، على حل رموز الهيروغليفية المصرية.

وحجر رشيد محفوظ اليوم في المتحف البريطاني.

ب/١: هيروغليفية HEIROGLYPHICS:

طريقة في الكتابة استعملها المصريون والمايانيون MAYAS(ب/١/١) والازتكيون AZTEC(ب/١/٢)، وفيها يمثل رمزاً من الرموز، هو صورة عادةً، كلمة او مقطعاً او صوتاً.

فأما الهيروغليفية المصرية، وهي سلسلة من صور منمنمة لاشخاص وحيوانات واشياء، فقد انتشرت حوالي العام ٣٠٠ ق.م وحلت رموزها (١٨٢١ - ١٨٢٢) بعد اكتشاف حجر رشيد.

واما الهيروغليفية المارينية والازتيكية فلم تحل رموزها حتى الآن. ومن المقرر ان الكتابة الصينية كانت في الاصل شكلاً من اشكال الهيروغليفية.

ب/١/١: المايانيون MAYAS :

عرِف من الهنود الحمر في الجزء الجنوبي من المكسيك وفي غواتيمالا GUATEMALA وبيليز BELIZE (هندوراس البريطانية سابقاً).

يرقى تاريخهم الى العام ١٠٠٠ ق.م او ماقبل ذلك. وفي القرون الاخيرة السابقة للميلاد انشأ المايانيون حضارة مالبثت ان بلغت اوجها حوالي العام ١٠٠٠ للميلاد، ومن ثم اخذت في الاضمحلال لتزول من الوجود في القرن السادس عشر. والواقع ان المايانيين اتقنوا فنّي النحت والرسم، وشيدوا معابد جميلة من حجر الكلس، وبنوا اهرامات ضخمة، وابتكروا ابجدية هيروغليفية خاصة بهم ونظاماً رياضياً مكّنهم من ابتداع تقويم مبني على حركات الشمس والقمر والزهرة. ومن العلماء من ذهب الى حد القول انهم عرفوا الصفر والنظام العشري.

ب/١/٢: الازتك، الازتكيون AZTEC:

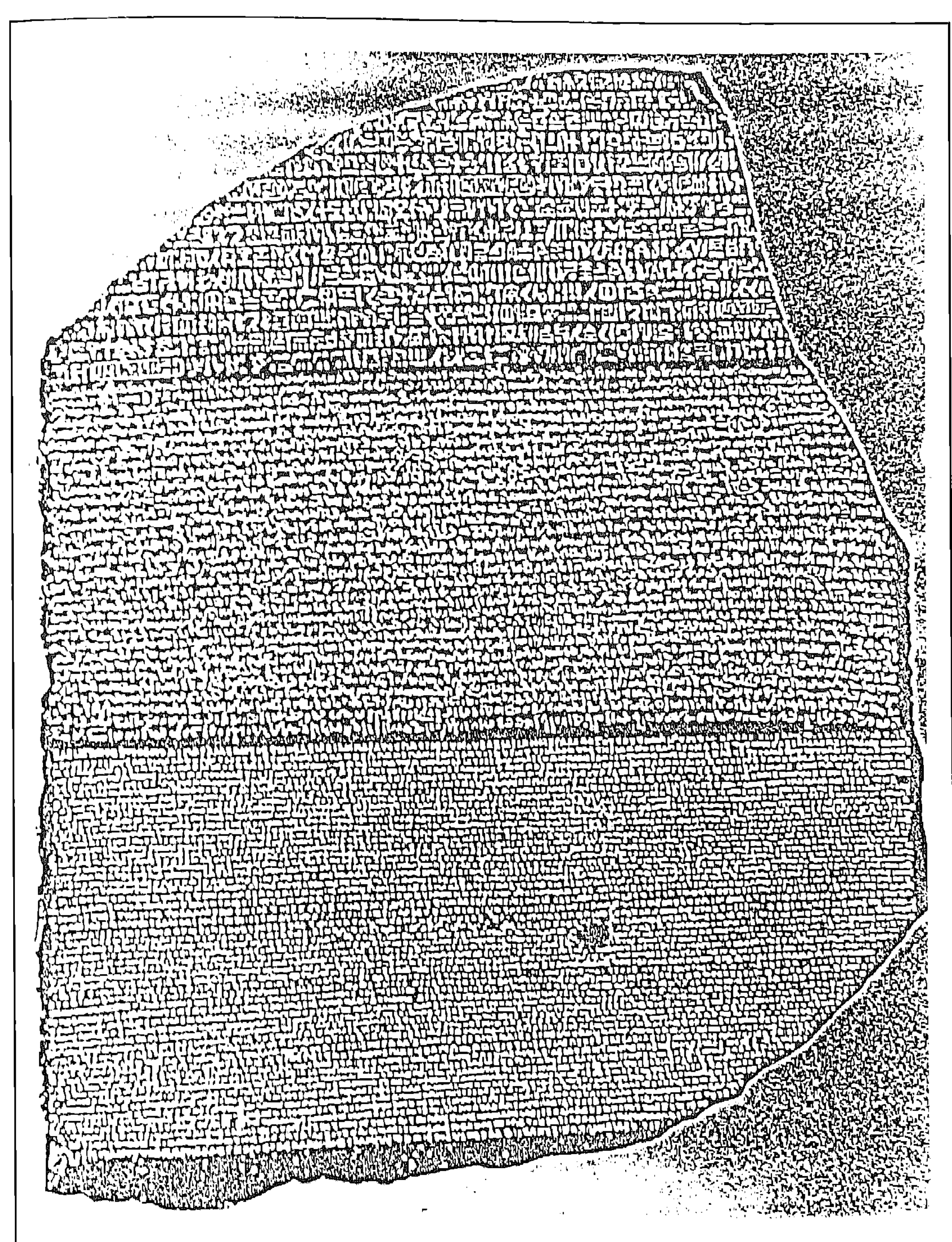
شعب هندي احمر استقر في المكسيك (اواخر القرن الثاني عشر) وانشأ امبراطورية اطاح بها الفاتح الاسباني كورتيز CORTEZ (عام ١٥٢١).

وقد ابتكر الازتكيون نوعاً من الكتابة الهيروغليفية، ووضعوا تقويماً دقيقاً وكانت لهم حضارة تميزت بتقدم نسبي في العلوم والفنون. وقد عبدوا آلهة متعددة كان من عادتهم ان يقدموا على مذبحها قرابين بشرية.

اما اللغة الازتكية AZTEC LANGUAGE والناواتلية NAHUATL، فهي لغة من لغات هنود امريكا الحمر كان ينطق بها الازتكيون القدامى. وتطلق اللفظة ايضاً على اللغة الازتكية التي ينطق بها اليوم نحو مليون نسمة في الاجزاء الوسطى والغربية من المكسيك.

ب/٢: الخط الديموطي والديموطيقي DEMOTIC SCTIPT:

خط هيروغليفي قديم شاع استعماله في مصر خلال الفترة الممتدة من مطالع القرن السابع قبل الميلاد الى القرن الخامس للميلاد.



حجر رشيد وتبدو في القسم الاعلى نقوش بالهيروغليفية المصرية وفي القسم الاوسط نقوش بالخط الديموطي وفي القسم الادنى نقوش باليونانية



مكتبة الاسكندرية القديمة

محتويات
الفصل السابع
مكتبة الإسكندرية القديمة

الفصل السابع
مكتبة الاسكندرية القديمة

اضواء على المكتبات القديمة:

بادئ ذي بدء، لابد من القول بأنه لم يبق من مكتبة الاسكندرية بقايا واطلال، فالبحوث والمسوحات الاثرية والحفريات لم تسفر عن اية دلائل مادية او اشارات ملموسة يمكن ان تقودنا الى شكل المكتبة العظيمة والمعبد (الموسيون MOUSEION) الملحق بها وما حصل فيها من تطور على مرّ العصور والمصير الذي آلت اليه، وان المعلومات التي تم الحصول عليها عن المكتبة فمعظمها مستمدة كلياً من النصوص الخاصة بالآثار القديمة، ومن ابحاث مؤرخين وباحثين قاموا بتدقيق وتمحيص الادلة المتناثرة التي تجمعت في الماضي، وذلك بغية ارادة تكوين صورة متماسكة ومقبولة عن تلك المؤسسة التي اختفت.

إن مكتبة الاسكندرية القديمة تتصدّر منجزات الحضارة الكبرى التي تميزت مصر العريقة بنصيبها الانساني الضخم من تلك المنجزات التي مازالت وستظل تبهر البشرية الى انتهاء عصور الانسان.

لقد كانت تلك المكتبة، في الواقع، صرح ثقافي رائع مليء بالكتب والروائع والمجلدات من اجل ترسيخ دعائم دولة البطالمة الناهضة على شواطئ الاسكندرية ضمن ابنية (الموسيون) او مجمع آلهات الفنون.

وقد ذكر الدكتور مصطفى العبادي في كتابه عن سيرة ومصير مكتبة الاسكندرية القديمة[١] ان الإلهة ايزيس ISIS[٢] والإله اوزيريس OSIRIS[٣] عند قدماء المصريين كانا يخصان اصحاب الفنون والاختراعات بمنزلة رفيعة، وتدل الرواية التاريخية بان العلوم والبحوث الاكاديمية كانت لها صلة وثيقة بالدين وحياة المعبد. فقد كان المعبد هو مستودع المعلومات، حيث ان الكهنة كانوا يحتفظون بالسجلات المقدسة HIERAI ANAGRAPHAI المتعلقة بكل الاحداث الهامة في حياة الشعب. ومن العادات المألوفة بينهم ان المعابد المهمة كانت تضم مكتبة ضمن فنائها. ويذكر هيكاتايوس HECATAEUS[٤] ان المكتبة كانت جزءا مكملاً لمعبد الرمسيوم RAMESSEUM[٥] وتحمل نقشاً تشير الى عبارة «مكان شفاء الروح» وتجاور البناء تماثيل للآلهات المصرية.

ومن المصادفات النادرة في تاريخ علم الآثار ARCHAEOLOGY ان اكتشف عالم الاثار الانكليزي فلندرس بيتري FLINDERS PETRIE[٦] عند موقع «المكتبة المقدسة» لمعبد رمسيس

الثاني ترجع الى الاسرة الثانية عشرة، مجموعة من الكتابات على اوراق البردى.

وينهض هذا الكشف دليلاً على صحة الرواية الهيللنستية بان السجلات المقدسة كانت محفوظة بعناية بالغة في المعابد المصرية.

وقد استمر الحاق مكتبة، بالمعابد المصرية قائماً وملحوظاً في العصرين الهيللنستي والروماني. فلم يكن معبد السرابيوم SARAPEUM[٧] بالاسكندرية وحده قد الحقت به المكتبة الفرعية، فقد عُرف ان المعبد البطلمي للاله «ثوث THOTH»[٨] في أدفو EDFU[٩] له ايضاً مكتبته الخاصة. وقد تحدث المؤرخ «اوروسيوس OROSIUS»[١٠] في القرن الرابع للميلاد عن وجود خزائن للكتب في معابد الاسكندرية.

ويرى البعض[١١] ان المكتبة الصغرى الملحقة لمعبد السرابيوم قد خصصت لعامة الناس ممن لم يكن في مقدورهم ارتياد المكتبة الاخرى «الكبرى» التي كانت مقراً للعلماء والملوك والحكام والباحثين، غير اننا نرى ان المكتبة الصغرى تتميز بأنها كانت ذات طابع ديني لوقوعها ضمن مباني السرابيون (المعبد)، لذا لابد وان تؤمها العامة من الناس ايضاً، وقد استمرت مكفولة بالحماية الدينية طالما بقيت للمعابد الوثنية حرمتها وقدسيتها.

ومن الملاحظ ان المكتبة الصغرى قد ظلت واستمرت في ازدهارها بعد مالاقته المكتبة الكبرى من نهاية غامضة، ثم تبعتها في مصيرها المكتبة الصغرى. ذلك انه بعد اعلان المسيحية ديناً رسمياً في الامبراطورية، اخذت قدسية المعابد تتعرض للتهديد، وبلغت ذروة الخطر في عهد الامبراطور الروماني «ثيودوسيوس الاول THEODOSIUS 1» الذي دام حكمه من ٣٧٩ الى ٣٩٥ ميلادية، حيث شن حملة واسعة ضد الوثنية ومعابدها في أنحاء الامبراطورية، وتم تدمير تمثال الاله سرابيس واقيمت كنيسة مكان المعبد، ويعتبر تدمير السرابيون عام ٣٩١ نهاية للمكتبة الصغرى فيه ايضا.

ومن الجدير بالذكر ان كان للقصور الملكية ايضا مكتباتها الخاصة ودور وثائقها، فهناك في تل العمارنة قدر كبير من المراسلات الاجنبية مكتوبة على الفخار تدل على ذلك.

وينطبق الامر كذلك في اقطار الشرق الادنى القديم، حيث كشفت الحفائر الاثرية في العراق عن وجود آثار لعدة مكتبات ملكية مثل مكتبة قصر اشور بانيبال في نينوي من القرن السابع قبل الميلاد.كما عثر في اماكن اخرى على العديد من النصوص الدينية والادبية الاكثر قدماً مثل قصة سفر التكوين GINESIS[١٢]، قصة الخلق، وقصة الطوفان مما يفسّر ان تاريخ المكتبات في العراق يعود الى الالف الثالث قبل الميلاد.

وفي سوريا، افرزت الكشوفات الرئيسية عن مكتبتين ملكيتين كبيرتين، احداهما عند رأس

شمر (اوغاريت UGARIT) قرب اللاذقية من القرن الرابع عشر قبل الميلاد. والثانية تم اكتشافها حديثاً عند موقع يدعى «إبله» جنوب حلب يعود تاريخها الى ٢٤٠٠ – ١٨٠٠ قبل الميلاد. وقد أمدّنا هذان الموقعان بالآلاف من اللوحات الكتابية التي تعتبر ثروة قيمة في المكتبات الملكية ودور الوثائق.

وفي اوربا، تم اتباع نفس النهج من قبل المسينيين MYCENIANS[١٣] والمينويين MI-NOANS[١٤] كما هو ثابت من اللوحات الكتابية من العصر البرونزي اليوناني.

ومع ظهور دولة المدينة اليونانية CITY - STATE، تغيرت الحالة تغيراً كبيراً في القرن السادس قبل الميلاد بأثينا عندما انشأ «بيز ستراتوس PEISISTRATUS[١٥] أول مكتبة عامة.

لقد كان من المألوف قيام العلماء والادباء بانشاء مكتبات خاصة بهم، مع بداية القرن الرابع قبل الميلاد، فقد وردت مثلاً اشارة في احدى كوميديات أرستوفان ARIS-TOPHANS[١٦] المسماة (الضفادع FROGS)، وكذلك في كتاب الكاتب اليوناني أثينايوس ATHENAEUS[١٧] المسمى DEIPNOSOPHI STATE اي مأدبة العلماء حيث ورد فيه «لقد كان لدى يوريبديس مكتبة من اعظم المكتبات في العالم القديم» وفي ضوء ذلك يمكن القول بأن التقدم الفعلي للمكتبات اليونانية بدأ في الفترة التي انتشرت فيها افكار الفيلسوفين افلاطون وارسطو.

يُعزى الى الاكاديمية ACADEMY[١٨] ومدرسة المشائيينPERIPATETIC SCHOOL[١٩] في ايجاد الحركة العلمية لا في اليونان فحسب، ولكن في العالم القديم كله، فان عمل افلاطون وارسطو اقتضى مكتبة ضخمة. فبالرغم من عدم وجود دليل محدد لمثل هذه المكتبة بالنسبة لافلاطون، الا ان قيام ارسطو بجمع المخطوطات كان مؤكدا.

هذا، ومن الواضح، ان الاسكندر الكبير ALEXANDER THE GREAT[٢٠] قد فتح آفاقاً جديدة للتاريخ القديم خلال ما قام به من حملات، واليه يعزى فضل نشر الحضارة الاغريقية في ربوع الشرق، حتى اتسع نطاق الثقافة اليونانية وغدت حضارة عالمية، واحدث تغييرات جوهرية في مجرى التاريخ.

لقد توفي الاسكندر الاكبر مبكراً دون ان يتّسع له الوقت لتنظيم الدراسات العلمية على نطاق واسع وجمعها بشكل منظم، فنهض بذلك خلفاؤه بانشاء المتحف والمكتبة بالاسكندرية مما كان لذلك الاثر التاريخي في ميدان المعرفة والفنون.

وعلى اثر وفاة الاسكندر وانقسام امبراطوريته الى ممالك مستقلة، نشأت بينهم منافسة حادّة، حيث ارادت كل مملكة ان تكون هي الاعظم والاقوى والاكثر رقياً في العلم والثقافة. وكان من أبرزهم في هذا المجال، البطالمة في مصر، والسلوقيون في سوريا والأتاليون ATTALIDS في

برغاموم. وقد حاول هؤلاء تحقيق التفوق الثقافي عن طريق تأسييس المكتبات ومراكز البحث العلمي في عواصم دولهم، وهي على التوالي: الاسكندرية، وانطاكية، وبرغاموم.

وهكذا تبدو، على مر الزمن، ظاهرة المكتبة العامة، من الملامح المألوفة في معظم المدن الهيللنستية ، كبيرها وصغيرها .

ذلك هو الأمر في الشرق الهللينستي، على ان الأمر يختلف في غرب البحر الابيض المتوسط، حيث تأخر تأسيس مكتبات عامة في روما الى القرن الاول قبل الميلاد أيام يوليوس قيصر واوغسطس، اما المكتبات الخاصة فقد كانت معروفة بروما منذ القرن الثاني قبل الميلاد.

على انه من المؤسف ان جميع هذه المكتبات ومكتبات العصور الوسطى من بعدها قد اندثرت تماماً. وبالرغم من كثرة عددها واهمية البعض منها، فانها لاتنافس في الشهرة مكتبة الاسكندرية، ليس لكونها اكبر المكتبات واكثرها كتباً طيلة التاريخ القديم فحسب، ولكن لأنها كانت مرتبطة بالبحث العلمي والمحطة التي يقصدها العلماء من جميع أقطار البحر الابيض المتوسط. وحتى مع اندثار هذه المكتبة مع انحسار العالم القديم، فقد استمرت ذكراها عالقة بأذهان مؤلفي القرون الوسطى. وقد ظل مصيرها وكيفية اندثارها مثار جدل ونقاش بين الباحثين حتى يومنا هذا.

ان سبب هذا الاهتمام الفائق هو ان المكتبة والموسيون كانا يمثلان بشكل رئيسي حضارة عصرهما، والاساس الذي قامت عليه جامعة الاسكندرية القديمة التي حملت لواء البحث العلمي والمعرفة لأكثر من سبعة قرون.

معلومات عامة عن مكتبة الاسكندرية القديمة *

يعتبر انشاء مكتبة الاسكندرية من اهم الاحداث في تاريخ المكتبات في الازمنة القديمة. فالملوك البطالمة كانوا قد خصوا المكتبة بأموال ضخمة بهدف جمع ادب اليونان من مختلف المصادر، الى حدّ ما قيل مثلاً انهم كانوا يصادرون ما تحمله السفن من الكتب عند رسوّها بميناء الاسكندرية. وانهم حين استعاروا من اثينا اعمال مؤلفي التراجيديا الثلاثة العظام: «ايسخليوس AESSHYL US ٥٢٥– ٤٥٦ ق.م[٢١] و «سوفوكليس SOPHOCLES ٤٩٦ – ٤٠٦ ق.م»[٢٢] و«يوريبيديس ERUIPIDES ٤٨٤ – ٤٠٦ ق.م[٢٣] احتفظوا بالنص الاصلي واعادوا نسخة منه فقط.

(*) للتوسع في هذا الموضوع،راجع كتاب «THE ALEXANDRIAN LIBRARY» لمؤلفه ادوارد الكساندر بارسون صفحة ٨٣ ومابعدها .

ALEXANDER PARSON
THE GLORY OF THE HELLENIC WORLD
THE ELSVIER PRESS 1952 - AMSTERDAM - LONDON - NEW YORK

لم يفلح الباحثون في التحرّي عن النموذج الاصلي لهذه المكتبة. وبالرغم من وجود نظام ممتاز للمحفوظات والسجلات العامة في مصر القديمة، الا انه لم يرد ذكر اي مكتبة يمكن مقارنتها بمكتبة الاسكندرية. وماكان معروفاً فقط هو ان المعابد كانت بها مكتبات متصلة بالمحفوظات للاغراض الدينية والتعليمية.

وفي المقابل، هناك مجموعات مشابهة لهذه، في السجلات الادارية وفي البقايا الادبية، في معابد الحضارة الاشورية والبابلية، واهمها في الحجم والمضمون مكتبة آشور بانيبال التي كشف عن الواحها الطينية اثناء عمليات التنقيب بالقصر الملكي في مدينة نينوى حوالي منتصف القرن الماضي. وكان هو نفسه على قدر كبير من التعليم، حيث قام بجمع آداب بابل وآشور جمعاً منظماً. وكانت مقتنيات المكتبة من الأعمال الفكرية والوثائق ، والرسائل والنصوص الدينية والتواريخ وغيرها مما كتب في فروع المعرفة المختلفة تدل على الغرض الذي جمعت من أجله وهو خدمة الدولة والكهنة وتخليد شهرة مؤسسها وتنمية المعرفة العلمية.

ويرى الاستاذ الفرد هيسيل(٢٤) انه رغم وجود شبه كبير بين مكتبتي نينوى والاسكندرية، الا انه يتعذر حتى الآن قيام صلة مباشرة بين الاسكندرية ونينوي، حيث كان يفصل بينهما اربعة قرون من الزمان، وهي فترة حكم ملوك الميديين الفرس الذين لم يظهر اهتمامهم بالمكتبات.

ومن جهة اخرى يرى ان التنظيم الداخلي الهيليني يشابه المكتبة الآشورية في معالجة المواد المكتبيّة في المكتبتين برغم اختلاف مادة الكتابة (الالواح الطينية) في ينئوي ولفائف البردى في الاسكندرية.

يعزى تخطيط مكتبة الاسكندرية الى «بطليموس سوتر - بطليموس الاول ٣٦٧ - ٢٨٣ ق.. احد قواد الاسكندر الكبير وملك مصر ٣٢٣ - ٢٨٥ ق.م ومؤسس دولة البطالمة. اما تنفيذ الخطة فينسب لابنه «بطليموس فيلادلفوس - بطليموس الثاني PHILADELPHUS PTOLEMY II ٣٠٨ - ٢٤٦ ق.م وملك مصر ٢٨٥ - ٢٤٦ ق.م والذي بنى منارة الاسكندرية PHAROS عام ٢٨٠ ق.م وجعل الاسكندرية مركزاً للثقافة الهلينية.

كانت المكتبة مقسمة الى قسمين: القسم الاكبر منها في القصر الملكي في حي البروكيوم BRUCHEUM من احياء الاسكندرية ، والقسم الأصغر في معبد «سيرابيس SERAPES» اله الشفاء عند قدامى المصريين». وبعد ان تهدم القسم الأكبر من المكتبة اثر غارة يوليوس قيصر على الاسكندرية عام ٤٧ ق.م حيث نشبت معركة بحرية واشتعل حريق هائل أتلف دار صناعة السفن وماجاورها من المباني وفيها مكتبة الاسكندرية، فأصبح السيرابيوم المركز الحقيقي للكتب

في المدينة، وتعتبر مكتبته في اكثر المصادر والمراجع، ملحقاً او «اختاً» للمكتبة الاصلية في الهروكيوم.

كانت كتب المكتبة مدونة على البردى وعلى الرقوق على شكل لفائف، وقيل ان عددها بلغ حوالي ٤٠٠٠٠٠ لفافة منوعة، ونحو ٩٠٠٠٠ لفافة مفردة اي لمصنف واحد ولمؤلف واحد[٢٥] وفي احد المصادر[٢٦] ان المقتنيات في المكتبة الاصلية وفي الملحق معاً بلغت (٨٠٠ر ٥٣٢) ملفوفة. وعلى اي حال فقد قدر عدد لفائف البردى التي جمعت بعدة مئات من الآلاف وهو قدر هائل حتى وان اتضح ان كثيرا منها كان مكرراً وان العمل الادبي الواحد كان يقع في عدة لفائف.

ويبلغ طول معظم الملفوفات البردية حوالي ٢٠ قدماً وهي غير مطوية، كما يبلغ عرضها حوالي ١٠ بوصات او قدماً كاملاً. والبردية الواحدة بهذه الابعاد يمكن ان يسجل في احد وجهيها حوالي ٦٠ صفحة بمتوسط ٣٠ سطراً للصفحة الواحدة. وفي معظم الحالات يستخدم وجه واحد للبردية، كما ان عدداً غير قليل من الكتب كان يتطلب اكثر من بردية واحدة. ويستنتج من ذلك ان المقتنيات لم تصل الى مليون مجلد، بل انها كانت اقل كثيراً من نصف مليون كتاب بمقياس الاحصاءات الحديثة[٢٧].

اما عن تقسيم مكتبة الاسكندرية من حيث المباني، فليس هناك من المعلومات الاّ ما وصلت اليه الحفريات الالمانية في برغامة PERGAMUM[٢٨] في نهاية القرن الماضي وكانت المكتبة هناك من انشاء الاتاليين ATTALI[٢٩] ويعتبر «يومينس الثاني ١٩٧ – ١٥٨ ق.م. مؤسسّالها، فقد اكتشف بالقرب من معبد «اثينا بولياس ATHENA POLIAS» ردهة مكشوفة يحيط بها رواق ذو اعمدة مؤلف من طابقين الحقت به اربع قاعات. وفي كبرى هذه القاعات تم العثور على تمثال كبير لاثينا على قاعدته نقوش عن بعض كبار الكتاب في آسيا الصغرى ومنها نص منشور عن هوميروس. ويتمثل في هذه المكتبة نمط بناء المكتبة القديمة، الفرواق فيها، مثلاً، كان يمثل قاعة الدرس، وتزين التماثيل مدخلها، وتخزن الكتب في القاعات الباقية، والمبنى كله ملحق بالمعبد.

وصف خاص لـ «متحف الإسكندرية ومكتبتها»

هـ. ج. ويلز ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد ص ١١٦–١٢٠

كان الاغريق قبل عهد الاسكندر تجارا وفنانين وموظفين وجنوداً مرتزقة ينتشرون في معظم الممتلكات الفارسية. وقد حدث في اثناء المنازعات التي قامت حول العرش بعد وفاة اجزرسيس،

ان فئة من مرتزقة الاغريق عدتها عشرة آلاف جندي لعبت دورا تحت قيادة اكسينوفون (زينوفون)، ولهذا القائد كتاب اسماه «تقهقر الآلاف العشرة» وهو من اوائل قصص الحروب التي كتبها قائد اثناء توليه القيادة – يصف عودتهم من بابل الى بلاد الاغريق الآسيوية. على ان غزوات الاسكندر وتقسيم امبراطوريته القصيرة الاجل بين قواده، زادت كثيرا من انتشار الاغريق ولغتهم وطرائقهم في ارجاء العالم القديم، فقد وجدت في مواطن نائية كبلاد آسيا الوسطى وشمال غربي الهند آثارا لم تنم عن انتشار هؤلاء الاغريق بتلك الاصقاع وكان تأثيرهم في تطور الفن الهندي عميقاً.

ظلت اثينا قرونا عديدة محتفظة بتفوقها كمركز للفنون والثقافة، وبقيت مدارسها حية حتى ٥٢٩م، اي انها عاشت مايقارب الألف سنة، ولكن زعامة النشاط الفكري في العالم مالبثت ان انتقلت عبر البحر المتوسط الى الاسكندرية، وهي المدينة التجارية الجديدة التي اسسها الاسكندر. وهنا كان القائد المقدوني بطلميوس قد اصبح فرعونا على مصر، وجعل من حوله بلاطا لغته الرسمية هي اليونانية، وكان صديقاً حميماً للاسكندر قبل توليه العرش، كما كان متعمقاً في دراسة آراء ارسطو، فأخذ يعمل على تنظيم المعرفة والبحث بهمة واقتدار عظيمين. كما انه الف كتاباً عن حملات الاسكندر، لم يعثر عليه لسوء الحظ.

وكان الاسكندر قد رصد مبالغ هائلة من المال للانفاق منها على ابحاث ارسطو. ولكن بطلميوس الأول كان اول من حبس على العلم منحا وهبات مستديمة، فأقام بالاسكندرية مؤسسة هي متحف الاسكندرية الذي خصص بصفة رسمية لربات الفنون MUSES، وانقضى جيلان او ثلاثة كانت الابحاث العلمية التي تجرى في اثنائها بالاسكندرية ممتازة الجودة، وظهرت هناك مجموعة خارقة من رواد العلم وعلماء الطبيعة، من ألمع نجومها اقليدس واراتو سثنين الذي قاس حجم الارض ووصل في تقدير قطرها الى نتيجة تقل عن قطرها الحقيقي بخمسين ميلا، وابولونيوس الذي الف في «القطاعات المخروطية» وهيبارخوس الذي رسم أول خريطة للسماء وصنف أقدم فهرس للنجوم، وهيرون مخترع أول آلة بخارية، و جاء ارشميدس من سيراقرزه الى الاسكندرية ابتغاء الدراسة والبحث وكان دائب الاتصال بالمتحف، وكان هيروفيلوس من أعظم علماء التشريح لدى الاغريق ويقال انه مارس تشريح الأحياء.

وانقضى جيل او ما يقارب ذلك حكم في اثنائه بطلميوس الأول والثاني، وتأجحت فيه للمعرفة والاكتشاف بالاسكندرية جذوة لم يقدر للعالم ان يشهد لها ضريبا حتى القرن السادس عشر الميلادي، بيد ان تلك الحركة الفكرية لم تعمر طويلا، وربما اجتمعت على اضمحلالها أسباب عدة، وعلى رأسها فيما يرى المرحوم الاستاذ ماها في ان المتحف كان كلية ملكية، وان فرعون هو الذي يعين جميع أساتذتها ومساعديهم ويدفع لهم اجورهم، ولم يك في ذلك ادنى ضير طالما كان ذلك الفرعون هو بطليوس الاول، تلميذ ارسطو وصديقه.

ولكن اسرة البطالمة تمصرت بمرور الزمن، ووقعت تحت سلطان كهنة مصر والتطورات الدينية المصرية، وكفوا عن موالاة ماكان يجري من عمل، ولم يلبث اشرافهم عليه ان خنق روح البحث والتقصّي خنقا تاما، لذلك لم ينتج المتحف بعد القرن الاول من نشاطه الا القليل من الانتاج الجيد.

ولم يقتصر بطلميوس الأول على محاولة تنظيم الكشف عن ينابيع جديدة للمعرفة متوخيا في ذلك روحا عصريا خالصة، بل حاول كذلك ان ينشئ مكتبة الاسكندرية لتكون دارا موسوعية تجمع كل كنوز الحكمة. لم تكن المكتبة مجرد مستودع للكتب، بل كانت ايضا مؤسسة تتوفر على نسخ الكتب وبيعها، فقد جرد حشد كبير من النساخ للعمل المتواصل مما ادى الى مضاعفة اعداد الكتب ونسخها.

وعلى ذلك فاننا نجد في هذه المؤسسة لأول مرة البداية الاولى المحددة للحركة الفكرية التي نعيش فيها اليوم، وفيها نجد المعرفة تتجمع وتوزع بطريقة منتظمة فإنشاء هذا المتحف وهذه المكتبة يعدّ ايذانا ببدء احدى الحقب العظيمة في تاريخ العالم. فهي البداية الحقة للتاريخ الحديث.

وكان يعترض طريق البحث العلمي ونشر العلم بين الناس عوائق خطيرة، منها تلك الهوة الاجتماعية السحيقة التي تفصل الفيلسوف – وهو سيد مهذب – عن التاجر والصانع. كان صناع الزجاج والمعادن في تلك الايام كثيري العدد، ولكن لم يكن بينهم وبين المفكرين اي اتصال عقلي. فكان صانع الزجاج يصنع اجمل الخرز والقوارير وغيرها الوانا، بيد انه لم يصنع البتّة قنينة فلورنسية ولا عدسة من العدسات. ولا يبدو ان الزجاج الصافي لقى منه اهتماما. وكان صناع المعادن يصنعون الاسلحة والمجوهرات ولكن احداً منهم لم يصنع ابداً ميزانا كيميائياً وفي نفس الوقت الذي ادام فيه الفلاسفة التأمل في ترفع حول الذرات وطبيعة الاشياء، ولم تكن لهم خبرة عملية بالميناء ولا الاصباغ ولا اشربة توليد الحب الى غير ذلك. لم يكن الواحد منهم يعني بالمواد الطبيعية. ولذا فان الاسكندرية لم تنتج يوم سنحت فرصتها الوجيزة ميكرو سكوبا ولا كيمياء ومع ان هيرون اخترع آلة بخارية، فأنها لم تستعمل قط في رفع الماء أو في دفع قارب او في عمل اي شيء نافع. وقل ان وجدت للعلم تطبيقات عملية اللهم الا في مضمار الطب، كما ان تقدم العلوم لم يكن يحفزه ويحافظ عليه اهتمام القوم بالتطبيقات العملية ولا ما تحدثه تلك التطبيقات من هزة في النفوس، لذا لم يكن هناك شيء يدعي الى الاستمرار في العمل عندما ولى بطلميوس الأول والثاني وزال اثر حبهما للاستطلاع. ولذلك ايضاً دونت مستكشفات المتحف في مخطوطات خفية غامضة، ولم تصل قط الى الناس كافة، حتى بعث حب الاستطلاع العلمي في عصر النهضة.

ولم تنتج المكتبة – من ناحية اخرى – اية تحسينات في صناعة الكتب ولم يكن ذلك العالم القديم يصنع من عجينة الخرق ورقا له حجوم معروفة. ذلك ان الورق اختراع صيني لم يصل الى

العالم الغربي الا في القرن التاسع الميلادي، واما المواد الوحيدة المستعملة في صنع الكتب فهي الرق وسلخات (شقائق) قصب البردى الموصولة حروفها بعضها ببعض كانت هذه الشقائق تجعل في صورة ملفات. من اعسر الامور فتحها ولفها للاطلاع عليها. كما انها متعبة جداً لكل باحث شاء الرجوع اليها – تلك هي الموانع التي حالت دون نشأة الكتاب المطبوع ذي الصفحات، أما الطباعة نفسها فالظاهر أنها كانت معروفة في العالم، منذ زمن سحيق لعله العصر الحجري القديم ؛ فقد وجدت الاختام في بلاد سومر العتيقة، بيد انه لم يكن لطبع الكتب اية ثمرة مالم يكثر الورق، هذا عدا ان الطباعة تنطوي على تقدم لم يكن بدّ من ان يلقى المقاومة من نقابات العمال رعاية لمصالح النساخين المستخدمين في صناعة النسخ وكانت الاسكندرية تنتج كتبا وفيرة ولكنها ليست بالرخيصة، كما انها لم تنشر المعرفة بتاتا بين سكان العالم القديم الا في مستوى الطبقة الموسرة ذات النفوذ.

هكذا حدث ان شعلة التقدم الفكري لم تتجاوز قط دائرة ضيقة من الناس المتصلين بمجموعة الفلاسفة الذين جمعهم بطليموس الاول والثاني. (كان مثلها كمثل نور في مصباح معتم يحجب النور دون العالم كافة. وقد تكون الشعلة في الداخل وهاجة تخطف الابصار، ولكنها مع ذلك مستورة لاتراها الانظار. اما بقية اصقاع العالم فانها سارت طرائقها القديمة دون ان تدري انه قد بذرت بذرة المعرفة العلمية التي ستحدث فيه انقلابا تاما في يوم من الايام وسرعان ما غشيت الدنيا سحابة حالكة من التعصب الديني وغمرت كل ارجائها حتى الاسكندرية نفسها. ومر علي تلك العظة من التاريخ الف سنة من الظلام الدامس، الذي غطى على البذرة التي بذرها ارسطو. ثم اهتزت واخذت تنبت. وما هي الا بضع قرون حتى غدت تلك البذرة دوحة المعرفة الفارعة وسدرة الافكار الخالصة التي تغير اليوم وجه الحياة البشرية بأجمعها).

لم تكن الاسكندرية هي المركز الوحيد لنشاط اليونان الفكري في القرن الثالث ق.م فإن بين الحطام المتداعية المتخلفة عن امبراطورية الاسكندر القصيرة الامد، مدنا اخرى كثيرة سطعت فيها حياة فكرية وقادة. فهناك مثلا مدينة سيراقوسة SYRACUSAE الاغريقية بصقلية، التي ازدهر بها الفكر والعلم قرنين من الزمن، كما ان هناك (برجاموم) بآسيا الصغرى التي كان لها هي ايضا مكتبة عظيمة، بيد ان هذا العالم الهلليني آنذاك تعرض لغارات اهل الشمال فان همجا نورديين جدداً هم «الغاليون»، كانوا يسيرون في نفس الطرق التي اخترقها يوما ما أسلاف الاغريق والفرنجيين والمقدونيين. كانوا يغيرون ويحطمون ويدمرون. وجاء في اعقاب الغاليين شعبه فاتح جديد من ايطاليا والرومان الذين قاموا بالتدريج باخضاع جميع النصف الغربي من مملكة دارا والاسكندر الهائلة، كانوا قوما ذوي كفاءة واقتدار، ولكنهم محرومون من نعمة الخيال، فهم يؤثرون القانون والمنفعة على كل من العلم والفن.

وثمة غزاة جدد كانوا ينحدرون من آسيا الوسطى ليدمروا الامبراطورية السلوقية ويخضعوها

وليقطعوا مرة ثانية ماقام بين العالم الغربي وبلاد الهند من اتصال، وكان هؤلاء هم الاشغانيون (البارثيون)، وهم ارهاط من رماة القسي الراكبين، فعاملوا امبراطورية برسيبوليس وسوس الاغريقية الفارسية في القرن الثالث ق.م نفس المعاملة التي عامل بها الميديون والفرس في القرن السابع والسادس. وكان هناك عندئذ اقوام آخرون من الرحل يأتون هم ايضا من الشمال الشرقي، ولم يكونوا قوما شقرا ولا نورديين ولا ناطقين بالآرية بل كانوا ذوي جلود صفراء وشعور سوداء ولهم لغة مغولية.

انتقال المؤلفات اليونانية الى الرومان

ومن الجدير بالذكر انه منذ اواسط القرن الثاني قبل الميلاد اخذ القواد الرومانيون يأتون الى بلادهم بالمكتبات اليونانية فيما يأتون به من اسلاب. وكان اول من فعل ذلك القنصل الروماني «ايميلوس باولوس AEMILIUS PAULUS المتوفي عام ٢١٦ ق.م تم تبعه «سولا LUCIUS CORNELIUS SULLA ١٣٨- ٧٨ ق.م » القائد العسكري والسياسي الروماني الذي اصبح قنصلاً عام ٨٨ قبل الميلاد، وكذلك القائد البحري الروماني «لوكولوس LICIUS LUCULLUS ١١٠ - ٥٧ ق.م» في القرن التالي.

ومع نهاية القرن الاول قبل الميلاد، انتشر الشغف بالكتب بين الطبقة الارستقراطية الرومانية. فمثلا كان السياسي والخطيب الروماني المشهور «شيشرون CICERO ١٠٦ - ٤٣ق.م» يعتز بمجموعة الكتب التي لديه، كما يعتبر صديقه الكاتب والفيلسوف الروماني «اتيكوس POMPONIUS ATTICUS TITUS ١٠٩- ٣٢ ق.م» أول الناشرين الرومانيين الكبار الذي حاول منافسة الاسكندرية في تجارة الكتب، فهو الى جانب ما يتمتع به من قدر كبير من التعليم، فقد استخدم ايضاً عدداً من المعاونين الملمين بفقه اللغة، وكان منهم العالم الموسوعي الروماني فارو MARCUS TERENTIUS VARRO ١١٦ - ٢٧ق.م» الذي وضع عدة مؤلفات ومن جملتها رسالة جعل عنوانها (عن المكتبات DE BIBILIOTHECIS).

وقد قال المؤرخ الالماني والباحث في التاريخ الروماني «مومسن THEODOR MOMMSEN ١٨١٧ - ١٩٠٣ بان قيصر كان قد حرص على ان يستأثر بمعونة فارو ليتمكن من انشاء مكتبة للدولة في محاولة للجمع بين حكم العالم وبين آدابه. ويبدو ان محاولات قيصر من الناحية الثقافية كانت متأثرة بالنماذج الهلينستية.

وهناك من الدلائل ما يشير الى انه كان ينوي نقل مكتبة الاسكندرية الى ضفاف التيبر TIBER غير ان المكتبة العامة الاولى في روما لم يتم انشاؤها الا بعد وفاته، وكان انشاؤها في ATRIUM LIBERTATIS في روما، وقد تم ذلك على يد المؤرخ والخطيب والشاعر والجندي

الروماني «اسينوس بوليو ASINIUS POLLIO ٧٦- ٤ ق.م» احد اصدقائه الحميمين. وقد حذا الامبراطور الروماني في «اغسطس ٢٧ ق.م - ١٤م»[٣١] حذوه فأسس مجموعتين احداهما في بالاتين PALATINE بمعبد أبولو، والاخرى في العاصمة روما ثمانية وعشرين مكتبة رغم عدم التحقق الا العدد اليسير منها.

ومن الاباطرة الذين قاموا بتأسيس مكتبات : تيبريوس TIBERIUS وفيسفاسين VES-PASIAN وتراجان TRAJAN الذي اسس BIBLIOTHECA ULPIA عام ١٠٠م *.

وقد يأتي انشاء المكتبات احيانا نتيجة اريحية احد الاباطرة، فالامبراطور الروماني «هادريان HADRIAN ٧٦ - ١٣٨م»[٣٢] مثلاً الذي كان معجبا باليونان قد اهدى مكتبة رائعة لأثينا لازالت بقاياها قائمة.

وقد كان شائعاً ان لا يخلو قصر ارستقراطي من مكتبة بالمدينة في زمن الامبراطورية الرومانية، وفي ذلك ذكر الخطيب والفيلسوف الروماني «سنيكا SENECA ٤ ق.. - ٦٥م».

عبارته السافرة (اصبحت المكتبة اليوم حلية ضرورية يزين بها البيت، كما تزود الحمامات بالمياه الباردة والساخنة).

ان محتويات المكتبة الرومانية قائمة في الكشف المشهور من لفافات الكتب في هركولانيوم HERCULANEUM[٣٣] والتي تعتبر اليوم من انفس محتويات نابولي.

* تيبريوس TIBERIUS CLAUDIUS NERO (٤٢ ق.م - ٣٧ ب.م.)
الامبراطور الثاني لروما

- فيسفاسين TITUS FLAVIUS VESPASIANUS (٩-٧٩ م)
مؤسس الاسرة الفلافيانية

- تراجان MARCUS ULPIUS TRAJANUS (٥٣ - ١١٧م)
امبراطور روماني اشتهر بحملاته المشهورة - توفي بصقلية



متحف الإسكندرية القديم

ANCIENT MUSEUM OF ALEXANDRIA OR MOUSEION OR HOUSE OF THE MUSES

كما سبق ان ذكرنا، يمكن القول بأن «بطليموس الاول» وبناء على استشارة «ديمتربوس الفاليري DEMERTRIUS DE PHALERE[٣٤] هو الذي وضع اساسات مؤسستين ثقافيتين اشتهرت بهما الاسكندرية: المتحف والمكتبة.

وقبل ذلك بعدة سنوات، عندما كان ديمتريوس حاكما على اثينا، ساعد معلمه في الفلسفة «ثيوفراست THEOPHRASTUS ٣٧٢ - ٢٢٨»[٣٥] على اقامة المدرسة المشائية PERIPATETIC SCHOOL[٣٦] وسط حديقة تحيط بها القناطر في بناء يتضمن على قاعة للمحاضرات وغرفاً صغيرة لايواء الاساتذة والتلاميذ، وايضا مكتبة ارسطو الغنية، وقد سمي هذا البناء، المتحف (موزايوم) تخليداً بالميوز MUSES «او الهة الفنون»[٣٧] اقتداء بالفيثاغوريين[٣٨].

وقد بدا متحف الاسكندر من حيث المظهر وفق نفس التصميم، انما بشكل أوسع بكثير، حسب وصف الجغرافي والمؤرخ اليوناني «سترابو STRABO ٦٣ ق.م - ٢١ م»[٣٩] الذي زاره في القرن الأول قبل الميلاد.

كان متحف الاسكندرية يضم منتزهاً ومجلساً وقاعة كبرى تقام فيها الوليمة الكبرى لعلماء اللغة المنتمين الى المتحف. وكان قد خصص لهذه المؤسسة اموال اوقاف وكاهن يعني بالمتحف (يتم تعيينه من قبل الملوك ثم فيما بعد من قبل القيصر) وربما تضم ابنية المتحف مساكن للاعضاء وقاعات للتشريح الذي يقوم به الاطباء، كما تضمنت ايضاً مراصد للفلكيين.

اهمية مكتبة الإسكندرية القديمة:

لاشك ان انشاء مكتبة الاسكندرية القديمة كان اهم حدث على الاطلاق في تاريخ المكتبات في الازمنة القديمة، لذلك فان زوالها يعد خسارة عظمى للتاريخ والثقافة والفنون. فبالرغم من ان المواد التي كانت تستعمل في الكتابة وحفظ المخطوطات وتجليدها وتنظيم الكتب (اللفائف) وفهرسها وغيرها من الاساليب كانت بدائية اذا قيست بما ابتدعه العصر الحديث من وسائل

التقنيـــة والابتكارات، الا انها تعتبـــر خزينة العلم والمعرفة ومنبع الافكار وحصيلة العقول النيرة التي تفتحت لتدلـــي بثمارها وتؤلف زاداً لايقـــاظ الحركة العلمية امتدّت لتشمل العالم القديم باجمعه، ففتحـــت بذلك آفاقاً جديدة للتاريخ القديم، واتاحـــت الفرصة لان تأخذ البذور التي غرسـها عمـالقة الفكـــر والادب والفن في ذلك الوقت تأخـــذ حيزاً واسـعاً وهـي تؤتى ثمـارها اليانعة. وبدأت فروع المعرفة المختلفة في الاستقلال واقتصرت الابحاث على موضوعات خاصـة محـددة، وحل جميع المعارف الموروثة عن الاجيال السـابقة محل الابداع في كثير من الاحيان»

ان مكتبة الاسكندرية القديمة، لم تكن مجرد مكتبة عادية كسائر المكتبات الضخمة منضودة كخزانة كتب بمئات الألوف من المصنفات، ولكنها كانت جامعة في المقام الاول على مستوى رفيع، فيها علماء ومفكرون وادباء في مختلف الاختصاصات، فالكتب التي اكتظت بها تلك المكتبة كانت نتيجة اولئك العباقرة الافذاذ. لذا فلاعجب ان ارتفعت الاصوات منادية باحياء هذه المكتبة مع استخدام الاساليب الحديثة في اثرائها والارتفاع بصرحها وتوسيع رقعة الاستفادة منها مما سيأتي ذكر كل ذلك في البحوث اللاحقة.

غير ان هناك تساؤلات فيما يتعلق بوحدة المكتبات. نظراً الى ان بعض المصادر والمراجع يتحدث عنها بصيغة المفرد، في الوقت الذي يتحدث عنها البعض الآخر بصيغة الجمع.

ولمناقشة كل ذلك، حرّي بنا ان نعلم اولاً ان النصف الاول من القرن الاول في مسار المشروع العلمي الذي خططه ونفذه بطليموس الأول والثاني قد شهد مكتبة واحدة فقط كانت قائمة في «المتحف» وهو المؤسسة الأم في المشروع وكان موقع هذا المشروع كله في «البرخيون THE BRUCHEION».

ثم انشـــأ بطليموس الثالث (يوارجيتـــس) « الذي حكم من ٢٣٦ الى ٢٢١ ق.م. بعد ذلك معبد «السرابيوم THE SERAPEUM» للاله سيرابيس SERAPIS» في موقـــع آخـــر. وكانت لهذا المعبد بدوره مكتبته التي اعتبرت في كثير من المصادر والمراجع ملحقاً او «اختاً للمكتبة الاصلية في البرخيون. وقد قدر عدد المقتنيات في المملكة الاصلية وفي الملحق معاً بـ « ٨٠٠ر ٥٣٢ » ملفوفة.

على ان عدم قيام المصادر بذكر موقع آخر لمكتبات اخرى بمدينة الاسكندرية في هذه الفترة لايعني، علي اي حال، النفي القاطع بوجود مجموعة او مجموعات اخرى من الكتب والمؤلفات في مؤسسات او في مكتبات خاصة.

ان مما يثير التساؤل، هذا الاهتمام الكبير بمكتبة الاسكندرية القديمة الذي فاق كل الاهتمامات الاخرى في مجالات نبع العلم والمعرفة. ولابد ان هناك اسباباً وجيهة لهذا الاهتمام،

هل لمجرد انها قديمة وتاريخية؟ ام لأنها فاقت كل المكتبات في حينها نظراً الى انها تزخر بأثمن المعلومات التي تمثل ثمار افكار الكبار من العلماء؟ ام لانها متميّزة في المبنى من حيث الطراز والهيكل وانفردت دون غيرها من المكتبات قديماً؟.

هذه الاسئلة وغيرها لابد من الاجابة عليها لالقاء الضوء على اسباب هذا الاهتمام والتعرف على مدى المكاسب التي يمكن جنيها، والخسائر التي توصلت في حالة ضياعها.

ومن اجل الاجابة على هذه الاسئلة، لابد اولاً أن نعلم ان تاريخ المكتبات هو تاريخ للفكر الانساني في مسيره ومصيره. ذلك ان المكتبات كانت ولاتزال وستظل دائما معقلاً لهذا الفكر، تحافظ عليه وتقدمه من جيل الى جيل على مر العصور.

ومكتبـــة الاسكندرية القديمة هي في الواقع، احد الجذور الرئيسية للحركة العلمية المتنامية حتى العصور الحديثة، ولايمكن التعرف على اهمية هذه المكتبة كحصيلة للعلم والمعرفة ووعاء استوعب الافكار واحتضن المدارس والابحاث، دون ان نتعرف، باديءَ ذي بدء، على تاريخ مدينة الاسكندرية قديما التي بلغت شهرتها وعظمتها اوجها كعاصمة للعالم في القرن الثالث قبل الميلاد في ظل حكم «فيلادلفوس او بطليموس الثاني ٣٠٨ – ٢٤٦ ق.م»[٤٠] حيث زادت علاقات الاسكندرية بكل البلاد حتى وصلت الى الهند، وجذبت فرص العمل والثروة والشهرة المهاجرين اليها من كل البلاد في حوض البحر الابيض المتوسط وآسيا. كما لابد من الوقوف على تاريخ حياة الاسكندر وتأثير معلمه «ارسطو» على ثقافته وتعليمه، اضافة الى ضرورة دراسة حياة الحكام البطالمة، لاسيما بطليموس الاول وبطليموس الثاني وما حققاه من منجزات ظلت خالدة عبر التاريخ.

وبالتالي، لابد من دراسة تكوين المكتبات قديما وتطورها، ومعرفة التقليد المتبع في دمج المكتبة في المعابد المصرية في العصرين الهلينستي والروماني ووجود خزانات الكتب في معابد الاسكندرية حيث تعدّدت المكتبات واشهرها مكتبة الاسكندرية، الى غير ذلك من التفاصيل الاخرى والآثار والانعكاسات في الفترات اللاحقة وحجم الخسائر وأسبابها ونتائج الجهود المبذولة لانقاذ ما يمكن انقاذه او الحصول على بدائل لها. هذا مع لزوم تتبع جهود اولئك الذين اسهموا في اثراء هذه المكتبة من العلماء والمفكرين والفلاسفة قبل واثناء وبعد تأسيس هذه المكتبة، والمواضيع التي كانوا يتطرقون اليها.

خلال العصر الهيليني HELLENISTIC AGE (الذي امتد من وفاة الاسكندر الكبير عام ٣٢٣ ق.م الى بداية القرن الاول للميلاد)، اخذت العلوم والمعرفة تزدهر في مدينة الاسكندرية عاصمة ملوك مصر البطالمة أكثر من أي مكان آخر.

وفـي مطلع القرن الثالث قبل الميلاد، انشأ بطليمـوس الأول، مركز الابحاث الشـهير -MOU SEION (المتحف MUSEUM» بالاسكندرية، مجتمع المتعلمين ورجال الدين. وقد انشئ في قسم من هذا المتحف مكتبة رائعة غدت مشهورة في العالم القديم.

وفـي هذا المجتمع برز علماء ومفكرون وشعـراء مشهورون. ومنذ أن ظهر العالم والشاعر «فيليتاس PHILETAS ٣٣٠ - ٢٧٠ ق.م» معلم بطليمـوس الثاني، فان العلماء هناك اهتموا كثيراً بجمع وتفسير الكلمات الشعرية النادرة. وقد كان فيليتاس هو اول امين مكتبة في الاسكندرية قام بدراسة المخطوطات التي جمعت للمكتبة دراسة نقدية. كما قام في وقت لاحق الشاعر والناقد واللغوي الاسكندراني «كاليماشوس CALLIMACHUS ٣٠٥ - ٢٤٠ ق.م» بتصنيف كتابه «بيناكس PINAKES (TABLETS) حسب كل موضوع مع ترتيب كل مؤلف بشكل فردي بترتيب ابجدي. ويتبع كل اسم نبذة مختصرة عن تاريخ حياته مع فترة نقدية عن كتابات المؤلف.

وبعده، برز الجغرافي والفلكي والرياضي اليوناني «ايراتوسثينس ERATOSTHENES OF CYRENE ٢٧٦ - ١٩٤ ق.م» الذي درس في الاسكندرية واثينا ثم استقر به المقام في الاسكندرية حيث تولى منصب ثالث امين مكتبتها الكبرى حوالي العام ٢٥٥ قبل الميلاد.

وكـان اول من حسب محيـط الكرة الارضية، كما وضع كتاباً في الجغرافية دعاه (جغرافيقا GEOGRAPHICA ويعتبر هذا الكتاب اول كتاب علمي في هذا الاختصاص. والى جانب ضلوعه في العلوم، فكانت له ايضا آراؤه الخاصة في النقد الادبي، وبشكل خاص في نقد «هوميروس والشعر عموماً، فهو الذي قال: «ان هذا الشاعر لم يكن غرضه ان يعلّم بل ان يمنح المتعة».

كما بـرز آخرون من امثال: «اريستوفان ARISTOPHANES ٤٥٠ - ٣٨٨ ق.م» الذي يعد من اشهر شعراء الملهاة او الكوميديا في الادب اليوناني القديم والذي تولى منصب رابع امين المكتبة المشهورة. وكذلك العالم الفلكي اليوناني «اريستاركوس الساموسي -ARIS TARCHUS OF SAMOS من اهل القرن الثالث قبل الميلاد والذي تمسك بدعواه في ان الارض تدور حول الشمس. ومنهم ايضاً «اريستاركوس الساموثراسي -ARISTARCHUS OF SA MOTHRACE ٢١٧ - ١٤٥ ق.م»، وهو امين المكتبة السادس الذي كتب اشعاراً وتعليقات على ماكتبه الشاعر اليوناني «هوميروس HOMER (النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد) والذي نسبت اليه ملحمتا الالياذة ILIAD والاوديسا ODYSSY) وكذلك على ما كتبه الشاعر الغنائي اليوناني «بندار PINDAR ٥٢٢ - ٤٣٨ ق.م» وقد كان اريستاركوس واحداً من متنورين كثيرين ممن غادروا الاسكندرية هروباً من اضطهاد بطليموس الثامن PTOLEMY VIII (المتوفى

عام ١١٦ ق.م) على العلوم والتي ازدهرت الاسكندرية على اساسها (ان مكتبة الاسكندرية العظيمة نجت من الحريق الذي اندلع في عام ٤٧ ق.م والذي اشعله يوليوس قيصر حيث ساند جيشه كليوبترة في حرب مدنيّة، ولكنها دمرت نهائياً في عام ٣٩١ ق.م من قبل البطريرك ثيوفليس الاسكندراني PATRIACH THEOPHILUS OF ALEXANDRIA (٣٨٥ - ٤١٢) الذي دمر معبد سيرابيس SERAPIS الوثني.

ان موضوعات ومعارف هذه الكتب كانت تختلف من فلسفة يونانية الى ديانات شرقية وغيرها، وقد تجمعت هذه الكتب في مكتبات الاسكندرية، وكانت الكتب تفهرس في كل حقل من حقول العلم والمعرفة.

ويعتبر (كاليماخوس) مشهوراً بالفهرسة CLASSIFICATION، فكان يفهرس او يصنف الكتب على حسب الموضوع مثل (البلاغة RHETORIC والقانون LAW والملاحم EPICS والمأساة TRAGEDY والملهاة COMEDY والشعر الغنائي LYRIC POETRY والتاريخ HISTORY والطب MEDICINE والرياضيات MATHEMATICS والعلوم الطبيعية NATURAL SCIENCE والمتنوعات MISCELLANEA).

الأبعاد الحضارية لمكتبة الإسكندرية القديمة:

ان تاريخ المكتبات يرسل اشعاعاته لانارة الفكر الانساني في مسيره ومصيره، فالمكتبات هي التي تحافظ على هذا الفكر وتفتح مسالك تقدمه وتحتضن جميع القرائح المبدعة وثمار العقول المتفتحة والعقائد المتطورة والنظريات والآراء الخلاقة لتقدمها كزاد للبحث والاستزادة من اجل الوصول الى الحقيقة واسعاد البشرية، مخترقة غياهب الظلمات بغية تسليط الاضواء على مجاهل هذا العالم الخفي. لذا فانها تقدم اشعاعاتها من جيل الى جيل على مرّ العصور في دروب لا نهاية لها وبحار لا شطئان تحدّ اتساعها.

وكانت مكتبة الاسكندرية القديمة، الاطلالة الفكرية الاولى التي تضيء طريق المعرفة وتنير مناهج البحث وتفتح مغاليق العقل وتخترق حواجز التقدم في غير ما حدود او قيود.

وقد ظلت مكتبة الاسكندرية لعدة قرون مركزاً من اهم مراكز الفكر الانساني، ولاحتوائها على مجموعات فريدة من المؤلفات العلمية والفلسفية والادبية، فقد اضحت الملجأ والملاذ لعدد كبير من المؤلفين والمفكرين الذين كانوا يتوافدون عليها على مرّ القرون ليستمتعوا بكنوزها وينعموا بذخائرها.

بمكتبة الاسكندرية ازدهرت علوم الدين والفلك والرياضة والفيزياء والكيمياء والطب والتشريح والزراعة والجغرافية والتاريخ والفكر والفلسفة واللغة والآداب والشعر والنقد والفنون التشكيلية وغيرها.

وبالرغم من انها قد اتخذت من الاسكندرية مقراً لها لمكانتها المتميزة، الا ان لها – الى جانب ذلك – ابعاداً حضارية يمكن تلخيصها بمايلي:

ا – البعد الحضاري المصري:

وهذا لاشك يمثل بعداً تاريخياً، كالنهر المتدفق، اصوله في منبعه، فحضارة مصر القديمة هي الاقدم والأم بالنسبة للحضارات القديمة، وهي تعود الى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، بينما لم تبلغ الحضارة الاغريقية قمة ازدهارها الا بعد الميلاد بخمسة آلاف سنة.

لذلك فقد نشأت مكتبة الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد على ارض مصر، والاسكندرية بالذات.

ولا يغير من الامر شيئاً ان البطالمة هم الذين اسسوا المكتبة، وهم من سلالة اغريقية، ذلك لأنهم قد اتو الى مصر التي اضحت ضمن امبراطوريتهم، وهم الذين بنوا مدينة الاسكندرية عام ٣٣٢ قبل الميلاد، ومنارة الاسكندرية عام ٢٨٠ قبل الميلاد.

وقد كان لوجود نبات البردى في مصر والذي يستخدم في صناعة الورق حافز لصناعة المخطوطات لتدوين مختلف العلوم وايداعها في مكتبة الاسكندرية.

ولا يفوتنا الذكر هنا ان مدرسة الاسكندرية التي تمثّل ادب الاسكندرية وعلمها وفكرها قد ازدهرت في ظل الاغريق والرومان.

وقد نضيف الى ماتقدم، ان الحضارة البطلمية قد غلب عليها الطابع المصري من حيث العبادات والعادات والازياء وغيرها، فالبطالمة في الواقع قد تمصروا من جميع النواحي الدينية والثقافية والحضارية، وقلدوا ايزيس واوزيريس والآلهة المصريين، علماً بأن مكتبة الاسكندرية، لم تكن تضم كتباً في الاغريقية واللاتينية فحسب، وانما شملت المصرية ايضا.

ولقد كان الاغريقيون يأتون الى مصر طلباً للعلم والمعرفة، فقد جاء اليها ارسطو واقليدس وكاليماخوس وهيكاتاوس وايثناوس وديمتريوس وهيرودوت وارخميدس واراتوسطين وسترابو وغيرهم.

وبالنظر الى ان مصر كانت تتمتع بالثروة والغنى، ففيها الارض الخصبة والمياه الوفيرة

ومخزن الغلال والذهب والكنوز التي تركها الفراعنة وغيرها، جعلها كل ذلك قادرة على الانفاق لاثراء مكتبة الاسكندرية وتزويدها بالمخطوطات الثمينة وتأمين ادارتها من قبل اشخاص اكفاء.

٢- البعد الحضاري العالمي:

كانت العلوم والمعارف قبل عصر الاسكندرية اقليمية الى حد كبير، ولكن بفضل انشاء اول مكتبة عالمية بالاسكندرية في تاريخ البشرية، اضحت المعرفة هي الاخرى عالمية ايضاً.

فمكتبة الاسكنتدرية حين تمثل رمزاً تاريخياً للبيئة الحضارية المصرية، فقد كانت التربة الصالحة التي احتضنت عطاءات الفكر الاغريقي وغيره، حينما زرعها البطالمة ومن بعدهم .. الرومان.. في الاسكندرية اقدم المدن المصرية الحاضرة.

ولم تكن المقتنيات في «مدرسة الاسكندرية» قاصرة على مؤلفات مدرسة معينة، لمكتبة افلاطون في اكاديميته، او مكتبة ارسطو في معهده، ولكنها كانت وطنية لكل المدارس، وعالمية لكل الثقافات والحضارات.

ومما يجدر ذكره ماقيل بأن بطليموس الثاني جمع في المكتبة مائتي الف مجلد. وفي نهاية عصره كان يوجد فيها اربعمائة الف مجلد مختلط، وتسعون الف مجلد غير مختلط. ويقصد بالمجلد المختلط تلك اللفات التي كانت تحوي اكثر من عمل ادبي واحد. ويعتقد ان عدداً كبيراً من هذه المجلدات كان عبارة عن نسخ مكررة.

ومن مآثر هذه المكتبة انها كانت بمثابة دار نشر ايضاً، وكمصدر لنسخ وتصدير الكتب للعالم من اجل تحقيق الكسب المادي ونشر المعرفة، الى جانب تجارة البردى، حيث ان مصر هي بلد البردى مادة الكتابة الاولى في العالم.

ويرتبط بمكتبة الاسكندرية ومؤسستها الأم (المتحف)، قصة الترجمة «السبعينية -SEP TUAGINT[٤١] للتوراة من لغتها الشرقية الاولى، وهي (العبرية / الارامية) الى اللغة الاغريقية، حيث ان المكتبة دأبت على ان تنقل الى اللغة الاغريقية، المؤلفات في اللغات الاخرى بمناطق البحر الابيض والشرق الادنى والهند.

٣- البعد الحضاري العربي:

من المفاخر التي يزهو به العرب، ان مكتبة الاسكندرية القديمة، قد أقيمت على أرض مصر، وهي ارض عربية. ونالت اهتماماً كبيراً من رجال الفكر والعلم من العرب، وتصدى الكثيرون منهم

على ذكرها لاسيما حين دار النقاش حول مصير المكتبة، وتعددت واتسعت الآراء والبحوث حول ذلك، مما يدل على اهتمام العرب بهذه المؤسسة وما فيها من ذخائر علمية ثمينة، كما سنلاحظ ذلك في الفصل التالي:

وقد سبق لنا ان ذكرنا في فصل سابق عند الحديث عن «المكتبات قبل وبعد الفتح الاسلامي» ان هناك العديد من المكتبات في العالم الاسلامي قبل الاسلام، وان المدارس التي كانت تتبعها مكتبات، تدرس فيها العلوم السريانية واليونانية. وتنتشر هذه المدارس فيما بين النهرين وفي خوزستان. الى جانب ازدهار حركة التأليف والترجمة مع مجيء العصر العباسي وانشاء «بيت الحكمة» وان المأمون، بصورة خاصة، كان مغرماً بكتب الفلاسفة اليونانية وقد امر بنقلها من جزيرة قبرص عندما علم بوجودها هناك.

ومن المؤكد ان مدرسة الاسكندرية كانت لاتزال قائمة وقت ان فتح العرب مصر ولابد انها قد قامت بدورها في نقل العلوم الى العرب.

وقد كانت الكتب التي الّف اغلبها المسلمون في اواخر القرن التاسع وفي القرن العاشر الميلادي تستقي من تراجم لكتب يونانية مثل كتب الاقوال التي قام بترجمتها في العصر الاسلامي الأول مترجمون سريانيون، إما مباشرة عن اليونانية، او بطريق غير مباشر بوساطة السريانية. ومن هؤلاء المترجمين من ألف كتباً في تاريخ الحكماء وصلنا منها كتاب واحد فقط. ووردت كمقتبسات في المؤلفين العرب المتأخرين،و وهي بشكل مجموعة اقوال او عرضاً لحياة الاقدمين من الفلاسفة والاطباء والرياضيين في شكل نوادر واقاصيص(٤٢).

واول هؤلاء الكتاب المسلمين الذين استقوا كلامهم من مصادر غيرمباشرة على هذا النحو، احمد بن يعقوب المسمى باليعقوبي(٤٣)، المشهور بمؤلفه في الجغرافية، ويحتوي تاريخ هذا المؤلف على متقتبسات عربية مأخوذة عن الكتاب اليونانيين. وكذلك تاريخ عبد الرحمن ابن عبد الحكم(٤٤) وهو سابق على اليعقوبي، واختص بالكلام عن فتح العرب لمصر (ولكن دون ان يتطرق الى المدرسة أو الاكاديمية ولا الى طريق مكتبة الاسكندرية) وينطبق الامر كذلك على كتاب «مروج الذهب» للمسعودي ، وهناك مؤرخون عرب غير هؤلاء ذكروا اخباراً وروايات عن حياة العلماء وكتبهم.

واستطراداً لبيان الوجه العربي لمكتبة الاسكندرية القديمة، ننقل ادناه المقال المنشور بجريدة «الاهرام» بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٩٠ بقلم د. اماني خالد الحديدي (الجمعية العالمية لاحياء التراث الاسلامي).

"فلئن كانت الثقافة اليونانية قد اثرت في الثقافة العربية. فمما لاشك فيه ان حضارة عربية

اسلامية كانت توشك ان تعم الكون قد اثرت في الثقافة الهللينية الغاربة عن طريق مكتبة الاسكندرية. وليس من خلاف انه حين دخل العرب مصر كانت الثقافة اليونانية القديمة فيها تعاني سكرات الموت بينما كانت هناك ارهاصات ثقافة عربية اسلامية وليدة والدليل على ذلك كله انه منذ القرن الاخير قبل الميلاد كان على رأس مدرسة الاسكندرية القديمة هذه فلاسفة عرب اولهم ابو ابجد الكناني هذا الذي وهم الكاتب فذهب الى انه ابن ابجر والحقيقة ان ابن ابجر جاء متأخرا حوالي القرن عن جده هذا ابو ابجر هذا الذي خلفه على رياسة مدرسة الاسكندرية القديمة ابنه ابجر ثم حفيده ابن ابجر الكناني الهمداني ولعل ذلك هو السبب في وهم بروكلمان هو ايضا في شخصية ابن ابجر الكناني (الذي يصفه بعض الكتاب ادفر) فشكك في شخصه وقال انه يستحيل ان يعيش من قبل فتح العرب لمصر حتى عام ١٠٠ هـ والصحيح كما جاء في احد كتبه وكما هو ثابت انهم ثلاثة علماء ابو ابجر وابجر وابن ابجر هذا، وانهم بذلك قد تناولوا رياسة مدرسة الاسكندرية القديمة هذه منذ قبيل الفتح حتى عام ١٠٠ هـ حين انتقلت مدرسة الاسكندرية الى انطاكية كما يحكى للفارابي. نقلها عمر بن عبد العزيز وكان على رأسها ابن ابجر الكناني هذا ومعه تلاميذه الذين سكت التاريخ عنهم للأسف الشديد وكان ابن ابجر هذا هو طبيب الخليفة الراشد السادس".

والخلاصة ان مكتبة الاسكندرية القديمة ظلت مائة عام او تزيد عربية المناهج عربية الاساتذة عربية الفكر. وانها انتقلت الى انطاكية بمنهاجها تلك وفكرها العربي هذا ثم الى حران فجند يسابور ثم بغداد.

ولقد كانت انطاكية وحران وجند يسابور وبغداد نماذج هي الاخرى لثقافات عربية اسلامية وليدة وان نظرية تواصل الحضارات التي قلنا بها في السبعينات قد اخلت مكانها الى نظرية المجال الموحد للحضارات الذي قلنا اول من قال به في كتابنا بهذا الخصوص (١٩٨٤) وانه بمقتضى هذه النظرية الاخيرة لايمكن القول بان الحضارة الاغريقية هي التي اثرت في الثقافة العربية ومن جانب واحد او ان الثقافة العربية كانت مجرد ناقلة او مترجمة بل ان ما تراكم للعرب من معارف قبل الاسلام وحتى فتح العرب لمصر التقى بالثقافة الهللينية في مكتبة الاسكندرية في صورة عائلة أبجر هؤلاء الفلاسفة الاطباء العرب المعروفين في ذلك المجال الموحد للحضارات الذي قلنا اول من قال به فأثرت الثقافة اليونانية في الثقافة العربية كما اثرت الثقافة العربية بعد ذلك في الثقافة اليونانية في مدرسة بالرمو وقرطبة.

أقول إننا ونحن مقبلون علي حملة تبرعات للمكتبة لابد أن نركز على هذا الوجه العربي لمكتبة الاسكندرية والتركيز على ان المكتبة كانت موجودة ايام العرب وحتى مائة عام بعد الهجرة يؤكد ان العرب ليسوا هم الذين احرقوا مكتبة الاسكندرية بل هم كانوا رعاة المكتبات واصحابها، فلقد اقاموا بيت الحكمة ببغداد (٢٠٠٫٠٠٠ كتاب) واقاموا المستنصرية في قرطبة (١٢٠٫٠٠٠ كتاب)

واقاموا دار الحكمة في القاهرة ۰۰۰ر۱٥۰ كتاب) ومكتبة الملك داود الرسولي باليمن (۰۰۰ر۱۰۰ كتاب) الخ في الوقت الذي كانت فيه احدى مكتبات الغرب الكبرى (مكتبة دير سانت كارولين) لاتحتوي الا على ٤٠ كتاباً.

اختفاء مكتبة الإسكندرية القديمة

من الممكن ان يقال ان مكتبة الاسكندرية القديمة اصبحت اثراً بعد عين وانها قد اندثرت بالكامل بحيث لم يبق منها اثر يشهد ماكان، كما هو الحال مثالاً في المسرح الروماني «الكولوسيوم COLOSSEUM»[٤٥] او «السرابيوم SARAPEUM»[٤٦] بحيث يمكن ترميمه او صيانته على نحو ماتم في معبد ابي سمبل[٤٧] ومعابد النوبة. وكل مابقي من هذه المكتبة مجرد معلومات من كتابات القدماء مثل بلوتارك وغيره وان مكتبة الاسكندرية كان موقعها في الميناء الشرقي في مكان ما بالقرب من السلسلة.

على ان ذلك كله لا ينفي الكشف في الموقع عن آثار تعود للعصور البطلمية والرومانية والاسلامية والحديثة منها بعض المخابئ التي تم انشاؤها خلال الحرب العالمية الثانية بموقع المكتبة، وتقرر وضع الآثار المكتشفة بالموقع ضمن مقتنيات متحف المكتبة[٤٨].

ومما ورد من الاخبار في هذا الشأن[٤٩] ان هيئة الآثار المصرية قررت ايقاف جميع عمليات الحفر في موقع مكتبة الاسكندرية القديمة بمنطقة الشاطئ بالاسكندرية والواقعة في الحيّ الملكي القديم والمشهورة تاريخياً، وذلك لحين اجراء عمليات الحفائر العلمية الاثرية بواسطة خبراء الهيئة الذين بدأوا بالفعل عمليات الجس الاثري للموقع والتي اسفرت عن ظهور سور اثري قديم يرجح ان يكون جزءاً من اسوار الاسكندرية القديمة. والجدير بالذكر ان هذه المنطقة كان العالم الاثري المصري الكبير محمود باشا الفلكي قد قام بتوقيع اجزاء منها على خريطته الاثرية الشهيرة موضحاً انها تضم العديد من الاثار منها اسوار الاسكندرية وبرج السلسلة، علماً بأن عمليات حفراساسيات مكتبة الاسكندرية قد بدأت منذ فترة بمنطقة الشاطبي في اطار مشروع احياء مكتبة الاسكندرية القديمة، وانه تقرر انشاء متحف اثري بموقع مشروع مكتبة الاسكندرية بمنطقة السلسلة تعرض فيه القطع الاثرية الهامة المكتشفة في الموقع اثناء عمليات الحفر لوضع الاساسات والتي تجري حاليا تمهيداً لبدء تنفيذ المشروع تحت اشراف هيئة الآثار المصرية.

واندر ما تم الكشف عنه حتى الآن رأس ملكي لبطليموس الثالث PTOLEMY 111[٥٠] وزوجته

ديرينيكي الثانية، وكان بطليموس الثالث حاكماً لمصر (٢٤٦ - ٢٢١ قبل الميلاد) كما عثر على ٣ قطع ضخمة من الفسيفساء ترجع الى العصر الروماني بنفس الموقع بالاضافة الى اعداد هائلة من بقايا الانفورات (الاواني) الضخمة اليونانية والتي كانت تستخدم في حفظ الغلال والخمور(٥١).

الكنوز الثقافية لمكتبة الإسكندرية القديمة

من المعروف ان تاريخ تأسيس مكتبة الاسكندرية يعود الى عام ٢٦٥ ق.م وقد عين بطليموس الأول (خليفة الاسكندر الاكبر كملك لمصر) ديمتريوس DEMETRIUS ليكون رئيساً للمؤسستين التوأمين، المكتبة والمتحف. وقد اتضح خلال نصف قرن من الزمن ان المكتبة كانت صغيرة ولا تكفي لاعداد الكتب المتدفقة الى المبنى المخصص لها. لذا فقد قرر بطليموس الثالث (٢٤٦ - ٢٢١ ق.م) ان يلحق بالمبنى الجديد للسيرابيوم، فرع من المكتبة عرف بالمكتبة الابنة.

ان الرقم التقديري للكتب في المكتبتين المذكورتين وصل الى حوالي نصف مليون، وقد ذهب تقدير آخر الى انه وصل حوالي ٧٠٠,٠٠٠ كتاب.

ولعل من المفيد ان نذكر هنا بعض ماورد في القائمة التي ذكرها الاستاذ الدكتور مصطفى العبادي ، استاذ الحضارة بجامعة الاسكندرية، والذي يعد من ابرز المتخصصين الذين دأبوا على دراسة تاريخ مكتبة الاسكندرية، حيث ان القائمة التي اعدها تتميز بالدقة حصر فيها الوثائق التي قامت مكتبة الاسكندرية بتجميعها ونشرها وهي على سبيل المثال لا الحصر:

- جميع شعار هوميروس HOMER في القرن التاسع قبل الميلاد، والذي نسبت اليه ملحمتا «الالياذة ILIAD» و«الاوديسا ODESSY»، التي قد طبعت اولاً في المكتبة، وترجمة لكتاب التوراة باللاتينية قامت عليها الدراسات الانسانية الغربية.
- المخطوط الاصلي لعالم الرياضيات اليوناني «اقليدس EUCLID ٣٦٥ - ٣٠٠ ق.م» والذي يتضمن المبادئ الاولى للهندسة، واسس مدرسة في الاسكندرية في عهد بطليموس الاول PTOLEMY 1 ودرس الرياضيات فيها.
- الاعمال الطبية للعالم اليوناني غالينوس(٥٢).
- مخطوطات الاعمال المسرحية لأشيلوس او اسخيلوس AESCHYLUS وسوفوكليس SOPH

OCLES ويوريبيد EURIPIDES ويعتبر هؤلاء الثلاثة اعظم المسرحيين التراجيديين في الادب اليوناني القديم.

- علم النحو والصرف اليوناني، وأول ترجمة للتوراة باللغة اليونانية.
- نظريات عالم الفلك اليوناني اريستاركوس الساموسي ARISTARCHUS OF SAMOS الذي توصل الى النظرية القائلة ان الارض كروية وبأنه ليس هناك مركز للعالم وكان ذلك قبل ان يكتشفها كوبرنيكوس COPERNICUS[٥٤] بثمانية عشر قرناً.
- كتابات لديانات ومعتقدات المصريين، وكتابات خاصة بالديانة الزاردشتية -ZE ROASTRIANISM[٥٥] في القرن السادس قبل الميلاد.
- اشعار العالم والشاعر اليوناني كالياخوس CALLIMACHUS ٣٠٥ ق.م – ٢٤٠ ق.م الذي هاجر الى الاسكندرية واستخدمه الملك بطليموس الثاني في مكتبة الاسكندرية.
- الاعمال الفلسفية البطلمية.
- تقارير وملاحظات العالم اليوناني هيبوقراطيس HIPPCORATES ٤٦٠ – ٣٧٧ او ٣٥٩ قبل الميلاد، عن جسم الانسان وشرحه للامراض والعلل المختلفة التي قد تعتريه، واليه ينسب القَسَم للمتخرجين من الاطباء HIPPOCRATIC OATH.
- علاج الامراض والتشريح للجراح اليوناني والخبير بعلم التشريح هيروفيلوس -HE ROPHILUS ٣٣٥ – ٢٨٠ ق.م. أسس المدرسة الطبية بالاسكندرية يعرف بأبي علم التشريح. عدّ نبضات القلب ووصف العين والكبد والغدد اللعابية والاعضاء التناسلية عند الجنسين، وأول من تحقق من ان العقل هو مركز الذكاء عند الانسان وليس القلب.

اختفاء الكتب والاعمال:

ان الامر الذي لا يتطرق اليه الشك هو أن مكتبة الاسكندرية القديمة قد اختفت وزالت واندثرت. ولم يستطع التاريخ ان يحفظ لنا الاعمال والكتب التي ضمتها المكتبة. فالأدلة متوافرة على ان المكتبة العظيمة القريبة من الميناء قد تم حرقها بالكامل اثناء حرب قيصر مع جنود الاسكندرية عام ٤٨ بعد الميلاد، اما المكتبة الابنة التي اصبحت بعد احتراق المكتبة الملكية هي المكتبة الرئيسية في الاسكندرية فقد واصلت عملها لتلبية حاجات الدارسين والباحثين على مدى اربعة قرون.

والسبب في ذلك ان المكتبة الابنة تقع ضمن مباني السيرابيوم التي تتمتع بالحماية الدينية، حيث ان المعابد الوثنية لاتزال تتمتع بقدسيتها وامنها. ولكن هذه القدسية اخذت تنحسر بعد اعلان المسيحية ديناً رسمياً في الامبراطورية، وبلغ الامر اشدّه عندما قام الامبراطور الروماني ثيودسيوس الاول THEODSIUS 1 (٣٤٦ - ٣٩٥ ق.م) بحملة شاملة ضد الوثنية ومعابدها في جميع انحاء الامبراطورية. وقد استطاع اسقف الاسكندرية المتعصب ثيوفيلوس -THEO PHILUS الحصول على موافقة الامبراطور بتدمير معابد الاسكندرية وتحويل معبد السيرابيوم الى كنيسة.

ورغم تدمير هذا المعبد (عام ٣٩١ م) فهناك خلاف حول مصير المكتبة الابنة، فيقول عالم اللاهوت اليوناني ومؤرخ الكنيسة ثيودوريت THEODORET (٤٥٨ - ٣٩٣م) بأن المعبد قد دمر الى اساساته، كما قال شاهد آخر هو «يونابيوس EUNAPIUS» بأن يثوفيلوس وابتاعه قد قاموا بتدمير المعبد ومحتوياته ولكنهم لم يتمكنوا من قلع الاساسات بسبب ضخامة الكتل الحجرية وتعذر تحركها. ،ومع كل ذلك؛ فهناك من يرون بأن ثيوفيلوس لم يكن يقصد تدمير البناء بل تحطيم مكان عبادة الوثنية فقط، وليس هناك مبرر في انه كان يهدف الى محو جميع الكتابات الماضية. ويمكن الرجوع الى كتابات افثونيوس APHTHONIUS الذي زار الاسكندرية في القرن الرابع والف كتاباً عن «وصف قلعة - اكروبولس»(٥٦) الاسكندرية.. ويقصد معبد السيرابيوم. وقد قال في معرض وصفه مايلي:

«في الجهة الداخلية المؤدية الى صف من الاعمدة COLONNADE بنيت غرف خُصص بعضها كخزائن للكتب لاستخدامها من قبل اولئك الذين كرسوا انفسهم لطلب العلم. وقد كانت غرف الدراسة هذه هي التي رفعت من شأن المدينة لتحتل مكان الصدارة في الفلسفة، وهناك غرف اخرى اقيمت لعبادة الآلهات القديمة».

وقد تبنى هذا الوصف الدارسون المعارضون، لانه يثبت ان افثونيوس قد رأى بالفعل خزائن الكتب حين زار السيرابيوم.على ان الاختلاف قد نشأ حول تاريخ الزيارة الذي لم يكن معروفاً على وجه التحديد. وقد ذهب احد الآراء بأن الزيارة حدثت قبل عام ٣٩١ م (وهو العام الذي حدث فيه تدمير معبد السرابيوم) لذلك فأنها لا تقيم دليلاً على ماحدث للمعبد عام ٣٩١. وهناك رأي آخر يقول بأن الزيارة حدثت بعد عام ٣٩١ بدليل ان الكتب بقيت موجودة بعد تدمير المعبد.

وبالنظر لقلة المعلومات حول حياة افثونيوس، فقد تم الاعتماد على صيغة الوصف التي اتضح انها استخدمت صيغ الماضي في وصف الاحداث، كما يمكن الاستنتاج بأن افثونيوس ذكر في وصفه ان هناك غرفاً خصص البعض منها لخزائن الكتب والبعض الاخر لعبادة الآلهات القديمة. وبالتالي فليس من المعقول امكان تقبل وصف اماكن لعبادة الآلهات بعد ان قام افثونيوس بتحويل المعبد الى كنيسة، الامرالذي لايشك فيه ان هذه المعالم لابد ان تكون غير موجودة وقت الكتابة

بعد عام ٣٩١.

وقد حدث في الظروف العصيبة في القرنين الرابع والخامس انقسام في داخل الكنيسة بين متسامحين ومتزمتين حيال ما ينبغي اتخاذه من العلوم الوثنية القديمة. ويمثل المعتدلون جماعة يرون ان النظام التعليمي كله قائم على اسس يونانية في الفلسفة والبلاغة والمنطق. وانه لاضرر في مثل هذا التعليم بل انه ضروري لتثقيف المسيحيين وصقل عقولهم.

على ان المتطرفين كثيراً ما تفوقت اصواتهم، وقد روى القديس جيروم ST. JEROME ٣٤٧ – ٤٢٠ م[٥٧] بأن الامبراطور الروماني جوفيان JOVIAN[٥٨] قام عام ٣٦٤م بشن حرب على مكتبات الوثنيين لا في الاسكندرية فحب، بل ايضا في مكتبة معبد تراجانوم TRAJANUM بانطاكية عام ٣٦٤م. وهكذا في ضوء ماقدم يتضح ان ليس هناك من شك ان تدمير السيرابيوم في عام ٣٩١ كان نهاية المكتبة الابنة ايضاً.

وسنأتي في الفصل التالي على ذكر المصادر المختلفة التي تناولت حريق مكتبة الاسكندرية والمناقشات التي دارت حولها.

هوامش

الفصل السابع

هوامش الفصل السابع

١- DR. MOSTAFA EL ABBADI

THE LIFE AND FATE OF THE ANCIENT LIBRARY OF ALEXANDRIA

UNISCO - PARIS 1990 - P. 74

٢- ايزيس ISIS:

الهة مصرية، زوجة (أوزيريس OSIRIS) وأم حُورس HORUS. زعموا أنه لمّا قُتل أوزيريس بيد أخيه سيت SET أخفت ابنها حورس خوفاً عليه من سيت، وأعادت أوزيريس الى الحياة. تعتبر حامية الأمهات والأطفال وحارسة الأسرة. انتشرت عبادتها، بالاضافة الى مصر، في بلاد اليونان وفي روما ومختلف سواحل البحر الأبيض المتوسط.

٣- أوزيريس OSIRIS:

اله الموتى عند قدماء المصريين. زوج ايزيس ISIS ووالد حورس HORUS. قتله أخوه ست SET فأعادته ايزيس الى الحياة.

كان يمثل مبدأ الخير، على العكس من أخيه (ست) الشرير. صوّره المصريون في هيئة مومياء، كما جعلوا لون وجهه أخضر، وقلّدوه صولجان الحكم. ظفر بأكبر شهرة بين المعبودات المصرية. تجعله أسطورته أول من سنّ القوانين وعلم الناس الزراعة.

ربط الناس بين أوزيريس وبين النيل بفيضانه، فهو «ماء الفيض» الذي يخصب الأرض. مركز عبادته الرئيسي «أبيدوس»(١/٣) عدا مراكز أخرى متفرقة في الدلتا والصعيد.

كان موته وانبعاثه السنويان يمثلان حيوية الطبيعة وخصبها المتجدّدين تجدداً ذاتياً.

١/٣: أبيدوس ABYDOS:

مدينة مقدّسة بمصر القديمة واقعة على الضفة الغربية من النيل، وكانت في عهد الفراعنة عاصمة الاقليم الثامن من أقاليم الصعيد (مصر العليا)، فيها آثار هيكل قديم للاله أوزيريس شيده سيتي الأول SETI 1.

وهناك أيضا مدينة قديمة أخرى بهذا الاسم في آسيا الصغرى، تقع على الجانب الأيمن من الدّردنيل.

٤- هيكاتايوس HECATAEUS OF MILETUS (٤٧٦ ق. م. تقريباً).

رحّالة ومؤرخ اغريقي من ميليتوس (ملطية). زار مصر وبلاداً أخرى كثيرة ألّف كتابين كانا الأوّلين من نوعهما: أولهما في أنساب بعض الأسر وتواريخها، والثاني وصف لأسفاره في أوروبا وآسيا ومصر وليبيا. وقد تأثر به هيرودوت الذي صحّح معلوماته وأضاف اليها.

٥- رمسيوم RA,MESSEUM:

الاسم اللاتيني لمعبد رمسيس الثاني الجنائزي FUNERARY TEMPLE OF RAMSES II (١٢٧٩ - ١٣ ق. م.) بُني على الضفة الغربية من النيل في طيبة في مصر العليا. تشير أطلاله وبقايا تماثيله الى ضخامته. حوائطه تحمل كثيراً من النقوش والوثائق الدنية والتاريخية، أهمها ما يمثل معركة «قادش»(١/٥). عثر في ملحقات المعبد ومخازنه المشيّدة من اللبن على كثير من أوراق البردي وبعض الوثائق من اللخاف (حجارة بيضاء رقاق).

١/٥: قادش Kadesh also Qadesh:

مدينة قديمة في الجزء الغربي من سوريا. تقع على نهر العاصي، على مبعدة خمسة عشر ميلاً تقريبا (حوالي ٢٤ كيلومترا) الى الجنوب الغربي من مدينة حمص الحالية. دارت فيها معركة شهيرة بين المصريين والحيثيين في عام ١٢٩٩ أو ١٢٩١ قبل الميلاد (را. المادة التالية).

معركة قاديش Battle of Kadesh:

معركة شهيرة نشبت، من أجل السيطرة على سوريا، بين القوات المصرية بقيادة رمسيس الثاني Ramses II والقوات الحيثية بقيادة الملك موواتاليس Muwatallis، عند مدينة قادش (عام ١٢٩٩ أو عام ١٢٩١ قبل الميلاد). وقد ادّعى رمسيس الثاني أنه كان هو المنتصر في هذه المعركة. ولكن كثرة المؤرخين تذهب الى القول بأن معركة قادش كانت معركة غير حاسمة، وأن كلَّ ما أسفرتْ عنه لم يَعْدُ مجرَّد هدنة بين المصريين والحيثيين.

٦- فلندرس بيتري SIR WILLIAM MAT FLINDERS PETRIE (١٨٥٣ - ١٩٤٢):

عالم آثار ARCHAEOLOGIST انكليزي، وعالم بالآثار المصرية EGYPTOLOGIST. أولى اهتماماً خاصاً في الاهرامات ومعابد الجيزة. قام بعمل حفريات في مصر وفلسطين، وألف سلسلة من الكتب وبصورة رئيسية عن حفرياته وأساليبه. احتل كرسيًّا في علم الآثار المصرية في جامعة كلية لندن (١٨٩٢ - ١٩٣٣).

٧- السرابيوم SARAPEUM:

مكان محفور في صخور سقارة. وهو مقسم الى حجرات عديدة يتوسط كلا منها تابوت جرانيتي ضخم، استخدم لدفن العجل أبيس(١/٧) بدئ في حفره أيام امنحوتب ٣، واستمر الدفن فيه حتى أواخر عصر البطالمة. كشف عنه العالم الأثري مارييت، وعثر على جثث للعجل كانت مليئة بأفخر وأثمن الحلي.

١/٧: أبيس:

في الديانة المصرية، عجل قدّسه المصريون في منف (مدينة مصرية قديمة) كرمز للقوة وربطوا بينه

وبين معبودها بتاح(*) لعب دوراً رئيسياً منذ أواخر الدولة الحديثة. دفن في توابيت ضخمة وضعت في سراديب السرابيوم.

(*) بتاح: في الديانة المصرية القديمة: معبود منف القوي، وهو رب الفنانين وملهمهم وحاميهم، وهو الاله الخالق، وكان اسلوبه في الخلق يقوم على القلب واللسان، اذ يوحي القلب بالفكرة الى انسان، الذي ينطق، وتكمن قوة الخلق في الكلمة. يتكون ثالوثه: منه، وزوجه سخمت، وابنهما نفرتوم، شبهه الاغريق بالاله هيفايستوس.

وهيفايستوس HEPHAESTUS، في الميثولوجيا اليونانية، اله النار والفنون التي تتطلب استخدام النار، زعموا انه ابن زيوس ZEUS وحيرا HERA، أو ابن حيرا وحدها، وتذهب احدى الأساطير الى القول انه وُلد أعرج، ومن أجل ذلك قذفت به حيرا من أعلى جبل الأولب فاختطفته حوريتان من حوريات البحر فعاش معهما تسع سنوات. يقابله «فولكان VULCAN» عند الرومان.

٨- ثوث THOTH:

اله القمر والحكمة والمعرفة عند قدامى المصريين. زعموا انه مخترع الكتابة، وواضع النظام الاجتماعي، ومبتدع اللغات، ومستشار الآلهة وكاتبها. واعتقدوا أنه سيّد الزمان المكلّف بحسبان السنين والمسؤول عن التقويم CALENDAR وعن طول الأعمار. وقد مثّلوه على صورة رجل له رأس «حارس» أو أبي منجل IBIS في أغلب الأحيان، ومثّلوه في بعضها الآخر على صورة هذا الطائر المقدس نفسه.

٩- أدفو EDFU OR IDFU:

مدينة في الجزء الجنوبي من مصر. تقع في محافظة أسوان، على الضفة الغربية من النيل. أشهر معالمها الأثرية معبد فرعوني مكرّس لاله السماء حُوَرس HORUS. وقد بُدئ بتشييد هذا المعبد في عهد البطالمة عام ٢٣٧ ق. م. ولم يُنجز حتى عام ٥٧ ق. م.

١٠- أوروسيوس PAULUS OROSIUS: (٣٨٥ - ٤٢٠م):

الكاهن الشيخ في الكنيسة البروتستانية PRESBYTER، مؤرخ اسباني، زار القديس أوغسطين عام ٤١٥ ب. م. وذهب للدراسة تحت يد القديس جيروم في بيت لحم. ثم اضطر الى البقاء في أفريقيا حيث وضع كتابه «سبعة كتب في التاريخ ضد الوثنيين» وهو مؤلف في التاريخ العالمي سار فيه على نهج كتاب أوغسطين الذائع الصيت «مدينة الله» عالج فيه أوروسيوس تاريخ العالم موضّحاً كيف أن الأحداث تثبت صدق النبوءات التي حواها الكتاب المقدس. نقل الفرد الكبير ALFRED THE GREAT ملك انكلترة هذا الكتاب الى الانكليزية. وهناك ترجمة حديثة للكتاب رايموند I. W. RAYMOND عام ١٩٣٦.

١١- السيد أحمد عبدالفتاح – الجمهورية ٢٦ يونيو ١٩٨٨

١٢- سفر التكوين THE GENESIS :

السفر الأول من أسفار «العهد القديم Old Testament، وهو يروي قصة الخلق(١/١٢)، ويتحدث عن اخراج آدم وحواء من جنة عدن، والصراع بين قابيل وهابيل، وطوفان نوح، كما يروي المراحل الأولى من تاريخ بني اسرائيل، وسيرة أبي الأنبياء ابراهيم الخليل وذُرِّيته. يرجّح الباحثون أنه كُتب في ما بين القرن العاشر والقرن الثامن قبل الميلاد.

١/١٢: العهد القديم، العهد العتيق Old Testament:

اسم يُطلق على القسم الأول من الكتاب المقدس Bible * تمييزاً له عن القسم الثاني منه وهو «العهد الجديد New Testament». موضوعُهُ «العهد الذي عاهد اللهُ بني اسرائيل، على يد موسى النبيّ، في جبل سيناء». وهو ينتظم تسعةً وثلاثين سفراً كتب معظمها في الأصل بالعبرية وكُتب بعضها في الأصل بالآرامية، وهي تشتمل على تاريخ اليهود وتعاليم أنبيائهم.

---

* الكتاب المقدس Bible:

كتاب النصارى المقدس. وهو يتألف من «العهد القديم Old Testament» (*أ) الذي يقدسه اليهود والنصارى معاً، و «العهد الجديد New Testament» ويعترف به النصارى دون اليهود. وينتظم ٢٧ سفراً كُتبت كلها في الأصل باليونانية، وهي تشتمل على سيرة السيد المسيح ونشأة الكنيسة النصرانية.

(* أ) أسفار موسى الخمسة Pentateuch:

الأسفار الخمسة الأولى من «العهد القديم Old Testament» من الكتاب المقدّس وهي سفر التكوين Genesis، وسفر الخروج Exodus، وسفر اللاويين Leviticus، وسفر العدد Numbers، وسفر تثنية الاشتراع Deuteronomy.

١٣- المسّينيون Mycenaeans also Mycenians:

شعب إغريقي قديم سيطر على بحر ايجه Aegean Sea بعد المينويين Minoans، من حوالي العام ١٤٠٠ الى حوالي العالم ١١٠٠ قبل الميلاد، وأنشأ حضارة زاهرة تُعرف بالحضارة المسّينية(١/١٣).

١/١٣: الحضارة المسينية Mycenaean civilization:

حضارة إيجية Aegean قديمة، نشأت في مسّيني Mycenae(٢/١٣) ثم امتد نفوذها من هذه المدينة الى أجزاء مختلفة من منطقة البحر الأبيض المتوسط. تأثرت بحضارة كريت Crete المينويّة Minoan civilization وبلغت أوج ازدهارها في ما بين العام ١٤٠٠ والعام ١١٠٠ قبل الميلاد، قضى عليها الدّوريون Dorians. وقد كشفت الحفريات التي أجريت في مدينة مسّيني (١٨٧٦ – ١٨٧٨) عن قصر، وأسوار ضخمة، وقبور ملكية كثيرة.

٢/١٣ مسّيني Mycenae:

مدينة يونانية خربة تقع في الجزء الشمالي الشرقي من شبه جزيرة البيلوبونيز Peloponnesus، عاصمة الحضارة المسينية. أُسست في العام ٢٩٠٠ قبل الميلاد على وجه التقريب. وقد كشفت الحفريات التي أجريت فيها (١٨٧٦ - ١٨٧٨) عن قصر، وأسوار ضخمة، وقبور ملكية، وأقنعة ذهبية إلخ، فضلاً عن «باب الأسود» Gate of Lions.

١٤- المينَويّون Minoans:

اسم يطلق على أبناء كريت Crete الذين أنشأوا حضارة ازدهرت في تلك الجزيرة من حوالي عام ٣٠٠٠ الى حوالي عام ١١٠٠ قبل الميلاد. والمِينَويّون يُنسبون الى مينوس Minos ملك كريت الخرافي.

الحضارة المينوية Minoan civilization:

حضـــارة إيجية Aegean قديمة ازدهرت في كريت Crete (حوالي ٣٠٠٠ - حوالي ١١٠٠ ق. م). دُعيت بذلك نسبةً الى ملك كريت الخرافي مينوس Minos. وقد كشفت الحفريات التي بدأها عالم الآثار البريطاني (١٨٥١ - ١٩٤١) السير آرثر إيفانز Evans عام ١٩٠٠ في مدينة كنوسوس Cnossos في كريت عن بقايا هذه الحضارة التي بلغت شأواً بعيداً في مجال الفن، وبخاصة فن النحت، وعن قصر ضخم يرقى الى العام ٢٠٠٠ قبل الميلاد.

١٥- بيزيستراتوس Pisistratus (توفي عام ٥٢٧ ق. م.):

طاغية أثينا (٥٦٠ - ٥٢٧ ق. م). فرض عبادة الإلهة «أثينا» Athena بوصفها كبيرة آلهة المدينة. وسّع سلطانَ أثينا فشمل بحر إيجه Aegean Sea وسواحل آسيا الصغرى، وعزّز التجارة فعرف الأثينيون في عهده ازدهاراً اقتصادياً كبيراً.

١٦- أريستوفان ARISTOPHANES ٤٤٨ - ٣٨٨ ق. م.

أعظم شعراء الكوميديا اليونانية، كان محافظاً فلم يؤمن بسقراط وحرية الفكر كما لم يرض عن السفسطائيين SOPHISTS، وأعلن حربا شعواء على يوميديس، وحمّلهم مسؤولية افساد الشباب الأثيني. تتميز مسرحياته بالنقد اللاذع للساسة والأدباء المعاصرين، أما شخصياته فطبيعية حيّة استمدها من المجتمع الذي عاش فيه فجاءت مطابقة للواقع. ومن مسرحياته التي بقيت (الأكارنيون ACHARNIANS) ويهاجم فيها الحروب البلوبونيزية ومؤيديها الفرسان، و (الضفادع FROGS) المترجمة الى العربية وهي دراسة أدبية مفصلة لمسرحيات اسخيلوس ويوربيديس. ومن مسرحياته كذلك (الطيور THE BIRDS) و (السلام THE PEACE) و (السحب THE CLOUDS) و (ليستراسا LYSISTRATA).

١٧- أثينايوس ATHENAEUS:

كاتب وفقيه ولغوي يوناني، عاش (القرنين الثاني والثالث للميلاد) في الاسكندرية ثم في روما. مؤلفه الوحيد الذي بقي (DEIPNOSOPHISTAE أي مـأدبة العلماء BANQUET OF THE LEARNED) حيث يصف مأدبة دامت بضعة أيام، ومثل فيها الفلسفة والأدب والقانون والطب وغير ذلك، عدد من الضيوف يحمل بعضهم أسماء شخصيات تاريخية. ويصوّر الكتاب مناقشات الضيوف في مختلف الموضوعات، وما تضمنته المناقشات من النوادر والمقتطفات من الكتاب القدماء.

١٨- الأكاديمية ACADEMY:

اسم أطلق في الأصل على كرم زيتون في ضواحي أثينا كان أفلاطون يدرس فيه طلآبه ابتداء من عام ٣٨٧ ق. م. تقريباً حتى وفاته. ثم أطلق بعد ذلك على الفلسفة الافلاطونية نفسها. وبعد أفلاطون واصل أتباعه ومريدوه الاجتماع في «الاكاديمية» الى أن أغلقها الامبراطور «يوستنيانُس JUSTINIAN» عام ٥٢٩ للميلاد(١/١٨) وبذلك تكون «الأكاديمية» قد عُمرّت تسعمائة عام ونيّفاً.

ويطلق اليوم اسم «الأكاديمية» على المجامع الأدبية أو العلمية أو الفنية المشمولة عادةً برعاية الدولة.

١/١٨: يوستنيانُس الأول (جوستنيان الأول) ٤٨٣ - ٥٦٥م:

امبراطور بيزنطي (٥٢٧ - ٥٦٥). تولّى العرش خلفاً للامبراطور برستينوس الأول JUSTIN 1. بلغت الامبراطورية البيزنطية في عهده أقصى اتساعها. أعاد تنظيم الحكومة وقضى على كثير من المظالم. ألّف عام ٥٢٩ لجنة عهد إليها في جمع الشرائع اليونانية وتدوينها فأنجزت المهمة عام ٥٦٥ يُعَرف أيضاً بـ«الكبير THE GREAT CODIFICATION»(*).

(*) التقنين CODIFICATION (تدوين القوانين):

جمع القوانين وتنسيقها وتدوينها في مدوّنات CODES. ومن أشهر من ارتبطت أسماؤهم بهذا العمل الامبراطور يوستنيانس الأول الذي ألّف لجنة من فقهاء عصره عهد اليها في جمع الشرائع الرومانية وتدوينها. تُعَرف هذه المجموعة بـ«مدوَّنة يوستنيانُس CODEX JUSTINIANUS» ونابليون بونابرت الذي أشرف على اصدار مجموعة القانون الفرنسي المدني عام ١٨٠٤، فعُرفت هذه المجموعة باسم «مدوَّنة نابليون CODE NAPOLEON».

١٩- مدرسة المشائين PERIPATETIC SCHOOL:

كان أرسطو وبمساعدة صديقه (ثيوفراسطوس THEOPHRASTUS)(١/١٩) أنشأ مدرسته الشهيرة في منطقة الملعب الرياضي بأثينا الذي يسمّى اللوقيون LYCEUM، ولذا سمّيت باسمه. وكان ترخيص المدرسة والمنزل الذي شغلته باسم ثيوفراسطوس، فقد كان محظوراً على الأجانب استصدار تراخيص العمل أو امتلاك العقارات باسمهم. وكان بالمنزل ممشى ظليل PERIPATOS

يؤثره أرسطو ويغشاه كثيراً ويلقي دروسه على تلاميذه وهو يقطعه جيئةً وذهاباً، واشتهر ذلك عنه حتى سميت المدرسة باسم مدرسة المشائين PERIPATETIC SCHOOL. ويسمى أرسطو وأتباعه المشاؤون PERIPATETICS، ويرجع الاسم الى طريقة التدريس خلال المشي. وهي الطريقة التي ابتدعها «بروتاغوراس PROTAGORAS»(١/١٩) وقلّده فيها أرسطو. ومن أشهر المشائين ثيوفراستوس الذي خلف أرسطو في امامة المدرسة.

ومن الأتباع المتأخرين (استرانون) الذي قضى زمناً بالاسكندرية. وقد نهضت المدرسة في القرن الثاني حين تولّى أتباعها شرح أرسطو.

١/١٩ بروتاغوراس PROTAGORAS (٤٨٥ - ٤١٠ ق. م.):

فيلسوف يوناني. يعتبر أول السفسطائيين SOPHISTS وأشهرهم (حيث كانت السفسطة تعني بمعنى الحكيم، وهم جماعة من الكتّاب والمعلمين الاغريق المحترفين دأبت خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد على التطواف في طول العالم الناطق باللغة اليونانية وعرضه لتعليم الشبان المتعطشين الى المعرفة لقاء أجر معين).

وقد قضى بروتاغوراس معظم حياته في أثينا حيث كان له أثر كبير في التفكير الأخلاقي والسياسي. قال «إن الانسان هو مقياس كل شيء». ومن أجل ذلك اعتُبر أوّل الانسانيين HUMANISTS. وقد اتُّهم بالمروق من الدين، فأحُرِقت كتبه، ونُفي من أثينا حوالي عام ٤١٥ قبل الميلاد.

٢/١٩: ثيوفراستوس THEOPHRASTUS (٣٧٢ - ٢٨٧):

فيلسوف يوناني. كان تلميذاً لأرسطو. وقد ألّف في علم الطبيعة وعلم النبات وعلم المنطق وعلم السياسة، وفي الشعر والميتافيزيقا وغيرها. بقي من آثاره كتاب «تاريخ النباتات HISTORY OF PLANTS» وقد صنّف فيه النباتات حسب أشكالها وطرائق نموّها، وكتاب «شخصيات ونماذج بشرية CHARAKTERES» الذي احتذاه الكاتب الفرنسي «جان دو لابروبير JEAN DE LA BRU YERE (١٦٤٥ - ١٦٩٦) الذي اشتهر بكتابه «شخصيات ونماذج بشرية أو أخلاق هذا القرن LES CHRACTERES OU LES MOEURS DE CE SIECLE» عام ١٦٨٨ الذي يعتبر احدى روائع الأدب الفرنسي، وغيره من الكتّاب. وقد ورث ثيوفراستوس جميع مكتبة أرسطو بضمنها مخطوطات الفيلسوف.

٢٠- الاسكندر الكبير ALEXANDER THE GREAT (٣٥٦ - ٣٢٣ ق. م.):

ملك مقدونيا (٣٣٦ - ٣٢٣ ق. م.) ابن فيليب الثاني. بسط سلطانه على بلاد اليونان، واستولى على صور (عام ٣٣٢) أخضع مصر (٣٣٢ - ٣٣١)، ومن ثم زحف على بلاد ما بين النهرين واحتلّ بابل، وأطاح بالامبراطورية الفارسية. وفي عام ٣٢٧ تقدّم لفتح الهند حيث اجتاح البنجاب، ولما رفض جنوده التقدم الى ما وراء ذلك عاد أدراجه بعد رحلة شاقة عبر الأقاليم الصحراوية، وبلغ سوسه عام ٣٢٤، وتزوج الأميرة الفارسية (روكسانا)، وأمر رفاقه ورجاله باتخاذ زوجات شرقيات.

تلميذ أرسطو، توفي في مدينة بابل بالعراق، ودُفن في مدينة الاسكندرية بمصر، وهي واحدة من مدن

كثيرة بناها. يعرف أيضا بـ «الاسكندر المقدوني» لُقّب بذي القرنين.

٢١- ايسخيلوس AESCHYLUS (٥٢٥ - ٤٥٦ ق. م.):

شاعر اغريقي شارك في معركة ماراثون MARATHON التي هزم فيها الأثينيون القوات الفارسية (عام ٤٩٠ ق. م.). يعتبر أبا المأساة أو التراجيديا اليونانية. وقد وضع نحواً من تسعين مسرحية وصلتنا منها سبع كاملات. وقد عُني بصورة خاصة باظهار عدالة الآلهة.

من أشهر مآسيه الباقية: «أغاممنون AGAMEMNON» و «الفرس THE PERSIANS» و «بروميثيوس مصفّداً PROMETHEUS BOUND».

٢٢- سوفوكليس (سوفوكل) SOPHOCLES (٤٩٦ - ٤٠٦ ق. م.):

مؤلف مسرحي يوناني. يعتبر هو و «ايسخيلوس» و «يوريبيديز» أعظم المسرحيين التراجيديين في الأدب اليوناني القديم. وقد وضع نحواً من ١٢٣ تراجيديا شعرية لم يصلنا منها غير سبع. وأشهر هذه التراجيديات: «أوديب ملكاً OEDIPUS REX» و«الكترا»(١/٢٢)، ومن أشهرها أيضا تراجيديا «انتيغوني ANTIGONE».

١/٢٢: الكترا ELECTRA OR ELEKTRA:

في الميثولوجيا اليونانية، بنت «أغاممنون، القائد الأعلى للحملة الاغريقية ضد طروادة (وقد روت الالياذة قصة صراعه، وتروي الاوديسا كيف قتلته زوجته وعشيقها) وكليتمنسترا CLYTEMNESTRA أنقذت حياة أخيها الصغير «أوريست ORESTES» بابعاده الى مكان قصيٍّ عندما قُتل أبوهما أغاممنون بعد عودته منتصراً من حرب طروادة TROJAN WAR بيد زوجته وعشيقها ايجسنوس AEGISTHUS. وعندما رجع أوريست ثأرت لأبيها بأن قتلت أمّها - بالتعاون مع أوريست - وقتلت عشيق أمها أيضا.

وتراجيديا الكترا من تأليف سوفوكليس يروي فيها هذه القصة. ولا يكتفي سوفوكليس في هذه القصة بجعل الآلهة تتدخل من بعيد لمعاقبة هذين المجرمين، بل يُشعر النظارة والقراء أن هذا العقاب جاء نتيجة لسياق الأحداث الطبيعي.

٢٣- يوريبيديس EURIPIDES: (٤٨٤ - ٤٠٦ ق. م.):

أحد أعظم شعراء التراجيديا باليونان. وضع نحواً من ٩٢ مسرحية لم يبق منها غير ثماني عشرة. ورغم انه قد استمر عقد مسرحياته من الميثولوجيا، إلاّ انه رسم شخصياتها بحيث بدت وكأنها من أهل عصره. ومن أشهر آثاره الباقية «هيلانة HELEN» و «اندرومارك ANDROMACHE» و «الكترا ELECTRA» و «أوريست ORESTES» و «النساء الطروادیات TROADES» و «النساء الفينيقيات PHOENISSAE».

٢٤- الفرد هيسيل - ترجمة: د / شعبان عبدالعزيز خليقة.

تاريخ المكتبات - دار المريخ للنشر ط ٢ - الرياض ١٩٨٠ - ص ١١.

٢٥- الموسوعة العربية الميّسرة - المجلد الثاني - دار نهضة لبنان ١٩٨٠ - ص ١٧٣٣.

٢٦- د / سعد محمد الهجرسي - المكتبات والمعلومات - دار المريخ للنشر - الرياض ١٩٩١م - ص ٦٤٩.

٢٧- الفقرة (٢٦) أعلاه ص ٦٥٠.

٢٨- برغـامـوم (أو برغـامـون أو برغـامـوس) PERGAMUM (OR PERGAMON OR PERGAMOS):

مملكة يونانية قديمة شملت أراضيها القسم الأعظم من آسيا الصغرى. بلغت أوج ازدهارها ما بين عام ٢٦٣ وعام ١٣٣ قبل الميلاد.

وبلدة برغاما BERGAMA هي في الجزء الغربي من تركيا في ولاية أزمير، وكانت فيما مضى عاصمة مملكة برغاموم القديمة.

٢٩- الأتاليين (الهلنسية) ATTALUS:

اسم لثلاثة ملوك برغاموم:

أ - أتالوس الأول: حكم ٢٤١ - ١٩٧ - ق. م ومؤسس مكتبة برغاموم.

ب - أتالوس الثاني: ١٦٠ - ١٣٨ ق. م.

جـ - أتالوس الثالث: ١٣٨ - ١٣٣ ق. م.

٣٠- يومينس الثاني EUMENES II (حكم من ١٩٧ - الى ١٥٩ ق. م):

أكبر أبناء «أتالوس الأول ATTALUS 1» ملك برغاموم (الهامش ٢٨ أعلاه). وقد كان يومينس حليفاً لروما ضد «أنطوخيو الثالث ANTIOCHUS III ٢٤٢ - ١٨٧ ق. م» ملك سوريا السلوقي THE KING OF SYRIA OF THE SELEUCID DYNASTY وضـد مـقـدونـيـا MACEDONIA. وأعطى بمقتضى صلح أباميا ١٨٨ شبه جزيرة تراقيا (غاليبولي GALLIPOLI) وأكثر آسيا الصغرى السلوقية. وقد جعل يومينس برغاموم مركزاً للعلم والمعرفة، وأسس فيها مكتبة عظيمة، كما بنى مذبحاً كنسياً ALTAR OF PERGAMON منحوتا لبرغاموم (هي الآلان موجودة في متحف برلين). وعندما أخفقت روما في احراز نصر سريع على برسيوس (آخر ملوك مقدونيا) في الحرب المقدونية الثالثة (١٧١ - ١٦٨) وقيام يومينس بالتفاوض سراً مع برسيوس، فقد ثقة السناتو الروماني الذي منح ثقته لأخيه أتالوس الثاني.

٣١- أغسطس AUGUSTUS (٦٣ ق. م. - ١٤م):

أول أباطرة الرومان (٢٧ ق. م - ١٤م) الذي أعاد الاستقرار والازدهار الى ربوع العالم اليوناني - الروماني، وركزّ سلطة الامبراطورية الرومانية في مدينة روما، وقام باصلاحات ادارية واجتماعية كثيرة، كما أعاد تنظيم الجيش وشجّع الفنون.

اسمه الأصلي أوكتافيوس، وأغسطس لقبٌ خُلع عليه عام ٢٧ ق. م. يعرف أيضا بـ «أوكتافيان OCTAVIAN».

٣٢- هادريان (هادريانوس) HADRIAN OR ADRIAN (٧٦ - ١٣٨م):

امبراطور روماني (١١٧ - ١٣٨م). وحّد الامبراطورية الرومانية الواسعة ووطّد أركانها. كان شاعراً ومعجباً بالحضارة الاغريقية. بنى السور المنسوب اليه في انكلترة HADRIAN'S WALL لحماية حدود بريطانيا الرومانية من الغزاة الشماليين. وأعاد تشييد هيكل البانثيون(*) في روما عام ١١٩م، وقمع تمرّداً قام به اليهود في فلسطين عام ١٣٤.

(*) البانثيوم PANTHEON:

هيكل بناه في روما عام ٢٧ ق. م. «ماركوس آغريبا MARCUS AGRIPPA (٦٣ - ١٢ ق. م) قائد وسياسي روماني مساعد الامبراطور أغسطس ساهم في انزال الهزيمة بماركوس أنطونيوس وكليوبترة في معركة أكتيوم عام ٣١ ق. م. أخضع عدداً من الثورات، وأنشأ بعض المستعمرات، وحكم أجزاء مختلفة من الامبراطورية.

٣٣- هركولانيوم HERCULANEUM:

مدينة قديمة في الجزء الغربي من وسط ايطاليا. كانت تقع على السفح الشمالي الغربي من بركان فيزوف VESUVIUS. وقد دعيت بهذا الاسم نسبةً الى مؤسسها الاسطوري هرقل HERCULES. وقد ورد ذكرها، أول ما ورد، في القرن الرابع قبل الميلاد. دُفِنت هي ومدينة «بومبي POPMPEI» تحت حمم بركان فيزوف عام ٧٩ للميلاد.

٣٤- ديمتريوس الفاليري DEMERTRIUS DE PHALERE:

خطيب أثيني، عرف بمناصرته لمقدونيا، فعيّنه كاساندورس حاكماً مطلقاً لأثينا (٣١٧ - ٣٠٧ ق. م). وعندما استولى ديمتريوس «فاتح المدن» على أثينا (٣٠٧) عزل الديمقراطيون ديمتريوس الفاليري، ففرّ الى مصر حيث اكتسب عطف بطليموس الأول، ويقال إنه هو الذي أوصى اليه بانشاء مكتبة الاسكندرية وعندما ارتقى بطليموس الثاني العرش ترك ديمتريوس مصر، وتوفي بعد ذلك بقليل حوالي عام ٢٨٢ ق.م.

٣٥- راجع الهامش (٢/١٩) أعلاه.

٣٦- راجع الهامش (١٩) أعلاه.

٣٧- الموزيّة MUSE:

احدى الالهات التسع، بنات (زيوس ZEUS إله الآلهات في الميثولوجيا اليونانية يقابله جوبيتر JUPITER عند الرومان) و (نيموسيني MNEMOSYNE) إله الذاكرة وأم الموزيّات MUSES) اللواتي يحمين الغناء والشعر والفنون والعلوم في الميثولوجيا اليونانية وهنّ وفقاً لأشهر الروايات:

كاليوب CALLIOPE: ربّة الشعر الملحمي (وهي أهمّها).

كلِيو CLIO: ربّة التاريخ.

إيراتو ERATO: ربّة الشعر الغنائي.

يوتيرب EUTERPE: ربّة الموسيقى.

ملبوميني MELPOMENE: إبّة التراجيديا أو المأساة.

بوليهيمنيا POLYHYMNIA: ربّة الانشاد المقدّس.

تيربسيكيور TERPSICHORE: ربّة الرقص.

ثاليا THALIA: ربّة الكوميديا أو الملهاة.

يورانيا URANIA: ربّة علم الفلك.

٣٨- الفيثاغورية (المدرسة الفيثاغورية) PYTHAGOREANISM:

مدرسة فلسفية وأخوية دينية يعتقد أن فيثاغورس(*) الفيلسوف اليوناني أنشأها في جنوب ايطاليا، وفرض على المنتسبين الهيا حياة تقشفية صارمة. وقد استمرّت الفيثاغورية بعد فيثاغورس نحواً من ثمانمائة عام، وكان لها تأثير كبير في تطوّر الفكر الانساني.

قالت بأن الحقيقة في أعمق أعماقها رياضية METHAMTICAL. وبأن العدد أساس كل شيء وبأن لكل عدد مضمونه الخاص. فالعدد (١) مثلاً هو الذكاء، والعدد (٢) هو الرأي، والعدد (٤) هو العدالة، والعدد (٥) هو الزواج. وقد اعتقد الفيثاغوريون أيضاً بأن النفس يمكن أن تسمو فتتحد بالذات الالهية.

(*) فيثاغورس (فيثاغور) PYTHAGORAS (٥٨٠ - ٥٠٠ ق. م):

رياضي وفيلسوف يوناني، مؤسس المدرسة الفيثاغورية. أسهم في تطوير الهندسة GEOMETRY. آمن بالتناسخ METEMPSYCHOSIS، وقال بأن تطهير النفس ممكن عن طريق معرفة الحساب والهندسة والموسيقى. اتّبع نظاماً صارماً قوامه تطهير الذات وامتحان النفس.

٣٩- سترابو STRABO (٦٣ ق. م. - ٢١ م):

جغرافي ومؤرخ يوناني، سافر الى القسم الشرقي من الامبراطورية الرومانية عدة مرات، وطاف في الأرض من أرمينيا شرقاً الى جزيرة سردينيا غرباً، ومن سواحل البحر الأسود شمالاً الى تخوم أثيوبيا جنوباً. وضع ٤٧ مجلداً في التاريخ واصل فيها أعمال المؤرخ اليوناني «بوليبيوس POLYBIUS ٢٠٠ - ١١٨ ق. م»(*) غير أن هذه المجلدات ضاعت كلها تقريباً، ووضع ١٧ مجلداً في الجغرافية وهي موجودة كلها باستثناء المجلّد السابع الذي ضاعت منه أجزاء. وتعتبر هذه الآثار من أهم المصادر التي نستمدّ منها معرفتنا بالعالم القديم.

(*) بوليبيوس POLYBIUS (٢٠٠ - ١١٨ ق. م.):

مؤرخ يوناني. وضع كتابا في أربعين مجلّداً دعاه «التاريخ HISTORY» وفيه تحدّث عن فتوح روما وسيطرتها على العالم. غير أنه لم يبق من هذا المؤلف الضخم غير الأجزاء الخمسة الأولى وشذرات متفرّقة من الأجزاء الأخرى.

٤٠- قيلادلفوس (بطليموس الثاني):

راجع الفقرة (٢) أشهر ملوك البطالمة. (صفحة ١٥٠)

٤١- سبعينية:

ترجمة العهد القديم الى اليونانية الاسكندرانية، حققها علماء من اليهود الهلينستيين فيما بين (٣٥٠ - ١٠٠ ق. م)، سميت كذلك لأنها كتبت في ٧٢ يوما، بوساطة ٧٢ مترجما، بناء على طلب بطلميوس فيلادلفيوس، ترجع أهميتها الى أنها نقلت عن نصوص فقدت تحوي جميع كتب القانون الغربي. عول عليها اليهود الهلينستيون والمسيحيون الذين كانوا يتكلمون اللغة اليونانية وعلى رأسهم القديس بولس. ولاتزال الكنيسة اليونانية تعول عليها حتى اليوم، وان كان مخطوط الترجمة الأولى مفقودا.

٤٢- عنوان الكتاب «نوادر الفلاسفة والعلماء» لحنين ابن اسحاق، وهو موجود برقم ٧٥٦ في مكتبة الاسكوريال (٤١/١).

٤١/١: الأسكوريال Escorial, also El Escurial:

مجموعة من المباني الأثرية تقع على مبعدة ٢٦ ميلاً (حوالي ٤١ كيلومتراً ونصف الكليومتر) الى الشمال الغربي من العاصمة الإسبانية مدريد. شيدها فيليب الثاني Philip II ما بين عام ١٥٦٣ وعام ١٦٨٤، وهي تشتمل على قصر ودير وكنيسة ومتحف ومكتبة غنية بالمخطوطات العربية، كما تشتمل على أضرحة معظم الملوك الإسبان.

٤٣- اليعقوبي:

أحمد بن إسحق بن جعفر بن وهب بن واضح (توفي عام ٨٩٧م): مؤرخ وجغرافي عربي. عاش في أرمينيا وخراسان حتى عام ٨٧٣ ثم ارتحل الى الهند والمغرب ومات بمصر. أشهر آثاره «تاريخ ابن واضح» وهو قسمان، تحدّث في أولهما عن شعوب ما قبل الإسلام كالإغريق وغيرهم واستعرض في الثاني تاريخ الإسلام حتى عام ٨٧٣ للميلاد. و «كتاب البلدان» وقد تحدّث فيه عن كبريات مدن الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية والعراق وإيران والمغرب والهند والصين والأمبراطورية البيزنطية.

٤٤- ابن عبدالحَكَم، عبدالرحمن (توفي عام ٨٧١م):

مؤرخ ومحدّث مصري. ابن الفقيه المالكي عبدالله بن عبدالحَكَم من آثاره: «فتوح مصر والمغرب والأندلس».

٤٥- الكولوسيوم COLOSSEUM also COLISEUM:

المسرح الروماني: مدرج ضخم GIANT AMPHITHEATRE بُني في روما في عهد الأسرة

الفلافيانية[١/٤٥]، وكان في الأصل يدعى THE FLAVIAN AMPHITHEATRE وقد بناه الامبراطوران فَسْبازيان VESPASIAN[٢/٤٥] وتيطس TITUS[٣/٤٥] في عام ٧٥ وعام ٨٠ للميلاد. وتم افتتاحه في احتفال استمر لمدة ١٠٠ يوم تضمن ألعاباً مختلفة. وفي عام ٨٢ للميلاد أكمل الامبراطور دوميتبانوس DOMITIAN بناء الطابق الأعلى. ويتسع المدرج لخمسين ألف مشاهد. وقد أصيب بأضرار جسيمة خلال القرون الوسطى، نتيجة للزلازل وأعمال النهب واختفت المقاعد المرمرية ومواد الديكور. ولاتزال آثاره باقية الى اليوم.

١/٤٥: أسرة فلافيان، الأسرة الفلافيانية Flavien dynasty:

أسرة حكمت الأمبراطورية الرومانية من عام ٦٩ الى عام ٩٦ للميلاد. والأباطرة الفلافيانيون ثلاثة: فَسْبازيان Vespasian وقد امتدّ حكمه من عام ٦٩ الى عام ٧٩ للميلاد، وابناه تيطّس Titus (من عام ٧٩ الى عام ٨١ للميلاد) ودوميتيان Domitian (من عام ٨١ الى عام ٩٦ للميلاد).

٢/٤٥: فسبازيان، تيطس فلافيوس فسبازيانوس Vespasian latin name Titus Flavius Vespasianus (٩ - ٧٩ م.):

أمبراطور روماني (٦٩ - ٧٩م). حاصر بيت المقدس قُبَيْلَ تسنّمه عرش الأمبراطورية ثم اضطرّ الى ترك مهمة القضاء على تمرّد اليهود لابنه تيطس Titus ليُهرع الى روما ويقرّ النظام فيها إثر الحرب الأهلية التي تلّت انتحار الأمبراطور نيرون Nero أحدث إصلاحات مالية عززت خزينة الدولة، وأعاد الى الأمبراطورية استقرارها المفقود.

٣/٤٥: تيطَس، تيطَس فلافيوس فسبازيانوس Titus, full name Titus Flavius Vespasianus (٣٩ - ٨١م):

أمبراطور روماني (٧٩ - ٨١م). ابن الأمبراطور فسبازيان Vespasian وخليفتُه. فتح بيت المقدس ودمّرها عام ٧٠م. أعاد بناء روما (بعد احتراقها) عام ٨٠.. أتمّ تشييد الكولوسيوم وافتتحه بمهرجانات استمرت أكثر من مائة يوم.

٤/٤٥ دوميتيان، تيطَس فلافيوس دوميتيانوس Domictian. Latin name Titue Flavius Domitianus (٥١ - ٩٦م):

أمبراطور روماني (٨١ - ٩٦م). ابن الامبراطور فسبَازيان Vespasian. رقي العرش خلفاً لأخيه الأمبراطور تيطَس Titus. أحرز بعض الانتصارات العسكرية في بريطانيا وألمانيا. حكَمَ الامبراطورية ابتداء من عام ٨٩ حكماً استبدادياً اتسم بالقسوة. صُرِع في مؤامرة دُبّرت له بالاتفاق مع زوجته.

٤٦- سرابيوم SARAPEUM OR SERAPEUM:

كلمة منحوتة من لفظين مصريين: أوزير + حابي = (ابيس) على النحو اللاتيني. ومعناها «مكان اوزيرحابي» أي مدفن الفحل المقدس. وهو الحيوان المقدس للمعبود «بتاح» رب منف. والمكان محفور في صخور سقارة. يبلغ طول أروقته ١٩٥ مترا، وفيه تطالعنا قبور الفحول عن اليمين واليسار، يتوسط كلا منها تابوت من أجود أنواع الجرانيت، يبلغ متوسط اطواله ٣٩٦×٢٣٤×٣٣٥ سم.

ومتوسط وزنه ٦٥ طنا، يوسد فيه الفحل مغسلا مكفنا مزينا، كملوك بني آدم. بدئ في حفره أيام أمنحوتب ٣ (١٤١١ - ١٣٧٥ ق. م). أشرف على العمل فيه بكر أبنائه وولي عهده تحتمس، الذي مات قبل أن يبلغ العرش، وكان كبيرا لكهان الدولة. ظل العمل جاريا في المدفن ايام الأسرة ١٩ و ٢٥، ثم تطور نظام أروقته وقبوره في زمان ابسماتيك ١ (٦٦٣ - ٦٠٩ ق. م)، واستمر الدفن فيه حتى آخر ايام البطالمة. كشف عنه العالم الفرنسي مربييت (١٨٥١)، ووقع فيه على آثار كثيرة لم يستطع اللصوص أن يخلصوا بها جميعا، وعلى عدد من الوثائق التاريخية، تتمثل في الشواهد التي اقيمت لتخليد ذكرى تلك الفحول. آل أكثرها الى المتحف المصري.

٤٧- أبو سمبل Abu Simbel:

موقع في الجزء الجنوبي من مصر، على الضفة اليسرى من النيل. فيه معبدان فرعونيان أحدهما كبير والآخر صغير، تحتهما رمسيس الثاني في الصخر الحيّ، وقد فكّكا في ما بين عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٦ ورُفعا الى موقع أعلى لكي لا تغمرهما مياه السد العالي. ويعزى الفضل في اكتشاف معبد «أبوسمبل» الكبير الى الرحالة السويسري بوركهارت Burckhardt عام ١٨١٢.

٤٨- في حديث للدكتور محسن محرم زهران مدير الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية وعضو وفد المدينة المشارك في أعمال المؤتمر العاشر لمنظمة المدن بمناسبة الاحتفال في اكتوبر القادم بتنفيذ مشروع مكتبة الاسكندرية.

(الاتحاد ٦ ابريل ١٩٩٤ التي تصدر في أبوظبي - الامارات العربية المتحدة).

٤٩- جريدة «الاتحاد» الصادرة بتاريخ ١٩٩٤/٦/١.

٥٠- بطليموس الثالث PTOLEMY III (٢٨٢ - ٢٢١ ق. م):

ملك مصر (٢٤٦ - ٢٢١ ق. م): ابن بطليموس الثاني. قاتل حكام سوريا السلوقيين وغزا العراق حتى بلغت جيوشه مشارف بابل. بسط سلطانه على البحر الابيض المتوسط الشرقي. وعُرف برعايته للفنون. بنى معبد ادفو EDFU وعدّل التقويم المصري ليبدأ من بداية عهده.

٥١- جريدة الاهرام، ٢٨ أغسطس ١٩٩٣.

٥٢- غالينوس GALEN (١٢٩ - ١٩٩م):

طبيب يوناني. يُعتبر أحد أعظم الأطباء في العصور القديمة. أسس الفيسيولوجيا التجريبية. وضع عشرات من المؤلفات في علمي التشريح والفيسيولوجيا سيطرت على الفكر الطبيّ في أوروبا طوال القرون الوسطي وخلال عصر النهضة. وقد أقام الدليل، في آثاره هذه، على ما يتميّز به تفكيره من أصالة ونزوع الى الاختبار، ومن أجل ذلك عدّها بعض الباحثين المعاصرين أحد الأسس العريضة التي قام عليها الطبّ الحديث. يُعرف مذهبه في الطب بـ «الجالينوسية» Galenism[١/٥٢].

١/٥٢: الجالينوسية، مذهب جالينوس Galenism:

مذهب الطبيب اليوناني جالينوس Galen في الطب، وهو يقوم على أساس القول بأن الأخلاط

humors الأربعة (الدم والبلغم والصفراء والسوداء) هي التي تقرّر صحة الإنسان ومزاجه.

٥٣- أريستاركوس السّاموسي Aristarchus of Samos:

عالم فلك يوناني من أهل القرن الثالث قبل الميلاد. كان أول من قال بأن الأرض تدور حول الشمس وتدور حول نفسها أيضاً. لم يَبْقَ لنا من آثاره غير رسالة قصيرة حاول أن يقدّر فيها بُعد الشمس والقمر عن الأرض.

٥٤- كوبرنيكوس، نيقولاوس Copernicus Nicolaus (١٤٧٣ - ١٥٤٣):

عالم فلك بولندي. يُعتبر أحد علماء الفلك القلائل الذين تركوا أعظم الأثر في الحركتين العلمية والفلسفية طوال قرون متعددة. قال بأن الأرض وسائر الكواكب السيارة تدور حول الشمس وحول نفسها، وبذلك قلَبَ مُعطيات علم الفلك القديم التي كانت تقول بأن الأرض هي مركز الكون الثابت. وتُعرف نظريته هذ بـ «نظام كوبرنيكوس»، وقد شجبتها الكنيسة الكاثوليكية بوصفها مخالفة لنصوص «الكتاب المقدس».

٥٥- الزّرادَشتية Zoroastrianism:

ديانة فارسية قديمة أسّسها زَرادَشْت(١/٥٥). وهي تقول بوجود إلهين أحدهما، وهو أهورا مَزدا Ahura Mazda، يمثل الخير، والآخر وهو أهريمان AHRIMAN يمثل الشروبأن الصراع بين هذين الإلهين لا ينقطع. كما تقول بأنّ على أتباع أهورا مَزدا أن يلتزموا نظاماً أخلاقياً صارماً يمكنهم من أن يصبحوا طاهري الفكر والقول والعمل. انتشرت الزرادشتية في إيران وأصبحت ديانتها الرسميّةَ في عهد السّاسانيين. ولكن مَزدَك، الزعيم الدينيّ الفارسي المتوفّي عام ٥٢٨ للميلاد، سرعانَ ما قاد حركةً اشتراكية مناهضة لها Mazdakism و Mazdak حتى إذا بزغ فجر الإسلام اضمحلّت الزّرادشتية وتلاشت. وهي غير معروفة اليوم إلا في مواطن معزولة من إيران، وفي بعضَ الأنحاء الهندية حيث تُعرف بـ «البارسيّة» Parslism ويفوق عددُ أتباعها (حوالي مائة وعشرين ألفاً). عددَ الزّارادشتين في إيران (حوالي عشرين ألفاً ليس غير).

١/٥٥: زَرادَشْت (٦٢٨ - ٥٥١ ق. م):

مصلح ديني فارسي. نبيّ الزّرادَشتية ومؤسّسها. يُنسب إليه وضعُ واحد من أجزاء خمسة يتألف منها كتاب الزّرادَشتيين المقدّس. لسنا نعرف شيئاً يقينياً يُذكر عن حياته. ويقال إن إله الخير، أهورا مَزدا Ahura Mazda، أوحى إليه بأن يبشر بالحق. ويعتقد عدد من الدارسين أن الفكر اليوناني، والفكر اليهودي، والفكر المسيحيّ المبكّر، كلّها تأثّرت بزَرادَشْت الى حدّ قليل أو كثير.

٢/٥٥: المَزْدكية Mazdakism: دين ثَنَوي dualistic

منبثق من المانوية Manichaesim. مؤسُّه الزعيم الديني الفارسي مَزْدك Mazdak(*) قال بأن ثمة مبدأين أصليين هما الخير (أو النور) والشَر (أو الظلام)، وأن الخير يعمل بإرادة حرّة وبتصميم وأن الشر يعمل على نحو أعمى وكيفما اتفق، وأن هذين المبدأين امتزجا مصادفةً فكان الكون. وقد دعت المزدكية أيضاً الى المشاركة في الأموال والنساء، وانتشرت انتشاراً واسعاً في فارس في أواخر القرن الخامس للميلاد وبخاصة بعد أن اعتنقها ملك الفرس قُباذ الأول Kavadh I، ولكن الكهان

الزرادشتيين والنبلاء الفرس ما لبثوا أن ثاروا عليها، فما كان من قُباذ إلاّ أن ارتدّ عنها وأمر بقتل أتباعها. ومع ذلك فقد عُمّرت المزدكية سراً حتى القرن الثامن للميلاد، أي الى ما بعد الفتح الاسلامي.

(*) مَزْدَك Mazdak [maz'dak] (توفي عام ٥٢٨؟م):

زعيم ديني فارس. قادَ حَركةً اشتراكيّة مناهضة للزرادشتية Zoroastrianism السائدة في عهده، وأسّس المَزْدكية Mazdakism التي دعت الى المشاركة في الأموال والنساء. وُفّق الى إقناع ملك الفرس قُباذ الأول Kavadh I بالدخول في دينه ولكن الكهان الزّرادشتيين والنبلاء الفرس نقموا عليه (أي على مزدك) فقُتِل بعد ارتداد قُباذ عن المزدكيّة.

٥٦- الأكروبوليس Acropolis:

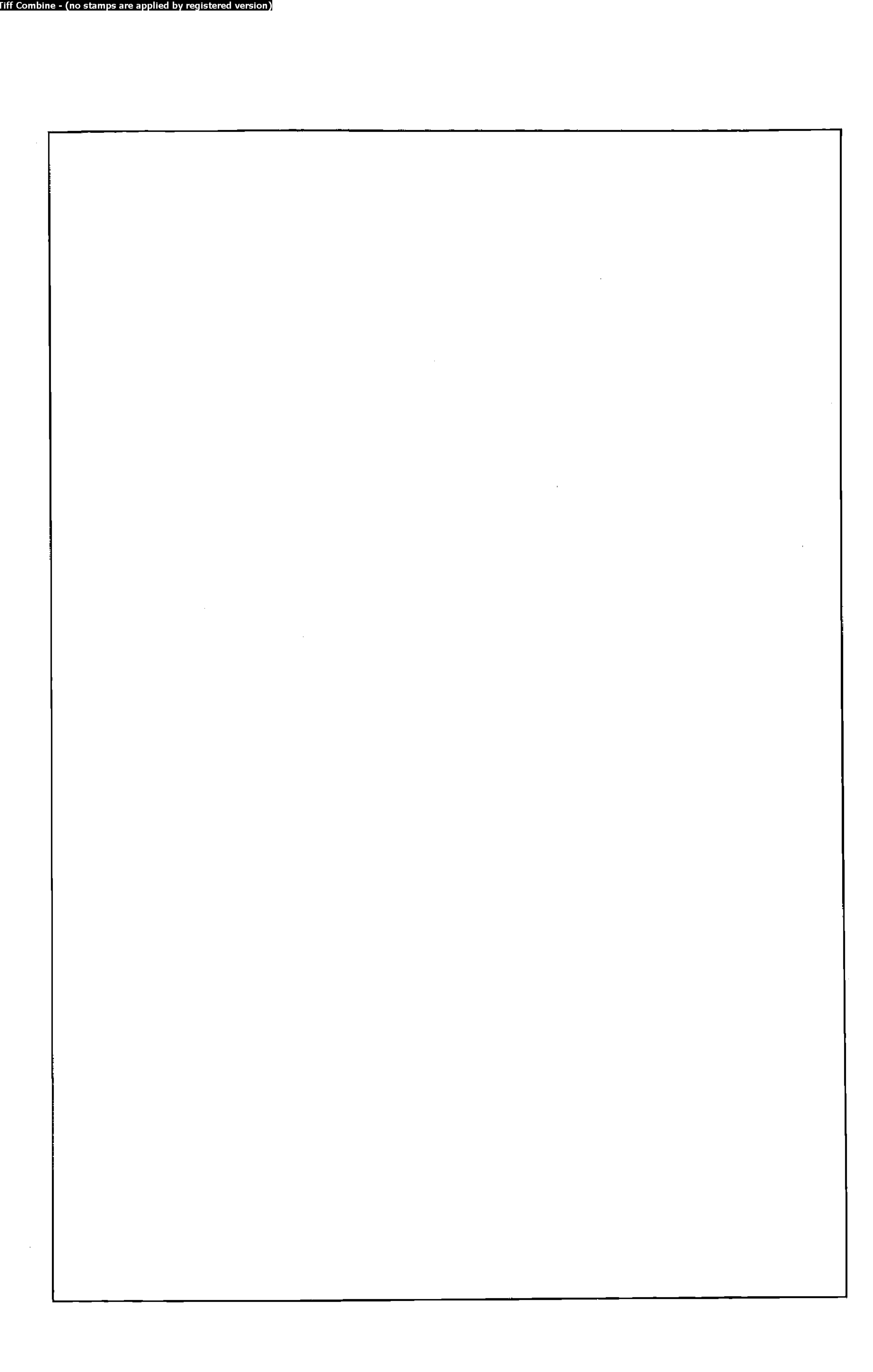
الاسم الذي كان الإغريق يطلقونه على الموضع المرتفع من مدنهم والمشتمل على أهم مبانيهم البلدية وهياكلهم الدينية. والأكروبوليس الأكثر شهرةً هو أكروبوليس أثينا، وهو يضمّ آثار الهياكل الضخمة التي بُنيت في عهد بيريكليس Pericles في القرن الخامس قبل الميلاد. وأهم هذه الهياكل هيكل الإلهة «أثينا» Athena المعروف بـ «البارثينون» Parthenon.

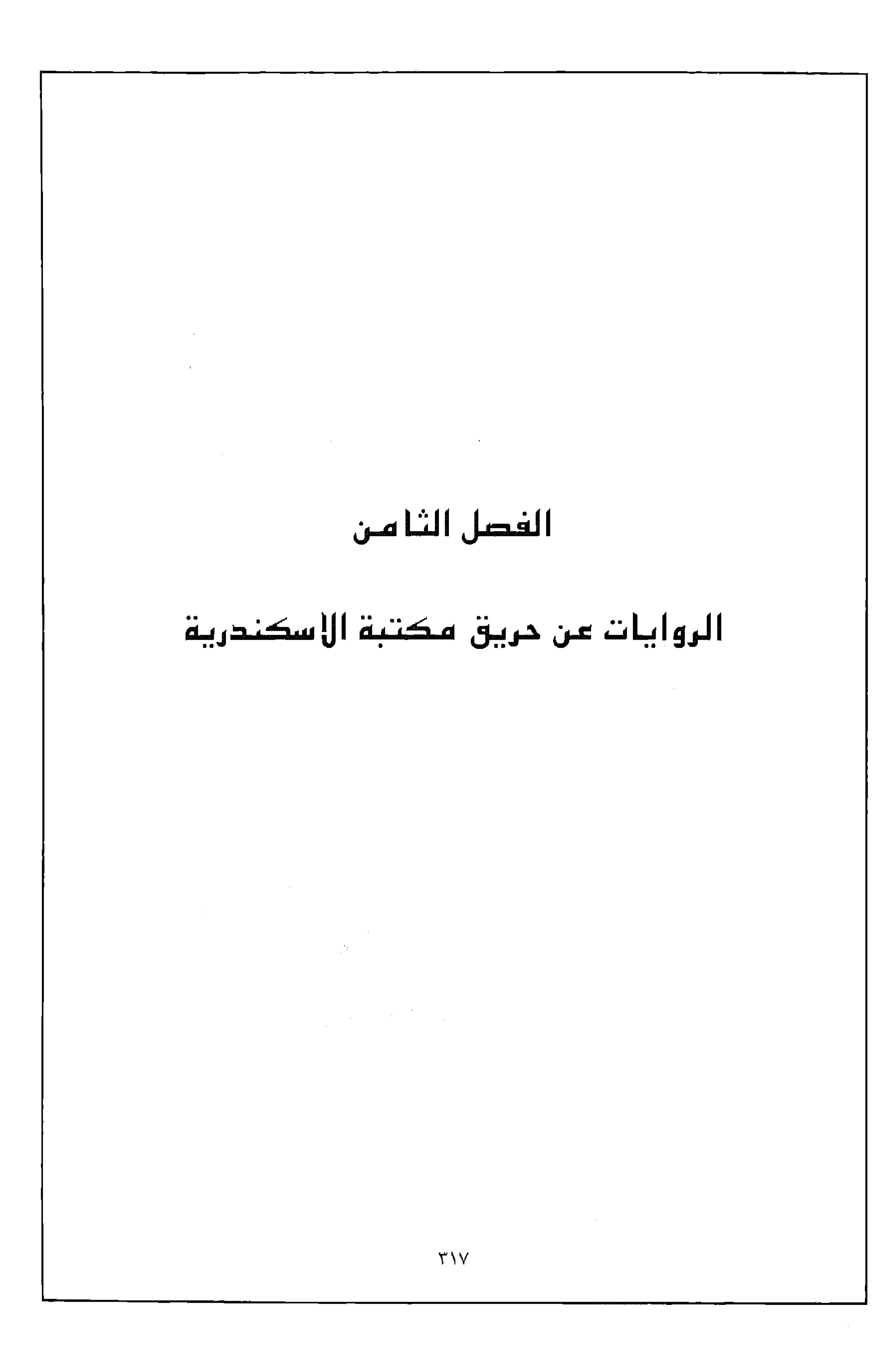
٥٧- (جيروم)، القديس Jerome, Saint (٣٤٧ - ٤٢٠م):

أحد أكبر لاهوتيي الكنيسة النصرانية في عهودها الأولى. هاجم رجال الدين فاضطُرّ الى الهجرة (عام ٣٨٥) من رومة الى فلسطين حيث أنشأ ديراً في بيت لحم (عام ٣٨٩). من أبرز أعماله ترجمتُهُ التوراة الى اللاتينية.

٥٨- جوفيان، فلافيوس كلوديوس جوفيانوس JOVIAN Latin name Flavius Claudius Jovianus (٣٣١ - ٣٦٤م):

أمبراطور روماني (٣٦٣ - ٣٦٤م). عقد مع الفرس صلحاً تخلّى لهم، بموجبه، عن جميع الأراضي الرومانية الواقعة شرقيّ نهر دجلة. حاربَ الوثنية، بوصفه مسيحياً، وحرّم ممارسةَ السحر.





الفصل الثامن

الروايات عن حريق مكتبة الإسكندرية

محتويات الفصل الثامن
الروايات عن حريق مكتبة الإسكندرية

١٠- الموسوعة العربية الميّسرة
١١- تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة)
١٢- الدكتور عبدالستار الحلوجي - لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات
هوامش كتاب المؤلف
١٣- دائرة المعارف الاسلامية
١٤- تاريخ المكتبات - الفريد هبسيل
١٥- دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدي
١٦- محمود الفلكي - د. سعيد رشيد
١٧- التاريخ الروماني - الدكتور عبداللطيف احمد علي
هوامش كتاب المؤلف
١٨- عمرو بن العاص - الدكتور نظمي لوقا
١٩- دائرة المعارف - المعلم بطرس البستاني
٢٠- أ- موسوعة «نيوكاكستون»
ب- موسوعة «بارنيل»
٢١- موسوعة «بريتانيكا»
٢٢ - مقال جريدة «الاهرام» ١٩٢٤
- المناقشة - الهوامش

الفصل الثامن
الروايات عن حريق مكتبة الإسكندرية القديمة

المدخل:

اشتدّت حدّة النقاش حول حريق مكتبة الاسكندرية القديمة ومصير الثروة الهائلة من الكتب فيها منذ القرن الثامن عشر، وتناول الكثير من المؤرخين والكتّاب، العرب والأجانب على السواء، حول هذه الكارثة، كيف حصلت، ومن المتسبّب لها، وماذا حدث للكتب التي اكتظت بها تلك المكتبة.

إن الذي لا خلاف فيه، هو أن المكتبة قد دُمّرت واندثرت قديماً، ولكن بقي التساؤل يدور حول كيفية هذا الاندثار، ومتى حدث؟

وفي معرض التقييم والبحث والتحليل، لم تخل بعض الكتابات من متناقضات، بل وأحيانا مغالطات. الى جانب ذلك تدفّقت أقلام أخرى لبسط الحقائق وتوضيح الوقائع بمختلف الأدلة والبراهين لتنزيه العرب من حرق مكتبة الاسكندرية القديمة أثناء الفتح الاسلامي لمصر على يد عمرو بن العاص.

وان ما سنتناوله من الكتابات في هذا الصدد، هو في سبيل المثال لا الحصر، نعرضه على علاّته بشكل موضوعي، لنخرج بذلك الى النتيجة التي تنزّه التاريخ من الزيف والتأويل الذي لا يستقيم حين ينأى عن استيعاب مجريات الأحداث قبل وأثناء وبعد الفتح الاسلامي.

وسنقوم بتقسيم هذا الفصل الى قسمين: الأول، عن كتابات أولئك الذين يدعون بأن العرب هم الذين تسبّبوا في حرق المكتبة، والثاني عن اولئك الذين تصدّوا لهذا الاتهام

(أ) المصادر التي اتّهمت العرب بحرق المكتبة:

أولاً – عبد اللطيف البغدادي[1] في كتابه «الافادة والاعتبار»:

«رأيت أيضاً حول عمود السواري من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور، ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف. وعمود السواري عليه قبة هو حاملها».

ثم يستطرد ويقول:

«وأرى أنه الرواق الذي كان يدرس فيه أرسطوطاليس وشيعته من بعده، وانه دار العلم التي بناها الاسكندر حين بنى مدينته، وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضي الله عنه».

ثانياً – ابن القفطي[2] في كتابه «مختصر تاريخ الحكماء»:

«كان هناك في ذلك الوقت رجل يقال له يحي النحوي، المصري الاسكندراني تلميذ شاواري، كان اسقفا في كنيسة الاسكندرية بمصر، ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية، ثم رجع عما يعتقد النصارى في التثليث، لما قرأ كتب الحكمة واستحال عنده جعل الواحد ثلاثة والثلاثة واحد. ولما تحققت الأساقفة بمصر رجوعه، عز عليهم ذلك فاجتمعوا اليه وناظروه فغلب وزيف طريقه، فعز عليهم جهله واستعطفوه وآنسوه وسألوه الرجوع عما هو عليه وترك اظهار ما تحققه وناظرهم عليه، فلم يرجع فأسقطوه عن المنزلة التي هو فيها بعد خطوب جرت. وعاش الى ان فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى له من النصارى، فأكرمه عمرو وعرف له موضعا، وسمع كلامه في التثليث فأعجبه، وسمع كلامه أيضا في انقضاء الدهر ففتن به وشاهد من حججه المنطقية وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله. وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر، فلازمه وكان لا يكاد يفارقه.

ثم قال له يحي يوما: انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية، وختمت على كل الاصناف الموجودة بها. فأما ما لك به انتفاع فلا أعارضك فيه، وما لا نفع لكم به فنحن أولى بها، فأمر بالافراج عنها.

فقال له عمرو: وما الذي تحتاج اليه؟

فقال: كتب الحكمة في الخزائن الملكية، وقد أوقعت الحوطة عليها، ونحن محتاجون اليها، ولا نفع لكم بها.

فقال له عمرو: ومن جمع هذه الكتب، وما قصتها؟

فقال له يحي: ان بطلوماؤوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية، لما ملك حبب اليه العلم والعلماء، وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها وأفرد لها خزائن فجمعت، وولى أمرها رجلا يعرف بزميرة، وتقدم اليه بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة في أثمانها وترغيب تجارها في نقلها. ففعل ذلك فاجتمع من ذلك في مدة أربعة وخمسون ألف كتاب ومائة وعشرون كتابا. ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها، قال لزميرة، أترى بقي في الأرض من كتب العلوم ما لم يكن عندنا؟ فقال له زميرة قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم. فعجب الملك من ذلك. وقال له دم على التحصيل. فلم يزل على ذلك الى أن مات الملك. وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم الى وقتنا هذا.

فاستكثر عمرو ما ذكر يحي وعجب منه، وقال «لا يمكنني أن آمر فيها بأمر الا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وكتب الى عمر وعرفه قول يحي الذي ذكرناه، واستأذنه ما الذي يصنع فيها. فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: وأما الكتب التي ذكرتها، فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها، فتقدم باعدامها.

فشرع عمرو بن العاص في تفرقتها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها وذكرت عدة الحمامات يؤمئذ وأنسيتها، فذكروا انها استنفدت في ستة أشهر. فاسمع واعجب».

وقد توالت الردود على هذه القصة، مما سنجدها عند عرض كتابات اولئك الذين تصدوا لها.

ثالثاً - أبو الفرج الملطي[٣] في كتابه «تاريخ مختصر الدول»: دار الرائد اللبناني - بيروت ١٩٨٣ ص ١٧٥ - ١٧٦

"وفي هذا الزمان اشتهر بين الاسلاميّين يحي المعروف عندنا بغرماطيقوس اي النحويّ. وكان اسكندرياً يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبية ويشيد عقيدة ساوري. ثم رجع عمّا يعتقده النصارى في التثليث. فاجتمع اليه الاساقفة بمصر وسألوهُ الرجوع عمّا هو عليه. فلم يرجع. فأسقطوهُ عن منزلته، وعاش الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية. ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمهُ عمرو وسمع من الفاظه الفلسفيّة التي لم تكن للعرب بها انسة ما هاله ففتن به. وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمهُ وكان لا يفارقهُ. ثم قال لهُ يحيى يوماً: انك قد احطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الاصناف الموجودة بها. فما لك به انتفاع فلا اعارضك فيهِ وما لا انتفاع لك بهِ فنحن أولى به. فقال لهُ عمرو: وما الذي تحتاج اليه. قال: كتب الحكمة التي في خزائِن الملوكيّة. فقال لهُ عمرو: ما لا يمكنني ان آمر فيها إلا بعد

استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطّاب. وكتب الى عمر وعرّفهُ قول يحيى. فورد عليه كتاب عمر يقول فيهِ: واما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنهُ غنّي، وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليهِ فتقدم باعدامها. فشرع عمرو ابن العاص في تفريقها على حمّامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها. فاستيقدت في مدة ستة أشهر. فاسمع ما جرى واعجب".

وقد تعرّض المستشرق أ. ج. بتلر A. J. BUTLER لهذه الرواية في كتابه «فتح العرب لمصر» فتصدى لها، كما سلنحظ موجز ذلك فيما بعد.

هوامش بحث مؤلف الكتاب:

١- عبداللطيف البغدادي (٥٥٨هـ ١١٦٢م / ٦٢٩هـ ١٢٣١م):

موفق الدين أبومحمد عبداللطيف بن يوسف ابن محمد بن علي بن أبي سعد المعروف بابن اللبار. طبيب ومؤرخ وأديب عراقي.

ولد وتوفي ببغداد. من أسرة موصلية الأصل. درس علوم اللغة والكلام والطب والفلسفة زار دمشق والقاهرة والقدس وحلب. شهد جفاف النيل وجفاف الأعوام ١٢٠٠ / ١٢٠٢م وأوبئتها حيث وصفها وصفاً واقعياً يصل أحيانا الى غاية البشع في «كتاب الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر» وزار بلاد الروم حيث برز في هذه الفترة بعلوم الطب.

وقد كتب البغدادي سيرة حياته بنفسه، وحفظها لنا صديق عائلته ابن ابي اصيبعة. وكان متأثراً في أول حياته بابن سينا وبمؤلفيه «النجاة» و «الشفاء»، ثم انصرف عنه الى القدامى، واسف لضياع وقته في دراسة ابن سينا، وانتقده شر انتقاد. قال: «وكلما أمعنت في كتب القدماء (يقصد الاغريق) ازددت فيها رغبة وفي كتب ابن سينا زهادة. فان أكثر النسا انما هلكوا بكتب ابن سينا».

وقد تأثر البغدادي كما قال بأرسطو، ومدح جابر بن حيان، وابن وحشية، ولكنه انتقص الطبيب اليوناني غالينوس GALEN ١٢٩ - ١٩٩م (مؤسس الفيسيولوجيا التجريبية) و «صحّح» بعض كتاباته وكتابات ابن سينا. وقال عن الأول: «فالحسّ (أي التجربة) أقوى دليلاً من السمع (أي الكتب). فان غالينوس وان كان في الدرجة العليا من التحري والتحفظ فيما يباشره، فان الحسّ أصدق منه».

وقد طبق البغدادي نظريات غالينوس التشريحية على موميات مصر وصحح بعض معطياته عن التشريح. وأثبت ان الفك الأسفل لا يتكون، كما قال غالينوس، من عظمتين وآنما من عظمة واحدة.

وقد عارض البغدادي «اخوان الصفا»(*) وانتقص من علوم الكيمياء عامة، وله في هذا الموضوع «كتاب المجادلة بين الحكيمين الكيميائي والنظري» و «رسالة المعادن وابطال الكيمياء».

وقال البغدادي عن كتابه «الافادة والاعتبار» انه مختصر كتاب أكبر كان قد كتبه عن مصر الى جانب كتابيه الآخرين عن «أخبار مصر الكبير» و «أخبار مصر الصغير» غير ان شيئا من هذه الكتب لم يصل الينا.

وقد اهدى البغدادي كتابه «الافادة والاعتبار» الى الملك العادل أيوب (١٢٠٦ - ١٢٤٩) من كبار ملوك الايوبيين في مصر «زوج شجرة الدّر» وقد استعان بالاتراك الخوارزميين فاستعاد القدس من الصليبيين).

٢- ابن القفطي (٥٦٨ أو ٦٥٣ / ٦٤٦هـ - ١٧٧٢ أو ١١٦٧ / ١٢٤٨م):

أبوالحسن جمال الدين علي بن يوسف ابن ابراهيم الشيباني. موسوعي ومؤرخ وأديب وفقيه مصري، ولد في قفط من نواحي قنا، مصر، وتنقل بين مصر والشام وبين القدس وحلب حيث توفي فيها. استضاف عنده ياقوت الحموي بعدما جردته جيوش هولاكو من كل ما يلمكه. وساعده وشجّعه على تصنيف معجمه الذي أهداه له ياقوت. جمع في مكتبته آلاف الكتب قدّرت عند وفاته بحوالي ٥٠٠ ألف دينار.

ويشتهر القفطي بموسوعته «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» وهي في سير الفلاسفة والعلماء حتى زمنه. وقد فقد مطوّل «الأخبار» ولم يبق منها الا المختصر الذي أعده له. الزوزني. وكذلك بموسوعته «أخبار المصنفين» و «الدّر الثمين في أخبار المتكلمين» و «أبناء الرواة على أبناء النحاة». وله في التاريخ «أخبار مصر من ابتدائها الى أيام صلاح الدين» وهو في ستة أجزاء و «تاريخ المغرب» و «تاريخ اليمن». وله تراجم أدبية عديدة وكتب في الفقه والتفسير. وله في الأدب «الاصلاح لما وقع من الخلل في كتاب الصحاح».

(*) اخوان الصفا:

جمعية اسلامية ذات طابع سياسي ديني. تألفت على نحو سرّي في البصرة في أواخر القرن العاشر للميلاد. اسمها الكامل: جمعية «اخوان الصفا وخلاّن الوفا». جمعوا بين الفكر الاسلامي والفكر اليوناني وبالأخص الفيثاغوري. هدفها تهذيب النفوس وترسيخ الايمان وتطهير الشريعة بعد ان تطرقت اليها الجهالات والضلالات وغسلها بالفلسفة «لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية. ومتى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال».

دوّنوا تعاليمهم في ٥٢ رسالة كتبت بأسلوب مسهب. ملخص عقيدتهم: ان العالم صادر عن الله وان الله علة كل فيض. وقد فاض عنه بالتسلسل: العقل ثم النفس ثم المادة الاولى ثم عالم الطبيعة ثم الاجسام ثم الأفلاك ثم العناصر. أما المعلومات عن تأثيرهم السياسي فلاتزال ناقصة ومبهمة.

من مؤسسيها زيد بن رفاعة (ولعله كان رأس الجماعة وموجّهها)، وأبوالحسن الزنجاني وأبو سليمان المقدسي وأبو احمد المهرجاني.

٣- أبوالفرج المَلَطي (ابن العبري) ٦٢٤ / ٦٥٨هـ - ١٢٢٦ / ١٢٨٦م:

ولفد في ملَطْية MALATYA (مدينة تركية قرب الفرات) في عائلة يهودية من أصل انطاكي، ولكن والده اعتنق المسيحية. وقد عين راهبا في انطاكيا، ثم أسقفاً لملطية ثم حلب، ثم بطريركا لعامة المشرق.

اسمه: غريغوريوس ابو الفرج بن اهرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري. فهو مترجم وفيلسوف ومؤرخ وطبيب ومطران سوري سرياني.

كان متمكنا من العلوم اليهودية والسريانية والعربية. وقد ألف في موضوعات شتى، وترجم الى السريانية «الاشارات والتنبيهات» وجزء من «قانون ابن سينا»، وكتابي الغافقي «الأدوية المفردة» والأبهري «زبدة الأسرار». كما ألف «التاريخ العام» في ثلاثة أجزاء: الأول منها في التاريخ السياسي، والثاني والثالث في تاريخ الكنيسة المسيحية. كذلك ألف «صعود العقل» و «مقالة في النفس البشرية» و «منارة الاقداس» و «تاريخ مختصر الدول».

رابعاً - ايجون لارسن - تاريخ التكنولوجيا «الكلمة المطبوعة»:

من المصادر الأخرى، نقتبس هنا صفحة مما كتبه العالم الألماني «ايجون لارسن» المولود في ميونيخ عام ١٩٠٤ والمهاجر الى بريطانيا عام ١٩٣٨، في كتابه «تاريخ التكنولوجيا» قامت بترجمته لجنة من الاختصاصيين، ونشرته دار القلم في بيروت ١٩٧٦، حيث تناول فيه مداخل تطوّر الانسان المتتابعة في المجال التكنولوجي، وما يربط هذا التطوّر بحياة الناس الاجتماعية وبالفلسفة، وآثاره في جوانب من التاريخ السياسي والعسكري للأمم.

والكتاب وان لم تكن له علاقة بالموضوع الذي نحن بصدده بشكل مباشر، الا أن ما تناوله في مقدمة بحثه عن موضوع «الكلمة المطبوعة» في تعّرضه لمكتبة الاسكندرية. (ص ٣٠٩)، قد أثار انتباهنا، فرأينا نقله كما يلي، والاكتفاء، في الوقت ذاته، بالردّ الذي أورده المترجم بصدده:

الكلمة المطبوعة

"تعرضت مكتبة الاسكندرية العظيمة للتخريب ثلاث مرات: كانت المرة الاولى عندما حاصر يوليوس قيصر المدينة في القرن الاول قبل الميلاد، وكانت المرة الثانية عندما بدد ثيوفليوس بطريق الاسكندرية مجموعة المخطوطات القيمة في عام ٣٩٠ بعد ميلاد المسيح، وكانت المرة الثالثة في أثناء الفتح الاسلامي في عام ٦٤٢ ميلادية(١).

وبلغ عدد المجلدات التي ضيعها حمق الانسان وتعصبه أربعمائة ألف مجلد كانت تضم كل ما كان العالم القديم يملك ناصيته من علم وأدب وفن شعبي، وكانت في أغلبها أسفاراً فريدة لا سبيل الى تعويضها لأنها كانت مكتوبة بأيدي الكتبة أو العبيد أو العلماء، ولم تكن هناك مكتبات أخرى تحتفظ بنسخ منها. ولهذا كان ضياع هذه المجموعة العظيمة من المخطوطات القديمة خسارة هائلة حرمتنا من ثروة ثقافية بالغة الأهمية".

(١) تعليق المترجم:

ظهرت خرافة حريق مكتبة الاسكندرية في أثناء الفتح الاسلامي لأول مرة في القرن الثالث عشر الميلادي أي بعد الفتح بسبعة قرون، فتحدث عبداللطيف البغدادي عن توزيع كتب المكتبة على حمامات الاسكندرية لتسخن بنارها مياه الاستحمام! ويلفت النظر أن المؤرخ (أورازيوس) زار الاسكندرية في القرن الخامس الميلادي ووجد مكتبة الاسكندرية خاوية تماماً. ويلفت النظر أيضاً ان المؤرخين الأول القريبين من وقائع الفتح العربي، أمثال حنا النقيومي وسعيد بن بطريق وابن عبدالحكم والبلاذري واليعوقبي، لم يذكروا شيئاً عن مثل هذا الحريق. فلا شك عندنا في ان حرق مكتبة الاسكندرية افتراء كله.

(المترجم)

خامسا – جرجي زيدان: في كتابه «تاريخ التمدن الاسلامي»

المجلد الثاني، الجزء الثالث – منشورات مكتبة الحياة / بيروت ص ٤٥ الى ٥٢:

- احراق مكتبة الإسكندرية وغيرها -

"أنشأ البطالسة في القرن الثالث قبل الميلاد مكتبة في الاسكندرية جمعوا اليها كتب العلم من اقطار العالم المتمدن في ذلك الحين، وسيأتي خبرها. وتولى على هذه المكتبة احوال كثيرة في ايام الرومان الى الفتح الاسلامي، وقد ضاعت بين احراق ونهب. والمورخون من العرب وغيرهم مختلفون في كيفية ضياعها، فمنهم من ينسب احراقها الى عمرو بن العاص بأمر عمر ابن الخطاب، ويستدلون على ذلك ببعض النصوص العربية، وأشهرها أقوال أبي الفرج الملطي وعبداللطيف البغدادي والمقريزي وحاجي خليفة. ومنهم من يجل العرب عن ذلك ويطعن في تلك الروايات ويضعفها. وقد كنا ممن جارى هذا الفريق في كتابنا «تاريخ مصر الحديث» منذ بضع عشرة سنة، ثم عرض لنا بمطالعاتنا المتواصلة في تاريخ الاسلامي والتمدن الاسلامي ترجيح الرأي الأول، لأسباب نحن باسطوها فيما يلي اجلاء للحقيقة فنقول:

أولاً: قد رأيت فيما تقدم رغبة العرب في صدر الاسلام في محو كل كتاب غير القرآن، بالاسناد الى الاحاديث النبوية وتصريح مقدمي الصحابة.

ثانياً: جاء في تاريخ مختصر الدول لأبي الفرج الملطي عند كلامه عن فتح مصر على يد عمرو بن العاص ما نصه: «وعاش (يحيى الغراماطيقي) الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو، وسمع من الفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسه ما هاله، ففتن به. وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر، فلازمه وكان لا يفارقه. ثم قال له يحيى يوماً: «انك قد احطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الأصناف الموجودة بها، فما لك به انتفاع فلا نعارضك به، وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به» فقال له عمرو: «ما الذي تحتاج اليه؟». قال: «كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكية». فقال عمرو: «هذا ما لا يمكنني أن آمر فيه الا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب». فكتب الى عمر وعرفه قول يحيى، فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: «.. واما الكتب التي ذكرتها، فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غني، وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليه، فتقدم باعدامها». فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها، فاستنفدت في مدة ستة أشهر، فاسمع ما جرى واعجب»[1].

وليس في نص هذه العبارة التباس، ولكن الذين يجلون العرب عن احراق هذه المكتبة يطعنون هذه الرواية وينسبون قائلها الى التعصب الديني، وفي جملتهم جماعة كبيرة من مؤرخي الافرنج،

وقد الفوا الرسائل والكتب في تجريحها. وخلاصة اقوالهم: ان أبا الفرج المذكور هو أول من نسب حريق مكتبة الاسكندرية الى عمرو بن العاص، وانه إنما فعل ذلك تعصباً للنصرانية وتحقيراً للاسلام، وانه من اهل القرن السابع للهجرة، وكان ابوه يهودياً وتنصر، وشب ابو الفرج على النصرانية وارتقى في رتب الاكليروس الى الاسقفية، ثم ألف تاريخاً في السريانية واستخرجه من كتب يونانية وفارسية وعربية وسريانية، واستخلص من هذاالتاريخ كتاباً في العربية سماه مختصر الدول – قالوا: «وهو اول كتاب ذكرت فيه هذه القصة، وتناقلها عنه الافرنج الى هذه الغاية». وإن ما جاء في هذا الشأن من اقوال عبداللطيف البغدادي والمقريزي وحاجي خليفة من مؤرخي المسلمين لا تعتبر مصادر مستقلة، لأن المقريزي نقل عن عبداللطيف حرفياً، وحاجي خليفة لم يذكر مدينة الاسكندرية وإنما اشار الى ان العرب في صدر الاسلام لم يعتنوا بشيء من العلوم الا بلغتهم وشريعتهم، حتى قال: ويروى انهم حرقوا ما وجدوه من الكتب في فتوحات البلاد». وان عبداللطيف البغدادي ذكر حريق المكتبة في عرض كلامه عن عمود السواري بغير تحقيق. ويزعم اصحاب هذا الرأي ان مكتبة الاسكندرية احرقها الرومان قبل الاسلام، وانها لو احرقها العرب لذكرها مؤرخو المسلمين وخصوصاً كتاب الفتوح والمغازي. اهـ.

لا ننكر ان بعض هذه المكتبة احترق قبل الاسلام، ولكن ذلك لا يمنع احتراق باقيها في الاسلام. اما النصوص التي وردت في هذا الشأن فليس ابوالفرج اول من رواها كما توهم بعضهم. فان عبداللطيف البغدادي طاف مصر وكتب عن مشاهدها وآثارها، وذكر احراق العرب لهذه المكتبة قبل ان يولد ابوالفرج ببضع وعشرين سنة، لأن ابا الفرج ولد سنة ١٢٢٦م (٦٢٢هـ) وعبداللطيف زار مصر في اواخر القرن السادس للهجرة، وهاك نص عبارته:

«ورأيت أيضا حول عمود السواري من هذه الأعمدة بقايا صالحة، بعضها صحيح وبعضها مكسور، ويظهر من حالها انها كانت مسقوفة، والأعمدة تحمل السقف وعمود السواري عليه قبة هو حاملها. وارى انه الرواق الذي كان يدرس فيه ارسطوطاليس وشيعته من بعده، وانه دار المعلم التي بناها الاسكندر حين بني مدينته، وفيها كانت خزانة الكتب التي احرقها عمرو بن العاص بإذن عمر رضي الله عنه»[٢].

نعم ان عبارة البغدادي مختصرة، وقد جاءت عرضاً، ولكنها تدل على وثوق قائلها بصحتها، كأنه أخذها عن مصدر موثوق به ومعول عليه في ذلك العصر، كالذي أخذ عنه ابو الفرج.

اما ابوالفرج فقد اتم كتابه «مختصر الدول» في العربية في اواخر حياته (توفي سنة ٦٨٤هـ). وهو ليس مختصر تاريخه السرياني إلا من حيث اخبار الفتح لأنه يزيد على النسخة السريانية بأخبار كثيرة، عن الاسلام والمغول وتاريخ علوم الروم والعرب وآدابهم. واما السرياني فهو عبارة عن اخبار الفتح فقط، فاغفال ذكر احراق المكتبة فيه لا يدل على انه دخيل في النسخة العربية، أو دسه فيها بعض المتأخرين كما توهم بعضهم، وانما ذكر في النسخة العربية لأنه يتعلق بآداب الروم والعرب التي ادخلها المؤلف في هذه النسخة كما تقدم.

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تبينّ لنا بالبحث والتنقيب ان أبا الفرج المذكور نقل تلك الرواية عن مؤرخ مسلم توفي قبله بنحو اربعين سنة، وهو جمال الدين ابوالحسن علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي، وزير حلب المعروف بالقاضي الأكرم، ولد في قفط من صعيد مصر سنة ٥٦٥ وتوفي في حلب سنة ٦٤٦هـ. وللقاضي المذكور كتاب في تراجم الحكماء، عثرنا على نسخة منه خطية في دار الكتب المصرية مكتوبة سنة ١١٩٧هـ، وقرأنا فيها في أثناء ترجمة يحيى النحوي كلاماً في معنى كلام ابي الفرج واكثر تفصيلاً منه، وفيه شيء عن تاريخ هذه المكتبة منذ انشائها – واليك نصّ قوله:

«وعاش (يحيى النحوي) الى ان فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى له مع النصارى، فاكرمه عمرو ورأى له موضعاً، وسمع كلامه في ابطال التثليث فاعجبه، وسمع كلامه ايضاً في انقضاء الدهر ففتن به، وشاهد من حججه المنطقية وسمع من الفاظه الفلسفية التي لم يكن للعرب بها انسه ما هاله. وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر، فلازمه وكاد لا يفارقه. ثم قال له يحيى يوماً: «انك قد احطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الأجناس الموصوفة الموجودة بها، فاما مالك به انتفاع فلا أعارضك فيه، وأما ما لا نفع لكم به فنحن أولى به. فأمر بالفراج عنه» فقال له عمرو: «وما الذي تحتاج اليه؟». قال: «كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكية، وقد اوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون اليها ولا نفع لكم بها». فقال له: «ومن جمع هذه الكتب وما قصتها؟».

فقاله له يحيى: «ان بطولوماس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك حبب اليه العلم والعلماء، وفحص عن كتب العمل وأمر بجمعها وأفرد لها الخزائن، فجمعت وولى أمرها رجلاً يعرف بابن مرة (زميرة) وتقدم اليه بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة في اثمانها وترغيب تجارها ففعل، واجتمع من ذلك في مدة خمسون الف كتاب ومائة وعشرون كتاباً. ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة: اترى بقي في الارض من كتب العلم ما لم يكن عندنا؟ فقال له زميرة: قد بقي في الدنيا شيء في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم.. فعجب الملك من ذلك وقال له: دم على التحصيل. فلم يزل على ذلك الى ان مات. وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك واتباعهم الى وقتنا هذا».

فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى وعجب منه وقال له: لا يمكنني ان آمر بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» وكتب الى عمر وعرفه بقول يحيى الذي ذكر واستأذنه ما الذي يصنعه فيها، فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: «واما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليه، فتقدم باعدامها». فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها، وذكرت عدة الحمامات يؤمئذ وانسيتها، فذكروا انها استنفدت في مدة ستة أشهر، فاسمع ما جرى واعجب»[٣] انتهى كلام بن القفطي.

وبمقابلة هذه الفقرة بكلام ابي الفرج يتضح لك ان ابا الفرج نقل قول ابن القفطي مختصراً. ولو قرأت الكتابين لعلمت ان ابا الفرج نقل كثيراً من زياداته العلمية في كتابه العربي عن كتاب ابن القفطي، ككلامه عن ثيادوق طبيب الحجاج(٤) فان العبارة منقولة عن تراجم الحكماء حرفياً.

بقي علينا البحث في المصدر الذي نقل عنه ابن القفطي، والغالب انه نفس المصدر الذي نقل عنه عبداللطيف البغدادي، لأنهما كانا متعاصرين وعبداللطيف سابقه، لأنه ولد سنة ٥٥٧ وتوفي سنة ٦٢٩هـ. ولكن لسوء الحظ قد ضاعت تلك المصادر في جملة ما ضاع من مؤلفات العرب. على أننا اذا تدبرنا ما ذكره ابن النديم في كتاب الفهرست عن اخبار الفلاسفة الطبيعيين من حكاية انشاء مكتبة الاسكندرية، يتضح لنا ان في جملة المصادر التي نقلت عنها تلك الرواية تاريخاً لرجل اسمه اسحاق الراهب، كان يبحث في اخبار اليونان والرومان وآدابهما.

ومن جملة ما نقلوه عنه خبر انشاء مكتبة الاسكندرية على يد زميرة، وهاك نصه:

«ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك فحص عن كتب العلم وولى أمرها رجلاً يعرف بزميرة، فجمع من ذلك على ما حكي اربعة وخمسين الف كتاب ومائة عشرين كتاباً، وقال له: أيها الملك قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم»(٥) وهي نفس عبارة ابن القفطي، فالظاهر انه اخذ انشاء المكتبة عن اسحق المذكور، وأخذ حريقها عن سواه. ولولا ما نقله ابن النديم عن اسحق الراهب من امر الفلاسفة لما علمنا بوجوده، وظنناه لم يقل شيئاً كما ظننا المسلمين لم يذكروا شيئاً عن حريق مكتبة الاسكندرية على يد عمرو.

فيؤخذ مما تقدم ان حكاية احراق مكتبة الاسكندرية لم يختلقها ابو الفرج لتعصب ديني، ولا دسها احد بعده، بل هو نقلها عن ابن القفطي وهو قاض من قضاة المسلمين، عالم بالفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة والنحو والاصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل، وكان صدراً محتشماً جمع من الكتب ما لا يوصف، وكانوا يحملونها اليه من الآفاق، وكانت مكتبته تساوي خمسين الف دينار، ولم يكن يحب من الدنيا سواها، وله حكايات غريبة عن غرامه بالكتب، ولم يخلف ولداً فأوصى بمكتبته لناصر الدولة صاحب حلب. وله مؤلفات عديدة في التاريخ والنحو اللغة، وفي جملتها «كتاب اخبار مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين» في ستة مجلدا(٦) وكانت «تراجم الحكماء» الذي نحن بصدده. وان ابن القفطي وعبداللطيف البغدادي أخذا عن مصدر ضائع.

وأما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلابد له من سبب، والغالب انهم ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامي واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب، فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين فحذفوه، أو لعل لذلك سبباً آخر. وعلى أي حال فقد ترجح عندنا صدق رواية ابي الفرج.

ثالثاً: ورد في اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق مكتبات فارس وغيرها على الاجمال، وقد لخصها صاحب كشف الظنون في عرض كلامه عن علوم الاقدمين بقوله: «ان المسلمين لما فتحوا بلاد فارس وأصابوا من كتبهم كتب سعد بن ابي وقاص والى عمر ابن الخطاب يستأذنه في شأنها وتنقيلها للمسلمين، فكتب اليه عمر (رضه) ان «اطرحوها في الماء، فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله تعالى بأهدى منه، وان يكن ضلالا فقد كفانا الله تعالى» فطرحوها في الماء أو في النار، فذهبت علوم الفرس فيها»[٧].

وجاء في اثناء كلامه عن اهل الاسلام وعلومهم: «أنهم احرقوا ما وجدوا من الكتب في فتوحات البلاد»[٨] ولابد من أصل نقل صاحب كشف الظنون عنه، وقد أشار ابن خلدون الى ذلك بقوله: «فأين علوم الفرس التي أمر عمر (رضه) بمحوها عند الفتح؟»[٩].

رابعاً: ان احراق الكتب كان شائعاً في تلك العصور تشفياً من عدو أو نكاية فيه، فكان أهل كل شيعة أو ملة يحرقون كتب غيرها، كما فعل عبدالله بن طاهر بكتب فارسية كانت لاتزال باقية الى ايامه (سنة ٢١٣هـ) من مؤلفات المجوس، وقد عرضت عليه فلما تبين حقيقتها أمر بالقائها في الماء، وبعث الى الاطراف ان من وجد شيئاً من كتب المجوس فليعدمه[١٠].

ولما فتح هولاكو التتري بغداد سنة ٦٥٦هـ أمر بالقاء كتب العلم التي كانت في خزائنها بدجلة، وكانت شيئاً لا يعبر عنه، مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لأول الفتح بكتب الفرس وعلومهم[١١] وقال آخرون انه بنى بتلك الكتب اسطبلات الخيول وطوالات المعالف عوضاً عن اللبن[١٢] والارجح انه اغرقها انتقاماً من أهل السنة.

ولما فتح الافرنج طرابلس الشام في اثناء الحروب الصليبية احرقوا مكتبتها بأمر الكونت برترام سنت جيل، وكان قد دخل غرفة فيها نسخ كثيرة من القرآن، فأمر باحراق المكتبة كلها وفيها على زعمهم ثلاثة ملايين مجلد[١٣] وفعل الاسبان نحو ذلك بمكتبات الاندلس لما استخرجوها من ايدي المسلمين في اواخر القرن الخامس عشر.

خامساً: ان اصحاب الاديان في تلك العصور كانوا يعدون هدم المعابد القديمة واحراق كتب اصحابها من قبيل السعي في تأييد الاديان الجديدة. فأباطرة الروم حالما تنصروا امروا بهدم هياكل الاوثان في مصر واحراقها بما فيها من الكتب وغيرها. وكان خلفاء المسلمين اذا ارادوا اضطهاد المعتزلة واهل الفلسفة احرقوا كتبهم. والمعتزلة كثيرا ما كانو يتجنبون ذلك تحت خطر القتل فيستترون ويجتمعون سراً والخلفاء يتعقبون آثارهم ويحرقون كتبهم. ومن اشهر الحوادث من هذا القبيل ما فعله السلطان محمود الغزنوي لما فتح الري وغيرها سنة ٤٢٠ هـ، فانه قتل الباطنية ونفى المعتزلة واحرق كتب الفلاسفة والاعتزال والنجامة[١٤].

سادساً: في تاريخ الاسلام جماعة من أئمة المسلمين احرقوا كتبهم من تلقاء انفسهم، منهم احمد بن ابي الحواري، فانه لما فرغ من التعلم جلس للناس فخطر بقلبه يوماً خاطر من قبل الحق فحمل كتبه الى شط الفرات فجلس يبكي ساعة ثم قال :« نعم الدليل كنت لي على ربي، فلما ظفرت بالمدلول فالاشتغال بالدليل محال» فغسل كتبه. وذكروا عن سفيان الثوري انه اوصى بدفن كتبه، وان ابا عمرو بن العلاء كانت كتبه ملء بيت الى السقف ثم تنسك واحرقها(١٥).

فيرجح مما تقدم ان العرب احرقوا ماعثروا عليه من كتب العلم القديمة في الصدر الاول تأييدا للاسلام، فلما تأيد سلطانهم واشتغلوا بالعلوم عوضوا على العالم اضعاف ما احرقوه، كما سترى.

هوامش كتاب المؤلف

١- كتاب مختصر الدول صحفة ١٨٠ من طبعة بوك (في اوكسفورد) سنة ١٦٦٣م. واما النسخة المطبوعة في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت فقد حذفت منها هذه الجملة كلها لسبب لانعلمه.

٢- الافادة والاعتبار ٢٨.

٣- تراجم الحكماء (خط) ٤- مختصر الدول طبعة بيروت ١٩٤.

٥- الفهرست ٢٣٩.

٦- فوات الوفيات ٩٦ جـ٢. ٧- كشف الظنون ٤٤٦جـ ١.

٨- كشف الظنون ٢٥جـ ١. ٩- ابن خلدون ٣٢ جـ ١.

١٠- BROWNE'S LIT. HIST OF PERSIA, 347

١١- ابن خلدون ٥٣٧ جـ ٣ و ٥٤٣ جـ ٥.

١٢- ابن الساعي ١٢٧.

١٣- Gibbon's Roman Empire II, 505 وابن خلكان ٢٨ج٦ ـــچ جـ ٢.

١٥- كشف الظنون ٤٠جـ ١ والبيان والتبيين ١٢٣ جـ ١.

١/١٥ (اضافة من المؤلف):

هو زبان بن عمار التميمي المازني البصري، ابو عمرو، ويلقب ابوه بالعلاء. من ائمة اللغة والادب، واحد القراء السبعة تتلمذ له الاصمعي وغيره. ولد بمكة ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة، روى عدة دواوين بقي منها «شرح ديوان الخرنق»

قال الفرزدق:

مازلت اغلق ابواباً وافتحها حتى أتيت أبا عمرو ابن عمار.

قال ابو عبيدة: كان اعلم الناس بالادب والعربية والقرآن والشعر، كانت عامة اخباره عن اعراب ادركوا الجاهلية. له اخبار وكلمات مأثورة وللصولي (محمد بن يحيى عبدالله، ابو بكر الصولي المعروف بالشطرنجي..../ ٣٣٥ هـ = ٠٠٠/٩٤٦م كتاب «اخبار ابي عمر وابن العلاء».

ويقال انه احرق كتبه وتنسك قبل موته.

(ب): المصادر التي أدحضت مسؤولية العرب في هذا الحريق:

١- الدكتور عبد الرحمن بدوي - في كتابه «التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية».

«لما عصفت يد البلى «بمتحف» الاسكندرية، والمظنون ان ذلك كان في القرن الثالث الميلادي، وجدت ايضاً مدارس لها مكتباتها، سمعنا عن احداها وهي المعروفة بالقيصرية، تلك التي نهبت ٣٦٦ حين احيل هذا المعبد الى كنيسة، ومثل هذا احدث لمكتبة السيرابيوم، فقد قضى عليها سنة ٣٩١ في ايام ثيوذوسيوس الاول[1] وحينئذ ارتحل معلمو الفلسفة عن المدينة لمدة من الزمان، ولم يعد يشعر الناس بوجود مكتبة في العاصمة المصرية (الاسكندرية)، وفي هذا يقول برتشيا الذي ربما يعد اليوم اعلم الناس بتاريخها القديم، «من الصعب، بل قد يكون من عدم الممكن، ان نفترض وجود مكتبة كبيرة عامة حقاً في الاسكندرية بعد نهاية القرن الرابع الميلادي[2]. واضيف الى هذا ان من الصعب ايضا ان نفترض وجود مدرسة فلسفية عامة في ذلك العصر، لان التعصب الديني منذ ذلك الحين قد اشتدت وطأته، فجعل الحياة صعبة بالنسبة الى المعلمين والطلاب الوثنيين».

هوامش كتاب المؤلف.

(١) راجع كرافتون ميلن: تاريخ مصر تحت حكم الرومان، الطبعة الثالثة بلندن سنة ١٩٢٤ ص٩٥ J. Crafton Milne, A History of Egypt Under Roman Rule, third edition London, 1924, P. 95. وراجع ايضاً كتاب بتلر عن «فتح العرب لمصر» خصوصاً من ص ٤٠١ الى ص ٤٢٦ المطبوع بأكسفورد سنة ١٩٠٣ وفي هذا الكتاب ذكر لمراجع عديدة. A. J. Butler, The Arab Conquest of Egypt and the last thirty years of Roman Dominion, Oxford, 1902.

(٢) Ev. Breccia.Alexandrea ad Aygyptum. Alexandrie 1'22 p. 49 ff.

وقد جمع جريفيني وفرلاني وثائق كثيرة حول مسألة حريق مكتبة الاسكندرية: الاول في مقال كتب باللغة العربية (في جريدة الاهرام عدد رقم ١٤٢٦٠ بالقاهرة في ٢١ يناير سنة ١٩٢٤) ولخصه الثاني من بعد وأكمله بوثائق اخرى في مجلة «ايجبتس» ١٩٢٤ من ص ٢٠٥ الى ص ٢١٢ (بالايطالية) وعنوانه Sull, incendie della bibilteca di Alessandria ثم في مقال آخر نشر بمجلة الجمعية الأثرية بالاسكندرية» مجلد رقم ٢١ (سنة ١٩١٥) من ص ٥٦ الى ص ٧٧ وعنوانه «يوحنا النحوي وحريق مكتبة الاسكندرية» Giovanni il Filopono e l'incendio della biblioteca di Alessandria Bulletin di la Soc. Atcheol. d'Alexandrie, No. 21 (1925) 77.

٢- الدكتور أحمد شلبي في كتابه «موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية»

«المجلد الخامس» ط ١٩٨٣/٦ - مكتبة النهضة المصرية ص ٣٨ - ٤٢:

«مكتبة الإسكندرية و موضوع حرقها»

"لعل من الأوفق أن نبدأ استعراض هذه الأحداث بالكلام عن مكتبة الاسكندرية، فإن التاريخ الذي يذكره أولئك الذين ينسبون حرقها للعرب تاريخ يرجع الى عهد مبكر والى مطلع حياة العرب بمصر، ومن هنا لزم أن نبدأ بالحديث عن هذا الاتهام ومداه."

والاسكندرية - كما هو معروف - كانت عاصمة مصر قبل الفتح الاسلامي، وكانت مركزاً مهما من مراكز الثقافة في العالم، وقد استدعى ذلك أن وجدت بها مكتبة عظيمة حوت مجموعة كبيرة من الكتب في مختلف العلوم والفنون، وهناك قصة تقول إن عمرو بن العاص أحرق هذه المكتبة بإشارة من الخليفة عمر بن الخطاب، وهذه القصة ينكرها البحث العلمي، فمن الثابت أن يوليوس قيصر هو الذي أحرق مكتبة البطالسة العظمى حين غزا البلاد المصرية سنة ٤٨ ق. م، أما المكتبة الصغرى التي نشأت من بعد فقد أتلفت بأمر الامبراطور تيودورز حوالي سنة ٣٨٩م، واندثرت مكتبات الاسكندرية بعد ذلك، فلم يكن في الاسكندرية حين الفتح مكتبة ذات شأن[١]. زد على ذلك أن أحداً من الكتاب المعاصرين للفتح لم يتهم الخليفة أو عامله باحراق هذه المكتبة، ولم يذكرها ثقات المؤرخين السابقين أمثال اليعقوبي والبلاذري وابن عبدالحكم والطبري والكندي، ومن أخذ عنهم كابن الأثير وابن تغري بردي والسيوطي مع أن ما كتبه هؤلاء عن تاريخ مصر يعد من أوثق المصادر وأدقها.

وأول من تحدث عن حادثة إحراق عمرو للمكتبة هو عبداللطيف البغدادي المتوفي سنة ٦٢٦هـ ولم يذكر لكلامه مرجعا، وكان حديثه عابراً، فقد كان يصف عمود السواري والمساحة المحيطة به، ثم قال عن هذه المساحة إنه كان بها الرواق الذي جلس به أرسطو وشيعته للتعليم، وبه دار العلم التي بناها الاسكندر، وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بأمر من عمر رضي الله عنه[٢]، وقد التقط هذا الخبر منه مؤرخ مسيحي هو أبوالفرج بن العبري فنمّاه وأذاعه[٣] وجعله أسطورة منمقة مفصلة دون أن يكون له أساس. وقد عرف عن العرب حرصهم على كتب العلوم والفنون، فهم الذين أخرجوا كتب اليونان من مخابئها، وكانت هذه الكتب عند المسيحيين هرطقة وضلالا[٤].

ويمكن أن نزيد اتجاهنا تأكيداً بمسألة مهمة، فقد ذكرت الروايات التي تنسب للعرب حرق المكتبة «أن يوحنا النحوي قابل عمرو بن العاص بشأن هذه المكتبة» ولكن يوحنا هذا مات قبل

استيلاء العرب على الاسكندرية بثلاثين أو أربعين عاما، وهذا ينقض الرواية من أساسها[٥].

ويسخر الباحثون المسلمون من رواية ابن العبري وبخاصة أن بها عناصر القضاء عليها، فهو يقول «فشرع عمرو في تفريقها على حمامات الاسكندرية وإحراقها في مواقدها فاستنفدت في مدة ستة أشهر، فاسمع ما جرى واعجب» ويرى هؤلاء الباحثون أن الخليفة لو طلب من عمرو إحراق هذه الكتب لما كان له أن يفرقها على الأفران لأن أصحاب الأفران كانوا يستطيعون بيعها أو الاحتفاظ بها، ثم إنها كانت مكتوبة على «الكاغد» وهي مادة لا تصلح للاحتراق، وكيف يتصور ان تبقى ستة أشهر مع ان حمامات الاسكندرية كانت حوالي أربعة آلاف[٦].

وقد اتجه جورجي زيدان هذا الاتجاه في كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية» ولكنه في كتابه «تاريخ التمدن الإسلامي» عدل عن هذا الرأي ومال الى اتهام المسلمين بحرق هذه المكتبة لأسباب ينقصها العمق، أهمها أن المسلمين كانوا يرون القرآن الكريم صفوة العلوم والمعارف، ولم يجدوا حاجة لسواه[٧]، وهو استنتاج ناقص.

أما المؤرخون الأجانب فقد ناقشوا هذا الاتهام وانتهوا الى رفضه، وأن عبداللطيف البغدادي ذكر ذلك عرضاً عند كلامه عن عمود السواري، ولعله سمع كلاماً كهذا من العوام أو من الحانقين على العرب، ومن هؤلاء المؤرخين جبون وبتلر وسديو، وفي ذلك يقول سديو إنه لم يقع في الاسكندرية انتهاب قط، ويتعذر علينا أن نعتقد صدور أمر بدم بارد بمثل هذا العمل الهمجي، ولاتجد مؤرخاً معاصراً لفتح الاسكندرية يروي هذا الخبر، ويقرر التاريخ أن مكتبة الاسكندرية دمرت في عهد يوليوس قيصر وفي عهد تيودورز[٨].

ومما يؤكد هذا الاتجاه قول أورازيوس إنه وجد رفوف المكتبة خالية من الكتب عند زيارته مدينة الاسكندرية في أوائل القرن الخامس الميلادي[٩].

وعلى هذا فاتهام المسلمين بحرق المكتبة اتهام ظالم لا يقوم على أي أساس سليم.

وقد نقل الباحث العلامة الأستاذ محمد كرد علي بعض أقوال المستشرقين التي تنفي عن المسلمين هذه التهمة نفياً قاطعا، ونقتبس منه بعض العبارات[١٠].

– إن أفتيكوس بطريرك الاسكندرية، مع توسعه في الكلام على استيلاء المسلمين على ثغر مصر لم يذكر كلمة واحدة عن حريق عمرو بن العاص لهذه الخزانة.

– ذكر إرفنج وكريستون وفلين وغيرهم أن ما أشيع حول حرق الخزانة، ونسبة ذلك للمسلمين لم يكن له ذكر لدى الباحثين في أوربا قبل نقل كتاب مختصر الدول الى اللاتينية، ومنذ ذلك الحين تمسك بعض الباحثين بهذه الفكرة، وبدأوا يهاجمون المسلمين.

– قال فوت واهلويلر في كتابهما (جنايات الأوربيين): إن الأسقف تيوفيل هو الذي أحرق خزانة الاسكندرية لا المسلمين، فالدين الاسلامي لا يبيح إحراق الكتب.

– وقال بونه موري: يجب أن نصحح خطأ شاع طوال القرون الوسطى، وهو أن العرب أحرقوا خزانة الاسكندرية بأمر الخليفة عمر، والحال أن العرب في ذلك العصر كانوا أشد إعجابا بعلوم اليونان وفنونهم من أن يقدموا على عمل كهذا، وقد أحرقت هذه الخزانة قبل ذلك بزمن طويل..

– ويعلق الأستاذ محمد كرد علي على حماسة (المستشرقون) الذين قبلوا هذا الاتهام دون بحث واستقصاء بقوله: إن هؤلاء المستشرقين يتمسكون بتهمة لا أساس لها، ومن ناحية اخرى تعرض أمامهم حقائق عن حرق الكردينال كسيمنس كتب المسلمين في ساحات غرناطة، فيمرون على ذلك مروراً عابراً أو يحاولون تبرئة هذا الكاردينال من هذه الوصمة كما أن علماء الغرب لم يكتبوا قليلا أو كثيراً عما فعله الصليبيون بمكتبة طرابلس حين أمر سنجيل بإحراق كتب دار العلم وكان عددها أكثر من مائة ألف مجلد".

هوامش بحث الدكتور أحمد شلبي

(١) Gibbon: The Decline and Fall of the Roman Empire vol. 6 p. 275

(٢) الافادة والاعتبار ص ٢٨.

(٣) تاريخ مختصر الدول ص ١٧٥ – ١٧٦.

(٤) Hitti: History the Arabs vol. p. 222

(٥) Butler: The Arab Conquest of Egypt pp. 401 ff

(٦) دكتور حسن ابراهيم، عمرو بن العاص ١١٤ – ١١٥.

(٧) تاريخ التمدن الاسلامي جـ ٣ ص ٤٠ – ٤٦.

(٨) History Deueral des Arabes p. 150

(٩) تاريخ الاسلام – الدكتور حسن ابراهيم جـ ١ ص ٢٦٣.

(١٠) الإسلام والحضارة العربية جـ ١ ص ٦٥ وما بعدها.

٣- الدكتور الفرد ج بتلر في كتابه «فتح العرب لمصر»

تعريب: محمد فريد أبو حديد - مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٩٠

DR. A. J. BUTLER (ARAB CONQUEST OF EGYPT) - OXFORD 1902 (2nd. d) P. M. FRASER 1975

"مكتبة الاسكندرية"

"لقد كثر الجدل في أمر مكتبة الاسكندرية العظمى وطالما احتدم الخلاف في شأن إحراقها، وهل كان للعرب يد في ذلك عند فتحهم للمدينة، أم أنهم لم يقارفوا شيئاً من ذلك. وما دام أهل البحث والعلم لا يزالون على اختلاف في ذلك الأمر ولم يهتدوا الى كلمة فصل فيه فلابد لنا في كتابنا هذا أن نعالجه، إذ لا نستطيع أن نغفله في كتاب جعلناه لمعالجة تاريخ فتح العرب لتلك البلاد.

والقصة كما أوردها أبو الفرج[١] كما يلي: قد كان في ذلك الوقت رجل اشتهر بين المسلمين اسمه (حنا الأجرومي) وكان من أهل الاسكندرية، وظاهر من وصفه أنه كان من قسوس القبط. ولكنه أخرج من عمله إذ نسب إليه زيغ في عقيدته، وكان عزله على يد مجمع من الأساقفة انعقد في حصن بابليون. وقد أدرك ذلك الرجل فتح العرب للاسكندرية واتصل بعمرو، فلقي عنده حظوة لما توسم فيه من الذكاء بصفاء ذهنه وقوة عقله، وعجب مما وجد عنده من غزارة العلم. فلما أنس الرجل من عمرو ذلك الإقبال قال له يوماً: «لقد رأيت المدينة كلها وختمت على ما فيها من التحف، ولست أطلب إليك شيئاً مما تنتفع به بل شيئاً لا نفع له عندك وهو عندنا نافع».

فقال له عمرو: «وماذا تعني بقولك» فقال: أعني بقولي ما في خزائن الروم من كتب الحكمة» فقال له عمرو: «إن ذلك أمر ليس لي أن أقتطع فيه رأياً دون إذن الخليفة». ثم أرسل كتاباً الى عمر يسأله في الأمر فأجابه عمر قائلاً: «وأما ما ذكرت من أمر الكتب فإذا كان ما جاء بها يوافق ما جاء في كتاب الله فلاحاجة لنا به وإذا خالفه فلا أرب لنا فيه وأحرقها». فلما جاء هذا الكتاب الى عمرو أمر بالكتب فوزعت على حمامات الاسكندرية لتوقد بها فما زالوا يوقدون بها ستة أشهر». ثم قال المؤلف «فاسمع وتعجب».

هذه هي القصة كما جاءت في اللغة العربية وقد كتب أبو الفرج ما كتبه في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، ولم يذكر المورد الذي نقل عنه قصته، ثم نقله عنه أبو الفداء في أوائل القرن الرابع عشر، ثم المقريزي[٢] بعد ذلك. حقاً قد ذكر عبداللطيف (وقد كتب حوالي سنة ١٢٠٠) إحراق مكتبة الاسكندرية بأمر عمرو، لكنه لم يفصل في ذكر ويلوح أنه روى ذلك الخبر مصدّقاً،

وهذا يدل على أن تلك القصة كانت متداولة في أيامه. ولكن لم يرده ذكر مكتوب قبل مضي خمسة قرون ونصف قرن على فتح الاسكندرية، ويمنع من تصديقها اغفال كل الكتاب لذكرها من (حنا النقيوسي) الى (أبي صالح). ولعل قائلاً يقول إنها ظلت تلك القرون تتناقلها الألسن وإن هذا الرأي يعززه ان القبط لا تزال بينهم تلك القصة يتناقلونها مع بعض خلاف فيها، إذ يجعلون مدة الإيقاد بالكتب سبعين يوماً بدلاً من ستة شهور. ولكن ليس من دليل يدل على أن أصل هذه الرواية أقدم من أيام أبي الفرج. ومعنى ذلك بقول آخر أن هذه القصة وإن كانت متداولة بين الناس تكون أخذت عن كتاب القرون الوسطى: فتداولها لا يمكن أن يكون دليلاً على شيء، كما أنه لا يمكن أن ينقض شيئاً ولكن الشك الذي يحيط بتلك القصة يجعلها غير وثيقة في الدلالة ولا كافية بذاتها في البرهان.

إذن علينا أن نفحص القصة كما وردت، فهي بلا شك قصة خلابة المظهر. وإن رد عمر على كتاب ابن العاص أشبه القول بما اعتاده أهل الشرق في ردودهم. وهذا التشابه في الأسلوب هو أقوى ما تعزز به القصة. ولكن من سوء الحظ أنه قد ورد عن عمر مثل هذا الرد في شأن إحراق كتب الفرس[٣] وهذا نظير قصة أخرى تذكر عن عمرو إذ وقع في الأسر ثم أنجاه مولاه وردان بضربة على وجهه كانت سبباً في خلاصه من الموت إذا هو انكشف أمره، فأخذت تلك القصة من موضعها ونقلها الكُتّاب المسلمون الى وقت حصار الاسكندرية. فلعل قصة المكتبة تكون كذلك قد عزيت الى الاسكندرية مع أنها قد تكون في أصلها قائمة على حادثة أخرى وقعت وقد يكون عمر عناها بذلك القول وقضى فيها بذلك القضاء الشديد. ولكن في القصة مواضع أخرى لا تثبت إذا حملنا عليها بالنقد، وذلك أننا لو سلمنا أن المكتبة قد أحرقت كما قيل، لكان الأقرب الى الأذهان أن تحرق فوق ربوة القلعة، ولكن القصّة تريدنا على أن نقول ان تلك المكتبة قد كلفت الناس مشقة حملها في عيب ليفرقها بين الحمامات العدّة، لتتخذ وقوداً مدّة ستة أشهر. وما كل ذلك سوى نسيج من الباطل، فإن تلك الكتب إذا كان قد قضى عليها بالحرق لأحرقت حيث هي، وما كان عمرو بن العاص وقد أبى أن يعطيها لصديقه (فليبونوس) ليجعلها في أيدي اصحاب الحمامات في المدينة، فإنه لو فعل ذلك لاستطاع (حنا فليبونوس) أو سواه من الناس أن يستنفذوا عدداً عظيماً منها بمثن بخس في تلك الشهور الستة التي قيل أنها جعلت وقوداً للحمامات فيها. وبعد فَممَّا لا شك فيه أن كثيراً من الكتب في مصر في القرن السابع كانت من الرق[٤]. وهو لا يصلح للوقود، وما كان أمر الخليفة ليجعله يصلح لذلك. فلنسائل إذن أنفسنا ماذا كان من أمرتلك الكتب المخطوطة على الرق، وإذا نحن استبعدناها فكيف يتصوّر أحد أن ما يبقى من سواها يكفي لوقود أربعة آلاف حمام[٥] مدة مائة وثمانين يوماً. إن إيراد القصة على هذه الصورة مضحك، وإنه ليحق لنا أن نسمع ما فيها ونعجب.

وقد يقول قائل إن هذه الشبهات الصغيرة ليس من العدل أن يؤخذ بها واننا إذا أنعمنا النظر

في الأمر واستقصينا ما ذكر عنه وفحصناه فحصاً دقيقاً لم نجد مندوحة من الانتهاء الى أن حريق المكتبة أمر صحيح على وجه الإجمال. ولا يسعنا مع مثل هذا القول إلا أن ندع القصة ونقدها في ذاتها ونلتمس دليلاً مما هو خارج عنها لنرى هل يعززها في الجملة أو ينقضها. ولا بد لنا من النظر في أمرين نرى لهما شأناً عظيماً فيما نحن بصدده، أولهما هل كان (حنا فليبونوس)[٦] على قيد الحياة في وقت فتح العرب. وثانيهما هل كانت المكتبة باقية الى ذلك الوقت. فأما الأمر الأول فإنه أمر مقرر لا يكاد يكون فيه شك. فإن حنا لم يكن حياً في عام ٦٤٢، ولا حاجة بي الى سرد كل ما يؤيد هذا الرأي، فمن المعروف أن حنا كان يكتب في عام ٥٤٠[٧] ولعله كان يكتب قبل تملك جستنيان أي قبل عام ٥٢٧، وقد يكون أدرك القرن السابع وعاش بضع سنين في أوله. وأما لو قلنا إنه عاش الى عام ٦٤٢ فان سنه لا تكون عند ذلك أقل من مائة وعشرين عاماً. فمن الجلي على ذلك أن يكون (حنا فليبونوس) قد مات منذ ثلاثين أو أربعين عاماً قبل أن يدخل عمرو في الاسكندرية.

وأما المكتبة ذاتها ووجودها عند الفتح، فبحث شائق ومن أشق الأمور الانتهاء الى قول فيه. فان أول مكتبة كانت بالاسكندرية هي المكتبة الشهيرة، وكانت في حي البروكيون كما هو معلوم. ولئن كان إنشاء هذه المكتبة العظمى التي اجتمعت فيها أجل مؤلفات العالم يرجع الفضل فيه الى (بطليموس سوتر)، فإنها لم تتحقق ولم يتم تجهيزها ويكمل نظامها إلا على يد خلفه (بطليموس فلادلفوس). والظاهر أنها كانت في جزء من مجموعة الأبنية الفخمة التي كانت تعرف بالمتحف[٨]. وقد قال (سترابو) عن ذلك المتحف إنه كان في جوار قصور الملك العظيمة التي كان بناؤها على ربع مساحة المدينة. وكان بناء المكتبة له بهو عظيم في وسطه من حوله عمد مصفوفة تحيط به، وأفنية ذات آزاج. وكانت هذه الأبنية تتصل بسواها مما كان فيه مدرسة الطب والتشريح والجراحة ومدرسة الرياضيات والفلك ومدرسة القانون والفلسفة، وكان يتصل بالبناء بستان كبير وحديقة لعلم النبات ومرصد[٩]. وفي ذلك كما ترى جهاز جامعة من أكبر الجامعات.ولسنانستطيع أن نعين على وجه الدقة الموضع الذي كانت فيه المكتبة ولا هيئة بناء المتحف، بل قد اختلف العلماء في تعيين موضع ذلك المتحف. ومن المؤلم أن سترابو لا يذكر شيئاً عن المكتبة، فانه لو ذكر عنها شيئاً لكان دليله قاطعاً في هذه المسألة، ولعرفنا الحقيقة عما رواه بعض المؤرخين القدماء من ضياع المكتبة في حريق سنة ٤٨ للميلاد أي قبل زيارته ببضع سنين. فقد كان قيصر عند ذلك محصوراً في حي البروكيون يحيط به المصريون من كل جانب وعليهم قائدهم (أخيلاس)، فأحرق السفن التي في الميناء وقيل إن النار امتدت من هناك وأحرقت المكتبة فأفنتها. أما قيصر نفسه - وذلك إذا كان هو كاتب وصف ذلك الحادث - فإنه لايشير الى شيء من أمر نكبة كهذه، بل إنه يقول إن الاسكندرية لا تكاد النيران تسري فيها[١٠] إذ كان بناؤها لا خشب فيه، بل كان قائماً على عقود وآزاج، وسقوفه من الحجر والبلاط المتجمد[١١]. وإن إشارة مثل هذه لا يكون القصد

منها إلا التضليل والإبهام إذا كان الكاتب يداري في أمره ويتستر على أنه شهد إحراق مكتبة الاسكندرية، وأنه كان السبب في إحراقها. وإنه من أشق الأمور أن ننتهي الى نهاية في أمر قيصر فنتهمه أو نبرئه. أما (بلوتارك) فلم يكن به شك في الأمر إذ قال «ولما رأى أسطوله يقع في يد عدوّه اضطر أن يدفع الخطر بالحريق فامتدت النار من المراسي في الميناء فأحرقت المكتبة»[١٢]. وواضح أن سنيكا قد صدق هذه القصة إذ قال: «لقد أُحرقت في الاسكندرية أبعمائة ألف كتاب»[١٣] وما أغرب ما قاله (ديوكاسيوس)[١٤] إذ قال «وامتدت النيران الى ما وراء المراسي بالميناء فقضت على أنبار القمح ومخازن الكتب». وقيل إن هذه الكتب كانت كثيرة العدد عظيمة القيمة» وليس بنا من شك فيما كان معروفاً بين الناس في القرن الرابع، فإن قول (اميانوس مرسلينوس)[١٥] واضح جلي إذ وصف «مكاتب الاسكندرية التي لا تقوّم بثمن والتي اتفق الكتاب الأقدمون على أنها كانت تحوي سبعمائة ألف كتاب بذل في جمعها البطالسة جهداً كبيراً ولقوا في سبيل ذلك عناء كبيراً وقد أحرقتها النيران في حرب الاسكندرية عندما غزاها قيصر وخربها». وقد كتب أورسيوس) ما يعزز هذا القول وذلك حيث يقول «وفي أثناء النضال أمر بإحراق أسطول الملك وكان عند ذلك راسياً على الشاطئ فامتدّت النيران الى جزء من المدينة وأحرقت فيها أربعمائة ألف كتاب كانت في بناء قريب من الحريق. فضاعت خزانة أدبية عجيبة مما خلفه آباؤنا الذين جمعوا هذه المجموعة الجليلة من مؤلفات النابغين»[١٦]. وخلاصة القول إننا نرى الأقرب الى العقل أن نصدّق ما جاء من أخبار ضياع المكتبة في حريق الاسكندرية على يد قيصر لا أن نكذبها.

ولكن بعد سبع سنوات أو ثمان من ذلك الحادث الذي وقع لقيصر أرسل (مارك أنطون) الى الاسكندرية[١٧] مكتبة ملوك (برجاموس)، ولا نقدر على البت في موضع هذه الكتب أكان المتحف لا يزال صالحاً لأن يكون لها مقراً، أم وضعت في السرابيوم، فكان ذلك منشأ مكتبة السرابيوم المتأخرة، فان هذا الأمرلايزال موضع الخلاف والبحث بين العلماء[١٨]. وإنا نرى الأقرب الى الصواب تكذيب هذين الرأيين كليهما. فقد رأينا فيما سلف أن المعبد الكبير معبد القيصريون كان من بناء كليوبترة أنشأته تكريماً لقيصر[١٩] وأن (أاغسطس) أتمه بعد ذلك. وذكر أنه كان من أجل ما يحليه مجموعة كتبه. فإذا كانت مكتبة المتحف قد أحرقت، كان أقرب الأمور الى العقل أن يجعل معبد القيصريون مقراً لمكتبة (برجاموس) وإن لم يكن مقراً لجميعها فلا أقل من أن يجعل جزءاً منها فيه، ولعل ما يبقى بعد ذلك يجعل في معبد السرابيوم.

ومهما يكن من ذلك الأمر فإن أمرين يكاد أن لا يكون شك فيهما: أو لهما أن جزءاً من بناء المتحف كان لا يزال باقياً صالحاً الى أيام (كراكلا) الذي أسال الدماء في المدينة أنهاراً، وأقفل الملاهي بها، وأمر بمنع الناس من الذهاب الى (السيسيتيا) وهي القاعة العامة في المتحف، وكان

ذلك في عام ٢١٦ للميلاد. وثاني الأمرين أنه في أوائل التاريخ المسيحي أنشئت مكتبة كبرى بدل مكتبة المتحف التي ضاعت، وجعلت في معبد السرابيون على قلعة (الاكروبوليس). وقيل إن أورليان هدم أبنية المتحف وسواها بالأرض[٢٠] في عام ٢٧٣، وذلك عندما أوقع بحي البركيون فخرّبه انتقاماً من أهل الاسكندرية على ثورتهم مع (فيرموس). وهرب عند ذلك أعضاء المتحف الذي كانوا ينتسبون إليه فلجأوا الى السرابيوم، أو خرجوا في البحر فراراً. وكانت مكتبة السرابيوم تعرف «بالمكتبة الصغرى» أو «المكتبة الوليدة»[٢١]، ولكنا لا نستطيع أن نعين تاريخاً لنهاية «المكتبة الأم»[٢٢]، ولا لابتداء «المكتبة الوليدة». على أنه قيل في الأخيرة إن الذي أنشأها (بطليموس فلادلفوس). ولكن هذا أمرلا شأنه له ببحثنا هذا، فحسبنا أن نعرف أن المكتبة الأولى القديمة كانت في القرن الرابع قد قضيَ عليها وفنيت، وأن المكتبة الثانية الصغرى كانت عند ذلك قد مضى زمن ما على إنشائها.

إذن قد سار معهد السرابيوم على سنة الماضيين في تحصيل العلم، وأنشئت جامعة بها عدد عظيم من الكتب، وبقي اسم أرسطو متصلاً بالعلم الاسكندري في معهد السرابيوم[٢٣] كما كان من قبل متصلاً بمعهد المتحف. ومعنى ذلك أن دراسة الفلسفة والعلوم بقيت على عهدها بالاسكندرية وهي التي جعلت تلك المدينة من قبل مقر العلوم في العالم، ولم يتغير إلا شيء واحد وهو أن مقر الدراسة أصبح السرابيوم بعد أن كان المتحف.

ولكن كان مقدوراً على السرابيوم أن يقضي عليه في أواخر القرن الرابع على يد المسيحيين يقودهم (تيوفيلوس). وقد رأينا فيما سلف كيف خرب القيصريون ونهبوا في سنة ٣٦٦ في أثناء نضال ديني، وأغلب الظن أن المكتبة التي كانت فيه قد ذهبت ضحية في ذلك النضال. وكان نضال المسيحيين مع عبدة الأوثان يزداد شدة وهولاً كلما زاد المسيحيون قوة، وكان السرابيون بلا شك حصن الوثنية وملاذها، وظل الوثنيون مدة يغيرون من هناك على المدينة، ويقتلون أشد المسيحيين عليهم، وقد انتفعوا في ذلك بمناعة موقع السرابيوم. فثار المسيحيون بأن حاصروا (قلعة الاكروبولس)، ولكن قبل أن يصل النضال الى نهايته، اتفق الجانبان على تحكيم الامبراطور فيما بينهم، فقضى (تيودوسيوس) للمسيحيين وقرئ حكمه على الناس من الحزبين في ساحة السرابيوم فهرب عبدة الأوثان المصرية القديمة، وأهوى المسيحيون الى المعبد العظيم معبد (سرابيس) وعلى رأسهم (تيوفيلوس) وجعلوا يهدمونه ويخربون فيه وكان ذلك في عام ٣٩١ ولا يختلف فيه اثنان.

فلنمض الآن إلى بحث آخر لنرى هل ضاعت المكتبة في ذلك التخريب. وإنا لانستطيع أن نقول على وجه البت إنها ضاعت[٢٤] فإن ذلك أمر مختلف فيه، ولابد لنا من فحص ما يتاح لنا من أدلة بتراء لعلنا ننتهي منها الى حكم. وأول شيء نثبته أن المعبد ذاته قد تهدم في عام ٣٩١ وكان هدمه

تاماً إذ سوى بناؤه بالأرض ونقض من أساسه كما قال (أونابيوس)، ولعله كان مبالغاً في قوله بعض المبالغة. وقد بني في موضوعه كنيسة أو أكثر من كنائس المسيحيين، ولكن لم يذكر أحد أن المكتبة قد ضاعت فيما ضاع عند ذلك فلابد لنا إذن من إثبات أحد أمرين إذا أردنا أن نثبت ضياعها: إما أن نبرهن على أن المكتبة كان مقرها ذلك المعبد، وإما أن نبرهن على أن أبنية (الأكروبولس) قد خربت جميعها في الثورة إذ هدمهاالمسيحيون مع (تيوفيلوس)[٢٥]. ولكن أحد هذين الأمرين محقق وهو الأمر الثاني، فإن المسيحيين لم يهدموا أبنية (الأكروبولس) جميعاً، ومن السهل إثبات هذا، فقد سبق لنا البرهان على أن بقية عظيمة ذات جلال رائع كانت لاتزال باقية من بناء السرابيوم الى القرن الثاني عشر. ولكنها تجهل كل الجهل موضع هذه البقية كما أنا نجهل الغرض من إنشائها أولا[٢٦]، وبقاء هذه البقية إنما يدل على أن المكتبة قد تكون بقيت سليمة إذا كانت في البناء الباقي الذي لم يصل إليه الهدم في ثورة المسيحيين، ولا يدل على أكثر من ذلك. ولكن بين أيدينا براهين تدل على موضع المكتبة ومقدار ما لحقها من التلف على يد المسيحيين، وأول هذه الأدلة ما قاله (أفطونيوس) وقد زار السرابيوم في القرن الرابع قبل تدميره بزمن[٢٧]. وثاني هذه الأدلة ما قاله (روفينوس) وقد شهد ذلك التخريب وكتب ما كتبه بعده. وقول كل من هذين الكاتبين يكمل قول الآخر ويصدّقه ولكن من العجيب أن أحدهما لا يذكر المعبد في قوله ولا يشير إليه في حين أن الثاني لا يذكر المكتبة ولا يشير إليها. ولكن مع ذلك لاشك في أن (أفطونيوس) يلحق المكتبة بالمعبد ولا يلحقها بأي بناء آخر من أبنية (الأكروبولس)[٢٨] كما لا شك في أن المكتبة كانت في وقت زيارته للاسكندرية قائمة هناك مفتوحة الأبواب كعادتها لمن يقصدها من طلاب العلم والقراءة.

فإذا نحن آمنا بأن المكتبة كانت ملحقة بالمعبد، وبأن المعبد قد خرب ودمر، فكيف يمكن أن نقول إن المكتبة قد نجت ولم تصر الى ما صار إليه المعبد، لا سيما وقد كان خراب المعبد كاملاً إذ نقض من أساسه وسوى بالأرض. قال (أونابيوس)[٢٩] «إنهم خربوا السرابيوم وحطموا أوثانه.. ولم تبقَ إلا الجدران ذاتها، إذ عجزوا عن إزالة تلك القطع العظيمة من الحجارة».

وقال (ثيودوريت) في وصف هذه الحوادث عينها «ونزعت محاريب الأصنام من أساسها»[٣٠] وقال سقراط «وأمر الامبراطور بهدم كل معابد الوثنيين في الاسكندرية». ثم قال «فهدم (تيوفيلوس) معبد سرابيس». وقال «وهدمت المعابد وصهرت الأوثان التي من معدن البرونز واتخذت منها الأواني»[٣١]. وقال في موضع آخر «إنه قد كشفت حجارة عليها نقوش بالحرف المصري القديم عندما كان الناس يهدمون معبد السرابيوم» وقال مثل ذلك (سوزومن)[٣٢] وهو يقول إن المسيحيين استولوا على السرابيوم منذ أخذه (تيوفيلوس) الى وقته الذي كتب فيه. وكل هؤلاء الكتاب كما ترى ممن كتب في النصف الأول من القرن الخامس، وعلى ذلك يكادون يكونون

كلهم ممن عاشوا في وقت واحد. ومما يؤسف له أنهم لم يقولوا في المكتبة قولاً صريحاً، فنعلم مصيرها على غير شك، ولم يذكروا شيئاً عن تخريب أبنية (الأكروبولس) الأخرى، ولم يرد شيء من الإيضاح إلا فيما كتبه (روفينوس)، فإنه يذكر أن الأبنية التي كانت تكتنف الربوة من خارجها لم يمسها ضر، وكل ما لحقها أن عبدة الأوثان أخرجوا منها. ويقول إن هذه الأبنية هي التي بقيت بما كان فيها من قاعات الدرس وأروقة البيت. في حين أن معبد سرابيس الأكبر وما كان فيه من عمد لم يبق فيه حجر على حجربل سوّي بالأرض[٣٣].

إذن فالأمر كما يلي: قد ثبت أن المكتبة كانت في حجرات متصلة ببناء المعبد، شأنها في ذلك شأن المشاهد التي كانت للأصنام المصرية القديمة. وثبت أن بناء ذلك المعبد كله قد هدم وخرب، وفلا بدّ أن تكون المكتبة قد لحقها الخراب نفسه[٣٤].

وقد يقول قائل لعل الكتب قد أنجيت من ذلك الدمار الذي لحق البناء الذي كانت فيه، بل لقد قيل إن تلك الكتب قد نقلت جميعها إذ نقلها (جورج القبادوقي) من هناك، قبل ثورة المسيحيين بقيادة (تيوفيلوس)، وقبل أخذهم المعبد بثلاثين سنة، وقيل كذلك إنه عندما أخذ المسيحيون (الأكروبولس) ارسلت تلك الكتب الى القسطنطينية[٣٥]. وإنه لما يشك فيه أن يكون الناس الثائرون قد أبقوا على تلك الكتب وأشفقوا على تلك الكنوز أن تضيع، وفي نظرهم كتب الوثنيين قد وضعوها هناك وديعة عند الوثن الأكبر. إنهم خليقون ألا يفعلوا ذلك وهم الذين حطموا أوثان (سرابيس) وأحرقوا حطامه[٣٦] ولم يبقوا في معبده حجراً قائما، ذلك المعبد الذي كان آية العظمة والإبداع في بلاد العالم. وإنا لنعجب من إغفال كتاب العصر ذكر هذا الحادث، ولكنه مع ذلك نجد الأقرب الى الأفهام أن تلك الكتب قد ضاعت طعمة اللهيب[٣٧]، الذي أحرق وثن (سرابيس)، وأنها لم تنزع من براثن ذلك التخريب الذي مزق المعبد كله، ولم ترسل في البحر الى موضع آخر. وقد نقل عن (أوروسيوس) أنه رأى الرفوف أو الصناديق في السرابيوم فارغة ليس عليها شيء من الكتب. فإذا صح ذلك لكان دليلاً على أن الكتب لم يكن لها وجود منذ سنة ٤١٦. وذلك هو العام الذي كتب فيه (أوروسيوس)، ولكان ذلك دليلاً على أن بناء المكتبة بقي الى ذلك الوقت قائماً. ولكن ذلك قول غير دقيق ولفظ الرواية لا يبرره[٣٨]، فإن (أوروسيوس) لا يذكر بناء السرابيوم بل يذكر حريق مكتبة المتحف ويدلي بحجته على النحو الآتي بوجه التقريب: «إذا فرض أننا نرى اليوم رفوفاً مما توضع عليها الكتب (في بعض المعابد) وإذا فرض أنها فارغة ليس عليها شيء قد خلت من الكتب لما أصابها من أيامنا هذه، إذا فرض ذلك ثبت منه أنه قد كانت في تلك المواضع مكاتب في الأزمان القريبة من عهدنا ولكن لا يثبت منه أن مكتبة قد بقية وكانت جزءاً من مكتبة المتحف القديمة وأنها نجت من النيران بأن وضعت في بناء آخر بل إن الذين نستطيع أن ننتهي إليه أنه قد جمعت كتب أخرى تقليداً للمكتبة القديمة وكان جمعها بعد الحريق».

هذه حجة (أوروسيوس) يريد بها أن يبرهن على أنه لم ينج شيء من المكتبة القديمة التي أنشأها البطالسة، ولم يشر فيها الى مكتبة السرابيوم[٣٩]. وقد عزز هذا الرأي كتاب آخرون من بينهم (ماتر)، وهذا هو الحق بعينه، ولكن ذلك القول له دلالة من وجهتين فإنه إذا كان لقول (أوروسيوس) معنى لا يختلف فيه اثنان فهو إنه لم تكن في عصره مكتبة قديمة عظيمة في الاسكندرية، إذ لو كان في عصره مكتبة كبرى بمعبد السرابيوم لما أغفل (أوروسيوس) ذكرها في أثناء قوله الذي بيناه آنفاً. وعلى ذلك يمكن أن نقول إن (أوروسيوس) وإن لم يشهد تدمير مكتبة السرابيوم في عام ٣٩١ قد شهد أنها لم تكن في الوجود في عام ٤١٦.

ولكنا لم ننته بعد من برهاننا على النقطة التي نحن بصددها، وهي أن المكتبة لم يكن لها وجود في القرن السابع. فإنه لا يستطيع أحد أن يقول إن كل كتب الاسكندرية قد ضاعت في أثناء تلك الحروب الشعواء التي شنت على المكاتب، أمثال حرب (دقلديانوس) على مؤلفات المسيحيين، وحرب (تيوفيلوس) على مؤلفات الوثنيين. فلا بد أنه قد بقيت بعد تخريب المكاتب العامة الكبرى بقية كبرى من تلك الكتب في ملك أفراد الناس، أو في مكاتب الأديرة البعيدة. وإن بقاء العلم في الاسكندرية لم تنطفئ أنواره ليقوم وحده دليلاً على بقاء الكتب وانتفاع الناس بها، غير أننا نستبعد كل الاستبعاد أن تكون مكتبة السرابيوم الكبرى قد بقيت الى القرن السابع، من غير أن نجد في كتابة أحد من كتاب القرنين الخامس والسادس ما يدل على وجودها دلالة صريحة لا لبس فيها ولا إبهام. ولنذكر من ذلك مثلاً واحداً وهو (حنا مسكوس) وقد سبق لنا ذكر زيارته لمصر مع صديقه (صفرونيوس) قبل فتح العرب بسنين غير كثيرة. وقد بينا ما كان عليه هذان الرجلان من محبة العلم، وشغفهما بالكتب وما يتصل بها، وقد كتبا مقداراً عظيماً وسافرا الى كثير من بلاد مصر، وأقام فيها زمناً طويلاً، ولكنا لا نرى في كتاب من كتبهما إذا قلبناها واستوعبنا قراءتها ذكراً لمكتبة عامة في البلاد، اللهم إلا لمكاتب أفراد الناس. وعلى ذلك يكون قد مر قرنان لا تذكر فيهما تلك المكتبة، وجاء في آخر هذين القرنين كاتبان مكثران وهما (حنا مسكوس) و (صفرونيوس)، وهما لا يذكران عنها شيئاً. ولا يتأتي مع كل هذا أن يقول قائلا إن الاسكندرية كانت مكتبة عامة كبرى عندما فتحها العرب.

بقي علينا أن نثبت أمراً أو أمرين. فإننا إذا سلمنا بأن كل ما سبق إيراده من الحجج لم يكف لأن يزعزع رأي من يذهبون الى بقاء مكتبة السرابيوم، ثم سلمنا بأن تلك المكتبة بقيت على عهدها حتى فتح العرب الاسكندرية، إذا سلمنا بذلك كان أبعد الأمور أن يكون العرب قد أتلفوها ودمروها. ولذلك سبب نورده. فإن العرب لم يدخلوا المدينة إلا بعد أحد عشر شهراً من الفتح، وقد جاء في شروط الصلح أن الروم في مدّة الهدنة لهم أن يخرجوا من البلد إذا شاءوا وأن يحملوا معهم كل ما استطاعوا نقله من متاعهم وأموالهم[٤٠]، وكان البحر في كل هذه المدة خالياً من العدّو لا يقف شيء فيه بين الروم وبين القسطنطينية أو سواها من ثغور البحر، فلو كانت مكتبة

السرابيوم عند ذلك باقية لطمع الناس في ثمن كتبها وأغراهم ذلك بنقلها إن لم يغرهم شيء آخر، إذ كانت كتباً قيمة عظيمة القدر يقبل على شرائها كثير من الناس الذين لهم شغف بالعلوم وطلبها، وكان لابد لمثل هؤلاء أن يكونوا على مثال الشخص الذي جاء في القصص وهو (حنا فليبونوس)، فيسعوا الى نقل تلك الكنوز العلمية في وقت الهدنة إذا كانت الفرصة ممكنة، وما كانوا ليتركوها تقع لمحاربي الصحراء الذين لا علم لهم بقيمتها وهم على وشك أن يدخلوا المدينة.

وبعد فإن الصمت الذي يلزمه كتاب القرنين الخامس والسادس وإغفالهم ذكر تلك المكتبة بقي الى ما بعد الفتح، فلم يكن بين العرب مؤرّخون كتبوا عن تاريخ مصر في القرنين السابع والثامن. وقد يقال إن متأخري الكتاب تعمدوا إغفال ذكرها، ولكننا لا نستطيع أن نقول ذلك عن (حنا النقيوسي) الأسقف المصري، وقد كان رجلا من أهل العلم، وكانت كتابته قبل آخر القرن السابع، وقد كتب في ديوانه الأخبار المفصلة واحاط فيه بمختلف الأحداث وفي هذا دلالة على أنه كان عظيم الاطلاع، واسع العلم بالأخبار، ولم يفصل بينه وبين فتح العرب الإ خمسون عاماً. وإن أبا الفرج نفسه (وهو صاحب القصة التي يتهم فيها العرب) ليشهد بأن الاسكندرية بقيت مقصداً لطلاب العلم الى حوالي سنة ٦٨٠ للميلاد، فإنه يذكر أن (يعقوب الأذاسي) قد ذهب الى الاسكندرية ليتم تحصيله للعلم بعد أن أتم درس اللغة اليونانية والكتاب المقدس في أحد الأديرة بالشام[٤١]، وهذا يدل على ان بعض المكاتب كانت لاتزال باقية بمصر عند أفراد الناس وفي الأديرة بعد الفتح، كما كانت قبله. وإلا فلو كان في المدينة مكتبة عامة كبرى قبل الفتح ثم أحرقها العرب عند فتحهم لها، لما أغفل ذكر هذا الحادث رجل مثل (حنا النقيوسي) وهو كاتب قريب العهد بالفتح، قد أفاض في ذكر الاسكندرية، وفصَّلَ في وصف فتحها. وما كان ليبيح لنفسه أن يدع للنسيان حادثة كان لها عظيم الأثر إذ ذهبت بما كان يمكنه الاعتماد عليه في كتابة تاريخه، وحرمت العالم أجمع من كنذر من أكبر كنوز العلم حرماناً أبدياً.

ولعلنا لا نكون مخطئين إذا نحن أجملنا فيما يلي أدلة حجتنا، فإن قصدنا أن نبين حقيقة أمر مكتبة الاسكندرية ومقدار نصيب قصة إحراق العرب لها من الصحة أو الكذب. وقد بيّنا فيما سلف الأمور الآتية:

(١) إن قصة إحراق العرب لها لم تظهر إلا بعد نيف وخمسمائة عام من وقت الحادثة التي تذكرها.

(٢) إننا فحصنا القصة وحللنا ما جاء فيها فألقيناه سخافات مستبعدة ينكرها العقل.

(٣) إن الرجل الذي تذكر القصة أنه كان أكبر عامل فيها مات قبل غزوة العرب بزمن طويل.

(٤) إن القصة قد تشير الى واحدة من مكتبتين: الأولى مكتبة المتحف وهذه ضاعت في الحريق الكبير الذي أحدثه قيصر، وإن لم تتلف عند ذلك كان ضياعها فيما بعد في وقت لا يقل عن أربعمائة عام قبل فتح العرب، وأما الثانية وهي مكتبة السرابيوم، فإما أن تكون قد نقلت من

المعبد قبل عام ٣٩١، وإما أن تكون قد هلكت أو تفرقت كتبها وضاعت، فتكون على أي حال قد أختفت قبل فتح العرب بقرنين ونصف قرن.

(٥) إن كتاب القرنين الخامس والسادس لا يذكرون شيئاً عن وجودها وكذلك كتاب اوائل القرن السابع.

(٦) إن هذه المكتبة لو كانت لاتزال باقية عندما عقد (قيرس) (*) صلحه مع العرب على تسليم الاسكندرية، لكان من المؤكد أن تنقل كتبها، وقد أبيح ذلك في شرط الصلح الذي يسمح بنقل المتاع والأموال في مدّة الهدنة التي بين عقد الصلح ودخول العرب في المدينة، وقدر ذلك بأحد عشر شهراً.

(٧) لو صحّ أن هذه المكتبة قد نقلت أو لو كان العرب قد أتلفوها حقيقة لما أغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم كان قريب العهد من الفتح مثل (حنا النقيوسي) ولما مر على ذلك بغير أن يكتب حرفاً عنه.

ولا يمكن أن يبقى شك في الأمر بعد ذلك فإن الأدلة قاطعة وهي تبرر ما ذهب إليه (رينودو) من الشك في قصة أبي الفرج وما ذهب إليه (جبون) من عدم تصديقها ولابد لنا أن نقول إن رواية أبي الفرج لا تعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ليس لها أساس في التاريخ[٤٣]".

(*) لعل المؤلف يقصد بذلك (المقوقس) الذي ولاه البيزنطيون حاكما على مصر. وفي هذا الصدد ورد في "فتوح البلدان" للبلاذري، طبعة مؤسسة المعارف، بيروت ١٩٨٧، ص ٣١٠ ما يلي :

"ويقال أن المقوقس صالح عمرا على ثلاثة ألف دينار، على أن يخرج من الاسكندرية من أراد الخروج، ويقيم بها من أحب المقام، وعلى أن يفرض على كل حالم من القبط دينارين فكتب لهم بذلك كتابا"

هوامش بحث الدكتور الفرد ج بتلر
في كتابه «فتح العرب لمصر»

(١) طبعة (Pococke) صفحة ١١٤ في الترجمة ٢ صفحة ١٨٠ في الاصل. يروي (Re-naudot) ان القصة فيها عنصر من عناصر عدم الثقة وقد ناقشها جبون بشيء من الايجاز ثم رفضها ولم يترجم (Pococke) الا المختصر العربي لابي الفرج. وفي عدد اكتوبر سنة ١٨٩٤ من مجلة القرن العشرين مقالة عن الموضوع بقلم (Vasudeva Rau) وهو يقول (صفحة ٥٦٠) ان القصة ليست في الاصل السرياني ولعلها ادخلت فيما بعد واما المختصر فقد كتبه ابو الفرج نفسه وليست فكرة الادخال الا محض ظن ولو ثبت ذلك لما كان امراً هاماً وقد بنيت هذه المقالة على حجج سلم بها جدلاً ولم تبن على بحث ولذلك ليست ذات قيمة كبرى.

(٢) المؤلف مثل عبد اللطيف يذكر الخبر تلميحاً ويسلم به جدلاً فعندما ذكر السرابيوم قال «ويذكر ان هذا العمود من جملة اعمدة كانت تحمل رواق ارسطاليس الذي كان يدرس به الحكمة وانه كان دار علم وفيه خزانة كتب احرقها عمرو بن العاص بإشارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه» (الخطط الجزء الاول صحفة ١٥٩).

(٣) انظر طبعة الاستاذ (Bury) لكتاب جبون الجزء الخامس صفحة ٤٥٤ حيث اخذت الرواية عن الحاج خليفة عن ابن خلدون ويصح لنا ان نضيف الى ذلك ان شعور المسلمين نحو كتب الفرس الوثنيين لابد يخالف شعورهم نحو كتب المسيحيين فقد كان المسلمون على الاقل في اول ايامهم يكرهون اتلاف ما كتب عليه اسم الله.

(٤) قد اظهر الدكتوران «غرنفل» و«هنت» ان استعمال ورق البردى في الكتب كان لايزال متبعاً مادامت اللغة اليونانية تكتب في مصر وذلك عكس ما يذهب اليه الرأي الشائع – على ان الرق كان يفضل عليه ولاسيما عند القبط (انظر مجموعة بردى (Oxyrthynghus) الجزء الثاني صفحج ٣٠٢ ومع ذلك فقد كان اكثر الكتب القديمة التي كانت في مكتبة السرابيوم مكتوباً على الرق.

(٥) قد سبق لنا ان بينا في هامش صفحة ٣٨٦ ان هذا العدد الذي ذكره مؤرخو المسلمين لا شك مبالغ فيه ولكنا مهما قللنا منه فان عبارة ابي الفرج لا يمكن ان تحتمل التمحيص الحسابي البسيط.

(٦) جاء اسم حنا في القصة العربية (جراما تيكوس) وقد عرب ابو الفرج ذلك الاسم بنصه ولاشك ان المقصود هو (فليبونوس) انظر مثلاً (نيقفوروس كاليستوس) اذ يقول «الكاتب حنا الذي

يدعى فليبونوس) (٤٤) (٤٥XVIII) .

(٧) قد سبقت لنا الاشارة الى (Nauck) بهذه المناسبة ولكن الحقائق مبينة بياناً اوضح واقرب الى التناول في كتاب Dict. Christ. Biog Johannes Philoponus S. V. والبرهان قاطع على ان حياة حنا كانت في القرن السادس ان لم تكن قد انتهت في اثنائه وذلك على رغم الوثيقة المشكوك فيها التي اخذت عنها جبون نقلاً عن Fabricius على انها مؤرخة في سنة ٦١٨ وعلى رغم العبارة التي تعزى الى نيقفوروس ومعناها ان حنا كان يعيش في وقت (جورج البسيدي) في حكم هرقل فإن نيقفوروس المذكور انما هو كاليستوس الذي كتب في القرن الرابع عشر ولم يكن حجة فيما يكتب ولكنا نعترف ان الناقل عنه قد اخطأ في النقل على ما يظهر. ويلوح ان ماجاء فيه ينقض قول من يقول ان فليبونوس كان حياً في سنة ٦٤٢ فان حنا يقرن بذكره .Severus, Gaius, Diosorus الانطاكي ويقول انهم جميعاً كانوا يكتبون ضد مجمع خلقيدونية وانهم كانوا غالبين حتى «ولي جستنيان الملك سنة ٥٢٧ ميلادية» وعند ذلك حمل هؤلاء القادة في الالحاد مذاهبهم الى الجحور والاركان ٤٥Hist XVIII في Part. Gr. 147 Migne صفحة ٤٢٢) وفوق ذلك قد وصف حنا بأنه (نبه ذكره في اثناء الحكم الحاضر) (٤٥*) وهذا النص يدل على ان المقصود هو حكم جستنيان وليس هرقل ولم يقل احد ان حنا كان معاصر الجورج البسيدي فقد قرأنا العبارة فإذا هي تفيد ان جورج كان يعيش في وقت حياة (Laontius Monachus) وكان اصغر منه بكثير والظاهر ان (ليونتيوس) مات في اوائل القرن السابع فان ديوانه الذي اثبت فيه اسماء بطارقة الاسكندرية انتهى عند ذكر (Eulogns) سنة ٦٠٧ ويفهم مما كتبه (ليونتيوس) ان حنا فليبونوس كان قد مات عندما كان يكتب كتابه (ميني الجزء ٨٦ المجموعة ١١٨٧) وقد عالج (Matter) هذا الموضوع وهو تعيين التاريخ الذي كان فليبونوس يعيش فيه ولكن بحثه غير واف d,akt Eocle الجزء الاول صفحة ص ٣٣٩).

(٨) الاستاذ (Mahaffy) يشك في هذه المسألة واذا شئت معرفة اسباب ذلك فارجع الى كتاب (Emp. of the Ptolomes) صفحة ٩٨.

(٩) انظر مقالاً شائقاً عنوانه «مكتبة البطالسة» لنوريسون بك والعبارة المقصودة في النصف في صفحة ٨ ولكن الواجب علينا الاعتراف بما للكاتب علينا من فضل في مواضع كثيرة وقد اخذنا عن مراجع اخرى غير كتاب Alexandrinisches Museum (parthey) وكتاب (Ritschi) Alexandriniscghes Bibliotheken In Opuscula 1866) وتلك المراجع هي كتاب (Alexanduinisghes Museum) (weniger) سنة ١٨٧٥ وكتاب History of Greece الجزء الرابع وكتاب Geschischder Griechischen litteratur In der Alexanderzeit (suse-mihl) (سنة ١٨٩١ – ٢) وقد دحض جستاف لوبون في كتابه (La Givilisation des Arabes)

(باريس سنة ١٨٨٤) قصة احراق مكتبة الاسكندرية ولكن كتابه اقرب الى ان يكون للقارئ العام وليس بحثاً علمياً قيماً. واما كتاب (sedillot) (Histoire Generale des Arabes) الطبعة الثانية بباريس سنة ١٨٧٧) فقد شك في هذا الخبر ولكنه لم يفحصه فحصاً دقيقاً وهو يشير الى مجلة (La Revue Scientifique de la France) (٢٩ يونيه سنة ١٨٧٥ رقم ٥١ صفحة ١٢٠٠ ومابعدها) لمقال جاء فيها عن هذا الموضوع ولكنا لم نستطع الاطلاع عليه.

(١٠) اذا كان كاتب مقال (De Bello Alexandrino) هو (Asinius Pollio) كما يزعم الكتاب المحدثون سهل علينا ان نفهم السبب الذي نشأ عنه اغفال ذكر هذا الحادث.

(١١) انظر (De Bello Civil IV ad init) ولكنه بعد ذلك بقليل ذكر ان المصريين عندما هزموا في البحر هزيمة عظيمة اعدوا كل سفنهم القديمة التي امكنهم ان يجمعوها وجاءوا كذلك بسفن الحراسة في النيل وكان ينقص تلك السفن مجاديف فلجأ المصريون الى «نجريد الأروقة والمدرسة والمباني العامة من سقوفها كي يحصلوا على الخشب لعمل المجاديف» وهذا التناقض في الخبر يستحق الالتفات وفوق ذلك قد ذكر حنا النقيوسي ان دقلد يانوس احرق المدينة «واسلمها للنار كلها» صفحة ٤١٧ ووصف (Orsius) نصر دقلد يانوس بقوله «واسلم المدينة للتخريب» هو قول يعادل قول حنا في القوة وان كان لم يذكر النار (Hist. VII 25. 8) وقد ارسل قسطنطين) (Eulugius) اخا الشهيد مقاريوس الانطاكي وارسل معه جيشاً الى الاسكندرية «فأحرق كل معابد الاسكندرية ودمرها واستصفى املاكها» انظر كتاب (Actes des Martyres) (Hyvernat) صفحة ٧٤ وهذه الامثلة تدل على ان رأي قيصر مخطئ او مبالغ فيه.

(١٢) انظر (.Plut) (قيصر) صفحة ٤٩ «ولما انكسر الاسطول اضطر الى درء الخطر بالنار فأحرق المكتبة الكبرى بأن اتصلت النار بها من الموضوع الذي كانت فيه سفن الاسطول».

(١٣) اقتبس الاستاذ (Mahaffy) ما كتبه (سينكا) يسخر من ليفي ويظهر من قوله انه يسلم برأي سنيكا اذ يقول ان تلك الكتب كانت تقدر لانها تزين بهو الاكل اكثر من تقديرها لانها تعمل على العلم (Emp. of the Ptolomies) صفحة ٩٩ ولعلنا نفضل رأي جبون اذ يقول «وقد سمي ليفي تلك المكتبة زينة الملك». وهذا مدح عظيم انتقده عليه سنيكا نقداً فاحشاً لما كان متصفاً به من التشدد في مذهب الرواقيين الذين لايعبأون بشيء يسر ولا يحزنون لشيء يؤلم (الفصل ٥١).

(١٤) XIII صفحة ٣٨ «وقد جعل طعمة للنار كما يقولون مخازن القمح ومخازن الكتب وفيها الكثير والمختار (٤٧*) ويمكننا ان نفهم معنى قولهم «مخازن القمح» ولكن مامعنى «مخازن الكتب» اذ لايمكننا ان نتصور كوماً من الكتب القيمة في بعض المخازن على استعداد للتصدير ولا ان مخازن الكتب تكون بين ما يوجد عادة على المرسى كسائر معدات التجارة وان الفرق في اليونانية بين قولهم «مخازن الكتب» (٤٨*) وقولهم «المكتبة) (٤٩*) لاقل مما هو في الانجليزية بين لفظ

«مخزن الكتب» ولفظ «المكتبة».

(١٥) XXII صفحة ١٦؛ ويذكر (Aulus Gellius) نفس هذا العدد للكتب ولكن التقدير يختلف وذكر (Epiphanius) ان العدد هو ٥٤٨٠٠ وقد كتب ايضاً في القرن الرابع انظر كتاب (-Alex Andrinisches Museum) (Parthey) صفحة ٧٧ والحقيقة انه لم تكن هناك مكتبة واحدة بل مكاتب عدة وقد ورد في (Ammianus) عبارة «مكاتب كثيرة» وهذه العبارة تفسر السبب في اختلاف التقدير وقد ذكر (Susemihl) ان عدد الكتب في ايام (Callimachus) كان ٤٢٨٠٠ في المكتبة الخارجية (قد قيل انها هي مكتبة السرابيوم وهذا على ما نظن قول مشكوك فيه) في حين ان المكتبة الملكية كانت تحوي ٤٠٠٠٠٠ كتاب او لفافة من ذات اجزاء ٩٠٠٠٠ من ذات الجزء الواحد.

(Geschrchte der Griechischen litteratur in edr Alex. Zeit) الجزء الاول صفحة ٣٤٢ وما كتبه (Susemihl) ان ترتيب المكتبة العام يستحق العناية (صفحة ٣٣٦ وما بعدها).

(١٦) «وفي نفس الوقعة اصدر الامر باحراق الاسطول الملكي احراقاً تاماً فلما اتصل اللهب بالمدينة في بعض الجهات احرقت اربعمائة الف كتاب اتفق وجودها في الابنية المجاورة فاحرقت بذلك اثار المدارس ونتائج التعب المتواصل الذي بذله من قضوا تلك المدة الطويلة في جمع هذه المؤلفات الشهيرة العظيمة». (Hrst. VI 15. 31) والظاهر ان (Orsius) كان امامه احد شيئين: اما كتبه ليفي، واما قول سنيكا. وعبارة (Proximis forte Aedibus Cohdita) معناها (وكانت بالصدفة في ابنية مجاورة) فيظهر منها عند اول نظرة انها تعزز قول بعض النقاد الذين يزعمون ان هذه الكتب اتفق عند ذلك وجودها في مخزن قريب من الشاطئ وان عدم احتمال مثل هذا الامر وحده يكاد يكون كافياً لدحض هذا الرأي ولا يفيد لفظ (Condita) معنى (مخزن) مؤقت من ذلك النوع. وان الصعوبة لاتلبث ان تزول اذا نحن جعلنا لفظ (forte) وصفاً للفظ (Proximis) وهذا ماذهبنا اليه في ترجمتنا وفي نفس الوقت يلوح لنا ان (Orisius)، و (Dio Cassius) كلاهما كانا ينقلان عن اصل واحد غير واضح العبارة.

(١٧) جاء في كتاب (بلوتارك) «حياة انطون» ان انطون اهدى الى كليوبترة المكاتب التي كانت في (برجاموس) وكانت تحوي ٢٠٠٠٠٠ لفة من ذات الجزء الواحد.

(١٨) (Susemihl) انه من المحتمل ان مجموعة (برجاموس) كانت مخزونة في اروقة (Athene Polias) (الكتاب المذكور الجزء الثاني صفحة ٦٦٦) ولكن اين كان ذلك؟

(١٩) ذكر ذلك (Pilo Judaeus) انظر ماسبق في صفحة ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٢٠) ولكن (Eusebius) ينسب تدمير حي البروكيون الى كلوديان وقد يكون على حق انظر

التعليق في صفحة ٤١٥ من الجزء الثاني من كتاب Euseduis Heinechen.

(٢١) انظر كتاب De Pond et Mens Epiphanius الجزء XII وكان ابيفانيوس اسقفاً ولمعرفة عصره انظر صفحة ٣٥٥ هامش ٣.

(٢٢) نرى انفسنا مضطرين الى ايراد رأي الدكتور (Botti) وهو «بعد سبتيموس سفيروس لم يصبح محل لقول شيء عن المكتبة الكبرى فان المتحف القديم صار لا وجود له من بعد ايام (كراكلا) ولكن الكلوديوم بقي ثابتاً الى ايام اورليان» Colonne Theodosienne صفحة ١٣٨ وكان الكلوديوم شبه مدرسة للتاريخ أنشأه كلوديوس متصلاً بالمتحف ولكنه لم يلق توفيقاً كبيراً والظاهر ان الدكتور (Botti) يرجع اصل «المكتبة الوليدة» الى «تراجان» او «هدريان» ولكن يحسن ان نرجع الى كتاب الاستاذ Emp. of The Ptolomies, Mahaffy صفحة ١٦٧.

(٢٣) وهذا يفسر كثرة اقتران اسم ارسطاليس ببناء السرابيوم في مؤلفات المسلمين انظر ما سبق في صفحة ٤٠٦ وقد اخطأ (Matter) اذ زعم ان اول مرة وجد فيها الاقتران في كتاب بنيامين التوديلي فقال «والى ذلك الحين لم يكن احد من الكتاب قد اثبت تلك الرواية» (مدرسة الاسكندرية الجزء الاول صفحة ٣٢٧- ٨) والحقيقة ان هذه من العبارات الشائعة في الكتب العربية والقبطية على السواء. انظر مثلاً النسخة الخطية القبطية التي بباريس الجزء ١٢٩ صفحة ٩٢ ومابعدها وقد ترجم جزءاً منها المستر (W. E. Crum) وقام البرهان على ان منشأها كتاب Proceedings of Soc (Eusedius) Bibl. Arch (١٢ فبراير سنة ١٩٠٢) وقد جاء ذكر مدرسة ارسطاليس وعلم الاسكندرية في الصفحة الثانية عشرة من رسالة المستر (Crum) وهذا انتقال سهل من استعمال لفظ «المدرسة» للدلالة على مذهب علمي الى جعله يدل على الموضع الذي ينفي فيه العلم وقد نشأ عن الدراسة المتوارثة لمذهب ارسطاليس هناك اعتقاد الناس ان ارسطاليس كان هو نفسه يعلم في المتحف والسرابيوم.

(٢٤) ولكن بعض الكتاب يجرؤون على ابداء آراء قاطعة في ذلك فمثلا يقول نوريسون بك في كتابه (La Bibl. des Ptol.) صفحة ٢١) انه عندما استولى المسيحيون على السرابيوم (وقال ان ذلك كان في سنة ٣٨٩) نهبت المكتبة نهباً منظماً وارسلت الكتب الى روما والقسطنطينية وكان تيودوسيوس اذ ذاك يجمع الكتب لمكتبة عظمى. ولسنا ندري الى اي مرجع يستند هذا الخبر ولكن الاستاذ (Bury) يرى رأياً مخالفاً لذلك كل المخالفة في طبعته لكتاب جبون (الجزء الثالث صفحة ٤٩٥ الذيل) اذ قال «وقد استخلصنا انه لايوجد دليل على ان مكتبة السرابيوم لم تبق الى ايام فتح العرب» اما جبون نفسه فإنه يعتقد طبعاً انها دمرت على يد المسيحيين بقيادة تيوفيلوس وليس على يد العرب بقيادة عمرو ويتفق الدكتور (Botti) مع نوريسو ن بك على الاقل في انه يثبت ان المكتبة نقلت قبل سنة ٣٩١ اذ قال « واما المكتبة الوليدة» فإنها وقعت في قبضة (جورج القبادوقي)

فاستولت عليها الحكومة المركزية في القسطنطينية في سنة ٣٦٢ ولنا ان نتساءل هل احترقت بأمر Jovien (Colonne Theodosienne) صفحة ١٣٨).

(٢٥) قال (Matter) بحق «ولكي يكون التدمير تاماً يجب ان لا يقف الهدم عند معبد سرابيس بل يجب ان يشمل ايضاً ملحقاته الواسعة من افنية وابواب ومخادع وكذلك المكتبة التي كانت موجودة هناك منذ اكثر من ستة قرون» (.Ecole d'Alex. t.t صفحة ٣٢١) ولكن قوله «هناك» في الحقيقة استناد على مايجب البرهان عليه فإنه يزعم ان التخريب الذي لحق بالبناء كان يسيراً وسرعان ما اصلح وخرج من ذلك الى انه لما تقادم العهد على ذكرى المتحف القديم وعفا اثره حل محله السرابيوم في الاخبار وفي الحقيقة، وصارت «المنشأة الجديدة من النجاح بحيث انه في وقت فتح العرب كان السرابيوم لايزال يحوي مكتبة عظمى».

(٢٦) يجب علينا ان نحتج على ما استخلصه (Matter) من قول بنياميين التوديلي الذي رواه (راجع القول المذكور في كتابه صفحة ٣٢٧- ٨) وكلمات بنياميين هي «وخارج المدينة مدرسة ارسطاليس معلم الاسكندر وهي بناء عظيم بديع مزين باعمدة المرمر التي تفصل بين المدارس وعدد تلك المدارس عشرون تقريباً وكان الناس يذهبون اليها من جميع بلاد العالم ليتلقوا حكمة ارسطاليس» وهذا القول قاطع الدلالة على انه قد كان بين ما بقي من الابنية البديعة في القرن الثاني عشر عشرون ساحة او حجرة تتصل برواق ذي عمد.

لكنه لايدل ولا يمكن ان يدل على ان هذه الحجرات كانت هي بعينها التي استعملها طلاب الفلسفة فقد كانت الاخبار تقرن اسم ارسطاليس بابنية السرابيوم بوجه عام.

وعلى ذلك كان يقترن اسمه بما بقي منها في ايام كتابة بنياميين ولكن هذا لايمكن ان يؤخذ دليلاً على ان الابنية الباقية كانت تستخدم لطلاب العلم ومن باب اولى انها لم تكون المقر الذي اودعت فيه المكتبة. ثم نلاحظ ان قول بنيامين لا يتفق مع قول مؤرخ سابق له اذ يقول عن السرابيوم انه طلل وانه «لم يبق منه الآن إلا الاعمدة» التي لاتزال كلها قائمة ولم يسقط احدها» (النسخة الخطية العربية المكتوبة في سنة ١٠٦٧ للميلاد في باريس ونقل عنها الدكتور (Botti) في (Colonne Theod صفحة ١) فاذا علمنا انه في القرن الرابع كان المعبد الاوسط تام التدمير وانه في القرن الحادي عشر وصف بعض الاعمدة بأنه كان قائماً مكانه اتضح لنا ان تلك الاعمدة المذكورة هي اعمدة (الاكروبوليس) الخارجية وانها ليست اعمدة المعبد.

(٢٧) يحاول (Matter) (راجع النص في صفحة ٣٢٤) ان يجعل زيارة افطونيوس بعد سنة ٣٩١ ولكنه لم يقدر ان يتحاشى الصعوبة التي اوقعته فيها لغة افطونيوس فان ذلك الكاتب السوري يقول بوضوح ان ملحقات المعبد مبنية في جوار الاورقة من جهة الداخل وكان بعضها مخصصاً للمكتبة ومفتوحا لطلاب العلم وكان البعض الاخر مخصصا لخدمة الآلهة القديمة فاما

ان يكون افطونيوس قد كتب قبل تدمير مشاهد الوثنيين واما ان المسيحيين بعد ان خربوا معبد سرابيس تركوا المشاهد الوثنية الاخرى وأباحوا بقاءها. وقد اضطر Matter الى اختيار الرأي الاخير ولكن كثيراً من العقول الصريحة لاتقبل هذا الرأي وليس ثمت من دليل يدعمه وقد قال So-zomen عكس ذلك اذ زعم ان السرابيوم بقي في يدي المسيحيين منذ وقع لهم الى ايامه.

(٢٨) عندما وصف لهم الاعمدة الاربعة التي بني كل منها من وسط جانب من جوانب المعبد على رسم عمودي يلاقي صف الاعمدة الخارجي قال (الصحن الذي في وسطه اعمدة كثيرة) (٥٠*) واذا راجعنا نص الكتاب ولغة روفينوس وجدنا ان معنى لفظ (الصحن) (٥١*) ولا يمكن الا ان يكون (المعبد نفسه) فان قول روفينوس ليس فيه موضع للشك (في وسط فضاء البناء كله) فلفظ (الصحن) (٥١*) على ذلك يقصد به (المعبد) وكان حوله سور من الاعمدة وعلى كل جانب من ذلك السور صف من الاعمدة يلقاه في زاوية قائمة. وبعد ذلك تأتي الفقرة التي ذكرناها من قبل (انظر ما سبق في صفحة ٤٠٣ هامش ٣) (وقد بنيت المخادع في داخل الاروقة) (٥٢*) وهذه الفقرة توضح كل التوضيح ان المخادع التي خصصت للمكتبة والمقاصير التي كانت للآلهة القديمة كلها كانت في داخل سور الاعمدة المحيط بالمعبد او يمكن ان نقول ان ابوابها كانت تنفذ الى الاروقة المحيطة بالمعبد واذا كان ثمة شك في هذا فلن تبقى عليه النقوش التي وجدها الدكتور (Botti) في ذلك الموضع وهي (مع سرابيس وسائر الآلهة التي في المعابد نفسها وذلك اكراماً للامبراطور المعظم قيصر تريانوس ادريانوس) (٥٣*) وهذه الكتابة تذكر بصراحة ان الآلهة الاخرى كانت في نفس المعبد (صفحة ٢٢ L ,Acropole. d, Alex) وفوق ذلك قد كانت هذه المشاهد اما في المعبد واما في الصف العظيم من الابنية الخارجية ولكن روفينوس يذكر تلك الابنية ويقول عنها انها كانت تحوي حجرات للدروس او مخادع للكهنة و للسدنة والحفظة او للرهبان والزهاد ومن شابههم فلسنا نشك على ذلك في ان نقول ان الكتب كانت فعلاً في بناء ذلك المعبد وهذا يتفق مع كل مانعرفه عن مثل هذه المعاهد. وقد يوجد شيء من الشك في امر المتحف ولكنا قد بينا من قبل ان «الهدريانون» و (القيصريون) (٥٤*) كان في كل منهما مكتبته ولعلنا نقطع القول بان نورد قول (اورسيوس) «راجع الهامش ١ صفحة ٣٦٥» (Hist. VI 15 . 31).

(٢٩) انظر ماسبق في صفحة ٣٩٩ هامش ٢.

(٣٠) (Hist. Eccl.) الجزء ٢٢ (واقتلعوا معابد الاوثان من اساسها٩ وهو يذكر معبد سرابيس بلهجة الاسف قائلاً (وهو كما يقول الكثيرون اكبر واحسن ما على وجه الارض) (٥٥*).

(٣١) (Hist. Eccl.) الجزء ١٦ «ولكي يقلل الكنائس في الاسكندرية يكرس معبد المترابوم ويدهم معبد السرابيوم (٥٦*)» وكان المترايوم (Mithraeum) معبداً تقام فيه شعائر الفرس الملطخة بالدماء وليس ثمة مايدل على انه كان على الاكروبولس ولكن الامبراطور وهب لذلك الموضوع هبة خاصة وجعل البناء كنيسة وعلى ذلك يقول (Sozomen) عند ذكر معبد ديونيسوس

(Dionysus) (وحول معبد ديونيسوس الى كنيسة (٥٧*) ومعنى ذلك « انه اعيد بناؤه في شكل كنيسة» وهذه عبارة تخالف لفظ (٥٧*) الذي معناه «طهر واهدى الى».

(٣٢) الجزء ١٥ (ان هذه الكنسية قد دنست) (٥٨*) انظر الهامش السابق وكذلك ما سبق في صفحة ٤٠٣ هامش ٢.

(٣٣) سبق ان نقلنا العبارة من (Rufinus) (انظر ماسبق في صفحة ٤٠٠ هامش ١) ولكن الدكتور (Botti) لم يجد دونه النص اللاتيني فنقل ترجمة (La Faye) وهي ترجمة صحيحة وقد اظهر بحق ان (Rufinus) شهد تدمير المعبد وان الافعال التي يستعملها في قوله ماضيها ومضارعها يجب ان تؤخذ على انها تميز مابقي ومالم يبق عندما كتب ديوانه وعلى ذلك فان الدكتور (Botti) يرى ان (Rufinus) يبرهن على التمثال والمعبد كلاهما هدم وان الباب الرابع للفناء الاوسط قد هدم كذلك وعبارة (Rurinus) في ذلك الموضع هي: Posrticus quoque Post heac omnem ambitum quadratis ordinibus distinctae intrinsecus circumibant.

ولعل هذه اللغة فيها شيء من الغموض ولكنا نترجمها هكذا «ويلي (الصف الخارجي) اروقة ذات اعمدة كانت تحيط بالفناء الداخلي وتقسمه الى مربعات» وهذا يتفق مع الرسم الذي كشفه افطونيوس ولكنا اذا صدق رأينا في هذا التقسير كان الهدم شاملاً ما وراء سور الاعمدة المحيط بالمعبد مع ان الدكتور (Botti) يزعم فيما نظم ان الهدم كان مقصوراً على ما في داخله (co-lonne Theodosienne) صفحة ٣٥.

(٣٤) لنا ان نلاحظ هنا ان ابا الفرج يزعم ان (John Philoponus) يقول ان الكتب كانت مخزونة في «الخزائن الامبراطورية» وهذا الوصف فاسد وهو في الوقت عينه ذو دلالة.

فاما فساده فلأن حجرات السرابيوم لا يمكن ان نسمى «خزائن امبراطورية» مهما توسعنا في دلالة اللفظ. واما دلالته فلأننا نظن ان هذه الجملة تحمل صدى الخزانة القيصرية Fiscus Car-saris التي يقترن ذكرها باسم المتحف القديم.

(٣٥) انظر ماسبق في هامش صفحة ٤٢٨.

(٣٦) انظر كتاب Hist. Eccl. Theodoret الجزء ٢٢ فهو ينص بوضوح على ان التمثال جرى له ذلك وكان جله مصنوعا من الخشب ولكن رأسه وحدها سحبت في طرق المدينة وهذا يتفق مع ماقاله ميخائيل السوري اذ يقول «وكسر الوثن ورمي في النار ثم سحبوا رأسه في الطرق».

انظر صفحة ٣١٨ من (ed. Chabot. Tom. 1. Fase. II.).

(٣٧) يلوح ان الدكتور (Botti) اميل الى الرأي ان مكتبة (Trajanum) التي ذكر «Suidas» انها احرقت على يد (Jovian) يمكن ان تكون مكتبة الاسكندرية على ان ظاهر العبارة يفهم منه

اقتران ذلك الحادث بمدينة انطاكية صفحة ١٣٩ – ١٤١ (Colonne Theodosienne).

(٣٨) (Hist. Vi 15. 31) قال اوروسيوس بعد وصفه لتدمير المكتبة الاولى في حريق قيصر (انظر ماسبق اقتباسه في صفحة ٤٢٦ هامش ٢) وقوله فيه شيء من الغموض ولكن معناه يمكن ان يترجم ترجمة قريبة من الاصل فيما يلي: «واما هذا الامر فمهما صدق قول القائل اننا نجد اليوم رفوفاً للكتب فارغة في بعض المعابد (وقد رأيتها بنفسي) وان تلك الرفوف قد عربت وان كتبها دمرها الناس في زماننا (وهذا هو الحق) (٥٩*) فان الرأ ي الاقرب الى العدل هو انه بعد وقوع الحريق قد جمعت كتب غير تلك الكتب الاولى تضارع ما عرف عن القدماء من حب المؤلفات وانه لم يوجد من اول الامر مكتبة ثانية منفصلة عن المكتبة الكبرى التي كانت تحوي ٤٠٠ر٠٠٠ مجلد وان تلك المكتبة الثانية بقيت بفضل انفصالها عن المكتبة الكبرى.

(٣٩) معالج (Matter) لهذه المسألة غير مقنعة الى حد عظيم (انظر صفحة ٣٣٦ وما بعدها) (L'Ecole d'Alex. T. i) فهو ينقل عن حنا فليبونس (ad. Arist. Analyt. Pr. I, fol. 2B) انه يقول «(في المكاتب القديمة) (٦٠*) قيل انه قد كان هناك اربعون كتاباً في علم التحليل». ويستنتج (Matter) من ذلك وجود مجموعات جديدة من الكتب ولكنه عندما نقل عن اميانوس (Comment in Arist Categ. ap. ald fol 3 A) انه يقول انه لابد قد كان بالمكتبة اربعون كتاباً في علم التحليل وكتابان في القواعد (في المكتبة الكبرى) (٦١*) قال وصدق في قوله ان هذه العبارة لاتدل على شيء سوى اختفاء مكتبة المتحف قبل القرن الخامس وانها لاتدل على عدم وجود اي مكتبة وقد حق لماتر ان يصر على قوله ان اوروسيوس لا يذكر شيئاً عن السرابيوم ولكنه لايكاد يقدر نتائج هذه الحجة. وقد قال الاستاذ (Bury) في ذيل كتاب جبون الذي سبقت الاشارة اليه ان عبارة جبون الخاصة بتدمير مكتبة الاسكندرية مأخوذة عن اورسيوس وحده وقد برهنا على وجود طائفة كبيرة من الادلة لاعلاقة لها بأوروسيوس وقد قال الاستاذ (Bury) ويغلب على الظن ان اوروسيوس لم يكن مكتبة الاسكندرية او السرابيوم حينما ذكر الرفوف الفارغة وانا نوافقه على قوله.

(٤٠) انظر ماسبق صفحة ٣٤٣ الفقرة الرابعة من معاهدة الاسكندرية وراجع حنا النقيوسي صفحة ٥٧٥.

(٤١) (١) ابن العبري (Chron. Eccl. t. i. c 290).

(٤٢) لم نقصد في هذا الامر سوى اثبات الحقيقة ولم نقصد الدفاع عن العرب. وليس الدفاع بضروري ولو كان ضرورياً لما تعذر ان شيئاً يليق الاعتذار به عن ذلك. فلا شك ان العرب عنوا فيما بعد بجمع كثير من الكتب القديمة وغيرها مما وقع في ايديهم وعنوا بحفظها وترجموا منها في كثير من الاحوال. وفي الحق انهم اقاموا مثلاً يجدر بفاتحي هذه الايام ان يحذوا حذوه فقد

نقل Sedillot (Hist. Gdn. des Arabest. ip. 185) ان الفرنسيين عندما فتحوا مدينة قسطنطينة في شمال افريقيا احرقوا كل الكتب والمخطوطات التي وقعت في ايديهم «كأنهم من صميم الهمج» ووجد الانجليز عند فتح مدينة مجدلة مكتبة كبرى من الكتب الحبشية فحملوها معهم ولكنهم لم يلبثوا ان تركوا اكثرها في كنيسة علي جانب الطريق اذ وجدوا في حملها عناء لم يقووا على احتماله ولقد كان اختيارهم للكتب التي ابقوا عليها خبطاً وسيراً مع الصدفة ولكن قيمة الكتب التي انجبت وحفظت تدلنا على فداحة الخسارة التي لحقت العلم بضياع ما ترك منها فقد كانت النسخة الخطية من كتاب حنا النقيوسي التي حفظت بالمتحف البريطاني احدى تلك الكنوز التي انجبت بهذه الطريقة الاتفاقية.

٤- الدكتور مصطفى العبادي في كتابه

«مكتبة الإسكندرية القديمة - سيرتها وتطورها

في كتابه المذكور، يرى الدكتور العبادي ان التساؤل حول مصير المجموعات الهائلة من الكتب التي تجمعت في مكتبة الاسكندرية القديمة قد ادى الى انقسام المؤرخين بشأنه منذ القرن الثامن عشر. وبالتالي فان التقرير بأنها قد دمرت مسألة متفق عليها في قليل او كثير.

غير ان النقاش ينبغي ان يدور حول كيفية حصول هذا التدمير ومتى تم ذلك؟ وبمعنى آخر ينبغي ان يدور النقاش حول ما اذا كانت المكتبة او المكتبات كانت قائمة الى القرن السابع الميلادي حين فتح العرب مصر او انها قد اختفت قبل ذلك. ونظراً لعدم وجود دليل حاسم حتى الآن حيث اعتمدت الآراء في ذلك،، الى حد كبير، على التحاليل الفردية للنصوص الاصلية ضمن سياقها العام وبلغاتها الاصلية.

وبالنظر الى تنوع هذه اللغات وتعددها، وبصورة خاصة اليونانية واللاتينية والعربية، فان معظم المؤرخين الحديثين، باستثناء أ.ج بتلر A.J. BUTLER، في مطلع القرن العشرين، اعتمدوا على الترجمات، وخاصة في حالة النصوص العربية ومن سوء الحظ ان ظل الامر كذلك في احدث مؤلف كتبه ل. كانفورا L. CANFORA .

لذا فقد ركز الدكتور العبادي مناقشته على احداث رئيسية ثلاثة:

(أ) حرب الاسكندرية BELLUM ALEXANDRINUM

حصل في عام ٤٨ ق.م وفي احدى مراحل الحرب الاهلية الرومانية، انه ما ان وصل قيصر الى الاسكندرية مطارداً غريمه «بومبي POMPEY»[٢] حتى علم بمصرعه. وبنشوب حرب اهلية اخرى مصرية بين كليوبترا واخيها الاصغر «بطليموس الثالث عشر PTOLEMY X111 » وانتصار قيصر الذي ساند كليوبترا في هذه الحرب.

ولقد وصف قيصر حرق سفن العدو ، ولكنه التزم الصمت فيما يتعلق بآثار الحريق على المدينة ومن سوء الحظ ان الجزء الخاص بوصف حرب الاسكندرية من كتاب المؤرخ الروماني ليفي LIVY (٥٩ ق.م - ١٧ ق.م) لم يصلنا. وعلى اي حال فان المؤلفين اللاحقين من منتصف القرن الاول حتى القرن الخامس كانوا يقدمون تفصيلات الكارثة التي يمكن ان تفسر ما اوضحه قيصر.

ولم يجرؤ احد حتى الفترة الاخيرة من حكم اسرة يوليوس / كلوديوس-JULIO - CLAUDIAN DYNASTY على ان يذكر تفصيلات اضافية تزيد او تتعارض مع ما اوعزه قيصر، حتى ان قائده الذي كتب «حرب الاسكندرية» ذهب الى ابعد من ذلك حين اكد بأن معظم مباني الاسكندرية كانت «مضادة للحريق» لانها كانت مبنية من الحجارة بدون عوارض خشبية، وحتى

الاسقف فقد كانت مصنوعة من الحصى والحجارة.

واول اشارة الى حقيقة ما حدث تعود الى عهد الامبراطور الروماني «نيرون NERO ٣٧ – ٦٨م» في كتابات اعضاء من الحزب المخول لانتخاب مجلس الشيوخ SENATORIAL FAC-TION الذي كان معارضاً للحكم الامبراطوري.

فهناك اولاً الشاعر الروماني « لوكان LUCAN »[٣] الذي وصف في قصيدته الملحمية EPIC POEM الحرب الاهلية بان النيران انتشرت من السفن الى اجزاء اخرى من المدينة، وان المباني القريبة من البحر قد اشتعلت فيها النيران، واحالتها الرياح الى كارثة. وقد انطلقت ألسنة اللهب الى فوق الاسقف بسرعة الشهب.

وقام معاصر آخر هو الفيلسوف الرواقي «سنيكا SENECA»[٤] حيث توسع في الوصف فذكر ان اربعين الف (والراجح الآن اربعمائة الف) كتاب احترقت اثناء حرب قيصر.

ومع نهاية القرن الاول الميلادي، كتب المؤرخ اليوناني «بلوتارك PLUTARCH»[٥] بتوسع اكثر عند كتابته سيرة قيصر فيقول :«عندما حاول العدو القضاء على اسطوله، اضطر قيصر الى ان يصد الخطر باستخدام النيران التي كانت منتشرة من حوض بناء السفن فدمرت المكتبة الكبرى THE GREAT LIBRARY (MEGALE BIBLIOTHEKE).

ومن بعد ذلك كرر المؤرخون المتأخرون من القرن الثاني الى القرن الخامس ذكر التفصيلات السابقة مع بعض الاختلافات النسبية. فمثلا ان المؤلف اللاتيني «اولوس غيليوس AULUS GEL-LIUS المتوفى عام ١٣٥ ميلادي» كتب في القرن الثاني بان عدد الكتب كان نحواً من سبعمائة الف كتاب احترقت كلها خلال النهب الذي حصل بالمدينة في حرب الاسكندرية الاولى، ولم يكن قد حدث ذلك عن عمد او بأمر من احد، ولكن حصل ذلك عرضاً من الجنود المساعدين، وواضح كما يرى المؤلف ان لهجة التبرير لا تحتاج الى تأكيد.

رفي القرن الرابع بعد ذلك، تحدث المؤرخ الروماني «اميانوس مارسيلنيس AMMIANUS MARCELLINUS (٣٣٠ – ٣٩٥ م) كتقرير للحقيقة عن احتراق مكتبة لا تقدر بثمن. تضم سبعمائة الف كتاب اثناء حرب الاسكندرية عندما دمرت المدينة زمن الدكتاتور قيصر.

ومع ذلك فقد تعددت الآراء بين الباحثين الحديثين فيما يتعلق بآثار الحريق، فالبعض يتقبل صحة الادعاء بان المكتبة الملكية قد احترقت ابان حرب الاسكندرية والبعض الاخر يتمسك بأن مسؤولية قيصر هي مسؤولية محدودة بل ويوافق كحقيقة تاريخية الادعاء السابق من قبل مؤلف حرب الاسكندرية بأنه لم تكن هناك اخشاب في منشآت ابنية المدينة، لذلك فأنها غير قابلة للحريق، الامر الذي يرون معه بأن مكتبة الاسكندرية لم تكن لتحترق.

ومع ذلك فان مؤلف كتاب حرب الاسكندرية، بدون قصد، قد ناقض نفسه، في عبارة لاحقة، كيف ان الاسكندريين في محاولتهم لاعادة بناء اسطولهم قد احتاجوا الى المجاذيف، فلجأوا في ذلك الى رفع اسقف الاروقة ذات الاعمدة PORTICOS ومباني الالعاب الرياضية والمنشآت العامة، وذلك لاستخدام عوارضها كمجاذيف. ويؤكد هذه الحقيقة ما اوضحه «لوكان » سابقا بان النار قد اندفعت عبر الاسقف بسرعة الشهب.

وهكذا. فلا سبيل الى انكار استخدام الاخشاب، على الاقل في بناء اسقف المنشآت العامة:

وتتميز شهادة «بلوتارك» في هذا الصدد بأهمية خاصة لاكثر من سبب:

اولاً: لانها تبين انه كان على علم كامل بمسؤولية قيصر، وانه في الواقع قد كرر الفاظه واستمر حيثما توقف قيصر. فذكر بان النيران قد انتشرت من حوض بناء السفن ودمرت المكتبة الكبرى.

ثانياً: ان بلوتارك قد المح بذلك بناء على معلوماته الشخصية عن الاسكندرية التي زارها، وربما كان ذلك بعد ان اتم تعليمه في اثينا.

لقد كان شغوفاً بالقراءة والمطالعة، ولابد انه قد قام بزيارة مركز الابحاث MOUSION ووجد بنفسه ان «المكتبة الكبرى» لم يكن لها وجود منذ تدميرها في حرب قيصر.

وهناك نقطة اخرى تتطلب الايضاح، وهي البيان الذي ادلى به المؤرخ اليوناني «ديو كاسيوس DIO CASSIUS ١٥٥ – ٢٣٠» الذي كتب في مطلع القرن الثالث فيذكر اثناء عرضه لحرب الاسكندرية بأن اماكن كثيرة قد اشتعلت فيها النيران. ومن بين من تناولته النيران واحالته الى رماد، مستودع الاسلحة ARSENAL (NEORION)، ومستودعات الحبوب THE (apothecae) STOREHOUSES OF THE GRAIN والكتب التي قيلت انها علي قدر كبير من حيث العدد والروعة.

ان الالتباس الذي حصل هو في استخدامه كلمة «apothecae» للتعبير عن مخازن الحبوب والكتب التي اتجه التفكير بشأنه الى بضائع معدة للتصدير وانها لذلك لاعلاقة لها بالمكتبة، ولكن حيث ان «ديو» قد كتب لاكثر من ٣٠٠ سنة بعد الحوادث موضوعة البحث فانه ليس من المتوقع ان يكون مثار اهتمامه هو ما يخص البضائع الموجودة على الارصفة. الى جانب ذلك فان معنى كلمة «apothecae» لا تؤلف صعوبة بسبب قيام الطبيب اليوناني «غالين GALEN ١٣٠ – ٢٠١ م» باستخدام مماثل للكلمة لتعني الاكداس المتراكمة من المطبوعات في «رفوف الكتب - BOOK STACKS الخاصة بالمكتبة الملكية و في معرض وصفه لاجراءات تسجيل الكتب في الاسكندرية، فانه يتم عادة وضع اسم المالك او المجهز على الكتب قبل ايداعها في الرفوف، وانه بعد ذلك يشرع في وصف العملية بالايضاح انه في البداية فان من عادتهم وضع الكتب في اكوام في عدة محلات (اي غرف اضافية) وتؤخذ بعد ذلك للاستعمال في المكتبات. وواضح حسبما يقوله «غالي» بأن

apothecae بمعنى اماكن تخزين الكتب والتي تعتبر جزءاً مكمّلاً للمكتبات.

وفي ضوء هذا الفهم، فان «ديوكاسياس» كان يتحدث عن مبان وليس عن البضائع ومن بين الاماكن الكثيرة التي احترقت، فقد اشار الى ثلاث مؤسسات مهمة وحيوية في المدينة وهي: «مستودع الاسلحة THE ARSENAL» و «مخازن الحبوب GRANARIES» المشهورة والبناية التي توضع فيها خزائن الكتب BOOK - STACKS .

ان البناية حسب وصف المؤرخ الاسباني «OROSIUS (القرن الخامس الميلادي)» كانت تقع بالقرب من الارصفة، والتي صادف ان وصفها المؤرخ الروماني «ليفي LIVY»[٦] كأروع نصب تذكاري (puicherrimum monumentum) .

وهناك نقطة اخرى حيرت الباحثين المحدثين، وهي الصمت المزعوم حول موضوع المكتبة كما قال بذلك المؤرخ اليوناني «سترابو SRRABO ٦٣ ق.م – ٢١ م» (٧) الذي يعتبر اول كاتب زار الاسكندرية بعد عقدين من وفاة الاسكندر وامضى فيها اربع سنوات (٢٤ – ٢٠ ق.م).

وقد ابقى لها ادق وصف مفصل عن هذه المدينة العريقة، فوصف الميناء والمعابد والمسرح، وضريح الاسكندر «سيما SEMA» والمتحف مركز الابحاث. ولكنه لم يذكر كلمة واحدة عن المكتبة ولابد انه قد قرأ كتباً كثيرة خلال بقائه لمدة طويلة في المدينة ولكن اين؟ انه لم يخبرنا بذلك مطلقاً فهل كان ذلك مؤامرة على الصمت، او انه تحريم مفروض حول موضوع يتعلق باسرة جوليوكلوديا JULIO CLAUDIAN DYNASTY ١٤– ٦٨م[٨] في روما ومن المحتمل ان الاخيرة هي الاصح لان سترابو لم يكن ليبقى صامتاً علي هذه النطقة، كما قد يفسر ذلك. انه اشار بالتأكيد الى المكتبة، ولكن بطريقة غير مباشرة بحيث ان اهميتها لم تثر انتباه الباحثين.

في القسم النظري السابق لكتابه «الجغرافية» استعرض سترابو وانتقد اعمال واساليب سلفه. وعلى العموم فانه انتقد بشدة العالم اليوناني «ايراتوشينس ERATOSTHENES ٢٧٦ – ١٩٤ ق.م» الذي كان كعالم رواقي بدا متمرداً بعض الشيء، حيث انحرف عن الاخلاق الرواقية الارذوكسية التي يلتزم بها سترابو كلياً. ومع ذلك، فان هناك حالة واحدة خرج فيها سترابو عن طريقته الاعتيادية ليعطي رصيداً الى «ايراتوستينس» في مواجهة نقد «هيبارخوس HIP-PARCHUS[٩] الجغرافي والفلكي في القرن الثاني قبل الميلاد. وكان موضوع خلافهم يتعلق بالمسافات التي تقاس بحدود العالم غير المسكون في ذلك الوقت، من «ميرو MEROE في السودان الي «بحر ايجه AEGEAN، ومن البلقان BULKANS عبر الشواطئ البعيدة للبحر الاسود وبحر قزوين CASPIAN SEAS الى وسط آسيا وشرق الباسفيك، او عبر هيمالايا الى جنوب الهند.وقد شدد سترابو على حقيقة بأن «ايراتوستينس» في اظهار هذه الحقائق قد استقى معلوماته من كثير من الادلة والشواهد من مكتشفين سابقين وانتهى بذلك في التصريح بأنه نظراً الى أن

«ايراستوثينس» قد أخذ كل هذه الامو ر كمسائل نشأت بالفعل من شهادة رجال كانوا في تلك المناطق، حيث انه قد اطلع على كثير من المعاهدات التي زود بها ووضعت تحت تصرفه مثل هذه المكتبة الفخمة كما اكد ذلك «هيبارجوس» نفسه.

ويما لاشك فيه ان «سترابو» انما يشير هنا الى المكتبة العظيمة في الاسكندرية. ان البحث في العبارة المذكورة اعلاه يتناول علماء ينتمون الى ثلاثة قرون مختلفة. وكان «ايراتوسيثنس» هو الثالث و «هيبوراكس» هو الثاني «وسترابو» الذي كتب عن الاسكندرية في الربع الاخير من القرن الاول قبل الميلاد. ومن الواضح ان المكتبة الملكية لم تكن موجودة هناك عندما اقام في الاسكندرية اقامة قصيرة، وانه لم يكن قادراً على ان يتفقد لنفسه كثيراً من التقارير الجغرافية الاصلية. وفي نبرة من اليأس، اشار قارئيه الى «هيبارخوس» الذي عاش قرناً قبله، كشاهد على ثراء المكتبة والتي اشتغل فيها «ايراتوثينس» لفترة من الزمن.

وازاء ملاحظة «سترابو» الموجزة وبيان «بلوتارك» الواضح، فلا نستطيع، كما اعتقد ان نتجنب القول في الختام بان المكتبة الملكية قد لاقت مصيرها في عام ٤٨ قبل الميلاد.

ب – تدمير السرابيون في ٣٩١ ميلادية

بعد ان احترقت المكتبة الملكية في ٤٨ ق.م اصبحت المكتبة الابنة المكتبة الرئيسية في الاسكندرية. ونظراً لوقوعها ضمن مباني السرابيون. فقد استمرت مكفولة بالحماية الدينية طالما بقيت للمعابد الوثنية قدسيتها وامنها. ولكن بعد اعلان المسيحية دينا رسميا في الامبراطورية، بدأت قدسية المعابد تتعرض للتهديد، وبلغ الموقف ذروة الخطر في عهد ثيودوسيوس THEODOSIS الامبراطور الروماني (٣٧٩ – ٣٩٥) الذي شن حملة شاملة ضد الوثنية ومعابدها في انحاء الامبراطو رية. وفي احدى مراحل تطبيق هذه السياسة، تمكن ثيوفيلوس THEOPHILUS اسقف الاسكندرية المتعصب آنذاك – من الحصول على موافقة الامبراطور علي تحويل معبد ديونيسوس الى كنيسة. وبسبب أساليبه المتطرفة عنفا، فزع كثير من الاهالي الذين كانوا مازالوا وثنيين وحاولوا الالتجاء الى مجمع مباني السرابيون الضخم. فقد كان ضخم البناء فوق ارض مرتفعة اشبه بالحصن. وقد وصفه اكثر من مؤرخ باعتباره «قلعة الاسكندرية».

وطلب ثيوفيلوس المساعدة من كل من والي مصر وقائد الحامية الرومانية بالمدينة، ولكنهما رفضا ان يقدما له ما طلب من مساعدة عسكرية لمهاجمةالسرابيون دون موافقة صريحة من الامبراطور. هو ما حدث فعلا، فاصدر الامبراطور ثيودوسيوس في ٣٩١ قرارا يبيح تدمير معابد الاسكندرية واندفع ثيوفيلوس مؤيداً بقرار الامبراطور – يقود جماعة من المتعصبين الى مدخل السرابيون، حيث قرأ القرار امام جمهور سيطر عليه الفزع. وفي نوبة من الذعر الشديد اندفعوا

هاربين، بينما صعد ثيوفيلوس الدرج الى المعبد، وبنفسه سدد اول ضربة لتمثال العبادة للاله سرابيس، وفي حالة هستيرية حذا حذوه من تبعه من المتعصبين، عاثوا في انحاء المعبد مفسدين ومدمرين وناهبين. وبعد ان تم التدمير، امر ثيوفيلوس بان تقوم مكانه كنيسة.

وقد يتبادر الى الذهن ان امر مكتبة السرابيون قد انتهى عند هذا الحد، وانها لقيت مصيرها مع المعبد نفسه. ولكن الدارسين الحديثين، رغم اجماعهم على التسليم بحادثة تدمير معبد السرابيون على يدي ثيوفيلوس، نجدهم يختلفون اشد الاختلاف حول مصير المكتبة منشأ الخلاف مرة ثانية هو اختلاف تفسير المصادر التي بين ايدينا. ومن حسن الحظ في هذا المقام اننا نمتلك شهادة عدد من الكتاب الذين عاصروا وشاهدوا الاحداث بانفسهم او كانوا غير بعيدين منها، وجميعهم يؤكد فداحة التدمير. فعلى سبيل المثال يقول ثيودوريت «ان المعبد دمر من اساسه» ويقول اخر، وهو يونابيوس «(ان ثيوفيلوس واتباعه) انهالوا على المعبد مدمرين، وشنوا حربا على محتوياته.

ولم ينزعوا الاساسات فقط، بسبب ضخامة كتلها الحجرية التي لم يمكن تحريكها، ولكنهم اهلكوا وخربوا كل شيء تقريبا.

ومع ذلك فالمدافعون يستمرون في انكار ما يعنيه بالضرورة مثل هذا التدمير الشامل، ويجادلون بأن ثيوفيلوس لم يكن هدفه تحطيم البناء ولكن العبادة. ويدفعون بأنه سعى بحماس فقط الى تحطيم الوثنية، وانه ليس هناك مبرر للاعتقاد بأنه كان يقصد الى محو جميع الكتابات الماضية. لمواجهة مثل هذه الحجج يمكننا ان نتلمس ردا في كتابات افثونيوس Aphthonius الذي زار الاسكندرية في القرن الرابع والف كتيبا بعنوان «وصف قلعة الاسكندرية» ويقصد معبد السرابيون. وفي ثنايا وصفه يقول «وكان مقاما بجوار الاروقة علي الجانب الداخلي قاعات، بعضها كان خزائن للكتب، لاستخدام اولئك الذين وهبوا انفسهم لطلب العلم، وهي التي رفعت المدينة بأسرها لتتبوأ مكان الصدارة في الفلسفة، وبعضها الآخر كان مقاما لعبادة الآلهة القديمة».

وقد اثارت هذه العبارة جدلا عنيفا بين الكتاب، اذ تبناها اصحاب الآراء المتعارضة على السواء، لانها تثبت ان افثونيوس رأى مكتبة بالسرابيون حين زار الاسكندرية ولكن الاختلاف ينشأ حول تاريخ الزيارة، التي ليس معروفا تاريخها على وجه التحديد. ولذلك يذهب رأي الى انها حدثت قبل ٣٩١، ومن ثم لاتفيد شيئاً لما اصاب المعبد في ٣٩١ بينما ذهب رأي آخر الى ان الزيارة كانت بعد ٣٩١، ولذلك تقوم دليلاً على ان الكتب استمرت موجودة بعد تدمير المعبد.

لسوء الحظ معلوماتنا عن سيرة افثونيوس قليلة جدا. ونظرا لانه كان تلميذا للخطيب العظيم واستاذ البلاغة ليبيانيوس الانطاكي (٣١٤ - ٣٩٥) فهناك اتفاق انه عاش في النصف الثاني من القرن الرابع وبداية الخامس. ونعرف له كتابا في البلاغة يسمى «تدريبات اولية» يتميز بالبساطة

والوضوح.

ولعدم توفر اية معلومات اخرى تعيننا على تحديد موعد زيارته للاسكندرية، فنحن مضطرون الى الاعتماد على النص مباشرة.

فان قراءة متأنية تثبت ان النص لا يبرر ايا من النظريتين المطروحتين. فمن الواضح ان افثونيوس في وصفه للمعبد يقدم لقارئه صورة من الماضي، كما كان الوضع من قبل، ولم يعد كما هو وقت الكتابة، ومن ثم استخدامه صيغ الماضي في كل الافعال. فهو لا يستخدم الفعل المضارع اطلاقا في هذا السياق. نستنتج من هذه الملاحظة ان افثونيوس عندما قام بزيارته رأى ان السرابيون كان به «قاعات، خصص بعضها لخزائن الكتب، وبعضها الآخر اقيم لعبادة الآلهة القديمة». فلعله من المستحيل ان نتصور ان هذه الالفاظ تصف المعبد بعد ان حوله ثيوفيلوس الى كنسية في ٣٩١. فاستمرار «عبادة الآلهة القديمة» امر لايمكن قبوله عقلا. وبناء على ذلك، يكون افثونيوس قد زار السرابيون ورأى خزائن الكتب وكذلك اماكن عبادة الآلهة القديمة قبل ٣٩١، وان هذه المعالم لم يعد لها وجود في وقت الكتابة بعد عام ٣٩١ ، ومن ثم استخدامه للزمن الماضي. ورغم ما يكون في هذا الاستدلال النحوي من جفاف، يمكننا ان نقدم ما يؤيده في كتابة مؤرخ معاصر آخر يسمى روفينوس Rufinus ونعرف انه شاهد بنفسه احداث ٣٩١ في الاسكندرية ثم كتب بعدها عام ٣٩٩، وهو لذلك يستخدم الزمن الماضي ايضا لوصف ماكان بالمعبد قبل التدمير فيقول «كان هناك تمثال ضخم للاله سرابيس» ثم يتحول الى الفعل المضارع عندما يصف الممشى ذا السقف المعقود (exedera) مما بقي بالفناء خارج بناء المعبد ذاته. وعلى هذا النحو يمكننا ان نستنتج ونحن مطمئنون ان عبارة افثونيوس تعني فقط ان خزائن الكتب وعبادة الآلهة القديمة كانت من معالم السرابيون من قبل، ولم تعد من معالم الكنيسة التي قامت مكانه.

لعل من المناسب هنا ان نقول كلمة موجزة عن الجو العام المسيحي في ذلك الوقت، فلم تقتصر اسباب انقسامهم على قضايا العقيدة، كما هو معروف، ولكن امورا اقل خطورة بكثير ادت الى انقسام حاد وتحزب فيما بينهم. مثال ذلك انشقاق ميليتيوس Meletius الذي لم تكن له اصول عقائدية، ولكنه نشأ عن خلاف في الرأي حدث اثناء الاضطهاد الكبير، ربما في ٣٠٥، بين المسجونين من المسيحيين، حول الاجراء الذي تتخذه الكنيسة بشأن معاملة اولئك الذين ضعفوا امام الاضطهاد. فنجد بطرس اسقف الاسكندرية يمثل الاتجاه الاكثر تسامحا، وميليتيوس اسقف اسيوط (Lycopolis) يمثل الجانب الاكثر تزمتا. ورغم ان الفريقين اتفقا في نقطتين اساسيتين، اذ لم يكن اي من الفريقين راغبا في حرمانهم نهائياً من العودة الى الكنيسة، وكذلك لم يكن اي منهما راغباً في قبول عودتهم بغير شروط، وانما اقتصر الخلاف فقط حول طول مدة التوبة قبل اعادة قبولهم في الكنيسة، ووضعهم فيما بعد. ولكن نظراً لأن كلاً منهما لم يقبل التنازل عن موقفه، لم يمكن التوفيق بينهما، وانتهى الخلاف الى انشقاق في الكنيسة.

كان هذا الأنقسام الى متسامحين ومتزمتين معروفا ومألوفا داخل الكنيسة، ولكنه اتصف بالعناد الى درجة التطرف في الظروف العصيبة في القرنين الرابع والخامس. ومن بين القضايا التي ادت الى انقسام الرأي داخل الكنيسة هو الموقف الذي يجب اتخاذه من العلوم الوثنية القديمة. واذا بأصحاب الرأي المتزمت يذهبون الى تحريم هذا النوع من التعليم. ويمثل موقفهم احسن تمثيل القول الشائع «ان فما واحدا لا يمكنه ان يقرن بين تمجيد المسيح وتمجيد جوبيتر» وكانوا يعتقدون انه يجب على المسيحيين ان يتبعوا نظاما مسيحياً خالصاً في التعليم، دون ان تفسده الفلسفة والاداب الوثنية. ونجد في تعاليم الرسل، وهي وثيقة شاعت في الشرق خاصة في القرنين الرابع والخامس، تعبيرا عن وجهة نظرهم في التعليم على هذا النحو: «هل تريد تاريخا؟ فاليك سفر الملوك، واذا اردت بلاغة؟ فسفر الانبياء. او شعرا؟ فالمزامير. او فلكا وقانونا واخلاقا؟ فقانون الرب المجيد».

هذا الموقف المتطرف في تزمته ترك جماعة المعتدلين والاكثر تسامحا في وضع حرج للغاية. فقد كان هؤلاء مدركين تماماً ان النظام التعليمي كله قائم على اسس يونانية في الفلسفة والبلاغة والمنطق. كما كانوا يعتقدون ان مثل هذا التعليم، ليس به شبهة من ضرر على الاطلاق، بل على العكس ضروري لصقل عقول المسيحيين انفسهم وتثقيفهم. وخير من يمثل هذه المدرسة من التفكير هو المؤرخ سقراط من اسطنبول، الذي عاش في نهاية القرن الرابع والنصف الاول من القرن الخامس. وقد حرص مؤرخنا في حواره مع فكر الاصوليين ان يثبت وجهة نظرهم اولا، في ما يتعلق بمبدأ «تعلم المسيحيين لفلسفة الوثنيين التي تؤكد دوما على تعدد الآلهة، وبدلا من القول بأنه يساعد على دعم الدين الحق، اجدر بنا ان نستنكره باعتباره امرا مخربا للعقيدة.» وبعد ذلك ينبري لهم سقرطا مفندا اعتراضهم، مقدما عددا من الاسانيد بطريقة يمكن ان تستميل مشاعر المسيحيين الدينية.

فيبدأ بقوله «اولا، فيما يتعلق بفلسفة اليونان، فلم يحدث ان نظر اليها السيد المسيح والرسل على انها قد جاء بها وحي الهي، كما لم يحدث ايضا ان رفضوها رفضا تاما باعتبارها ضارة او مفسدة ثانيا، كثير من فلاسفة اليونان كانوا غير بعيدين من ادراك الايمان بالله ثالثا، لايشك احد في ان الكتاب المقدس الذي نزل به الوحي الالهي يغرس في النفوس عقائد سامية في ذاتها وربانية في حقيقتها، وانها قبل اي شيء تطبع على التقوى والحياة الفاضلة اولئك الذين يسترشدون بتعاليمها... ولكنها لاتعلم فن البرهان العقلي، الذي عن سبيله يمكننا بمقدرة مواجهة اولئك الذين يعارضون الحق. واخيراً ما اسهل ان يُقهر الخصوم ، اذا وجهت اسلحتهم ضدهم».

يتبين من ذلك مقدار ما كان هناك من انقسام حاد داخل الكنيسة ذاتها بشأن التراث القديم كله. وفي ظروف القرن الرابع والخامس العصيبة كثيرا ما تفوق جانب المتطرفين، وعلى الاقل كان ينظر الى الاداب والفلسفة الكلاسيكية نظرة شك شديد. ويمكننا ان نتذكر في هذا الشأن ما شعر

به القديس جيروم من قلق نتيجة لانه قرأ سرا كتابا لشيشرون، فيروي في احدى رسائله ما رآه في الحلم، وكأنه في يوم الحساب، وسأله سائل «اي نوع من البشر انت»؟ فأجاب «مسيحي» فجاءه الرد «انت تكذب، انت شيشروني ولست مسيحيا».

ويمكننا ان نفهم ما اصاب جيروم من ذعر، حين نعرف ان المتطرفين شنوا حربا على الكتب والعلوم القديمة، ليس في الاسكندرية فحسب، ولكن في جميع ارجاء الامبراطورية. ففي عام ٣٦٤ قيل بان الامبراطور جوفيان قام باحراق مكتبة معبد تراجانوم في انطاكية وليس من قبيل الصدفة ان المؤرخ الوثني اميانوس مارقللينوس، في الوقت ذاته تقريبا، يتحدث عن اناس في روما «كرهوا العلم كراهية السم»، وان هناك «مكتبات قد اغلقت الى الابد كالقبور» واخيرا نجد المؤرخ المسيحي اوروسيوس الذي زار الاسكندرية في ٤١٥، يسجل في اسى واضح «ويحدث اليوم ما هو اكثر، اذ كانت هناك خزائن للكتب في معابد كنا قد رأيناها، ويقولون ان رجالا منا قاموا بافراغها من محتوياتها، وهذه حقيقة لا تقبل الشك.

يتضح من هذه المناقشة ان الحرب ضد العبادة الوثنية شملت ايضا الكتب الوثنية، وانه في ضوء عبارة افثونيوس والتفسير الذي قدمناه، ليس هناك من شك ان تدمير السرابيون في ٣٩١ كان نهاية المكتبة الابنة ايضا.

جـ - الرواية العربية عن نهاية المكتبة:

بعد أحداث نهاية القرن الرابع وبداية الخامس، استأنفت الاسكندرية حياتها العادية وأصبحت مركزا لحياة فكرية جديدة عمادها المسيحية ومدرستها التعليمية الشهيرة. وتوافد التلاميذ من جميع أرجاء العالم المسيحي على المدرسة التي زعموا أن مؤسسها هو القديس مرقص نفسه، والتي حظيت من قبل بتعليم كليمنس وأوريجينيس. وأثناء القرنين والنصف التاليين اكتسبت المدينة طابعا جديدا وثقافة جديدة تماما. ولم يعد للمؤسسات القديمة، السرابيون والموسيون ومكتباتهما، أي ذكر على الاطلاق. وفي عام ٦٤٢ فتح مصر القائد العربي عمرو بن العاص واحتل الاسكندرية. وقام بتسجيل أحداث الفتوح العربية مؤرخون من الجانبين، من العرب ومن الأقباط والبيزنطيين. وطيلة خمسة قرون بعد الفتح، لم يرد ذكر حادثة واحدة تتعلق بمكتبة الاسكندرية تحت الحكم العربي. وفجأة في مطلع القرن الثالث عشر نسمع عن رواية تصف كيف أحرق عمرو كتب مكتبة الاسكندرية القديمة.

واقدم ذكر لهذه الحادثة، كما ذكرنا ذلك سابقا ونعيد ذكره هنا موجزا - هو ما أورده كاتبان عربيان لهما مكانتهما، وهما عبداللطيف البغدادي وابن القفطي. وأما عبداللطيف فكان طبيباً مرموقاً زار سوريا ومصر حوالي عام ٥٩٥هـ / ١٢٠٠ ميلادية وأشار الى زيارته للاسكندرية في عبارة مضطربة تشيع فيها الاخطاء: «رأيت أيضا حول عمود السواري من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور، ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف. وعمود السواري عليه قبة هو حاملها». وهنا نجده يستطرد ليقدم فكرة خطرت له: «وأرى أنه الرواق الذي كان يدرس فيه ارسطوطاليس وشيعته من بعده. وأنه دار العلم التي بناها الاسكندر حين بنى مدينته، وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضي الله عنه».

ولسنا في حاجة الى أن نقول ان ما يذكره عبداللطيف عن أرسطو والاسكندر غير صحيح، وأن سائر العبارة عن خزانة الكتب وحرقها بلاد اسناد، وليس لها قيمة تاريخية بذاتها. ولكن الأكثر أهمية واثارة هو النص الثاني والأوفى مادة الذي يورده ابن القفطي في كتاب «مختصر تاريخ الحكماء»، من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. ونظرا لأهميته في الخلاف حول حرق المكتبة، نقتبسه هنا ثانية لانعاش الذاكرة.

«كان هناك في ذلك الوقت رجل يقال له يحي النحوي، المصري الاسكندراني تلميذ شاواري، كان اسقفا في كنيسة الاسكندرية بمصر، ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية، ثم رجع عما يعتقد النصارى في التثليث، لما قرأ كتب الحكمة واستحال عنده جعل الواحد ثلاثة والثلاثة واحد. ولما

تحققت الأساقفة بمصر رجوعه، عز عليهم ذلك فاجتمعوا اليه وناظروه فغلب وزيف طريقه، فعز عليهم جهله واستعطفوه وآنسوه وسألوه الرجوع عما هو عليه وترك اظهار ما تحققه وناظرهم عليه، فلم يرجع فأسقطوه عن المنزلة التي هو فيها بعد خطوب جرت. وعاش الى أن فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى له مع النصارى، فأكرمه عمرو وعرف له موضوعا، وسمع كلامه في التثليث فأعجبه، وسمع كلامه أيضا في انقضاء الدهر ففتن به وشاهد من حججه المنطقية وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله. وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر، فلازمه وكان لا يكاد يفارقه.

ثم قال له يحي يوما: انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية، وختمت على كل الاصناف الموجودة بها. فأما ما لك به انتفاع فلا أعارضك فيه، وأما لا نفع لكم به فنحن أولى بها، فأمُرْ بالافراج عنها.

فقا له عمرو: وما الذي تحتاج اليه؟

فقال: كتب الحكمة في الخزائن الملكية، وقد أوقعت الحوطة عليها، ونحن محتاجون اليها، ولا نفع لكم بها.

فقال له عمرو: ومن جمع هذه الكتب، وما قصتها؟

فقال له يحي: ان بطلوماؤوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية، لما ملك حبب اليه العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها وأفرد لها خزائن فجمعت، وولى أمرها رجلا يعرف بزميرة، وتقدم اليه بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة في أثمانها وترغيب تجارها في نقلها. ففعل ذلك فاجتمع من ذلك في مدة أربعة وخمسون ألف كتاب ومائة وعشرون كتابا. ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها، قال لزميرة، أترى بقي في الأرض من كتب العلوم ما لم يكن عندنا؟ فقال له زميرة قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم. فعجب الملك من ذلك. وقال له دم على التحصيل. فلم يزل على ذلك الى أن مات الملك. وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم الى وقتنا هذا.

فاستكثر عمرو ما ذكر يحي وعجب منه، وقال «لا يمكنني أن آمر فيها بأمر الا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وكتب الى عمر وعرفه قول يحي الذي ذكرناه، واستأذنه ما الذي يصنع فيها. فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: وأما الكتب التي ذكرتها، فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها، فتقدم باعدامها.

فشرع عمرو بن العاص في تفرقتها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها وذكرت عدة الحمامات يؤمئذ وأنسيتها، فذكروا انها استنفدت في ستة أشهر. فاسمع واعجب».

ومنذ أورد ابن القفطي هذه القصة وجدنا الكتّاب العرب بعده يرددونها مرة مطولة وأخرى مختصر. ولم تعرف في أوروبا الا في القرن السابع عشر، مما أدى الى خلاف في الرأي حول صحة القصة برمتها. وقد تعرضت القصة مرارا للنقد والتحليل بأيدي مختلفة، ولكن لعل المستشرق أ. ج. بتلر A. J. Butler هو أقدر من تصدى لدراستها ونقدها حتى الآن. ويمكن أن نجمل هنا أهم النتائج التي انتهى اليها فيما يلي:

أولا: ذكر بتلر أن القصة كلها تدور حول شخصية يحي، وعرفه بأنه يوحنا فيلوبونوس Jo-hannes Philoponus، وأن يوحنا هذا عاش وكتب ضد المذهب النسطوري في عصر الامبراطور جستنيان، أو حوالي عام ٥٤٠، ويكاد يكون مستحيلا أن عاش حتى الفتح العربي لمصر سنة ٦٤٢.

ثانيا: أنه منذ القرن الرابع الميلادي نقلت كثير من مخطوطات الاسكندرية من البردي وكتبت على الجلد (Vellum) لقدرته على التحمل أكثر من ورق البردي. والجلد لا يحترق، ولا تجعله أوامر الخليفة يحترق، حسب قول بتلر.

ثالثا: أن الطريقة الاقتصادية التي لجأ اليها عمرو لحرق الكتب خيالية، ومدعاة لسخرية، فاذا كان الحريق قد تقرر فعلا، وبدافع ديني، لأحرقت المكتبة دفعة واحدة وفي مكانها، بدلا من توزيعها بين الحمامات على مدى ستة أشهر، مما يسمح بتسرب الكتب بسهولة تامة.

وينتهي بتلر من هذا التحليل الى أن القصة مختلقة، وأن العرب لم يجدوا بالاسكندرية مكتبة عند فتحهم لها. ولا شك أن الدراسة التي قام بها بتلر تمثل واحدة من أرقى الدراسات في المناقشات التي دارت حول المكتبة ومصيرها. ورغم أهميتها الكبرى فانها لم تضع حدا للخلاف. وفي الواقع يمكن أن يطرح بشأنها اعتراضان أساسيان.

أولا: ان القول بتعريف يحي النحوي بشخصية يوحنا فيلوبونوس، ليس بالضرورة صحيحا، بسبب شيوع اسم يوحنا أو يحي بين المسيحيين في تلك الفترة من تاريخ المسيحية، كما أن لقب grammaticus الذي ترجم بالنحوي كان يطلق على كل كاتب تقريبا دون تمييز. ومن ثم احتمال وجود شخص آخر يسمى يحي النحوي في زمن الفتح العربي.

ثانيا: الادعاء بأن الكتب منذ القرن الرابع أصبحت كتب على رقوق الجلد، ليس مقنعا، نظرا لأن الجلد كان نادرا وشديد الغلاء في مصر، مما حال دون شيوع استخدامه كما حدث في آسيا الصغرى وأوروبا. ويتبين من الاكتشافات الأثرية أن ورق البردي استمر المادة الأساسية للكتابة في مصر حتى القرن الثامن الميلادي. وبالاضافة الى هذا كله، نحن لا نعرف من أين استقى بتلر

معلوماته بأن الجلد لا يحترق، فمن الثابت الآن أن الجدز يحترق عند درجة ٨٠٠ ف تقريبا، أي أعلى قليلا من درجة احتراق الورق (٥٤١ ف).

ولكن نظرا لاستمرار أهمية نص ابن القفطي بالنسبة للمناقشة، فسوف أحاول اخضاعه لأسلوب مختلف من النقد. وفي الواقع ليس نص ابن القفطي كله مختلقا، ولا هو من النصوص البسيطة بحيث يمكن أن يقبل كله أو يرفض كله، بل هو نص مركب التكوين يمكن رد بعض أجزائه الصحيحة الى أصول تاريخية أكثر قدما. ولهذا السبب يجب أن نلاحظ أن هذا النص يتكون من ثلاثة أجزاء:

أولا: الجزء الخاص بالتعريف بيحي النحوي، وهو يكاد يتفق كلمة كلمة مع نصر أكثر قدما أورده ابن النديم في كتابه الفهرست الذي ورد أنه فرغ من كتابه سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٩م، أي قبل ابن القفطي بقرنين ونصف تقريبا. وذكر ابن النديم في معرض التعريف بيحي النحوي ما يأتي: «كان يحي تلميذ ساواري، وكان اسقفا في بعض الكنائس بمصر، ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية، ثم رجع عما يعتقده النصارى في التثليث، فاجتمعت الأساقفة وناظرته فغلبهم واستعطفته وآنسته وسألته الرجوع عما هو عليهوترك اظهاره، فأقام على ما كان عليه، وأبى أن يرجع فأسقطوه وعاش الى ان فتحت مصر على يدي عمرو بن العاص، فدخل اليه وأكرمه ورأى له موضوعا، وقد فسر ارسطليس، وقد ذكر ما فسره في موضعه، وله من الكتب بعد ذلك.. الخ.».

ومن المحتمل أن ابن القفطي أخذ تعريفه ليحي النحوي عن نص ابن النديم، أو ان كليهما أخذا عن مصدر أكثر قدما. وواضح ان ابن النديم رغم استمراره في الحديث عن يحي ومؤلفاته، لا يذكر أن حديثا دار بينه وبين عمرو بشأن المكتبة.

ثانيا: الجزء الخاص بالتعريف بنشأة مكتبة الاسكندرية زمن البطالمة، فيبدو أن الفكر العربي كان على علم بأمر مكتبة الاسكندرية القديمة وظروف تأسيسها منذ القرن الرابع الهجري على الأقل، وربما قبل ذلك أيضا. إذ أن ابن النديم نفسه يورد نصا طريفا لاسحق الراهب يتحدث فيه عن تأسيس مكتبة الاسكندرية. وبطبيعة الحال كان اسحق الراهب سابقا على ابن النديم، وهو أحد أولئك المسيحيين في بلاد الشام الذين نشطوا في نقل التراث اليوناني الى اللغة العربية بين القرنين الثالث والرابع الهجريين. والنص كما يورده ابن النديم يكاد يتفق ايضا مع عبارة ابن القفطي. والنص حسب رواية ابن النديم في نهاية حديثه عن المكتبات ا لكبرى القديمة هو: «وحكى اسحق الراهب في تاريخه أن بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية، لما ملك فحص عن كتب العلم وولي امرها رجلا يعرف بزميرة، فجمع من ذلك - على ما حكى - أربعة وخمسين ألف كتاب ومائة وعشرين كتابا، وقال له قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم».

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه العبارة تكاد تتفق مع الفقرة المعروفة للكاتب البيزنطي تزتزيس

Tzetzes من القرن الثاني عشر، وقد سبق ذكرها في الفصل الثالث. ومن المحتمل أن كلا من اسحق وتزتزيس يستمد من مصدر مشترك يرجع أصلا الى «رسالة ارستياس» من القرن الثاني ق. م.، فجميعهم يتفقون في الدور الفعال الذي قام به ديميتريوس، ويسميه العرب زميرة، تأسيس المكتبة، وجميعهم يتفقون في نسبة تأسيس المكتبة الى بطليموس الثاني فيلادلفوس، وليس الى بطليموس الأول سويتر حسب رواية أخرى أكثر قبولا الآن بين الدارسين.

ثالثا: هناك الفقرة الأخيرة ذات الطابع القصصي وأقرب لأسباب التسلية، وهي التي تروي تبادل الرسائل بين عمرو والخليفة، وتنتهي بوصف الطريقة الاقتصادية التي اتبعها عمرو في استخدام الكتب وقودا للحمامات العامة في المدينة. هذا الجزء الثالث لم يمكن ارجاعه الى مصدر أسبق من ابن القفطي نفسه.

يتبين من العرض السابق أن الكتّاب العرب والبيزنطيين حتى القرن الثاني عشر كانوا على علم بمكتبة الاسكندرية ومتتبعين لأخبارها ومع ذلك فلا يعلم أحد منهم أن عمرو بن العاص وجد لها أثرا بالاسكندرية، ولذلك يبدو أن هذه الفقرة الأخيرة المتعلقة بقيام عمرو بحرق الكتب، اختلاق حدث في أثناء فترة متأخرة من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلاد.

ومن أجل تفسير هذا الاقتراح، لابد من ايضاح نقطتين:

أولا، ماذا حدث خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر بالذات، مما بعث اهتماما مفاجئا بمصير مكتبة الاسكندرية وأدى الى اتهام عمرو بجريرة حرقها؟

ثانيا، لماذا – بعد صمت كامل استمر ثمانية قرون منذ تدمير السرابيون – نجد ابن القفطي بالذات حريصا على ذكر مثل هذه القصة في أوفى تفصيلاتها؟

للاجابة على السؤال الأول، يجب أن نذكر أن فترة القرنين الخامس والسادس الهجريين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، كانت فترة حاسمة في تاريخ الحروب الصليبية، كما تمثل مفترق طرق في التاريخ العام. ففي أثناء هذين القرنين تقرر مستقبل تاريخ العالم، وقد اهتم بدراسة أحداثهما البالغة التعقيد أعداد غفيرة من المؤرخين، وهم على سبيل التبسيط يقسمونها تقسيما ثلاثيا معروفا، الى: صليبية وثقافية واقتصادية، اما فيما يتعلق بموضوع اهتمامنا هنا، فهناك تطوران أساسيان كانت تتوالى أحداثهما في كل من أوروبا والعالم العربي – دون أن تبدو الصلة بينهما واضحة للوهلة الأولى. الأول عسكري، وقد تقرر لصالح العرب على أرض المعركة في فلسطين، والثاني ثقافي وأعمق أثرا، وقد تقرر لصالح أوروبا. ففي كل من بيزنطة وأوروبا، كانت هناك حركة نشطة تثير الاعجاب لاحياء العلوم الكلاسيكية. ففي القسطنطينية تأسست في منتصف القرن الحادي عشر أكاديمية جديدة للقانون والفلسفة واللغة. كما برزت في القرن الثاني عشر شخصية تزتزيس، الذي يدل فيض انتاجه من الأعمال الأدبية والتاريخية – على أنه قد أحاط بالأدب اليوناني الكلاسيكي.

وفي غـرب أوروبا ازدهرت الحـركـة المدرسيـة المشـهـورة وأدت الى انتـشـار ظاهرة تأسـيس المدارس في ايطاليا وفرنسا وانجلترا والمانيا. هذه هي الفترة التي ظهرت فيها البدايات الأولى لمدارس وجامعات بولونيا وشارتر وباريس واكسفورد وغيرها. فمنذ البادرة الكارولنجية، ونحن نلحظ أن ملوك أوروبا يبذلون جهدا واعيا لتشجيع العلم. فنسمع مثلا في ١١٥٨ الامبراطور الالماني فريدريك باربروسا يعلن أمن وحماية أولئك الذين يدرسون في شمال ايطاليا، ويخصّهم بمعاملة متميزة في جميع ارجاء مملكته.

ان ما نتج عن هذه الحركة من خلع الصبغة الدينية عنها تمثل بصورة ملموسة فيما طرأ على صناعة الكتاب من تطور أثناء القرن الثاني عشر. قبل ذلك كان انتاج الكتب يكاد يقتصر على الأديرة. فباعتباره عملا من أعمال التوبة أو الايمان، كان من معالم الكتاب الديري جلد فاخر، ورق مذهب، هوامش عريضة، خط متقن، مصورات فنية توضيحية. وبالضرورة كانت هذه الروائع الجميلة قليلة العدد وباهظة الثمن، وفوق طاقة آلاف الأساتذة والطلبة الذين تكاثروا على مدارس القرن الثاني عشر. من أجل تلبية حاجات هؤلاء الدارسين، ظهر ناشرون يصدرون الكتب في أعداد كبيرة (STATIONARII) عن طريق النسخ الجماعي للكتب، يقوم به ناسخون مدربون على الانتاج السريع، ونتيجة لذلك اختفت المصورات، وضاقت الهوامش، واستخدمت الجلود الرخيصة، وكثرت المختصرات في الكتابة. ومع ازدياد الطلب اشتد السعي الحثيث في كل مكان وراء الحصول على مصادر جديدة للكتب ليقوموا على نشرها وتقديمها للدارسين، في هذا الوقت كان قد أصبح ينظر الى المدن الكبرى في العالم الاسلامي بمكتباتها المشهورة على أنها مستودعات لكنوز من الكتب، وخاصة كتب اليونان القديمة. ففي هذاالقرن الثاني عشر قام ابيلارد من مدينة باث ببريطانيا بزيارة اسبانيا واليونان وآسيا الصغرى ومصر، وقد ورد أنه من أسبق من قام بترجمة اقليدس من اللغة العربية الى اللاتينية. وأصبحت الترجمة من العربية الى اللاتينة ظاهرة ملازمة لحركة احياء العلوم، وهكذا عرفت أوروبا كثيرا من الأعمال اليونانية الكلاسيكية عن طريق أخذها عن تراجم عربية. وبالاضافة الى اقليدس، اشتد السعي في حرص متصل وراء أعمال أبقراط وجالينوس، والمجسطي لبطليموس وأرسطو بشروح ابن سينا وابن رشد... وغيرها، وتمت ترجمتها من العربية الى اللاتينية في أوروبا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر.

إذا ما قارناهذه الصورة في الغرب الأوروبي مع ما كان حادثا في الشرق الاسلامي في ما يتعلق بالكتب والمكتبات نجدصورة مختلفة كل الاختلاف. فهناك عدد من الأحداث التي صاحبت فترة الحروب الصليبية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر (الخامس / السادس الهجريين) أدت الى تدمير المكتبات وخرابها. وأسبق حادثة بلغتنا عن ضرر فادح أصاب مكتبة عامة كان زمن الشدة العظمى التي أصابت مصر حوالي ٤٦٠ / ٤٦١هـ (١٠٧٠م) حين اضطر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الى عرض آلاف الكتب للبيع من المكتبة الفاطمية الكبرى في القاهرة ليتمكن من دفع مستحقات جنوده من الترك. فقيل انه في احدى المناسبات باع «ثمانية عشر ألف

كتاب في العلوم القديمة». وفي مناسبة ثانية، في يوم واحد أخرج من المكتبة خمسة وعشرين جملا موقرة كتبا ليدفع دينا عليه لاثنين من كبار رجال الدولة، احدهما الوزير أبوالفرج «وقومت حصته بخمسة آلاف دينار، وكانت تساوي أكثر من مائة ألف دينار» من هذه الكتب ما نهب فيما بعد... وأبحر بها بالنيل وأرسل الى الاسكندرية أو المغرب.. وفي حادثة ثالثة هاجم السودان القصر ونهبوا محتوياته، وأخذوا الكتب المجلدة تجليدا فاخرا وأحروا أوراقها، واتخذوا من جلودها نعالا لهم، سوى ما غرق وتلف، «وحمل الى سائر الاقطار».

ويحدثنا المقريزي عما وهب الخليفة المستنصر في عام الشدة، «وصار الى فخر الدولة... مقطع من الحرير الأزرق... دقيق بديع الصنع منسوج الذهب وسائر ألوان الحرير تنبيتا، فيه صورة أقاليم الأرض بمدنها وجبالها وبحارها وأنهارها وسعة حصونها ومسالكها شبه جغرافيا، وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر، ومكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير. وفي آخره: مما أمربعمله المعز لدين الله تشوقا الى حرم الله واشهارا لمعالم رسول الله، في سنة ٣٥٣ هجرية، والنفقة عليه اثنان وعشرون الف دينار». وهكذا، يضيف المقريزي، أن كتبا لا تقدر بثمن ولايحيط بها حصر انتشرت في جميع سائر الأقطار.

ومن كوارث الحروب المؤلمة ما حدث عند استيلاء الصليبيين على مدينة طرابلس على ساحل بلاد الشام سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م. فبعد حصار دام ست سنوات، عرضت المدينة التسليم بشرط أن يمنح أهلها الأمان على أرواحهم وأملاكهم، فأجابهم الصليبيون الى ذلك. ولكن بعد أن تم التسليم ودخل الجنود الصليبيون المدينة، يقول ابن الأثير انهم أعملوا السلب والنهب «فغنموا من أهلها الأموال والأمتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحصى».

وهناك حادثة أخرى أقل خطورة، ولكنها تشير الى نوع الحوادث التي كانت تقع في تلك الأيام العصيبة، وهي حادثة استيلاء الصليبيين على أموال أسامة بن منقذ ومكتبته الخاصة امام مدينة عكا، أثناء ابحار اسرته بها من مصر الى الشام، وذلك بعد أن أعطاهم الأمان ملك بيت المقدس الصليبي. وقد أورد هذه الحادثة أسامة نفسه في سيرته الذاتية الشيقة ثم أضاف في ايجاز مؤثر «وحرمنا ذهاب ما ذهب من المال، الا ما ذهب لي من الكتب، فانها كانت أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة. فان ذهابها حزازة في قلب ما عشت».

هذه الحوادث وأمثالها كثيرا ما أثارت مشاعر الغضب والاستياء العام، وكثيرا ما أدت الى تبادل الاتهام والتشهير بين الجانبين. في مثل هذه الأحوال يصبح اختلاق قصة تصف تدمير أشهر مكتبة وجدت في التاريخ القديم كله في الاسكندرية على أيدي العرب مادة مناسبة لمعارك القذف والاتهام التي صاحبت معارك القتال في الفترة الصليبية.

والسؤال الثاني، ماذا دفع ابن القفطي، في حرص واضح، الى ايراد قصة مختلقة من هذا القبيل، ودون أن يثبت لها سندا، فيسجلها بأوفى تفصيلاتها؟ لعل المحرك لدوافعه يكمن في

العلاقة الوثيقة بين ابن القفطي ووالده بصلاح الدين وأسرته. فقد ولي والده يوسف القفطي قضاء بيت المقدس من قبل صلاح الدين، ومن بعده ولي ابن القفطي نفسه قضاء حلب من قبل الأيوبيين عام ٦١١هـ / ١٢١٤م وبعبارة أخرى كان ابن القفطي ووالده من أعوان صلاح الدين ورجال دولته الجديدة التي أقامها على أنقاض الحكم الفاطمي الشيعي في مصر. ومن المعروف أن صلاح الدين كان في حاجة الى المال لينفق على اعداد حملاته أو ليدفع مستحقات من تعاونوا معه، وكانت من وسائله للحصول على المال أن يفرق أو يبيع الكنوز ذات القيمة التي يغنمها. وفي موقفين نعلم أن من بين الكنوز التي تصرف فيها على هذا النحو كانت المكتبات الكبرى.

الحادثة الأولى يوردها المقريزي عن صلاح الدين بعد أن استقل بالحكم في مصر (٥٦٧هـ / ١١٧١م) أن أعلن تفريق وبيع المكتبة الفاطمية الشهيرة بالمزاد العلني، وتولى بيعها ابن صورة دلال الكتب، واستمر بيعها عدة أعوام. ثم يضيف المقريزي في شيء كثير من الأسى، نقلا عن ابن أبي طي، بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر: «ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا، ويقال أنه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من التي بالقاهرة في القصر». ويؤكد الحادثة مؤرخ آخر وهو أبو شامة، باسناده الى العماد (من رجال صلاح الدين)، أن عدد كتب المكتبة آنذاك «مائة وعشرون ألف مجلدة مؤبدة من العهد القديم.. ونقلت منها ثمانية أحمال الى بلاد الشام». وهكذا انهى وأجهز صلاح الدين على ماتبقى من المكتبة التي بدأ الفاطميون أنفسهم ببيعها، حين كانت كتبها في تقدير أبي شامة يزيد على المليونين.

الحادثة الثانية يوردها أبو شامة في حديثه عن مدينة آمد بأقصى الشمال السوري في منطقة الفرات الأعلى (الآن في تركيا)، فقد وجد بها صلاح الدين الأيوبي عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م خزانة كتب تحوي ألف ألف وأربعين ألف كتاب، فوهب السلطان الكتب للقاضي الفاضل (من كبار رجال دولته)، فانتخب منها حمل سبعين حجازة (وثاق الجمل)، ويقال ان ابن قَرَة أرسلان (أيضا من رجال الدولة) باع من ذخائر آمد وخزائنها مالا حاجة له به مدة سبع سنين، حتى امتلأت الأرض من ذخائرها.

يتضح من مجموع الأحداث والشواهد التاريخية السابقة أمران لهما دلالتهما. الأول، أن الطلب على الكتب القديمة ازداد خلال فترة الحروب الصليبية، وخاصة في القرن السادس هـ / الثاني عشر م، زيادة كبرى وأن هذا الطلب كان من جانب الغرب، الذي كان يمر بفترة من الوعي الثقافي أصبحت تعرف بنهضة القرن الثاني عشر. ويكفي أن نذكر حادثتي مكتبة طرابلس العامة ومكتبة اسامة بن منقذ الخاصة، لنتبين أن الحصول على الكتب كان من أهم مطالب الصليبيين، وهو مطلب استمر الغربيون يحرصون عليه الى يومنا هذا. كما أن كثيرا من الكتب التي بيعت لم تبق داخل البلاد، ولكن حملت خارجها. فالشواهد المتعددة، والتي تكاد تكون معاصرة للأحداث تؤكد أن الكتب التي باعها المستنصر أولا زمن الشدة العظمى «أبحر بهذه الكتب بالنيل، وأرسل الى الاسكندرية أو المغرب»، أو «حمل الى سائر الأقطار». وأكثر تحديدا نجد الكتب التي باعها

صلاح الدين في القاهرة، قسم منها على الأقل «انتقل الى بلاد الشام»، وما وهب وباع من خزائن آمد السورية «امتلأت الأرض من ذخائرها».

الأمر الثاني، ان عبارات الأسى التي توردها المصادر السابقة تشير الى احساس عام بالسخط لفقد ذلك التراث الذي لا سبيل لتعويضه. ولابد أن صلاح الدين تعرض لحملة شديدة من النقد لهذا السبب، وخاصة من جانب أتباع الفاطميين الذين كان يخشاهم ويسارع الى البطش بهم. في مثل هذه الظروف يصبح رجال الحاشية في الدولة الأيوبية الجديدة مطالبين بالدعاية للنظام الجديد والدفاع عن أعماله. وهكذا توفر لابن القفطي الحافز لأن يستجيب لمتطلبات الموقف العام، ويقوم بالدور المنتظر منه في خدمة الدولة، فضمن كتابه «تاريخ الحكماء» تلك القصة العجيبة بأن عمرو بن العاص أمر بأن تستخدم كتب مكتبة الاسكندرية القديمة وقودا لحمامات المدينة، فبيع الكتب أهون من حرقها من غير شك.(*)

(*) تعقيب :

رغم أن حرق الكتب تناولته روايات مختلفة، إلا أن بيعها لا يحول دون انتشارها.

هوامش بحث الدكتور مصطفى العبادي

١- هـذا الكتاب في الأصل باللغة الانكليزية بعنوان THE LIFE AND FATE OF THE AN- CIENT LIBRARY OF ALEXANDRIA للاستاذ الدكتور مصطفى العبادي قامت منظمة اليونسكو في باريس بطبعه عام ١٩٩٠ وأعيد طبعه عام ١٩٩٢. وترجم الى اللغة الفرنسية واللغة اليابانية، كما ترجم مؤخراً الى اللغة العربية تحت عنوان "مكتبة الاسكندرية القديمة، سيرتها ومصيرها".

٢- بومبي POMPEY (١٠٦ - ٤٨ ق. م).

زعيم عسكري وسياسي روماني شنّ حملات عسكرية موفّقة على أسبانيا وجنوب فرنسا وشمال ايطاليا. أطاح بمملكة السلوقيين SELEUCIDS في سوريا عُرف بخصومته ليوليوس قيصر. وقد هزمه هذا الأخير في معركة فرسالوس PHARSALUS عام ٤٨ ق. م ففرّ الى مصر حيث اغتيل. يُعرف بـ «الكبير THE GREAT».

٣- ماركوس لوكان MARCUS LUCAN أو أنييوس لوكانوس ANNAEUS LUCANUS (٣٩ - ٦٥م):

شاعر روماني. لم يبق من آثاره غير ملحمته اللاتينية «بيلوم شيفيل BELLUM CIVILE» الشهيرة باسم «فرساليا PHARSALIA» لأنه وصف فيها انتصار يوليوس قيصر على بومبي في معركة فرسالوس.

٤- سنيكا (كوسيوس أنّايوس سنيكا) SENECA (LUCIUS ANNAEUS) (٤ ق.م-٦٥م):

خطيب وفيلسوف وزعيم سياسي روماني. تمتّع بسلطة واسعة في الشطر الأول من عهد نيرون، ولكنه اتُّهم بعد ذلك بالتآمر على حياة هذا الامبراطور فأُكره على الانتحار. وضع عدداً من الكتب في الفلسفة الرّواقية STOICISM وألّف تسع مسرحيات تراجيدية. يُعرف بـ «الأصغر THE YOUNGER» أما والده بنفس الاسم والمواهب (٥٥ - ٣٩ ق. م) فيعُرف بـ «الأرشد THE ELD- ER».

٥- بلوتارك PLUTARCH (٤٦ - ١٢٠):

مؤرخ وفيلسوف وكاتب سيريوناني. كان لمقاله أبعد الأثر في تطوّر فن «المقالة ESSAYS» و «فن السيرة BIOGRAPHY» في أوربا ابتداءً من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر. وضع كتابين شهيرين هما «سِيَر متوازية لنبلاء الاغريق والرومان PARALLEL LIVES OF GREEKS AND ROMANS» و «الأخلاق ETHICA أو MORALIA» وهو يشتمل على أكثر من

ستين مقالة في الأخلاق والدين والسياسة والأدب وغيرها، ويحتل بلوتارك مكانا فريدا في الادب كموسوعي للعصور القديمة.

٦- ليفي LIVY «الاسم اللاتيني TITUS LIVIUS ٥٩ ق.م - ١٧م»:

مؤرخ روماني مشهور، صاحب كتاب «منذ تأسيس المدينة Ab Vrbe Condia» وهو أثر ضخم يقع في ١٤٢ جزءا أرّخ فيها لمدينة روما. وقد كان لهذا السِفر أثر بعيد في أسلوب الكتابة التاريخية وفلسفتها حتى القرن الثامن عشر.

٧- راجع الهامش رقم ٣٩ من الفصل السابع.

٨- أسرة جوليو كلوديا THE JULIO - CLAUDIAN DYNASTY (١٤ - ٦٨م):

هي الأباطر الاربعة الذين خلفوا أوغسطس(١/٨)، فأولهم الامبراطور الروماني «تيبريوس TI-BERIUS حكم من ١٤ - ٣٧»(٢/٨) ثم «كاليغولا CALIGULA حكم من ٣٧ - ٤١»(٣/٨) أعقبه «كلوديوس الأول CLAUDIUS 1 حكم من ٤١ - ٤٥»(٤/٨) وبعد ذلك «نيرون الذي حكم من ٥٤ الى ٦٨»(٥/٨) وكان أقدرهم «تيبريوس».

١/٨: أوغسطوس AUGUSTUS (٦٣ ق.م - ١٤م):

أول أباطرة الرومان حكم من ٢٧ ق.م الى ١٤ م. أعاد الاستقرار والازدهار الى ربوع العالم اليوناني - الروماني. وقد ركزّ سلطة الامبراطورية الرومانية في مدينة روما نفسها. قام باصلاحات ادارية واجتماعيةكثيرة. أعادتنظيم الجيش وشجعّ الفنون. اسمه الاصلي (أكتافيوس). وأوغسطوس لقبٌ خُلع عليه عام ٢٧ ق.م يُعرف أيضا بـ «أوكتافيان OCTAVIAN».

٢/٨: تيبريوس TIBERIUS (٤٢ ق.م - ٣٧ م).

اسمه الكامل «تيبريوس كلوديوس نيرون قيصر TIBERIUS CLAUDIUS NERO CAESAR» حكم من ١٤ الى ٢٧ م. وهو ثاني اباطرة الرومان. وقد اتّسم حكمه بادئ الأمر بالتعقل والحكمة وحسن الادارة وتحصين حدود الامبراطورية. ولكنه غادر روما عام ٢٧ للميلاد الى جزيرة كابري CA PRI واستهلّ من هناك عهداً من الارهاب والانغماس في الشهوات تاركاً حكم الامبراطورية لأعوانه.

٣/٨: كاليغولا CALIGULA (١٢ - ٤١م):

امبراطور روماني حكم من ٣٧ الى ٤١م، استهلّ عهده بانتهاج سياسة سمحة، ولكنه سرعان ما أصيب باضطراب عقلي فاستحال الى طاغية وحشي. وقد رُوي أنه سأل الناس أن يعبدوه وكأنه اله، وأراد أن يعين فرسه «قنصلاً». ولكن عدداً من الباحثين لا يطمئن الى صحة ذلك. وقد تآمر عليه بعض النبلاء والشيوخ فاغتيل.

٤/٨: كلوديوس الأول (١٠ق.م - ٥٤ م):

امبراطور روماني حكم من ٤١ - ٥٤م وسّع رقعة الامبراطورية في شمال أفريقيا، وغزا ايطاليا عام

٤٣ وجعلها مقاطعة رومانية. اتّسم عهده بالفساد بسبب من زوجاته وعبيده المُعتَقين. دسّت له زوجته الرابع «أغريبينا الصغرى AGRIPPINA THE YOUNGER» السمّ – تمكيناً لابنها نيرون NERO من ارتقاء العرش من بعده – فقضى نحبه.

٨/٥: نيرو NERO (٣٧ – ٦٨م):

امبراطور روماني حكم من ٥٤ الى ٦٨م. تميّز عهده بالطغيان والوحشية. كان مضطرب الشخصية فخُيل اليه أنه فنان وممثل مسرحي كبير، قتل أمّه (عام ٥٩م)، أحرق روما (عام ٦٤م) وأتّهم المسيحيين بذلك فاضطهدهم. انتحر بعد أن ثار عليه القادة العسكريون في أفريقيا وأسبانيا وبلاد الغال GAUL.

٩– هيبارخوس HIPPARCHUS (١٩٤ – ١٢٠ ق.م):

عالم فلك ورياضيات يوناني. أفاد من منجزات البابليين الفلكية. تأثر به بطليموس تأثراً كبيراً. وضع أول خريطة للسماء وعيّن فيها مواقع ما يزيد على ألف نجم. وقد قام بحساب طول السنة فجاء حسابه مطابقاً للواقع مع فرق ست دقائق ونصف دقيقة فقط.

٥- الأستاذ عباس محمود العقاد

أ - في مقال منشور (١)

مكتبة الإسكندرية

«... أصدر مكتب الاستعلامات بالاسكندرية كتاباً جاء بالصفحة الثانية منه: وفي سنة ٦٤١ ميلادية استولى القائد المسلم عمرو بن العاص على اسكندرية وحرق مكتبها الشهيرة تنفيذاً لأمر الخليفة عمر بن الخطاب، وقد استغرق حرق هذه المكتبة ما يقرب من ستة أشهر... ونحن نريد من أستاذنا بيان ما إذا كان القائد المسلم هو الذي أحرق المكتبة بأمر الخليفة أم الذي جرى هو غير ذلك؟»

محمد وليد سماقية

طالب بالاسكندرية

إن الرواية كما هو ظاهر - منقولة من مصدرها الخرافي الذي لا يعول عليه، وقد نفاه معظم المؤرخين الثقات من الأوروبيين، فلا يجوز نقله بغير تنبيه الى علاته الكثيرة، أو بغير إشارة الى الردود الكثيرة عليه.

وخلاصة الرواية أن القائد عمرو بن العاص سأل الخليفة في أمر المكتبة فأمره بإحراقها، فوزعت كتبها على حمامات الاسكندرية - وعدتها أربعة آلاف حمام - فأغنتها عن الوقود ستة شهور!

وبطلان هذه الرواية واضح من سياقها ومن نسبتها الى مصادرها الأولى.

فهي (أولا) لم تذكر في مصدر يرجع الى ما قبل القرن السادس للهجرة أو الثالث عشر للميلاد، وكانت تنسب في روايتها الأولى الى رجل لم يكن بقيد الحياة في إمارة عمرو بن العاص وهو يحيى النحوي[٢].

ولقد كذب الرواية أقطاب المؤرخين من أمثال جيبون[٣] وبتلر.

وقال شوفان Chauvin ساخراً إن هذا الوقود يستنفد على الأقل أربعة عشر مليون مجلد وارتفع بها كازانوفا Casanova[*] الى اثنين وسبعين مليوناً مع ملاحظة حجم اللفائف وعادات القوم في النسخ والتنسيق.

وثبت أن المؤرخين الذين اشتهروا بحب الكتب وزاروا مصر قبل الفتح العربي لم يذكروا المكتبة ولا ما يدل على وجودها، مما يؤكد أنها أحرقت أثناء حصار قيصر للاسكندرية وبادت البقية منها أثام الثورة على العقائد الوثنية. وقد ذكر روسيوس Orosius الذي مر بالاسكندرية سنة ٤١٤ إحراق الكتب في عهد قيصر وقال إنه رأى مواضع الكتب خاوية ولكنه قال على سبيل الظن (أن المعقول إن غير هذه الكتب قد جمع للتعويض عن خسارتها) ولم يذكر شيئاً عن موضعها المفروض الذي يمكن أن تودع فيه ملايين المجلدات ولا يهتدي إليها المؤرخ الباحث عنها.

ومن الواجب أن نذكر أن المكتبة على أية حال لم تكن من الضخامة بالقدر الذي توهمه المؤرخون المتأخرون ولا يمكن أن تكون بهذا القدر ولا بما يقرب منه، لأنها على أرجح الأقوال قد جمعها الكاتب ديمتريوس دفالير (٤) الذي احتمى بقصر (بطليموس سوتر) وأراد أن يحسن جزءاه بإنشاء مكتبة في جواره تنسب إليه.

ومهما يبلغ من سعة اطلاع هذا الكاتب، فالمسألة هنا مسألة المؤلفين الذي كتبوا التصانيف ووصلت الى يديه فنسخ منها ما استطاع، وقبل أن نسأل: كم مليون مجلد كان في مكتبة الاسكندرية ينبغي أن نسأل: كم ألف كاتب ألفوها، وأين أسماء هؤلاء الألوف من الكتاب والعلماء؟

إن لم تبلغ عدة المؤلفات في المكتبة سبعين مليوناً فلتبلغ سبعة ملايين بل سبعة آلاف بل سبعمائة تتكرر بالنسخ والشرح والتذييل، فمن أين جاء المؤلفون الذين كتبوها وشرحوها؟ ولماذا لم تحفظ أسماؤهم كما حفظت أسماء الذين نعرفهم الآن بغير مؤلفات على الرواية والسماع، وأين هي الكتب التي لم يحرقها عمرو بن العاص ولا وصلت الى أيدي العرب؟ ولماذا يسكت عنها الغيورون على الثقافة ولا نسمع عنها مثل هذه اللجاجة من أولئك الغيورين المتخصصين للغيرة في شؤون التاريخ العربي دون سواه؟

إن الخرافة حضرت تأسيس تلك المكتبة ولم تفارقها بعد زوالها، وقد عاشت فوق ما يحق لها أن تعيش. فإن قضى عليها أن تقبر في ظلماتها فليس لنا نحن أن ننفخ فيها النفس الأخير بعد النفس الأخير.

(*) كازانوفا CASANOVA أو (جيوفاني GIOVANNI ١٧٢٥ - ١٧٩٨):

مغامر وكاتب متخصص في اعداد المؤلفات والمذكرات التاريخية، وهو ايطالي يكتب باللغة الفرنسية. ولد في فينسيا عام ١٧٢٥، وتوفي عام ١٧٩٨، وانخرط في اعمال كثيرة حيث عمل دبلوماسيا ورجل مال، زار أوروبا عند عودته الى فينسيا سجن بتهمة ممارسة السحر والالحاد والزندقة ولكنه فرّ من سجنه. تعتبر مذكراته لوحة فنية وصورة نقدية لعصره. له ايضا ترجمة للالياذة عام ١٧٧٥، ورواية دعاها «ايكوساميرون ICOSAMERON» وتعني محاولة رائدة في حقل الرواية العلمية عام ١٧٨٨. وصدرت حديثا طبعة جديدة من مذكراته في طبعة كتاب الجيب.

ب- عبقرية عمر - منشورات المكتبة العصرية / بيروت ص ٢٠٧ - ٢١٥:

تحدث الأستاذ عباس محمود العقاد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابه أعلاه قائلاً:

«ويستطرد بنا الكلام على ثقافته العربية الى الكلام على موقفه من الثقافات الأخرى في زمانه، وعلى حقيقة الرواية التي شاعت وتواترت عن موقفه من مكتبة الاسكندرية التي قيل أنه أمر باحراقها. فهل هو الآمر باحراقها كما جاء في تلك الرواية؟.. وإذا كان هو الآمر بذلك فما دلالته على تفكيره؟.. وما وجه التبعة فيه؟.. فحوى تلك الرواية: أن عمرو ابن العاص رفع اليه خبر المكتبة الكبرى في الاسكندرية، فجاءه الجواب منه بما نصه: «أما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى: وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليه، فتقدم باعدامها» قال مفصل هذه الرواية: فوزعت الكتب على أربعة آلاف حمام بالمدينة ومضت ستة أشهر قبل أن تستنفد لكثرتها!..

وأحرى شيء أن يلاحظ في مسألة المكتبة هذه أن الذين ادحضوها وأبرأوا عمر من تبعتها كان معظمهم من مؤرخي الأوروبيين الذين لا يتهمون بالتشيع للمسلمين، وكانوا جميعا من الثقات الذين يؤخذ بنتائج بحثهم في هذا الموضوع.

فالمؤرخ الانجليزي الكبير ادوارد جيبون Gibbon صاحب كتاب «الدولة الرومانية في انحدارها وسقوطها» يسرد الحكاية ويعقب عليها قائلا: «أما أنا من جانبي فانني شديد الميل الى انكار الحادثة وتوابعها على السواء، لأن الحادثة لعجيبة في الحق كما يقول مؤرخها اذ يسألنا هو أن نسمع ما جرى ونعجب!.. وهذا الكلام الذي يقصه أجنبي غريب يكتب على تخوم ميدية بعد ستمائة سنة يوازنه ويرجح عليه ولا شك سكوت اثنين من المؤرخين كلاهما مسيحي وكلاهما مصري، وأقدمهما البطريق يوتيخيوس Eutychius الذي توسع في الكتابة عن فتح الاسكندرية، وان القضاء الصارم الذي نسب الى عمر لبغيض الى أصحاب الفهم الصحيح المستقيم من فقهاء المسلمين الذين يفتون بتحريم احراق الكتب دنيويا ظنينا سواء ألّفه المؤرخون أو الشعراء أو الأطباء أو الفلاسفة فحكمهم فيه أن يستخدم على الوجه المشروع لمنفعة المؤمنين. وقد تعزى الى متقدمي الخلفاء بعد محمد غيرة أضرى من ذلك بالهدم والابادة. ولكن لو صح هذا لوجب أن تنفد الأوراق سريعا لقلة المادة المحترقة!.. فلا نرجع الى نكبة المكتبة في الحريق الذي أصابها على غير قصد بيدي قيصري وهو يدافع عن نفسه، ولا الى تعصب المسيحيين الأوائل الذين كانوا يدبرون الوسائل تدبيرا لتعفيه الآثار المتخلفة من أيام عبادة الأصنام، ولكننا ننحدر شيئا فشيئا من عصر أنتونين الى عصر ثيوديسيوس فنعلم من سلسلة الأنباء المعاصرة أن القصر الملكي وهيكل سرابيس لم تبق فيهما تلك الأسفار التي جمعها البطالسة وبلغت في احدى الروايات أربعة آلاف وفي رواية أخرى سبعة آلاف، ولا يبعد أن تحفل الكنيسة ومعهد البطارقة بذخيرة من الأوراق

والأضابير، فان كانت هذه هي الوقود الى أفنته الحمامات بما كان فيها من جدل بين القائلين بتعديد الطبيعة المسيحية والقائلين بتوحيدها فقد يرى الفيلسوف وعلى فمه ابتسامة أنها كانت في الحمامات أنفع لبني الانسان!..».

والدكتور الفرد بتلر Butler المؤرخ الانجليزي الذي أسهب في تاريخ فتح العرب لمصر والاسكندرية يلخص الحكاية وينقضها ابتداء لأن حنا فلبيوتوس الذي قيل انه خاطب عمرو بن العاص في أمر المكتبة لم يكن حيا في أيام فتح العرب لمصر.. ثم ينقضها لأسباب شتى منها أن كثيرا من كتب القرن السابع كانت من الرق وهو لا يصلح للوقود، وانها لو قضى الخليفة باحراقها لأحرقت في مكانها ولم يتجشموا نقلها الى الحمامات مع ما فيه من التعب ومع امكان شرائها من الحمامات بعد ذلك بأبخس الأثمان، واننا لو صرفنا النظر عن الكتب المخطوطة على الرق، لما كفى الباقي من ذخائر المكتبة لوقود أربعة آلاف حمام مائة وثمانين يوما، وهذا عدا الشك الذي يعتور القصة من تأخر كتابتها زهاء خمسة قرون ونصف قرن بعد فتح الاسكندرية، ثم كتابتها بعد ذلك خلوا من المصادر والاسناد، بل هذا عدا ما قيل من احتراق المكتبة في السنة الثامنة والأربعين للميلاد، وفيما تلا ذلك من الفتن والقلاقل بين طوائف المسيحيين.

والمستشرق كازانوفا يسمي الحكاية: أسطورة ويقول أنها نشأت بعد تاريخ الحادثة بستة قرون، وينقضها لمثل الأسباب التي لخصناها من كتاب بتلر، ثم يقول: «... وهناك اعتراض أخطر مما تقدم وهو أن ما ذكر عن يحيى النحوي منقول عن كتاب الفهرست لابن النديم في أواخر القرن العاشر، وفيه ان يحيى هذا عاش حتى فتحت مصر وكان مقربا من عمرو ولم يذكر شيئا عن مكتبة الاسكندرية. فحادثة المكتبة اذن من أوهام ابن القفطي أخذها عن خرافة كانت شائعة في عصره».

ثم يمضي في تفنيده فيقول: «وقد تساءل ابن خلدون عن مخلفات الفرس والأشوريين والبابليين والقبط التي حرقها عمر عند فتح العرب. وقال ابن خلدون في كلام آخر: ان العرب لما فتحوا بلاد الفرس سأل سعد بن أبي وقاص عمر عما يأمر به في شأن الكتب التي بها فأمره بالقائها في اليم فانتقلت القصة من فارس الى الاسكندرية مع الزمن، وفعل الخيال فعله في تحريفها...

«وقد وقع تحريف في هذه الخرافة في بعض دوائر المعارف حيث نقل عن سبرنجل أن مكتبة الاسكندرية حرقها العرب عند فتح مصر وأن الخليفة المتوكل أنشأها من جديد، وأن الترك فتحوا الاسكندرية سنة ٨٦٨ وأضرموا فيها النار على عهد أحمد بن طولون... ولكن أحمد بن طولون لم يفتح مصر، وانما أقامه خليفة بغداد حاكما عليها. فلا علاقة للترك اذن بهذا الحادث المزعوم».

قال: «وفي سنة ١٨٧٧ ذكر الكونت دي لندبرج أن أحد الضباط الانجليز اتهم نابليون الأول باحراق مكتبة الاسكندرية».

قال: «وسنلم هنا بالسبب الذي من أجله ظهرت هذه الخرافة في القرن الثالث عشر ولم تظهر قبل ذلك»..

«ففي أواخر القرن الثاني عشر رجعت مصر الى حكم خلفاء بغداد، وأبلى صلاح الدين بلاءه في الحروب الصليبية وانتصر على المسيحيين فلقبه الشعب بفاتح مصر، وقرن بين اسمه واسم عمر بن الخطاب وكان لابن القفطي أب يعجب بصلاح الدين ولاه صلاح الدين قضاء القدس. وعاصر عبداللطيف البغدادي وهو من المعجبين مثله بصلاح الدين، فتلاقيا في القدس وسمع منه هذه الأسطورة التي توسع ابن القفطي في نقلها. فكان أول من ألف هذه الأسطورة من حاشية صلاح الدين لتزكية حاكم مصر الجديد. ومما يروى عن صلاح الدين: انه باع كنوز القصر والمكتبة فبقيت هذه الرواية الى القرن الثامن عشر يوشيها ما ينسجه الخيال حول الخرافة العمرية. ثم اتخذت صورتها التاريخية منذ ذلك العهد تعززها خرافات أخرى لحقت بعمر ووافقت معنى قوله الا كتاب الله».

ومن المشارقة الذين تناولوا حكاية المكتبة المؤرخ الكبير جورجي زيدان في الجزء الثالث من كتابه «تاريخ التمدن الاسلامي» حيث قال: انه كان يميل الى نفي الحكاية ثم عدل عن ميله هذا الى قبولها وأورد من أسباب ذلك «ان حكاية احراق مكتبة الاسكندرية لم يختلقها أبوالفرج لتعصّب ديني، ولا دسها أحد بعده. بل هو نقلها عن ابن القفطي وهو قاض من قضاة المسلمين عالم بالفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة والنحو والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل، وكان صدرا محتشما جمع من الكتب ما لا يوصف وكانوا يحملونها اليه من الآفاق وكانت مكتبته تساوي خمسين ألف دينار. ولم يكن يحب من الدنيا سواها وله حكايات غريبة عن غرامه بالكتب ولم يخلف ولدا فأوصى بمكتبته لناصر الدولة صاحب حلب، وله مؤلفات عديدة في التاريخ والنحو واللغة وفي جملتها كتاب أخبار مصر من ابتدائها الى أيام صلاح الدين في ستة مجلدات وكتاب تراجم الحكماء الذي نحن في صدده وان ابن القفطي وعبداللطيف البغدادي أخذا عن مصدر ضائع. وأما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادث، فلابد له من سبب، والغالب انهم ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامي واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين فحذفوه أول لعل لذلك سببا آخر، وفي كل حال فقد ترجح عندنا صدق رواية أبي الفرج...».

ونرى نحن أن ابن القفطي كان أولى ممن تقدموه بالسكوت عن حريق المكتبة بأمر عمر بن الخطاب لو كان الذين تقدموه قد سكتوا عنه لعرفانهم قدر الكتب وغيرتهم على سمعة الخلفاء الراشدين، فان ابن القفطي لا يجهل قدر الكتب ولا يسبقه سابق من المؤرخين في المغالاة بنفاسة المكتبات. فلابد من تعليل أصوب من هذا التعليل لسكوت المؤرخين المسلمين والمسيحيين الذين شهدوا فتح مصر عن هذه الحكاية التي أن نجمت بعد بضعة قرون..

* * *

فمن جملة هذا العرض لآراء نخبة من الثقات في هذه المسألة يحق لنا أن نعتقد أن كذب

الحكاية أرجح من صدقها، وانها موضوعة في القرن الذي كتبت فيه ولم تتصل بالأزمنة السابقة له بسند صحيح، وربما كانت مدسوسة على الرواة المتأخرين للتشهير بالخليفة المسلم وتسجيل التعصب الذميم عليه وعلى الاسلام.

وإذا كانت هذه الحكاية من تلفيق النيات السيئة فالمعقول ألا توضع قبل القرن السادس الهجري الذي تسربت فيه الى الكتب المدونة، وهذا يفسر لنا كل غموض يستوقف النظر في الحكاية من جميع أطرافها لأن تلفيق هذه الحكاية يستلزم عناصر شتى لا تجتمع كلها في وقت واحد قبل القرن السادس للهجرة.

فهو يستلزم أن يكون الملفق عليما بالأقوال والأحوال التي أثرت عن عمر بن الخطاب وفيها ما يجعل حكاية المكتبة قريب التصديق مشابه لما يتوخاه الخليفة في أوامره ونواهيه.. ولم تكن هذه الأقوال والأحوال معلومة مستفيضة الخبر بين المسلمين أنفسهم عند فتح الاسكندرية فضلا عن المسيحيين أو الاسرائيليين، وانما عمت واستفاضت بعد ما دونت السير وجمعت المتفرقات.

ويستلزم تلفيق الحكاية، للتشهير بالخليفة المسلم، أن يكون الملفق عارفا بما في هذه التهمة من المعابة، شاعرا بما فيها من الاعتساف والغرابة ولم يكن هذا أيضا مفهوما في أيام فتح اسكندرية بين خصوم الاسلام، لأنهم كانوا قد تعودوا احراق الكتب والتماثيل واعتبار الوثنية وبقاياها رجسا من عمل الشيطان يستحق نار الدنيا قبل نار الجحيم، وما من عارف بالكتب بينهم الا كان يسمع بحماسة القياصرة المسيحيين في تدمير التحف الاغريقية ولا سيما «ثاوديسيس» الذي أحرق هياكل شتى فيها ولا شك كتب كثيرة من بقايا المكتبة التي عليها الخلاف.

وقد يستلزم تلفيق الحكاية أن تكون مصر وأخبارها موضع اهتمام ومثار قيل وقال، ولم تكن مصر قط قبلة أنظار العالم كما كانت في أوقات الحروب الصليبية، يوم كانت هي ميدان الفصل ومناط الظفر والهزيمة بين جيوش الدنيا المحشودة فيها أو على أبوابها.

وقد يستلزم كذلك أن يكون العصر عصر حزازة بين الاسلام وخصومه كما كان عصر الحروب الصليبية وما قبله بقليل.

وقد يستلزم مع جميع أولئك ان يشترك في القيل والقال حافظو الكتب الاغريقية في بيزنطية وشواطئ آسيا الغربية وهي البلاد التي كانت موطئ أقدام الجيوش في الكر والفر والقدوم والاياب، ومنها تدفق حافظو الكتب الى أوربا عندما أغار الترك على بيزنطية من تلك الأرجاء.

فتلفيق الحكاية اذن كان عجيبا في أيام فتح الاسكندرية وما تلاها من الأزمنة الى زمان القفطي والبغدادي وأبي الفرج الملطي، ولهذا لم تظهر حكاية المكتبة في تلك الأيام.

وتلفيقها في عصر الحروب الصليبية غير عجيب لاجتماع الأسباب التي يستلزمها ذلك التلفيق، ولهذا ظهرت فيه وأمدنا ظهورها فيه بالسبب الذي يبطل العجب ويفسر الغوامض التي لا يفسرها

تعليل معروف غير هذا التعليل..

* * *

الا أننا على الرغم من كل هذا نفرض أن عمر بن الخطاب أمر باحراق مكتبة الاسكندرية، فما هي الوصمة التي تلحقه، من هذا الأمر؟.. ولماذا كان يحرم عليه ان يحرقها ويجب عليه أن يستبقيها ويفتح أبوابها؟.. ولماذا كان ينبغي ان يكون على يقين أنها شيء مفيد للمسلمين ولغيرهم من الأمم، وأنها ذخيرة من ذخائر العالم لا يجوز التفريط فيها؟..

أمن النقص في تفكير الانسان أن ينشأ بمعزل عن بلاد اليونان وعن عصر حكماء اليونان فلا يطلع على الفلسفة اليونانية؟.. أكانت فائدة تلك الكتب واضحة كل الوضوح من أحوال أقوامها الذين حفظوها، ان صح أنهم حفظوها؟..

ان أحوال الروم والقبط في ذلك العهد لم يكن فيها دليل واحد على أنهم محتفظون بينهم بمعرفة نفيسة، وان ضياع كتبهم فيه ضياع لذخيرة من ذخائر العالم التي لا يجوز التفريط فيها.

فقد كانوا على شر حال من الضعف والفساد والجهل والهزيمة والشقاق والتهالك على سفساف الأمور. فاذا كان عمر غير مطالب بعلم الفلسفة اليونانية أو غير ملوم على فوات الاطلاع عليها، واذا كانت أحوال الأمم التي هي أهلها لا تدل على قيمتها بل تسوغ الاعتقاد بخلوها من كل قيمة، فأين هو العيب في تفكيره ان صح انه فكر على ذلك المنوال؟..

انما يعيب الانسان أن يكون عدوا للمعرفة على اطلاقها، ولم يكن عمر عدوا للمعرفة ولا معرضا عنها، بل كان مشغوفا بها حيث رآها، دينية كانت أو أدبية، ومن قومه أتت أو من غير قومه.

فكان يستشير الغرباء في تدوين الدواوين ومنافع الصناعة ولا ينهي عن علم شيء الا ان تكون فيه فتنة أو ضلال.

وكان ولا ريب يؤثر للمسلمين أن يقبلوا على دراسة القرآن ويقدموا فهمه على فهم كل كتاب، وهذا واجبه الأول الذي لا مراء فيه، وما من أحد هو مطالب بهذا الواجب قبل أن يطالب به عمر على التخصيص، لأنه الخليفة الذي في عهده انتشر المسلمون بين أقطار المشرق وخيف عليهم أشد الخوف ان ينحل العقد الذي جمعهم وبث فيهم الهمة والبأس وسودهم على العالمين.

وفي الأخبار التي نقلت بهذا الصدد، أن رجلا أنبأه أنهم لما فتحوا المدائن أصاب كتابا فيه كلام معجب. فسأله: أمن كتاب الله؟.. فقال: لا.. فدعا بالدرة فجعل يضربه بها وهو يقرأ: «الر. تلك آيات الكتاب المبين. انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون..» ثم قال: «انما أهلك من كان قبلكم انهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التوراة والانجيل حتى درسا وذهب ما فيهما من العلم».

رويت هذه الرواية عن عمر بن ميمون عن أبيه، وليس فيها ما يأباه العقل ولو حكمنا على عمل عمر بحكم الدنيا وحكم التجربة الواقعية وتركنا حكم الدين والايمان الى حين..

فبالتجربة الواقعية أيقن عمر ان المسلمين بكتابهم خرجوا من الظلمات الى النور وانتصروا على من حاربوه وعندهم كل كتاب.

وما فرغ المسلمون بعد من قراءة القرآن ولا انقضت على تداوله، بينهم سنوات. فكيف يرضى الخليفة الذي يهمه أمر رعاياه أن ينصرفوا عنه الى كتب لا يؤمن ما فيها؟.. وكيف يكون الحال اذا تفرقوا شذر مذر ولهم في كل بلد قراءة غير هذا الكتاب الذي لم يفرغوا منه ولم يستوعبوا كل ما فيه؟.. أمن عداوة المعرفة هذا أو من ايثار المعرفة التي تتقدم على غيرها.. واذا لم تتقدم هذه المعرفة على غيرها في السنوات الأولى من تداول القرآن الكريم فمتى تتقدم؟.. ومتى يعطي القرآن حقه من الفقه والوعي والاقبال؟.. وأين هي الغنيمة الروحية التي تعدل في كتاب من الكتب بعض ما غنمه المسلمون بوحي القرآن في صدر الاسلام؟..

فعلى أي فرض من الفروض، لم يكن في تصرف عمر ما يأباه العقل الذي ينظر الى الحقائق المشهودة والآثار الواقعة، ويجوز أنه أمر باحراق مكتبة الاسكندرية على أبعد احتمال، ولكن الذي لا يجوز لمنصف أن يفهم من ذلك أنه عدو الثقافة وهو الأديب الفقيه الخطيب، وهو قد وازن بين معرفة ظاهرة النفع، ومعرفة مجهولة ظواهرها كلها تغري باتهامها. ولا لوم عليه أن يولد حيث يجهلها. ولا لوم عليه أن يتهمها وهي لم تنفع أهلها يوم رآهم يخطبون(*) في الضلالة والهزيمة، ولا يقال عن عقل يفكر هذا التفكير أنه لم يفكر على هدى مستقيم.

(*) ادوارة غيبون GIBBON – راجع الهامش رقم (٣).

ا - هوامش بحث الأستاذ عباس العقاد

١- نشر المقال في جريدة «الأخبار المصرية» بتاريخ ١٩٦٠/٥/٩، وفي كتابه «يوميات» المجلد الأول - دار المعارف - مصر ١٩٨١: ص ٢١٥ - ٢١٦ بعنوان «مكتبة الاسكندرية».

٢- يحيى النحوي (كان حياً قبل ٤٣هـ ٦٦٤م)[١/٢]:

يحيى النحوي، المصري، الاسكندراني من اساقفة مصر، ولما فتحت مصر على يدي عمرو بن العاص[٢/٢] دخل اليه واكرمه له كتب في الطب والفلسفة، منها: الرد على برقلس، كتاب في ان كل جسم متناهي فقوته متناهية، الرد على ارسطاليس ومقالة يرد فيهاعلى نسطورس.

(ط) ابن النديم: الفهرست ١: ٢٥٤، ٢٥٥، ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء: ١٠٤.

١/٢: وفي الهداية: توفي في حدود سنة ١٧هـ. راجع ثانيا: ابن القنطي - المصادر التي اتهمت العرب بحرق المكتبة.

٢/٢: ٤٣هـ - ٦٦٤م.

٣- غيبون (ادوارد غيبون) أو (جيبون) EDWARD GIBBON (١٧٣٧ - ١٧٩٤):

مؤرخ انكليزي، أشهر آثاره كتابه الضخم «تاريخ انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها HISTORY OF THE DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE» الذي يقع في ستة مجلدات (١٧٧٦ - ١٧٨٨) وقد درس فيه تاريخ الامبراطورية الرومانية من القرن الثاني للميلاد حتى سقوطها في الغرب (عام ٤٧٦ للميلاد) ثم استطرد فغطّى تاريخ الامبراطورية البيزنطية أيضاً.

٤- ديمتريوس الفليري (دفالير) DEMETRIUS PHALEREUS (٣٤٥ - ٢٨٣ ق. م):

راجع الهامش رقم «٣٤» من الفصل السابع.

٥- سترابو STRABO:

راجع الهامش رقم «٣٩» من الفصل السابع.

٦- الدكتور حسن ابراهيم حسن - «تاريخ الاسلام» - المجلد الأول - الطبعة السابعة

مكتب النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٤ - ص - ٢٤١ - ٢٤٦

مكتبة الإسكندرية

"خاض بعض المتأخرين من المؤرخين في مسألة إحراق مكتبة الاسكندرية[١] فنسبها بعضهم الى عمرو بن العاص، وزعموا أن عمر بن الخطاب أمر باحراقها. وناقش هذه المسألة كثير من الفرنجة مثل جبون[٢] وبطلر[٣] وسديو[٤] وجوستاف لي بون[٥] وغيرهم. ولكنهم لم يجزموا برأى فيها، بل ارتابوا في صحة تهمة إحراق هذه المكتبة التي وجهت الى عمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر، وقالوا إنها تخالف التقاليد الاسلامية ولا يؤيدها أحد من المؤرخين المعاصرين للفتح الاسلامي مثل: أوتيخا الذي وصف فتح مصر باسهاب، ولم يرد في تاريخه ولا في تاريخ غيره من معاصريه ذكر لهذه التهمة. كذلك لم تر في تاريخ الأقدمين. كاليعقوبي، والبلاذري، وابن عبدالحكم، والطبري، والكندي ولا في تاريخ من جاء بعدهم وأخذ منهم. كالمقريزي، وأبي المحاسن، والسيوطي وغيرهم.

وأول ما نسب الحريق الى عمرو هو عبداللطيف البغدادي[٦] (٦٣٩هـ / ١٢٣١م) وجاء بعده ابن القفطي (٦٤٦ / ١٢٤٨م)[٧] وأبو الفرج الملطي[٨] (٦٨٥هـ - ١٢٨٦م). على أنه لا يمكننا أن نلقي التبعة على ابن القفطي وأبي الفرج، لاحتمال أن يكونا قد أخذا هذه المقالة عن عبداللطيف البغدادي الذي رمى عمراً بهذه النهمة، ولم يذكرلنا من أي تاريخ أخذ ولا من أي مصدر استقى، بل ذكرها عرضاً في سياق كلامه عن عمود السواري، وإنما تلقف ذلك من ألسنة العوام. فالتبعة واقعة إذن على عبداللطيف البغدادي لا على ابن القفطي وأبي الفرج، إذا فرض أن عبداللطيف هو أول من ذكر هذه المسألة.

وقد دلل المؤرخون الذين ذهبوا الى القول بأن إحراق مكتبة الاسكندرية كان على يد عمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب:

١- بأن المسلمين كانت لهم رغبة عظيمة في محو كل كتاب غير القرآن والسنة.

٢- وأنهم أحرقوا مكاتب الفرس عند فتح بلادهم، كما ذكر ذلك حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون [٩].

٣- وأن هذه الرواية والتي تثبت الحريق لم يروها أبو الفرج القفطي، بل رواها أيضاً مؤرخان مسلمان هما عبداللطيف البغدادي وابن القفطي.

٤- وأن إحراق الكتب كان أمراً معروفا وشائعاً يتشفى به كل مخالف ممن خالفه في رأيه.

وقد ذكروا ان عبدالله طاهر أتلف في سنة ٢١٣هـ كتباً فارسية من مؤلفات المجوس، وحذا حذوه هولاكو التتاري سنة ٦٥٦هـ بالقاء خزائن الكتب في دجلة.

أما الدليل الأول فغير مسلم به، لأن المعروف من أخلاق المسلمين أنهم كانوا يشجعون العلم، بدليل ما ذكره أبو الفرج من أن عمرو بن العاص كان يصغي الى أقوال يوحنا النحوي، ويعجب بها كل الاعجاب، ويحله من نفسه محل الاحترام والإجلال. ومن المعلوم أن هذه الآراء مسيحية. أضف الى ذلك ان المسلمين بعد غزوة بدر كانوا يجعلون فداء من لم يجد مالا يقتدى به نفسه أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين، وهذا منتهى التشجيع للعلم.

أما الدليل الثاني، وهو أنهم أحرقوا مكتبة الفرس عند الفتح، فلم نرى من المؤرخين من ذكره إلا حاجي خليفة، ومثل هذا المؤرخ لا يؤخذ بكلامه ولا يعول عليه في المسائل التاريخية المتقدمة، لأنه توفى سنة ١٠٦٧هـ (١٦٥٧م). فلو أن المسلمين أحرقوا هذه المكتبات لذكر ذلك المؤرخون الذين تقدموا حاجي خليفة.

أما الدليل الثالث، وهو أن أبا الفرج لم يرو هذه الرواية وحده، بل رواها أيضا عبداللطيف البغدادي وابن القفطي، وهما مؤرخان إسلاميان عظيمان، فيمكن دحضه بما أوردناه في مناقشة ما ذكره أبو الفرج، لأنهم عاشوا في عصر واحد، وروايتهم واحدة تقريباً. ولا يبعد أن يكونوا قد أخذوا عن مصدّر ضائع معاد للعرب والاسلام.

وأما الدليل الرابع فلا يثبت دعواهم، لأنه على فرض صحة هذه الرواية، فإن عبدالله بن طاهر كان متأخرا (٢١٣هـ). ولا يؤخذ عمله حجة على عمر بن الخطاب المتوفي سنة ٢٣هـ. هذا الى أن عبدالله بن طاهر أحرق هذه الكتب لأنها من كتب المجوس عباد النار، وفرق بين الكتب المسيحية والمجوسية في نظر المسلمين الذين يحترمون أهل الكتاب من النصارى واليهود، لاتفاق الجميع على غاية واحدة هي الاعتراف باله قادر (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا بعده أفلا تعقلون) (سورة آل عمران ٣: ٦٤).

وقد أسهب بعض المؤرخين المحدثين في تفنيد رواية أبي الفرج. ومنهم جبون وبطلر وسديو وغيرهم، وذكروا ما يدل على أن عمراً وعمر بريئان مما نسب إليهما. وهاك رواية أبي الفرج عن كيفية حريق هذه المكتبة على عيد عمرو بن العاص قال:

«كان في وقت الفتح رجل اكتسب شهرة عظيمة عند المسلمين يسمى يوحنا النحوي، كان قسيساً قبطياً من أهل الاسكندرية. وفي هذا الزمان اشتهر بين الاسلاميين بيحيى المعروف عندنا (بغرماطيقوس) أي النحو[٩]. وكان إسكندرياً يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبية ويشيد عقيدة (ساوري)، ثم رجع عما يعتقده النصارى في التثليث، فاجتمع إليه الأساقفة بمصر وسألوه الرجوع عما هو عليه، فلم يرجع فأسقطوه من منزلته، وعاش الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم، فأكرمه عمرو وسمع من الفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله ففتن به. وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر، فلازمه وكان لا يفارقه. ثم قال له يحيى يوماً: إنك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الأشياء الموجودة بها. فمالك به انتفاع فلا أعارضك فيه، وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به. فقال له عمرو: وما الذي تحتاج إليه؟ قال: كتب الحكمة التي في خزائن الملوكية. فقال له عمرو: لا يمكنني أن آمر فيها إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وكتب الى عمر وعرفه قول يحيى، فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: وأما الكتب الي ذكرتها، فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله، ففي كتاب الله عنه غنىً، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله، فلا حاجة إليه فتقدم باعدامها، فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية وإحراقها في مواقدها، فاستنفدت في ستة أشهر، فاسمع ما جرى واعجب»!) وهذا ما يستنتج من أقوال المؤرخين:

١- إذا تأملنا رواية أبي الفرج فإننا نجد بالخرافة أشبه. فقد ذكر فيها أن كتب المكتبة كفت أربعة آلاف حمام ستة أشهر. وهذا غير معقول، فضلا عن أن عمراً لو قصد تدمير المكتبة لأحرقها في الحال ولم يتركها تحت رحمة أصحاب الحمامات، وإلا لتمكن يوحنا الذي بنى أبو الفرج روايته عليه من أخذ ما يلزم من هذه الكتب بثمن بخس.

٢- ذكر «بطلر» أن يوحنا مات قبل استيلاء العرب على الاسكندرية بثلاثين أو أربعين سنة. وإن صح هذا كان معناه دحض ما جاء بهذه الرواية خاصاً بيوحنا النحوي. وإذن تنهدم الرواية والحادثة من أولها الى آخرها.

٣- إن روايات عبداللطيف وابن القفطي وأبي الفرج ظهرت بعد ستة قرون من وقوع هذه الحادثة. فلو سلمنا جدلا بصحتها، لما مر عليها مؤرخان شهيران تقدما عبداللطيف وأبا الفرج. وهما أوتيخا المتوفي سنة ٣١١هـ، ويوحنا أسقف نقيوس من غير أن يتعرضا لها، وتاريخهما عن مصر من أهم المصادر التي يعتمد عليها، فضلا عن أنه لم يذكر هذا الخبر أحد من المتقدمين كابن عبدالحكم والبلاذري واليعقوبي والطبري، حتى جاء عبداللطيف وابن القفطي وأبو الفرج في القرن السابع للهجرة (الثالث عشر الميلادي) فذكروها. فلو أنها حقيقية لتعرض لها هؤلاء المتقدمون.

٤- إن هذه المكتبة قد أصابها الحريق مرتين: الأولى سنة ٤٨ ق. م على أثر إحراق أسطول يوليوس قيصر، والثانية في عهد القيصر تيودوسيس (٣٧٨ - ٣٩٥م) سنة ٣٩١.

٥- إن قول أورازيوس Orazius إنه وجد رفوف المكتبة خالية من الكتب عند زيارته مدينة

الاسكندرية في أوائل القرن الخامس الميلادي، يثبت عدم وجود هذه المكتبة قبل استيلاء العرب على الاسكندرية. وعلى ذلك فان الكتب التي كانت بالمكتبة من عهد البطالسة لم يبق لها أثر منذ أواخر القرن الرابع الميلادي، أي منذ عهد الإمبراطور تيودوسيس، كما أنه لم يرد لها ذكر في الآداب في القرنين السادس والسابع. ومن المعلوم أن حالة مصر قبيل الفتح الإسلامي – أي منذ أيام دقلديانوس – كانت، على ما سبق، حالة تأخر في الزراعة والصناعة والعلوم والمعارف والآداب. فمن البعيد إذاً أن يتهم الناس باعادة هذه المكتبة الى عهدها الأول.

٦– إن التعاليم الاسلامية تخالف رواية أبي الفرج (وعبداللطيف) لأنها ترمي الى عدم التعرض للكتب الدينية – اليهودية والنصرانية – وكذا غيرها لأنه يجوز أن ينتفع المسلمون بها. ومن هنا يتضح أن هذه الرواية منافية لعادات العرب الذي عرف عنهم عدم التعرض لما فيه ذكر الله.

٧– وإذا ثبت ان المسيحيين أحرقوا هيكل سيرابيس، فمن المعقول أن النيران التهمت ما فيه من الكتب فلم تبق عليها ولم تذر.

٨– ولو فرضنا أن هذه المكتبة بقيت الى الفتح الاسلامي، فإنه لم يكن ثمة ما يمنع من نقلها الى القسطنطينية على أيد الروم في أثناء الهدنة، وقد أجاز لهم عمرو في عهد الصلح أن يحملوا كل ما يقدرون عليه، وكان لديهم من الوقت ما يمكنهم من نقل مكتبات لا مكتبة واحدة.

فالقول إذن بأن إحراق مكتبة الاسكندرية كان على يد عمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب محض افتراء.

هوامش كتاب «تاريخ السلام»

(١) راجع كتاب عمرو بن العاص للمؤلف ص ١٣٠ – ١٥٣.

(٢) Gibbon, vol. Ix pp: 274 - 276

(٣) Butler, pp. 401 - 426

(٤) Sedillot, vol. I. pp. 155 - 156

(٥) Le Bon, p. 708

(٦) الافادة والاعتبار ص ٢٨.

(٧) وزير حلب المعروف بالقاضي الأكرم. ولد في قفط من بلاد الصعيد سنة ٥٦٥، وتوفي بحلب سنة ٦٤٦هـ. وألف كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» (لايبسك سنة ١٣٤٠ – ١٩٠٢م).

(٨) غريغورس أو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبري، ولد سنة ١٢٢٦م في مدينة ملطية بأرمينية الصغرى. وتعلم في صغره اليونانية والسريانية والعربية، ثم اشتغل بالفلسفة واللاهوت. وفر به والده الى أنطاكية سنة ١٢٤٣م: وعاش أبو الفرج عيشة الزهد والنسك وانفرد في مغارة بالبرية، ثم ذهب الى طرابلس الشام حيث أتم دراسة البيان والطب، ورقى وهو في العشرين من عمره الى أسقفيه جوماس من أعمال ملطية. وفي سنة ١٢٦٤، انتخب (مغريانا)؛ وهي كلمة فارسية معناها المثمر. وهذا المنصب من أكبر المناصب بعد منصب البطريرقية، وهو أشبه بكبير (الأساقفة) على الجهات الواقعة بين النهرين والعراق العجمي. وألف أبو الفرج أكثر من ثلاثين كتابا بالعربية والسريانية وعلم الهيئة والطب والتاريخ والنحو والشعر وغيرها من بينها كتابه مختصر الدول.

اضافة :

(٩) حاجي خليفة (١٦٠٩ - ١٦٥٧) :

هو مصطفى بن عبد الله: مؤرخ وكاتب سيزتركي. لاحظ، في وقت مبكر، أن الفساد أخذ يدب في جسم الدولة العثمانية، فدعا إلى اصلاحها. أعظم آثاره "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" وهو موسوعة عربية ضخمة بمجلدين قضى في تأليفها عشرين عاما، عرّف فيها بخمسة عشر ألف كتاب عربي وفارسي وتركي كانت قد صنفت حتى زمانه. يعرف أيضا بـ "كاتب شلبي".

وقد ولد في اسطنبول، وساهم في عدة حملات عسكرية، ولما زهد في حياة الوظيفة عكف على الدرس والكتابة التاريخية.

٧- تاريخ العرب : د. فيليبجتي ، د. ادوارد جرجي، د. جبرائيل حبور
دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٩٠ - الطبعة الثامنة ، ص ٢٢٤

مكتبة الاسكندرية

"اما القصة التي تقول ان عمراً احرق مكتبة الاسكندرية باشارة من الخليفة واحمى بها حمامات المدينة مدة ستة اشهر فينكرها البحث العلمي فقد احرق مكتبة البطالسة العظمى يوليوس قيصر حين غزا البلاد المصرية سنة ٤٨ ق.م اما «المكتبة الصغرى» التي نشأت من بعد فلقد اتلفت بأمر الامبراطور ثيودوسيوس حوالي سنة ٣٨٩. واندثرت مكاتب الاسكندرية من بعد ذلك فلم يكُ في الاسكندرية مكتبة عظمى يوم الفتح. زد على هذا ان احداً من الكتاب المعاصرين لهذه الحوادث لم يتهم الخليفة او عامله باحراق مكتبة الاسكندرية. ولانعرف احداً روى هذه القصة قبل عبد اللطيف البغدادي[١] المتوفى سنة ٦٢٩/ ١٢٣١ ولسنا نفهم الباعث الى اختلاق هذا النبأ الذي اعتد به المؤلفون المتأخرون وزادوا عليه[٢]."

هوامش الكتاب:

١- في الافادة والاعتبار، نشره وترجمه (للاتينية) هويت (اكسفورد ، ١٨٠٠ ص ١١٤).

٢- القفطي ، تاريخ الحكماء، نشر لبريت (ليبزغ ، ١٩٠٣) ص ٣٥٥ - ٦ وابو الفرج ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، نشر الصالحاني (بيروت ، ١٨٩٠) ص ١٧٥ - ٦ : المقريزي، الخطط ج٣ ص ١٢٩ - ٣٠، وراجع .Butler,pp. 401.26. Gibbon.Decline, ed. Bury, vol. v pp. 452,5.

٨- الدكتور سعد محمد الهجرسي - المكتبات والمعلومات

دار المريخ للنشر - الرياض ١٩٩٠ ص ٦٤٩ - ٦٥١.

قضايا وتحقيقات (مكتبة الاسكندرية):

"اما اكبر التساؤلات واخطرها ايضا، فيتصل بالمصير النهائي للمكتبة: متى؟ وكيف؟ ومن المسؤول عن اختفائها من الوجود؟ من المؤكد ان الاسكندرية شهدت خلال القرون الاربعة (٤٧ ق.م - ٣٩٢م) وهي الاخيرة في حياة تلك المؤسسة عددا من الكوارث الكبرى، وان بعض هذه الكوارث قد اصاب المكتبة الاصلية بالمؤسسة الام، واختها في المعبد، بقدر قليل او كبير من الاضرار، وان الاخيرة من هذه الكوارث قد قضت عليهما نهائيا.

شب حريق في منطقة «المتحف» اثناء غزو يوليوس قيصر للاسكندرية عام (٤٧ ق.م)، فنشأ احتمال ان المكتبة لقيت مصيرها في هذا الحريق. ولكن «سترابو» وهو المؤرخ الذي زار المكتبة وعمل بها بعد ذلك بعشرين عاماً، وعرفنا منه تفاصيل، كثيرة عنها، لم يذكر شيئا على الاطلاق يؤيد هذا الاحتمال. ولكن هذا لايمنع ان تلفا ما قد اصاب بعض المقتنيات في ذلك الوقت، بدليل ما تذكره بعض المصادر، ان (ديديموس: Didymus) قد اصلح او أعاد كتابة حوالي ٤٠٠٠ كتاب عشية تلك الكارثة.

اما الكارثة الثانية فقد كانت الحرب الاهلية، التي دمرت عام (٢٧٢م) مبنى «الجامعة» وهي المؤسسة الام التي تطور اليها « المتحف» او قامت بديلاً له في العهد الروماني، ومن الطبيعي ان تلقى «المكتبة الاصلية» مصيرها مع المؤسسة الام التي تخدمها.

وكانت الكارثة الاخيرة في شكل ثورة عام (٣٩٢م) قضت على معبد «السرابيوم» وعلى مكتبته، وهي الملحق او الاخت للمكتبة الاصلية، وكان بطل هذه الثورة هو (ثيوفيلوس: Theo-philus) بطريرك الاسكندرية في ذلك الوقت.

ومن هنا فان ماجاء في بعض الكتب المتأخرة، ان المسلمين قد احرقوا مكتبة الاسكندرية، في اثناء الفتح العربي بعد ذلك بحوالي مائتي عام، ليس اكثر من اختلاق بغير اساس. كما ينفي هذه التهمة، التي توحي بتعصب اسلامي مزعوم، ان الفكر الهليني ظل يدرس في الاسكندرية حتى اوائل القرن التاسع الميلادي.

مهما كانت الحقيقة بشأن المصير، الذي لقيته المكتبات القديمة بالاسكندرية فقد كانت اهم القنوات التي مر من خلالها الفكر الاغريقي، تنظيماً وتحريراً ودراسة، فوصل بذلك الى «القسطنطينية»، ثم بواسطة جهود جديدة بعضها عربي، الى اوروبا الغربية».

٩- مختصر تاريخ العرب:

سـيـد امـيـر علي THE SHORT STORY OF THE SARACENS نقله الى العـربيـة: عفيف البعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨١ - ط٤ - ص٤٩ - ٥٠:

«وفي عام ٦٤٥ م استعاد الرومان مدينة الاسكندرية ، ولكن العرب ما لبثوا ان فتحوها نهائياً بعد سنة واحدة . اما قصةحرق مكتبة الاسكندرية تنفيذاً لاوامر عمر بن الخطاب فلا تقوم على ايما اساس من الصحة، ذلك ان مثل هذا العمل الهمجي التخريبي كان يناقض تمام المناقضة روح التساهل والتسامح التي اشتهر بها ذلك الحاكم العظيم. والواقع ان جزءاً كبيراً من هذه المكتبة انما اتلف ابان الحصار الذي ضربه يوليوس قيصر على المدينة، بينما فقد الباقي في عهد الامبراطور تيودوسيوس في القرن الرابع للميلاد. فقد امر هذا الامبراطور، وكان مسيحياً ورعاً يكره الكتب الوثنية، باتلاف الكتب القيمة التي كانت قد بقيت من المكتبة فنقذ امره بحماس شديد بحيث لم يبق منها في القرن السابع ما يمكن ان يتلفه المسلمون. وبعد فتح مصر اشتبك عمرو بن العاص في قتال مع القبائل الضارية الى الغرب انتهى باخضاع الساحل كله حتى برقة.

١٠- الموسوعة العربية الميسرة - اشراف: محمد شفيق غربال

دار النهضة لبنان للطبع والنشر - بيروت ١٩٨٠ - ص١٧٣٣ و ١٧٣٤.

مكتبة الإسكندرية:

«انشأها بطلميوس (حوالي ٣٠٠ ق.م) لنقل الآداب اليونانية الى مصر، وازدهرت على ايام بطلميوس ٢ (٢٨٥ ٢٤٦ ق.م)، وبطلميوس ٣ (٢٤٦- ٢٢١ ق.م)، فوسعت ونمت مجموعتها، وكانت كتبها مدونة على البردى وعلى الرقوق على شكل لفائف، وقيل ان عددها بلغ حوالي ٤٠٠٠٠٠ لفافة منوعة، ونحو ٩٠٠٠٠ لفافة مفردة اي لمصنف واحد ولمؤلف واحد. كان بالاسكندرية في العهدين اليوناني والروماني في مكتبتين: الاولى المكتبة الكبرى، وكانت بالبروكيوم من احياء الاسكندرية، والثانية المكتبة الصغرى، وكانت بمعبد السرابيوم، وتلك انشأها بطلميوس ٢ ، وقد بلغت مجموعاتها حوالي ٤٣٠٠٠ من لفافات البردى. لما وصل يوليوس قيصر الى الاسكندرية ٤٨ ق.م نشبت حركة بحرية واشتعل حريق هائل اتلف دار صناعة السفن وما جاورها من المباني ،

وفيها مكتبة الاسكندرية العظمى، وذهب المؤرخ بلوتارك الى ان مقدار ما التهمته النيران في تلك الحادثة بلغ ٤٠٠٠٠٠ مجلد، وبذلك فقدت الحضارة تراثاً لا يمكن ان يعوّض. رأى يوليوس قيصر ان يعوّض مصر عن هذه الخسارة العلمية، فاهدى الى كليوبطرة ما يقرب من ٢٠٠٠٠٠ مجلد، غنمهما من مكتبات ملوك برجامون، وقد اودعت هذه المجموعة احد المعابد. والمعروف ان هذا المعبد ومكتبته قد دمرّا في اثناء الثورات التي وقعت في ٣٦٦ - اما مكتبة معبد السرابيوم فقد امتدت يد التدمير اليها في القرن ٤، فنقل بعض كتبها الى القسطنطينية وتشتت الباقي حوالي ٣٩١».

١١- تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة)

المجلد تأليف (اندريه ايمار ANDRE AYMARD و (جانين او بوايه JEAN-NINE AUBOYER) نقله الى العربية: فريد. م. داغر وفؤاد ج. ابو ريحان.

وساهم في ترجمة هذا المؤلف كل من السيدين: يوسف اسعد داغر وأحمد عويدات منشورات عويدات بيروت - باريس - الطبعة الثانية ٦٨٩١ ص ٥١٩.

"وقامت في الاسكندرية، على مقربة من المتحف، مؤسسات ملكية اخرى سهلت عمل العلماء: حديقة الحيوانات، وحديقة النباتات، ودار الكتب بنوع خاص. اما هذه الاخيرة التي اسسها بطليموس الاول، على مقربة من القصر ايضاً، فقد انمت مجموعاتها انماء مطرداً بان اشترت، في جميع انحاء العالم اليوناني، المخطوطات المعروضة للبيع وبتنظيم استنساخ المخطوطات الاخرى: وقد سهل ذلك انتاج البردى الذي كان وقفاً على مصر تقريبا. فبلغت محتوياتها، منذ السنة ٢٨٥، على ذمة الرواة، ٢٠٠٠٠٠ «مجلدا» اي لفافة من البردى، و ٧٠٠٠٠٠ في السنة ٤٨ قبل المسيح، حين شب فيها حريق في ايام قيصر فأتي على جزء منها. وكان هنالك بالاضافة الى هذا العدد، حوالي ٥٠٠٠٠ مجلد في دار كتب ثانية كانت منذ بطليموس الثاني ملحقة بمعبد سيرابيس. وقد عين الملك لدار الكتب موظفين كثيرين دفع لهم اجورهم: فتسلم امانتها شعراء من امثال ابولونيوس الرودسي وعلماء من امثال ايراتوشينوس.

حذت سلالات اخرى حذو اللاجيين الاولين. ولكن تحقيقاتها لم تبلغ مثل هذه الاهمية وهذه العظمة. ولم تؤسس واحدة منها متحفا آخر: وليس ما اطلق عليه هذا الاسم في عهد متأخر اي في ايام الامبراطورية الرومانية، سوى مؤسسات بلدية للتعليم العالي. غير ان جميع البلاطات قد حاولت، عن طريق الفوائد المادية، اجتذاب الكتبة والفلاسفة والعلماء. اضف الى ذلك ان بعض الملوك اسسوا وتعهدوا دوراً للكتب ايضاً. فكان للسلوقين مكتبتهم في انطاكيا، عاصمتهم السورية.

ولكن اهم مكتبة قامت في برغاموس، وقد انماها الاطاليون انماء مطرداً ايضا: وعلى الرغم من البرديات مازالت اكثر المواد استعمالاً، فلا يمكننا هنا الا ان نذكر بالجلد «البرغاموسي» الذي اشتق منه امس (Parchemin الرق) والذي لم يكن اختراعه، من جهة ثانية، لا اكتشافا ولا احتكاراً برغاموسياً. وكانت مجموعات هذه المكتبة قد بلغت ٢٠٠٠٠٠ مجلد حين اهداها انطونيوس لكليوباترة تعويضاً عن الاضرار التي لحقت بمكتبة الاسكندرية بفعل الحريق».

١٣- لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات:

د/ عبد الستار الحلوجي / دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٩١/٩٠ - ص١٩ - ٢٢:

«ولقد كان الدور الذي لعبته مكتبة الاسكندرية في تاريخ الحضارة الانسانية، خطيراً حقا. فقد حفظت لنا تراث اليونان القدماء، كما حفظت لنا ترجمات للتراث الانساني في شتى لغات البشر. والفضل في ذلك يرجع الى العلماء والباحثين الذين كانوا يعملون بها، كما يرجع الى المكان الذي تحتله الاسكندرية، بل وتحتله مصر بأسرها في خريطة العالم، فقد حنا جو مصر الدافئ وحنت رمالها الجافة على لفائف البردى التي ضمت بين طياتها ذخائر التراث الانساني، فاستطاعت هذه اللفائف ان تخلد على مر السنين والايام. ومازالت الاكتشافات تطلعنا كل يوم على جديد من هذه اللفائف التي طمرت في جوف ارض مصر آلاف السنين.

ولكن مكتبة الاسكندرية التي ظلت منهلاً عذبا يرتوي منه رجال الفكر والادب في العصور القديمة، والتي حفظت للانسانية تراثها، مالبثت ان امتدت اليها يد الانسان بالخراب والدمار، ولم تلبث هذه الكنوز التي فتحت ابوابها للباحثين في ميادين العلم والمعرفة، لم تلبث ان استبيحت حرماتها ودمرت مقتنياتها تدميراً.

ولقد تضاربت القصص حول نهاية هذه المكتبة الرائدة التي عاشت عصرها الذهبي ايام البطالسة الاربعة الاولى وامتدت بها الحياة لعدة قرون في عهد الرومان فقيل انها احرقت سنة ٤٧ ق.م عندما اضرم قيصر النار في مدينة الاسكندرية ولكن هذه الرواية لم تسلم من الشك والتفنيد ، ولعل عنصر الحقيقة فيها ان الحريق قد اصاب المكتبة بخسائر ولكنها كانت يسيرة علي اي حال، وقد عوضتها تلك الهدية الضخمة من الكتب التي يقال ان انطونيو قدمها الى كليوباتره والتي بلغت ٢٠٠ر٠٠٠ لفافة بردى كان قد استولى عليها من مكتبة برجاموس.

ويكاد يجمع المؤرخون على ان المكتبة والمتحف خربا على يد اورليان في اواخر القرن الثالث الميلادي، وان مكتبة السيرابيوم عاشت بعد المكتبة الأم ما يقرب من مائة عام ثم دنت نهايتها على

يد ثيوفيلس الانطاكي بطريرك الاسكندرية الذي خربها في سنة ٣٩١ على اعتبار انها قلعة التراث الوثني.

ويزعم قوم ان العرب هم الذين احرقوا مكتبة الاسكندرية ابان الفتح الاسلامي لمصر، ويمضي هؤلاء في دعواهم حتى ليزعمون ان احراق الكتب في حمامات الاسكندرية قد استغرق ستة اشهر. بل ان منهم من يردد ماقاله درابر من ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب ارسل الى قائد جنده عمرو بن العاص يطلب اليه احراق المكتبة لانها ان كانت كتبها متمشية مع تعاليم الاسلام فقد اغنى الله المسلمين عنها بكتابه الكريم، وان كانت تخالف تلك التعاليم فلا حاجة بهم اليها.

وعلى الرغم من ان هذه القصة قد ترددت في بعض الكتب العربية والاجنبية الا ان معظم المؤرخين والباحثين، سواء منهم العرب وغير العرب يجنحون الى الشك فيها وانكارها على اساس ان اول من ذكرها من العرب – وعنه اخذ الغربيون – هو ابو الفرج الملطي وهو – كما يقول جيبون في كتابه «سقوط الامبراطورية الرومانية» – «اجنبي غريب يكتب على تخوم ميدية بعد ستمائة سنة، ويوازنه ويرجح عليه ولاشك سكوت اثنين من المؤرخين كلاهما مسيحي وكلاهما مصري واقدمهما البطريق يوتيخيوس الذي توسع في الكتابة عن فتح الاسكندرية[١].

وفضلاً عن ذلك فان كثيراً من المؤرخين يؤكدون ان يوحنا (فيلوبونس) النحوي الذي يقال انه قابل عمرو بن العاص وكله في شأن المكتبة، والذي ذكره ابو الفرج الملطي في روايته تأكيداً لاقواله، قد مات قبل فتح العرب لمصر واستيلائهم على الاسكندرية بثلاثين او اربعين سنة. وحتى ابن النديم، الذي قال انه عاش حتى فتح مصر وكان مقربا من عمرو بن العاص، لم يذكر شيئاً عن المكتبة. فاذا اضفنا الى ذلك ما قاله الدكتور الفرد بتلر في كتابه «فتح العرب لمصر» من أن معظم كتب ذلك العصر كانت من الرق وهو لا يصلح للوقود، وان العرب لو ارادوا احراق ماليس مكتوبا على الرق لما تجشموا مشقة نقله الى الحمامات ولما كفى ذلك القدر لاشعال اربعة آلاف حمام لمدة ستة اشهر كما تقول الاسطورة[٢]، وما ذهبت اليه روث ستيلبورن ما كينزن من ان عملية نقل الكتب الى الحمامات – فضلاً عن مشقتها وتكاليفها – تسبب تأخيراً وتتيح الفرصة لتهريب المخطوطات القيمة[٣]، واذا وضعنا في الاعتبار تكريم الاسلام للعلم والعلماء وتحريم فقهائه احراق الكتب الدينية التي يغتنمونها من المسيحيين واليهود، واباحة الكتب الدنيوية على الوجه المشروع لمنفعة المؤمنين، اقول : اذا اضفنا ذلك كله الى ماقاله جيبون وكازانوفاورينودوت وغيرهم من المستشرقين والمؤرخين العرب ادركنا ان العرب حينما فتحوا مصر لم يدمروا ماكان قد تبقى من مكتبة الاسكندرية وانما حفظوه وديعة غالية حتى كانت حركة الترجمة في عصر بني العباس، فترجم هذا التراث الى لغة العرب، ولم تلبث هذه الوديعة ان اصبحت ميراثا للانسانية كلها حينما بدأت اوربا تتصل بالشرق العربي في القرن الثاني عشر وتترجم الي لغاتها هذه الآثار اليونانية التي كانت قد عربت لعدة قرون مضت.

تلك هي مكتبة الاسكندرية التي حضنت تراث الامة اليونانية بل تراث البشرية كلها في تاريخها السحيق، وكانت في حد ذاتها رائعة لتاريخ المكتبات الغربية (على اعتبار ان الاسكندرية كانت في تلك المرحلة التاريخية مدينة يونانية وكانت تتربع على عرش الفكر الاغريقي)، وقفنا عندها وقفة ربما تكون قد طالت ولكن الحقيقة انه على الرغم من انتشار الكتب والمكتبات خلال القرون الثلاثة السابقة للميلاد في مراكز الثقافة اليونانية التي انتشرت في ربوع الشرق القديم في مقدونيا وانطاكية ورودس وكوس وبرجاموس والقدس، اقول : على الرغم من انتشار الكتب والمكتبات العامة والخاصة في هذه المراكز الهلينية، فان ايا من مكتبات تلك الحقبة لم يرق الى مستوى مكتبة الاسكندرية لا في الحجم ولا في الدور الانساني الكبير الذي نهضت به في تاريخ الحضارة البشرية".

هواش كتاب المؤلف

(1) The History of the Decline & Fall of the Roman Empire, vol, V, P. 453

(2) The Arab Conquest of Egypt

(3) The American Journal of Semitic Languages Vol. 51, (1935), P. I18

١٣ – دائرة المعارف الاسلامية – المجلد الثاني دار الفكر – ص ١٣٧

« لما سلمت الاسكندرية للعرب عام ٢١ هـ – ٦٤٢م، استفاد عدد كبير من اليونان من شروط التسليم وغادروا ديارهم فيها.

ولم يضايق العرب سكان هذه المدينة عند استيلائهم عليها، كما اننا لانستطيع ان نسلم بصحة القصة المشهورة التي تزعم ان مكتبتها العظمى قد احرقت بأمر الخليفة عمر في ذلك العهد. وعندما اعاد العرب فتح مدينة الاسكندرية بعد غزوة منويل عام ٢٥ هـ (٦٤٥م)[1] انتقموا لانفسهم من السكان بان قتلوا منهم عددا عظيما واحرقوا الكنائس.

ويقال ايضا انهم هدموا الاسوار. وفي القرن الاول للهجرة كان للاسكندرية في نظر العرب اهمية كبرى باعتبارها قاعدة بحرية، وكان هذا سببا في زيادة حاميتها زيادة مطردة، وانضم اليها بعض اهل المدنية».

١– الكامل لابن الاثير – الجزء الثالث ص ٤١ – ٤٢

دار الكتاب العربي/ بيروت – ط ٦

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين)

(ذكر خلاف اهل الاسكندرية)

في هذه السنة خالف اهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم، وكان سبب ذلك ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا انهم لايمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فاجابوهم الى ذلك فسار اليهم من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصى فارسوا بها واتفق معهم من بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديداً فانهزم الروم وتبعهم المسلمون الى ان ادخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم في البلد مقتلة عظيمة منهم(*) منويل الخصى، وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد اخذوا اموال اهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم فلما ظفربهم المسلمون جاء اهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمر بن العاص: ان الروم اخذوا دوابنا واموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ماعرفوا من اموالهم بعد اقامة البينة، وهدم عمر سور الاسكندرية وتركها بغير سور.

وفيها ابلغ سعد بن ابي وقاص عن اهل الري عزم على نقض الهدنة والغدر فارسل اليهم واصلحهم وغزا الديلم ثم انصرف.

١٤- تاريخ المكتبات - الفريد هيسيل ALFRED HESSEL
نقله الى العربية - د/ شعبان عبد العزيز خليفة.
دار المريخ للنشر - الطبعة الثانية ١٩٨٠ - ص ٩ و ١٠

"وكانت المكتبة مقسمة الى قسمين: القسم الاول الاكبر منها في القصر الملكي في حي البروكيوم BRUCHEUM (وهو احد احياء الاسكندرية) من المدينة، والقسم الاصغر في معبد سيرابيس SERAPES وبعد ان تهدم القسم الاكبر من المكتبة اثر غارة قيصر على الاسكندرية عام ٧٤ ق.م اصبح السيرابيوم المركز الحقيقي للكتب في المدينة.

(*) وذكر ابن الحكم في كتابه فتوح مصر واخبارها ان سبب نقض الاسكندرية ان صاحب اخنا قدم على عمرو ابن العاص فقال: اخبرنا ما على احدنا من الجزية فيصير لها؟ فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة: لو اعطيتني من الركن الى السقف ما اخبرتك انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم فغضب صاحب اخنا فخرج الى الروم فقدم بهم فهزمهم الله واسر النبطي فاتى به عمرو فقال له الناس: اقتله فقال: لابل انطلق فجئنا بجيش آخر.

١٥ – دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي

المجلد الاول ص ٣٣٠ – ٣٣٧ دار المعرفة / بيروت

يستعرض هذا المصدر ما ورد في بعض الكتب والموسوعات والمصادر حول حريق مكتبة الاسكندرية وشرحها ومناقشتها. وفيما يلي النص الكامل لما ورد فيها:

مكتبة الاسكندرية:

"هذه المكتبة التي طار في العالم صيتها قديما وحديثا اوجدها اولا الملك بطليموس سوتير (انظر بطليموس) وجلب اليها من نفائس الكتب وذخائر القرائح بما لا يسع المكان تعداده هنا. ونقول اجمالا عن المؤرخين (اولوجيل) و (اميان مارسيليان) انه كان بها سبعمائة الف مجلد في العلوم المختلفة – لما بلغ عدد كتبها اربعمائة الف مجلد انشئ لها قسم آخر وسع ثلاثمائة الف اخرى.

قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر فلما هجم (سيزار) قيصر الرومان على الاسكندرية احترقت الاولى في جملة ما احترق في الموقعة. اما الثانية فبقيت وزادها انتوان الروماني بما أخذه من ملك برغام من الكتب فتلاشت هي الاخرى سنة (٢٩٠) ق.م في المعارك التي قامت بين الوثنيين والمسيحيين. ثم اعيدت ثانيا في اوائل القرن السادس.

روى ابو الفرج مطران حلب في تاريخه ان العرب لما استولوا على الاسكندرية امر عمرو بن العاص باحراقها بأمر من امير المؤمنين عمر بن الخطاب فأوقدوا بها حمامات المدينة نحواً من ستة اشهر.

قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر عقب ذلك:

«ان مسألة إحتراق مكتبة الاسكندرية بواسطة العرب اثارت في ايامنا هذه شكوك النقد التاريخي وحومت حولها الريب والاعتراضات.

ثم ذكرت انه يوجد كثير من الكتاب يذهبون خلاف هذا المذهب وينكرون احتراق مكتبة الاسكندرية. ويؤيد غيرهم احتراقها ولكنه ينكر انها كانت تحوي هذا القدر الكبير من الكتب ويزعم انها كانت كتبا موضوعة في الامور اللاهوتية ثم قالت ومما يؤسف له ان الاولين والآخرين لم يأتوا بما يؤيد مزاعمهم المتناقضة وقد جاء في الخطط التوفيقية لعلي مبارك باشا ما يأتي:

«قد ذكر اميان مارسلوس عند التكلم على السرابيوم (بناء قديم بالاسكندرية ومحله يعرف بعمود السواري) انه كان به دار الكتب الكبيرة التي كانت محلقة بالسرايات ويؤيد ذلك ما ذكره

وتروف حيث قال انه كان بمدينة الاسكندرية دار كتب غير الكبيرة ولم يكن ثم غير الموجودة في معبد السرابيوم ولبعدها من الميناء لم تصلها الحريقة التي احترقت فيها السراية وملحقاتها .

١٦ - محمد الفلكي (١٨١٥ - ١٨٨٥).

من مقال للدكتور رشدي سعيد في مجلة «الهلال» ابريل ١٩٩٤ بعنوان (محمود الفلكي عالم فذ في عصر مجيد). ولد ببلدة الحصة بمديرية الغربية بمصر، استطاع ان يثري علوم الفلك والجيوفيزيقا والآثار بابحاثه الموسوعية التي بلغت مستوى رفيعاً جعلته من الم المشتغلين بهذه العلوم على المستوى العالمي.

صار رئيساً للجمعية الجغرافية في آخر ايام حياته، وشغل منصب وزير المعارف مرتين كانت اخراهما من يناير سنة ١٨٨٤ الى ١٩ يوليو ١٨٨٥ وهو يوم وفاته وكان اول اعمال محمود الفلكي في مصر هو رفع خريطة طبوغرافية لها استغرق العمل فيها عشر سنوات (١٨٤٩ - ١٨٥٩) اقيمت خلالها شبكة المثلثات الاولية التي غطت ارجاء مصر حتى اقصى النقط فيها.

ومما ذكره صاحب المقال عنه مايلي:

«وقد فتن محمود الفلكي خلال تنقلاته بمصر باثارها وكشف عن مقياس النيل القديم في اسوان وأدفو عند زيارته لمعابدها في سنة ١٨٧٠ وحقق تدريجهما . كما قام بعمل حفائر منظمة لمدنية الاسكندرية لاستكشاف تاريخها ورسم خريطة لها تبين مواقع المدينة القديمة ومعالمها، وقد طبعت هذه الرسالة تحت عنوان «الاسكندرية القديمة ، ضواحيها والجهات القديمة منها التي اكتشفت باعمال الحفر و سبر الغور والمسح وطرق البحث الاخرى» في كوبنهاجن سنة ١٨٧٢.. ويعتبر هذا المؤلف من اعظم ما قام به محمود الفلكي، فقد قام بحفائر عميقية في مواقع شتى قام باعمال سبر الغور في الميناء الكبير فكشف الصخور التي جملت مدخل الميناء القديم وعراً ، واكتشف ميناء الملوك وجزيرة انتى رودس وقصرها الملكي وطريق انطونيوس وبقايا رصيف الميناء الكبير، وكان كلها تحت الماء، كما قام بعمل خريطة للمدينة القديمة ذاتها وكتب عن تاريخها: نشأتها ومعارك يوليوس قيصر الذي جعل من اجمل احيائها ميدان قتال والذي خرب جزيرتها فاروس وحرق مكتبتها التي «كان اعظم مكتبات العالم» وكنيستها المحيدة وما اضافته الى علم اللاهوت المسيحي وحاضرها الذي رآه..».

١٧ - التاريخ الروماني:

الدكتور عبد اللطيف احمد علي - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٣

ورد فيه عن حرق مكتبة الاسكندرية في ص٢٦٣ و ٢٦٤ مايلي:

« فقد حاول الاسكندريون ان يبلغوا سفنهم الراسية فيه ليدمروا بها اسطول قيصر ويستولوا على الميناء والشريط الساحلي المتاخم له ويمنعوا عنه المؤونة والامدادات.

ولم يجد قيصر مناصا من ان يحرق جميع هذه السفن البطلمية وغيرها مما كان راسيا في احواض الترميم حتى يحرم اعداءه من الانتفاع بها ويحمي اسطوله الصغير ويؤمن طريق امداداته. وقد امتدت السنة اللهب الى المخازن (apostaseis) القائمة على رصيف الميناء الكبير ودمرت حوالي ٤٠،٠٠٠ كتاب، او بعبارة ادق، لفافة بردية مخطوطة (BIBLIA) كانت مودعة بها توطئة لتصديرها الى الخارج. وقد أدى ذلك الى رواج القصة القائلة بأن مكتبة الاسكندرية الكبيرة - التي كانت تحتو ي على ما لا يقل عن ٧٠٠،٠٠٠ مخطوط[١] - دمرت في ذلك الحريق. بيد انها قصة غير صحيحة لانه لم يرد لها ذكر عند قيصر او صاحب كتاب حرب الاسكندرية، او شيشرون او اي كاتب آخر معاصر[٢]. وبضربة خاطفة استولي قيصر على جزيرة صغيرة تقع عند اقصى الطرف الشرقي من جزيرة فاروس pharos (حي رأس التين)، وتتحكم في مدخل الميناء الكبير. وعلى هذه الجزيرة الصغيرة (وتعرف ايضا باسم فاروس) كانت تقوم المنارة الشهيرة التي تقوم مكانها الآن قلعة قايتباي (قايدبك).».

هوامش كتاب المؤلف:

(١) فاذا اضفنا الى هذا الرقم ٢٠٠،٠٠٠ مخطوط اهداها انطونيوس الى كليوبطره يبلغ اقصى عدد احتوته مكتبة الاسكندرية من اللفافات البردية المخطوطة ٩٠٠،٠٠٠ وينبغي التنبيه ان هذه اللفافات لم تكن كتبا بالمعنى المألوف للكلمة، وانما كانت حوالي سبع منها تعادل كتابا متوسط الحجم من ٣٠٠ صفحة وعلى ذلك يكون عدد الكتب التي احتوتها تلك المكتبة في عصر كليوبطرة ١٢٨،٨٧٠ كتابا على وجه التقريب.

(٢) عن حريق مكتبة الاسكندرية الكبرى، راجع:

E.A. Parsons, The Alexandrian Library (London, 1952), 288. 319 413- 425

دكتور محمد عواد حسين «المسألة المصرية في السياسة الرومانية»، حوليات اداب عين شمس ، المجلد الرابع (يناير ١٩٥٧) ص ٢٤ - ٣٩.

١٨ – عمرو بن العاص:

الدكتور نظمي لوقا – مكتب غريب – القاهرة ١٩٨٢ – ص ١٤٧ – ١٥٣

في هذا الكتاب الذي حمل عنوان «عمرو بن العاص» تناول المؤلف حديثاً مستفيضاً عن حريق «مكتبة الاسكندرية» ننقل أدناه نصه:

«مكتبة الإسكندرية».

ولا يمكن أن يطوى الحديث عن عمرو فاتح مصر دون الحديث عن فعلة منسوبة له، لها دوي في تاريخ الحضارة والفكر البشري. ونعني بهذه الفعلة ما قيل من أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الاسكندرية، وفيها أعظم كنوز الثقافة المنحدرة عن العالم القديم كله، فرعونية ويونانية ورومانية.

ونعرض الآن لأقدم أشهر رواية لهذه الفعلة، وهي رواية أبي الفرج:

«كان في ذلك الوقت (وقت فتح الاسكندرية) رجل اشتهر بين المسلمين اسمه (حنا الأجرومي) وكان من أهل الاسكندرية، وظاهر من وصفه انه كان من قسوس القبط، ولكنه أخرج من عمله إذ نسب إليه زيغ في عقيدته. وقد أدرك ذلك الرجل فتح العرب للاسكندرية واتصل بعمرو، فلقي عنده حظوة لما توسم فيه من الذكاء بصفاء ذهنه وقوة عقله، وعجب مما وجد عنده من غزارة علم، فلما أنس الرجل من عمرو ذلك الإقبال قال له يوماً: لقد رأيت المدينة كلها وختمت على ما فيها من التحف ولست أطلب إليك شيئاً مما تنتفع به، بل شيئاً لا نفع له عندك وهو عندنا نافع. فقال له عمرو: وماذا تعني بقولك؟ فقال: أعني بقولي ما في خزائن الروم من كتب الحكمة. فقال له عمرو: إن ذلك الأمر ليس لي أن أقطع فيه رأياً دون إذن الخليفة. ثم أرسل كتاباً الى عمرو يسأله في الأمر فأجابه عمر قائلا: «وأما ما ذكرت من أمر الكتب فإذا كان ما جاء بها يوافق ما جاء في كتاب الله فلاحاجة لنا به، وإذا خالفه فلا أرب لنا فيه. وأحرقها!» فلما جاء هذا الكتاب الى عمرو أمر بالكتب فوزعت على حمامات الاسكندرية لتوقد بها فمازال يوقدون بها ستة أشهر. فاسمع وتعجب!».

وقد كتب هذا الكلام أبو الفرج في النصف الثاني من القرن الثالث عشر أي بعد فتح الاسكندرية بستة قرون تقريباً. وتعتبر هذه الرواية أقدم ما ذكر في هذا الموضوع. وعنه نقل أبو الفداء في القرن الرابع عشر، ثم المقريزي في خططه.

ويقول الدكتور ألفريد بتلر: «إن إغفال حنا النقيوسي لتلك الواقعة يضعف من شأنها. وإن كان القبط في مصر لاتزال بينهم تلك القصة يتناقلونها مع بعض الخلاف فيها، إذ يجعلون مدة الإيقاد بالكتب سبعين يوماً بدلاً من ستةشهور. ولكن ليس من دليل يدل على أن أصل هذه الرواية أقدم

من أيام أبي الفرج. ومعنى هذا بعبارة أخرى أن هذه القصة المتداولة بين القبط لعلها مأخوذة عن مؤلفي القرون الوسطى، وهناك عوامل للشك تحيط بتلك القصة تجعلها غير راجحة وتجعل دلالتها غير موثوق بها».

ويتعرض المؤرخ الانجليزي «جيبون» صاحب تاريخ اضمحلال وسقوط الدولة الرومانية الشهير لهذه المسألة، فيثني على سعة أفق عمرو ويقول أن صداقته لحنا الأجرومي الفيلسوف الأديب الملقب بفيليبونوس وآخر تلاميذ أمونيوس دليل على سماحته وحبه للمعرفة، ثم يروي قصة أبي الفرج ويقول أن حمامات الاسكندرية التي وزعت عليها هذه المجلدات كان عددها يومئذ أربعة آلاف حمام! وأن استمرار إيقادها بهذا الوقود الثمين الذي لا يضارعه وقود مدى ستة أشهر أكبر دليل - إن صحت الواقعة - على ضخامة تلك المكتبة.

ثم يستطرد جيبون بعد ذلك على الفور فيقول أن نشر كتاب أبي الفرج في الترجمة اللاتينية أتاح لهذه «القصة» أن تذيع، بحيث كان كل دارس وعالم يجد من مراسم التقوى أن يلعن العرب بسبب هذه الجريمة الكبرى في حق الثقافة والحضارةوالعلم والفن وكل عبقريات العالم القديم، ويجد من حماسته للعلم ما يمده بالحرارة في التشهير بعمرو وبالعرب.

وفي أعقاب ذلك يدهش جيبون قراءه بقوله:

«وأنا من جانبي أميل ميلا شديداً الى جحد الواقعة نفسها وسائر ما يترتب عليها من النتائج!... فشهادة مؤلف كأبي الفرج يكتب في هذه المسألة بعد ستة قرون، وهو أجنبي عن مصر يقيم في مكان بعيد كل البعد عن تخومها - ترجح عليه رجحاناً شديداً دلالة الاغفال أو الصمت عن الإشارة الى شيء من ذلك في كتابات أقدم مؤرخين لهذا العهد، وكلاهما مسيحي، وكلاهما من أهل مصر نفسها، وأقدمهما البطريق يوتيخوس، وكلاهما أسهب في وصف فتح العرب للاسكندرية وأفاضا في ذكر تفصيلاته».

ويضيف جيبون حجة عقلية غير تلك الحجة التاريخية الفنية فيقول:

«إن الأمر الصارم المعزو الى عمر بن الخطاب يرفضه التاريخ الاسلامي السليم والسنة المحفوظة عن النبي وأئمة المسلمين: فكتب النصارى واليهود في نظر الشرع الاسلامي إذا ما وقعت في يد الغزاة المسلمين لا يجوز لهم إحراقها بالنار. وأما كتب أهل الأوثان في الصنائع والفنون والعلوم والتاريخ والشعر والفلسفة أو الحكمة فتحول الى ما فيه فائدة المسلمين إذ يأخذون منها ما ينفعهم في أمور دنياهم... ويجب ألا نغفل ما في تاريخ مكتبة الاسكندرية من كوارث ذلك الحريق غير المتعمد الذي أشعله يوليوس قيصر في مرافق المدينة حول الميناء كوسيلة من وسائل الدفاع عن نفسه، وهو حريق لا يمكن على فداحته أن تلحق منه يوليوس قيصر سبة البربرية أو التعصب، لأنه غير مقصود، وكان أشد الآسفين لعواقبه. ولكن ثمة كارثة أكبر جريرتها أدهى وأشد، وأعني بها إحراق المسيحيين وتخريبهم المتعمد المدروس بعناية لكل ما يمت الى العبادة

والثقافة الوثنيتين. لقد خربوا مدارس الفلسفة. وقتلوا فلاسفة منهم هيباشيا، وحطموا بدائع التماثيل الفنية بلا تردد. وأحرقوا الكتب. وكان معظم أولئك المتعصبين من الجهال بطبيعة الحال. ويشهد المؤرخون المعاصرون منذ حكم الأنطونيين الوثنيين، فلابد أنه بقيت بعد تخريب المكتبات العامة الكبرى بقية صالحة من تلك الكتب في حوذة أفراد الناس، أو في مكتبات الأديرة البعيدة. وأن بقاء العلم في الاسكندرية لم تنطفئ أنواره ليقوم وحده دليلا على بقاء الكتب وانتفاع الناس بها. غير أننا نستبعد كل الاستبعاد أن تكون مكتبة السيرابيوم الكبرى قد بقيت الى القرن السابع ونحن لانجد في كتابه أحد من مؤلفي القرنين الخامس والسادس ما يدل على وجودها دلالة صريحة لا لبس فيها ولا إبهام. ولنذكر في هذا الصدد مثلا واحداً، ألا وهو «حنا مسكوس» وقد زار مصر مع صديقه «صفرنيوس» قبل فتح العرب بسنين غير طويلة. وكان هذان الرجلان من محبي العلم ولهما شغف كبير بالكتب وما يتصل بها، وقد جابا كثيراً من أنحاء مصر، وأقاما فيها زمناً طويلا، ولكنا لا نرى في كتاب من كتبهما مهما قلبناها ذكرا لمكتبة عامة في البلاد، اللهم إلا مكتبات خاصة يملكها آحاد الناس.. ولا يتأتى بعد كل هذا أن يقول قائل أن الاسكندرية كانت بها مكتبة عامة كبرى عندما فتحها العرب.

«يضاف الى هذا أن العرب لم يدخلوا مدينة الاسكندرية إلا بعد أحد عشر عاماً من الفتح – بنص المعاهدة – وقد جاء في شروط الصلح أن للروم في مدة هذه الهدنة أن يخرجوا من البلاد إذا شاءوا: وأن يحملوا معهم كل ما استطاعوا نقله من متاعهم وأموالهم. وكان البحر في هذه المدة خالياً من العدو لا يقف شيء فيه بين الروم وبين القسطنطينية أو سواها من ثغور البحر، فلو كانت المكتبة الكبرى عند ذلك باقية لطمع الناس في ثمن كتبها وأغراهم ذلك بنقلها وإن لم يغرهم شيء آخر، إذ كانت كتباً قيمة عظيمة القدر يقبل على شرائها كثير من الناس الذين لهم شغف بالعلوم وطلبها. وكان لابد لمثل هؤلاء أن يكونوا على غرار الشخص الذي ورد ذكره في رواية أبي الفرج، ألا وهو حنا فيليبونوس فيسعوا الى نقل تلك الكنوز العلمية في وقت الهدنة إذ كانت الفرصة ممكنة. وما كانوا ليتركوها تقع في يد العرب الذين لا علم لهم بقيمتها العظمى وهم على وشك أن يدخلوا المدينة.

بل إن أبا الفرج نفسه (وهو صاحب القصة التي يتهم فيها العرب بحرق المكتبة) يشهد بأن الاسكندرية بقيت مقصدا لطلاب العلم الى حوالي سنة ٦٨٠م. (أي بعد الفتح بأربعين سنة) فيذكر أن «يعقوب الأذاسي» ذهب الى الاسكندرية ليتم تحصيله للعلم بعد أن أتم درس اللغة اليونانية والكتاب المقدس في بعض ديور الشام. وهذا يدل على أن بعض المكتبات كانت لاتزال باقية بمصر عند آحاد الناس وفي الأديرة بعد الفتح، كما كانت قبله، ولو كانت في المدينة مكتبة عامة كبرى قبل الفتح ثم أحرقها العرب عند فتحهم إياها لما أغفل ذكر الحادث رجل مثل «حنا النقيوسي» الأسقف المصري الذي كتب مؤلفه قبل نهاية القرن السابع، وقد أفاض في ذكر الاسكندرية وتفصيلات فتحها. وما كان ليغفل حادثة كان لها عظيم الأثر إذ ذهبت بما كان يمكنه الاعتماد

عليه في كتابة تاريخه وحرمت العالم أجمع من كنز من أكبر كنوز العلم حرماناً أبدياً.

وبهذا نجزم بأن رواية أبي الفرج لابد أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ليس لها أساس من التاريخ.

وبذلك تبرأ ساحة عمرو بن العاص والفاروق عمر من جريرة حضارية شنعاء طالما لاكتها الألسنة بغير تثبت.

١٩- دائرة المعارف - المعلم بطرس البستاني
المجلد الثالث - دار المعرفة - بيروت - ص ٥٧٥

«ومنذ بناء الاسكندرية انتقل تخت الملك من مدينة منف اليها فصارت دار المملكة بديار مصر ولم تزل على ذلك حتى ظهر الاسلام وزحف عمرو بن العاص اليها بجيوش المسلمين ففتحها وفتح الحصن وصارت ديار مصر أرض اسلام فانتقل تخت الملك حينئذٍ من الاسكندرية الى الفسطاط. وكان أوغسطوس قيصر قد استولى على الاسكندرية وبعث ما بها الى رومية. وكان ابرويز كسرى ملك العجم قد ارسل قائدهُ شاهين الى مصر سنة ٦١١ ب.م ففتحها وفتح الاسكندرية وارسل مفاتيحها الى ابرويز ثم ان ابن ابرويز ردها الى القياصرة. وكانت في ايام البطالسة محطاً كبيراً لتجارة أوربا والبحر المتوسط مع مملكة الفرس والشرق الاقصى وبلغ عدد سكانها في تلك الايام نحو ثلاثمائة ألف نفس حرة من طوائف شتى وصارت مركزاً للعلوم والمعارف ونبغت فيها مدارس الفلسفة اليونانية ولا سيما المدرسة الافلاطونية وكان من جملة محسناتها المكتبة والموزيوم وهو مكتب كانت تعلم فيه التلاميذ على نفقة الحكومة وبلغت الاسكندرية ما قدَّر لها الاسكندر من النجاح والثروة وزهت وازهرت فاخجلت اشهر مدن العالم واغناها ولم يكن ينافسها في المجد والعظمة الا رومية حتى انها كانت تلقب في عهد يوليانوس قيصر بملكة المدن وتوصل عباد الاصنام فيها الى معرفة التوراة بالترجمة السبعينية وتأسست فيها الديانة المسيحية منذ زمن متوغل في القدم الا انهُ تولد فيها عدة بدعٍ فصارت ميداناً للمنازعات الدينية ولمشاحنات واحقاد مخالفة لتعليم النصرانية ولم يشتد النزاع الديني في بلدةٍ مثلما اشتد فيها وحدث فيها أيضاً مشاحنات سياسية كثيرة وتفاقم عليها الخطب ولا سيما في أثناء القتال الذي حدث بين كليوبطرة واخيها بطليموس سنة ٣٠ ق. م. وكان من دأب أهل الاسكندرية القاء الفتن والسجس وابداء الشطط ونشر رايات الثورة والعصيان في عهد البطالسة والرومانيين فثاروا سنة ٤٧ ق. م ثورة هائلة فاخمد قيصر عصيانهم. ويقال ان مكتبة الاسكندرية احترقت في ذلك الوقت وطرأ على تلك المدنية عدة مصائب وجرى فيها عدة مذابح قللت عدد سكانها وخضعت للرومانيين مدةً طويلة ونقل كثير من تحفها ومصنوعاتها الفاخرة الى رومية الا ان رونقها بقي على حاله الى ان جعلت القسطنطينية عاصمة للامبراطورية الشرقية فلم تفقد بذلك أهميتها التجارية الا ان ما كان لها من



Certainly the library was in the main Greek; the only translation recorded was the Septuagint.

The library editorial program included the establishment of the Alexandrian canon of Greek poets, the division of works into "books" as they are now known (porbably to suit the standard length of rolls), and the gradual introduction of systems punctuation and accentuation.

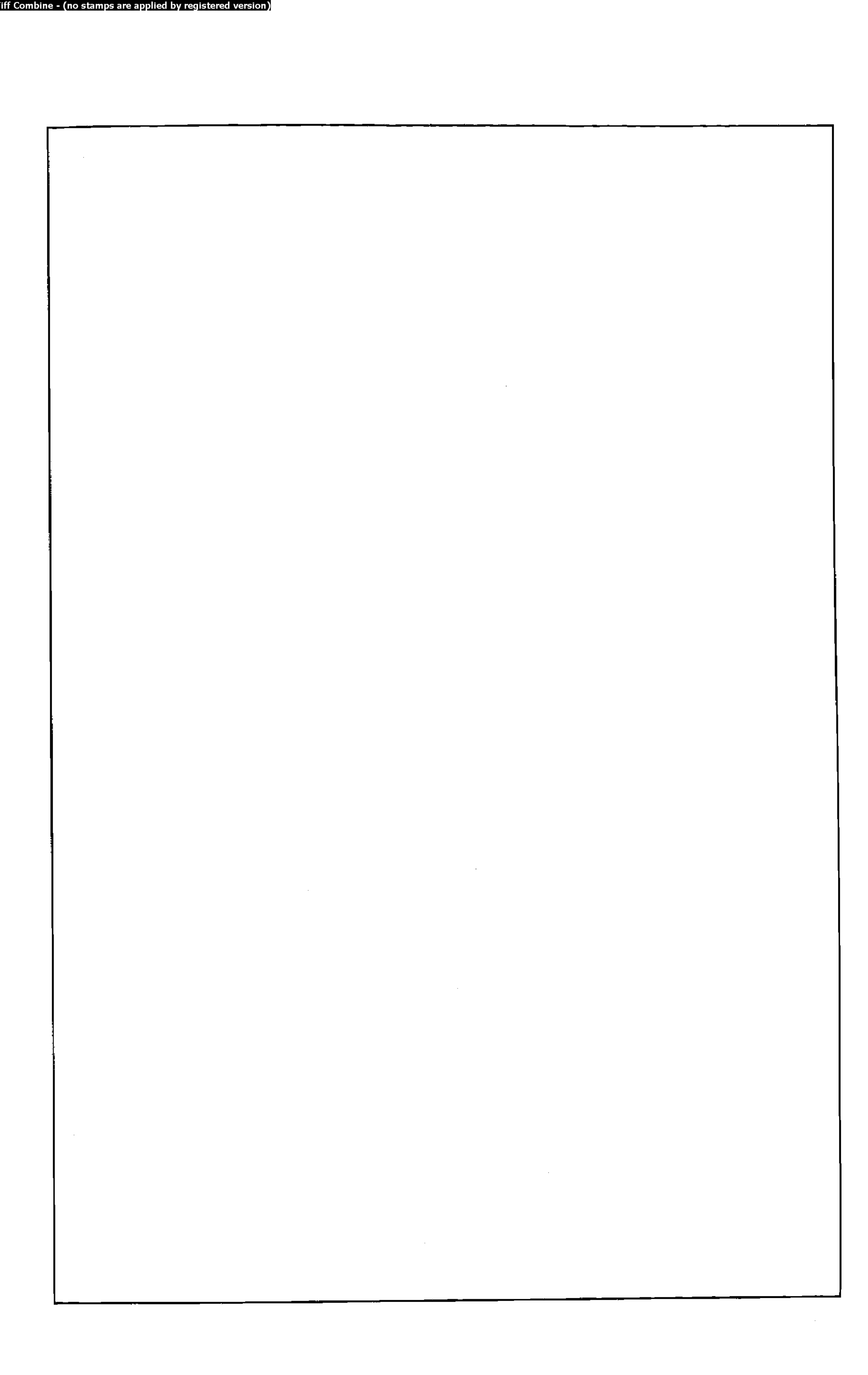
The compilation of a national bibliography was entrusted to Callimmachus. Though now lost, it survived into the Byzantine period as a standard reference work of Greek literature. The museum and lebrary survived for many centuries but were destroyed in the civil war that occured under Aurelian in the late 3rd century AD; the "daughter library" was destoryed by the Christians in AD 391.

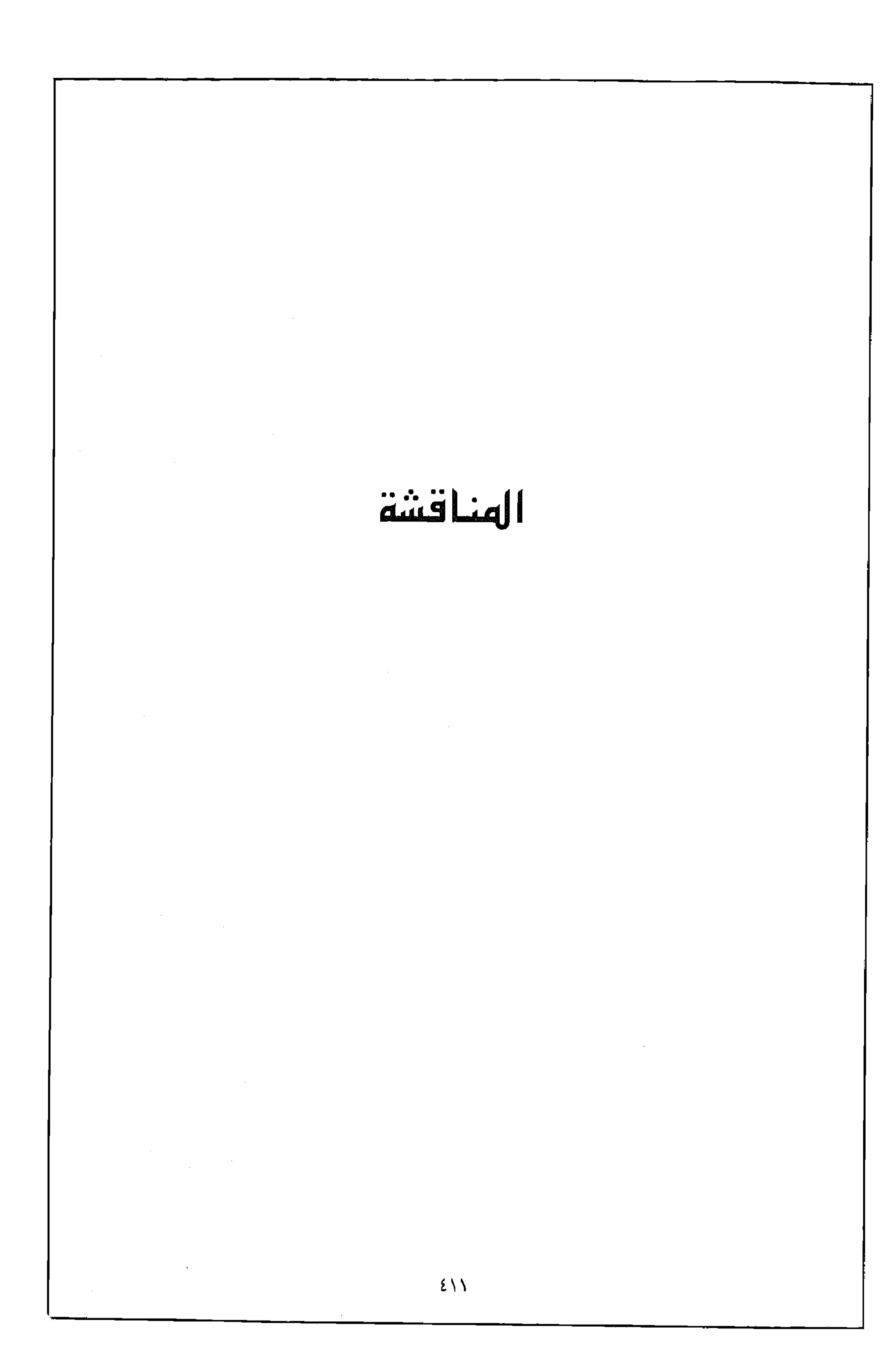
٢٢- النص الكامل لمقال جريدة الاهرام المصرية المنشور بتاريخ ٢١ يناير ١٩٢٤.

الأهرام

AL-AHRAM

في سبيل الحق والتاريخ





المناقشة

«المناقشة»

هذه نماذج لبعض المصادر التي تصدّت لحريق مكتبة الاسكندرية القديمة وتحدّثت عنه في قليل أو كثير. والنتيجة التي أفرزتها الحقائق ان هذه المكتبة العظيمة التي اكتظت بنفائس الكتب والمعلومات قد طمست، إلاّ تلك التي كتبت لها النجاة بانتقالها الى غيرها من المكتبات أو تناولتها أيادٍ أخرى بقصد المطالعة والاستعارة بل وحتى الاستيلاء.

ولا شك أن هناك كتبا أخرى متعددة تناولت الموضوع بالتحليل والتقييم من جوانب مختلفة وزوايا عديدة، ونخص بالذكر الكتاب التالي لأهميته والذي تطرق الى الموضوع من جذوره:

THE ALEXANDRIAN LIBRARY

(GLORY OF THE HELLENIC WORLD)

BY: EDWARD ALEXANDER PARSONS

"ISLAM, THE LAST PHASE" صفحة ٣٧١ وما بعدها

كما نلاحظ أن الأدلة التي وردت ببراءة العرب من ارتكاب هذا الحريق كثيرة ومتعددة، وقد رأينا في البعض منها، نقلها بنصوصها الأصلية بالكامل حفاظاً على أمانة النقل ولأتيح للقارى الكريم أن يتعرّف على الأسلوب المتبع في كل منها، وبالتالي التوسّع فيها والرجوع اليها إن شاء.

ومما يستدعي التأمل، المبالغة في تهويل الحريق وسريانه على الكتب بأوصاف ومقاصد لايمكن إقرارها بشهادة المؤرخين الغربيين أنفسهم بما يغني عن اعادة ذكرها.

وإن كان لنا أن نتوقف قليلاً، فهو إن صحّ ما قيل بأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين ردّ على عمرو بن العاص بقوله «وأما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله، ففي كتاب الله عنه غنىً، وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليه فتقدّم باعدامها».

هذا الكلام إن كان صحيحاً، فهو في المحافظة على كتاب الله من أن يمسّه تحريف أو اضافات، ولكنه لايدل مطلقاً على استبعاد كل المعارف القديمة التي صدرت قبل صدور القرآن الكريم ولم تتناوله أو تمسّه بسوء لمجرد معاداة العلوم والمعرفة، فالقرآن الكريم حافل بالقصص عن الأشخاص والأنبياء الأوّلين والأوصاف عن المعالم الحضارية القديمة، مما يدل على أنه لم يغلق سبل المعرفة بل وحتى تفنيدها إن كانت تتعارض مع الدين بالمجادلة ومقارنة الحجة بالحجة. ولاشك ان القيام بتمييز الكتب التي تتعارض مع القرآن الكريم والتي لا تتعارض معه يتطلب جهوداً جبارة ووقتاً طويلاً لا سيما أنها كتبت بلغات أجنبية يتطلب التعرّف عليها ممن يجيدونها ولم يكن ذلك بالأمر الميسور في تلك الظروف لأعداد ضخمة من هذه الكتب التي تجاوزت مئات الألوف. هذا مع ضعف ما ورد من الأدلة عن الروايات التي زعمت أن العرب هم الذين قاموا باحراق هذه الكتب، وقد تمّ دحض ذلك بالشواهد والأدلة التي أوردتها المصادر التي أسلفنا ذكرها.

ونعجب كل العجب، ما أورده جرجي زيدان، وهو كاتب ومؤرخ يفترض فيه انه يتوخى الحقائق دون التأثر بانطباعات معينة والاستدلال بقرائن لا تمت الى الحقيقة بصلة، فهو يقول.. وقد كنا ممن جارى هذا الفريق في كتابنا (تاريخ مصر الحديث) منذ بضع عشرة سنة – ويقصد بذلك انحيازه الى الفريق الذي طعن صحة الرواية القائلة بأن العرب هم الذين أحرقوا تلك الكتب – ثم عرض لنا بمطالعاتنا المتواصلة في تاريخ الاسلام والتمدن الاسلامي ترجيح الرأي الأول.. للأسباب التي ذكرها في كتابه.. تاريخ التمدن الاسلامي.. التي أشرنا اليه. وهي أسباب لا ترتقي الى مستوى الدقة في التفسير والتعمق في المراجع. وقد أوضح كل من الأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور أحمد شلبي بأن «يحيى النحوي» الذي نسبت اليه رواية احراق مكتبة الاسكندرية لم يكن بقيد الحياة في امارة عمرو بن العاص. وقد أراد جرجي زيدان أن يخفف من زعمه فقال في ختام قوله:

«فيرجح مما تقدم ان العرب أحرقوا ما عثروا عليه من كتب العلم القديمة في الصدر الأول تأييداً للاسلام، فلما تأيد سلطانهم واشتغلوا بالعلوم عوضوا على العالم أضعاف ما أحرقوه».

وقد أوضح الدكتور أحمد شلبي أيضاً بأن الباحثين يرون «أن الخليفة لو طلب من عمرو احراق هذه الكتب لما كان له أن يفرّقها على الأفران لأن أصحاب الأفران كانوا يستطيعون بيعها أو الاحتفاظ بها، ثم أنها كانت مكتوبة على «الكاغد» وهي مادة لا تصلح للاحتراق، وكيف يتصوّر أن تبقى ستة أشهر مع أن حمامات الاسكندرية كانت حوالي أربعة آلاف».

وفي ذلك أيضا اشار الاستاذ عباس محمود العقاد الى أن «الدكتور الفرد بتلر BUT-LER» المؤرخ الانجليزي الذي أسهب في تاريخ فتح العرب لمصر والاسكندرية يلخص الحكاية وينقضها ابتداء لأن حنا فيليبوس الذي قيل أنه خاطب عمرو بن العاص في أمر المكتبة لم يكن حيّا في أيام فتح العرب لمصر.. ثم ينقضها لأسباب شتى منها أن كثيراً من كتب القرن السابع كانت من الرق وهو لا يصلح للوقود، وأنها لو قضى الخليفة باحراقها لأحرقت في مكانها ولم يتجشّموا نقلها الى الحمامات مع ما فيه من التعب ومع امكان شرائها من الحمامات بعد ذلك بأبخس الأثمان، واننا لو صرفنا النظر عن الكتب المخطوطة على الرق لما كفى الباقي من ذخائر المكتبة لوقود أربعة آلاف حمام مائة وثمانين يوماً، وهذا عدا الشك الذي يعتور القصة من تأخر كتابتها زهاء خمسة قرون ونصف قرن بعد فتح الاسكندرية، ثم كتابتها بعد ذلك خلوّاً من المصادر والاسناد، بل هذا عدا ما قيل من احتراق المكتبة في السنة الثامنة والأربعين للميلاد، وفيما تلا ذلك من الفتن والقلاق بين طوائف المسيحيين..».

ولعلّ من المناسب أن نختتم هذه المناقشة بما أدلى بها الاستاذ عباس محمود العقاد حين قال في ختام مقاله:

«إلا أننا على الرغم من كل هذا نفرض أن عمر بن الخطاب أمر باحراق مكتبة الاسكندرية، فما هي الوصمة التي تلحقه، من هذا الأمر؟.. ولماذا كان يحرم عليه ان يحرقها ويجب عليه أن يستبقيها ويفتح أبوابها؟.. ولماذا كان ينبغي ان يكون على يقين أنها شيء مفيد للمسلمين ولغيرهم

من الأمم، وأنها ذخيرة من ذخائر العالم لا يجوز التفريط فيها؟..

أمن النقص في تفكير الانسان أن ينشأ بمعزل عن بلاد اليونان وعن عصر حكماء اليونان فلا يطلع على الفلسفة اليونانية؟.. أكانت فائدة تلك الكتب واضحة كل الوضوح من أحوال أقوامها الذين حفظوها، ان صح أنهم حفظوها؟..

ان أحوال الروم والقبط في ذلك العهد لم يكن فيها دليل واحد على أنهم محتفظون بينهم بمعرفة نفيسة، وان ضياع كتبهم فيه ضياع لذخيرة من ذخائر العالم التي لا يجوز التفريط فيها.

فقد كانوا على شر حال من الضعف والفساد والجهل والهزيمة والشقاق والتهالك على سفساف الأمور. فاذا كان عمر غير مطالب بعلم الفلسفة اليونانية أو غير ملوم على فوات الاطلاع عليها، واذا كانت أحوال الأمم التي هي أهلها لا تدل على قيمتها بل تسوغ الاعتقاد بخلوها من كل قيمة، فأين هو العيب في تفكيره ان صح انه فكر على ذلك المنوال؟..

انما يعيب الانسان أن يكون عدوا للمعرفة على اطلاقها، ولم يكن عمر عدوا للمعرفة ولا معرضاً عنها، بل كان مشغوفا بها حيث رآها، دينية كانت أو أدبية، ومن قومه أتت أو من غير قومه.

فكان يستشير الغرباء في تدوين الدواوين ومنافع الصناعة ولا ينهي عن علم شيء الا ان تكون فيه فتنة أو ضلال.

وكان ولا ريب يؤثر للمسلمين أن يقبلوا على دراسة القرآن ويقدموا فهمه على فهم كل كتاب، وهذا واجبه الأول الذي لا مراء فيه، وما من أحد هو مطالب بهذا الواجب قبل أن يطالب به عمر على التخصيص، لأنه الخليفة الذي في عهده انتشر المسلمون بين أقطار المشرق وخيف عليهم أشد الخوف ان ينحل العقد الذي جمعهم وبث فيهم الهمة والبأس وسودهم على العالمين.

الى أن قال.. فبالتجربة الواقعية أيقن عمر ان المسلمين بكتابهم خرجوا من الظلمات الى النور وانتصروا على من حاربوه وعندهم كل كتاب.

وما فرغ المسلمون بعد من قراءة القرآن ولا انقضت على تداوله، بينهم سنوات. فكيف يرضى الخليفة الذي يهمه أمر رعاياه أن ينصرفوا عنه الى كتب لا يؤمن ما فيها؟.. وكيف يكون الحال اذا تفرقوا شذر مذر ولهم في كل بلد قراءة غير هذا الكتاب الذي لم يفرغوا منه ولم يستوعبوا كل ما فيه؟.. أمن عداوة المعرفة هذا أو من ايثار المعرفة التي تتقدم على غيرها.. واذا لم تتقدم هذه المعرفة على غيرها في السنوات الأولى من تداول القرآن الكريم فمتى تتقدم؟.. ومتى يعطي القرآن حقه من الفقه والوعي والاقبال؟.. وأين هي الغنيمة الروحية التي تعدل في كتاب من الكتب بعض ما غنمه المسلمون بوحي القرآن في صدر الاسلام؟..»

الى آخر المقال الذي سبق أن ذكرناه، وقد أعيد ذكره هنا لاختتام المناقشة وتيسير تتبعها، مع التقدير للمصادر الاخرى التي أسلفنا ذكرها والتي زخرت بالأدلة والأسانيد بما لا يغني عن

الرجوع اليها.

ويكفي أن نذكر هنا بأن مكتبة الاسكندرية القديمة قد تم احياؤها في الاسكندرية ذاتها ومن قبل مصر العربية المسلمة، تساندها دول عربية اسلامية، مما يعزّز فكرة اعتداد المسلمين بالعلوم والمعرفة واحياء التراث القديم، كما سنرى ذلك في الفصل التالي.

هوامش المناقشة

١- فيليبونوس FILIPINOUS:

يحيى (يوحنا) النحوي الغراماطيقي: فيلسوف ومترجم وطبيب مصري مسيحي (عاش في النصف الأول من القرن السادس الميلادي). نشأ في الاسكندرية وأصبح من كبار فلاسفتها، ثم اعتنق المسيحية ودافع عنها بحجج أرسطية.

وقد توفي فيليبونوس قبل الغزو الاسلامي لمصر، ومع ذلك انتقل كثير مما بقي من فلسفة الاسكندرية عن طريق تعاليمه ومؤلفاته الى المسلمين. وكان فيليبونوس قد ترجم عديداً من مؤلفات أرسطو وغالينوس. (راجع أيضا ما كتبنا عنه في الهوامش الأخرى).

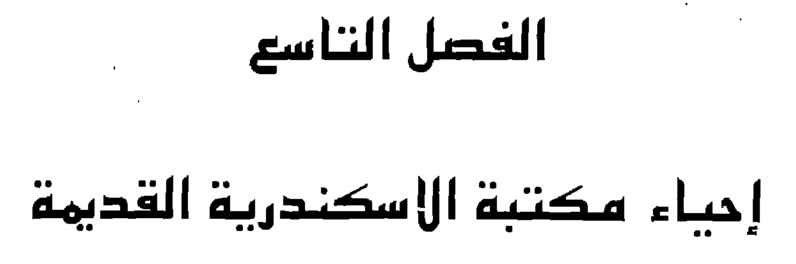
٢- الرقّ بنوعيه VELLUM and PRAHMENT:

الرقّ العادي PARCHMENT والرق الناعم VELLUM: هما المادتان المصنوعتان من جلود الحيوانات (الخروف أو الماعز أو الغزال أو العجل). وتشير المصادر المصرية الى وثائق كتبت على جلود مدبوغة يرقى تاريخها الى ٢٤٥٠ قبل الميلاد، على ان الجلود قلما كانت تستعمل في مصر لتوفر ورق البردي. بيد أن اليهود كانوا يستعملون الجلود المدبوغة في صناعة كتبهم.

وقد دلّت الاكتشافات في البحر الميت عام ١٩٤٠ على وجود مجموعة من ادراج ولفائف من الجلود والرق مخزونة في أوان مدفونة في الكهوف على امتداد بحر الميت لقرون عديدة، وكانت الكتابات المتعلقة بالتوراة فيها تعود الى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد و ٦٨ للميلاد.

ان الرق العادي قد تم اختراعه كنتيجة للمنافسة التي كانت قائمة بين الملك المقدوني الذي حكم مصر «بطليموس الخامس PTOLEMY V ٢٠٤ - ١٨٠ قبل الميلاد» و «الملك أيومينس الثاني ١٩٧ - ١٥٩ قبل الميلاد EUMENUS II» ملك برغاموم PERGAMUM (مملكة يونانية قديمة شملت أراضيها القسم الأعظم من آسيا الصغرى) حوالي العام ١٩٠ قبل الميلاد. وقد خاف بطليموس أن تسبق مكتبة برغاموم مجموعات الاسكندرية فوضع حظراً على البردي لمنع منافسة من صنع كتب أخرى، فقام أيومينس عندئذ بصنع الرق.

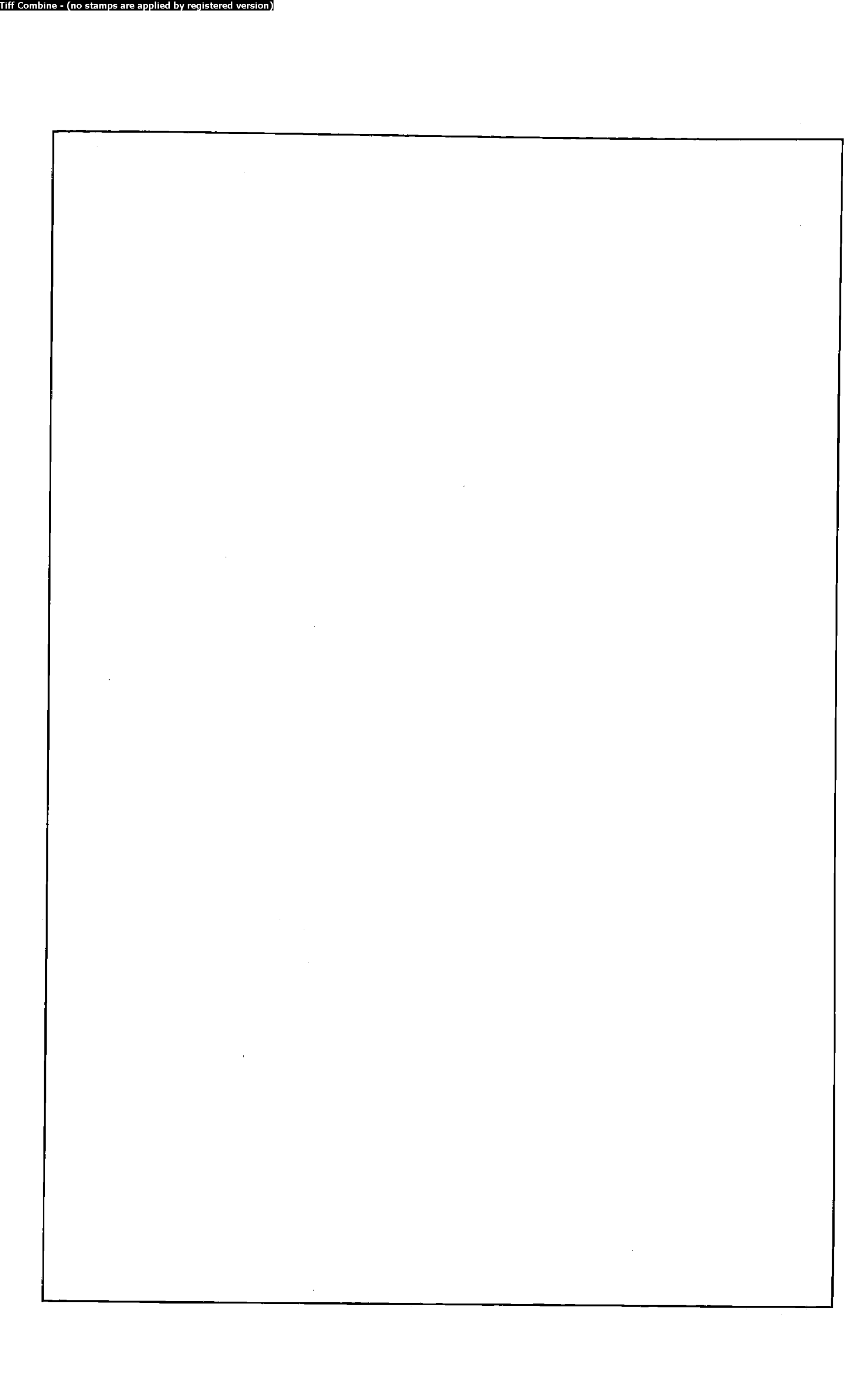




الفصل التاسع

إحياء مكتبة الاسكندرية القديمة

محتويات الفصل التاسع
احياء مكتبة الاسكندرية القديمة



الفصل التاسع
احياء مكتبة الإسكندرية القديمة
RIVIVAL OF THE ANCIENT LIBRARY OF ALEXANDRIA

فكرة احياء المكتبة:

بادئ ذي بدء، لابد من العلم ان فكرة احياء مكتبة الاسكندرية القديمة لم تكن لترمي الى اعادة ترميمها من حيث الهيئة او البناء كأحد المعالم الاثرية، فالمبنى قد اندثر كلياً، ولم تسفر الحفريات والبحوث الاثرية عن وجود بقايا واطلال بما يمكن ان يصور شكل هذه المكتبة العظيمة والموسيون الملحقة بها.

وليس هناك اي خلاف في ان المكتبة وما تجمعت فيها من ثروة ضخمة من الكتب النفيسة قد دمرت واندثرت، وما يدور من التساؤل هو حول كيفية هذا الاندثار وتاريخه حدوثه.

وكان التساؤل يتركز بصورة خاصة حول ماذا كانت المكتبة، قد بقيت الى القرن السابع الميلادي حين فتح العرب مصر، أو انها اندثرت قبل ذلك؟.

وقد تحدثنا باسهاب في فصل سابق عن مصير مكتبة الاسكندرية القديمة، وأوضحنا اهمية هذه المكتبة، وانها في الواقع كانت تمثل خزينة العلم والمعرفة ومنبع الافكار وحصيلة العقول النيرة التي تفتحت لتدلي بثمارها وتؤلف زاداً لتغذية الحركة العلمية والفكرية التي امتدت لتشمل العالم القديم بأجمعه، فأتاحت بذلك الفرصة لتنمية البذور التي غرسها عمالقة الفكر والادب والفن. فظهر علماء وفلاسفة ومفكرون نهلوا من هذه الينابيع الثرية ليتوسعوا فيها او يطوروها، حتي غدت هناك مذاهب فكرية متعددة تضيئ آفاقاً جديدة لاستجلاء الحقائق وسبرغور المعارف.

ومما لاشك فيه ان النقل (الترجمة) من اللغة اليونانية الى لغات اخرى قد لعب دوراً كبيراً في احياء التراث القديم. وبالنسبة للترجمة الى العربية فان للناطقين بالسريانية فضلاً لا ينكر في بناء صرح الحضارة العربية فكانت الترجمة من السريانية الى العربية او من اليونانية الى العربية مباشرة، وبعضها ما نقل من السنسكريتية وغيرها من لغات شرقية اخرى ايضا. واهم المراكز التي عنيت بالعلوم السريانية هي الحيرة وحران والرها ونصيبين وجند يسابور. اما ابرز المترجمين فهم آل بخيّشوع ويوحنا بن ماسويه ويوحنا البطريق وقسطا بن لوقا وال حنين.

واذا عدنا الى تاريخ المكتبات في العصر اليوناني الروماني، فانه قد بدأ - كما هو معلوم - بتأسيس دار العلم او مركز البحوث MOUSEION والمكتبة الكبرى BIBLIOTHEKE التي

انشـأها بطليـمـوس الاول (٣٢٣ - ٢٨٥ ق.م)، وازدهرت على ايام بطليـمـوس الثـاني (٢٨٥ - ٢٤٦ ق.م) وبطليموس الثالث (٢٤٦ - ٢٢١ ق.م) وكانت اول مكتبة عامة كبيرة بعد مكتبات الشرق القديم التي قامت في نينوي[١] عاصـمـة الاشوريين وانشـأها آشور بانيبال (٦٦٩ - ٦٢٦ ق.م). ويحتفظ المتحف البريطاني اليوم بأكثر من ٢٠,٠٠٠ لوحة من الالواح التي اشتملت عليها. وكذلك مكتبة اوغاريت UGARIT[٢] في رأس الشمرا قرب اللاذقية التي يعود تاريخها الى الالف السابع قبل الميلاد.

ومنذ ان شبت الحرائق التي اندلعت في اطار الحرب الاهلية، والتي دمرت مكتبـة الاسكندرية في القرنين الاول والثالث للميلاد، لم ترتفع اصوات تنادي باحياء هذه المكتبة العظيمة، على أنه من الجائز ان هذه المكتبة، قد اثارت فكرة انشاء مكتبات مماثلة لها او تضارعها خلال الفترة التي تؤدي فيها دورها الثقافي والحضاري بشكل متميز او بعد ذلك، ولكنها، على اي حال، لم تتناول فكرة احيائها وفي نفس موقعها.

فمن المعلوم مثلاً ان مكتبة برغاموم PERGAMUM التي سبق التحدث عنها، كانت محاولة لمنافسة مكتبة الاسكندرية. ويرى الموسوعي الروماني بلينوس PLINY «٢٣ - ٧٩م»[٣] ان ابتكار الرق يعود الى المنافسة الثقافية الشديدة التي احتدمت بين آل بطليموس في مصر، وآل اتالوس ATTALUS[٤] في برغـامـوم، حين ثار نزاع بين بطليـمـوس الظاهر «٢٠٥ - ١٨٢»[٥] وبين يومينيس الثاني «١٩٧ - ١٥٩»[٦] بسبب محاولة كل منهما في ان يعلي من شأن مكتبته على حساب مكتبة الآخر. او بعبارة اخرى بسبب استياء بطليموس من تصرف يومنيس الذي يرمي الى تحريض ارسطو فانيس البيزنطي، امين مكتبة الاسكندرية، للانضمام اليه، مما حمل بطليموس على ان يحظر تصدير البردى الى برغاموم. وقد ادى هذا الاجراء بالتالي الى ان يقوم يومنيس بتشجيع صناعة الرق من جلود اغنام المراعي المتاخمة لمملكته. وهكذا عرف الرق باسم PERGAMENA[٧].

ان مكتبة برغاموم، على اي حال، كانت ضخمة وثرية، وتعد مركزاً للبحث والدراسة، كماهو الشأن في مكتبة الاسكندرية، وكان لها تأثيرها الواضح في تطور التعليم في روما نفسها التي كانت تربطها ببرغاموم علاقات سياسية متينة، مع العلم ان مكتبة برغاموم تحتوي ايضاً على بعض اللفائف من البردى اضافةً الى الرق.

ويروي الكاتب اليوناني بلوتـارك PLUTARCH[٨] «٤٦ - ١٢٠م» بأن مكتبة برغاموم كانت تضم ٢٠٠,٠٠٠ مجلد (لفافة)، ظلت مزدهرة الى ان قام ماركوس انطونيو باهدائها الى كليوبترة.

وهناك من الدلائل ما يشير الى ان قيصر كان ينوي نقل مكتبة الاسكندرية الى ضفاف نهر

التيبر، غير ان المكتبة العامة الاولى في روما لم يتم انشاؤها الا بعد وفاته كما سبق شرح ذلك.

الا ان كل ذلك لا ينفي القول بأن مكتبة الاسكندرية قد شجعت على قيام مكتبات اخرى، عامة او خاصة، لاسيما عند الاباطرة الرومانيين ولدى الطبقة الارستقراطية الرومانية.

وكان تزايد نشوء المكتبات من شأنه ان يزيد من اقبال الناس على القراءة، وبالتالي على تشجيع انتاج الكتب وترويج تجارتها، فازداد بذلك عدد المؤلفين والشراح والمصنفين والملخّصين.

كيف نبتت فكرة احياء المكتبة:

تقول نشرة «مشروع احياء مكتبة الاسكندرية» التي اصدرتها «الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية GOAL الصادرة عام ١٩٩٢ (الطبعة الثانية) - خلفية تاريخية -: «لقد كان حلم الاسكندر الاكبر لتوحيد العالم في دولة واحدة، هو الدافع الى التفكير في تشييد مكتبة عظيمة تضم ثقافات وحضارات العالم اجمع. وبالرغم من ان حلم توحيد العالم في دولة واحدة لم يتحقق، الا ان التقارير عن الرحلات التي قام بها الكثير من الرواد لاستكشاف الاقاليم البعيدة من العالم المعروف حينذاك، أدت الى حركة نشاط علمي لم يسبق لها مثيل على وجه الارض، وبالتالي نهضت الحضارة الانسانية.

وفي هذه اللحظات التاريخية، بزغ نور مكتبة الاسكندرية ومتحفها. وبالقرب من مكتبة الاسكندرية القديمة كانت تضيئ منارة الاسكندرية[٩] الشهيرة التي كان يبلغ ارتفاعها ٤٤٠ قدما، ١٣٣ متراً، وكانت احدى عجائب العالم القديم».

لاشك ان الاسكندر الذي تتلمذ على يد الفيلسوف الكبير ارسطو قد تأثر كثيراً في تعليمه وتنشئته الى جانب اطلاعه على كتب كثيرة وشغفه بالادب كأشعار تيليستيس TELESTES وفيلوكسينوس PHILOXENUS ومسرحيات ايسخيلوس[١٠] وسفوكليس[١١] ويوريبيدس[١٢] وتعلقه بصورة خاصة بأشعار هوميروس، الى جانب شغفه بالمعرفة والجغرافيا واكتشاف منابع الانهر مثل نهر النيل والسند، ودراسة الطبيعة والارض وتأسيس مستوطنات على امتداد سواحل الخليج والجزيرة العربية.

وكقائد عسكري قد اهتم كثيراً بقراءة كتب المؤرخين امثال هيرودوتس HERODOTUS وزينوفون XENOPHON

ولم تقتصر العقلية المتطلعة للعلم والمعرفة على الاسكندر فحسب، بل امتدت الى عدد من رفاقه واقرانه الذين نشأوا معه، كما اشارت الى ذلك؛ فقرات من الكتب التي الفها رجال مثل كارليستنيس CALLISTHENES ونيارخس NEARCHUS وبطليموس PTOLEMY .

وقد اشار الدكتور مصطفى العبادي في كتابه «مكتبة الاسكندرية القديمة سيرتها ومصيرها، الى ان احلام الاسكندر وتطلعاته الاخرى تبددت بموته المفاجئ عام ٣٢٣ ق.م ولكن التقارير التي امر باعدادها ظلت باقية من بعده لتبعث على الاستمرار في دراسة علمية للارض وطبيعتها وسكانها. وكان ذلك بمثابة بعث للثقافة الانسانية وانبلاج روح جديدة للمعرفة. وفي هذا الجو رأت المكتبة والموسيون اشراقة النور.

ان الفرق الزمني بين وفاة الاسكندر وبين تأسيس مكتبة الاسكندرية القديمة هو اقل من قرن واحد. ولابد من التفريق هنا بين تاريخ وكيفية نشوء فكرة تأسيس المكتبة من جهة وبين تاريخ نشوء فكرة احياء المكتبة وكيفية نشوئها من جهة اخرى.

بالنسبة الى الشطر الاول، فقد اشار التقريران الى تاريخ نشوء فكرة تأسيس المكتبة، وافاض الدكتور العبادي ومصادر اخرى، في بيان كيفية نشوء فكرة تأسيس المكتبة وتنفيذها بالتنويه بأن ديمتريوس (التلميذ الوفي لمدرسة ارسطو المشائية) الذي لجأ الي بطلميوس الاول سوتير، هو الذي اقترح على الملك فكرة انشاء مجمع علمي كبير يطلق عليه اسم موسيون MOUSEION مع مكتبة عالمية تلحق به في الاسكندرية، كما تحدثنا عن ذلك في فصل سابق.

وبالنسبة الى الشطر الثاني، فقد اوضحت نشرة «مشروع احياء مكتبة الاسكندرية» بأنه بدأ التفكير في احياء مكتبة الاسكندرية في عام ١٩٧٤ خلال رئاسة الاستاذ الدكتور محمد لطفي دويدار، رئيس جامعة الاسكندرية الاسبق، وشجع فكرة المشروع هيئة التدريس بالجامعة والعلماء والدولة والجهات الثقافية والعلمية في العديد من بلدان العالم.

ويذكر كتاب «المكتبات والمعلومات»[١٣] في حديث بعنوان «كان يريد احياء مكتبة الاسكندرية» ان الدكتور «دانيل بورستين DANIEL BOORSTIN الذي عينه الرئيس الامريكي «جيرالد فورد» بوظيفة «مكتبي الكونجرس LIBRARIAN OF CONGRESS ١٩٧٤-١٩٨٧ وهو اعلى منصب في مجتمع المكتبات بأمريكا قد تحدث في مكتبه بالمبنى الرئيسي لمكتبة الكونجرس في واشنطن منتصف يونيو ١٩٧٦ عن استعداده للقيام بدور دولي في احياء مكتبة الاسكندرية واعداده ملفاً خاصاً بالموضوع في مكتبه، وكان الحديث يتناثر آنذاك عن هذا المشروع على ألسنة بعض الافراد في جامعة الاسكندرية حتى اذا ما حل عام ١٩٨٠، كانت الفرصة قد واتت لطرح مشروع «المكتبة» بالاسكندرية على النطاق العالمي، وذلك بعد الاحتفال آنذاك في مصر، بانتهاء مشروع الانقاذ لمعبد «ابو سمبل» على ارض النوبة امام الممثلين لعشرات الدول التي شاركت في الانقاذ، وامام الممثلين للهيئات الدولية الكبرى في مجالات الآثار والتاريخ والثقافة، باعتبار ان مكتبة الاسكندرية القديمة هي القرين الذي يكوّن مع «المعبد» توأماً فريداً في العالم.

وهكذا اتضح بأن كيفية نشوء فكرة احياء المكتبة نبتت بعد دراسات مستفيضة، وساهم مشروع الانقاذ لمعبد «ابو سمبل» على تعزيز الفكرة وتبنيها.

ونرى ان المنافسة التي كانت قائمة لتشييد مكتبة مماثلة لمكتبة الاسكندرية القديمة مثل مكتبة برغاموم، ومحاولة قيصر نقل مكتبة الاسكندرية الى روما، وتزايد عدد المكتبات العامة والخاصة التي شجعت مكتبة الاسكندرية على تشوئه، اضافة الى انقاذ معبد «ابو سمبل»، كل ذلك قد راود علماء جامعة الاسكندرية في طرح فكرة احياء مكتبة الاسكندرية من اجل اعادة البريق الى هذه المدينة العريقة التي اشتهرت بعلمائها ومفكريها وآثارها وقيمها التاريخية.

البذرة الاولى لمشروع احياء مكتبة الاسكندرية:

لاشك ان جامعة الاسكندرية قد لعبت دوراً كبيراً في طرح مشروع احياء مكتبة الاسكندرية، فهي تحتل موقع الطليعة في ابراز اهمية المشروع العظيم، وقد قام اساتذتها وعلماؤها بجهود جبارة في البحوث والدراسات والقيام بالمساعدات والاتصالات مع المؤسسات الثقافية والهيئات الداخلية والخارجية ذات العلاقة. وقد لقي المشروع استحساناً كبيراً وتشجيعاً ايجابياً من الجميع، وحظي ببحوث ودراسات واسعة. وبعد اتمام كل ذلك تم تشكيل اللجنة التحضيرية لمشروع المكتبة باشتراك عدد من كبار رجال الفكر والثقافة في مصر لدراسة وتطوير فكرة المشروع واخراجها الى حيز الواقع والتنفيذ.

وكانت جامعة الاسكندرية قد تبرعت بقطعة ارض بمنطقة السلسلة لاقامة المشروع، ووجهت مصر طلبا الى اليونسكو لمساعدتها في تنفيذ الخطوات اللازمة لابراز المشروع الى حيز الوجود. وفي الوقت ذاته قام ممثلون وخبراء من اليونسكو بزيارة الى جامعة الاسكندرية، كما قام وفد من جامعة الاسكندرية بزيارة الى المكتبات العالمية، وعمل الفريقان بدراسات جدوى واعداد التقارير الخاصة بالاجهزة عام ١٩٨٧. وفي العام التالي صدر نداء دولي لدعم مشروع احياء مكتبة الاسكندرية.

لماذا الاجماع على ان تكون الاسكندرية هي موقع المكتبة الجديدة ؟

لابد اولاً من الاقرار بان مكتبة الاسكندرية القديمة المراد احياؤها لم تكن مجرد مكتبة عامة عادية او دار كتب او خزانة كتب لعدد ضخم من المصنفات، او مجرد مكتبة مراجع، كما هو الامر

في مكتبة المتحف البريطاني في لندن او المكتبة الوطنية في باريس او دار الكتب المصرية، فقد كانت كل هذه الكتب تجمع في مكتبة الاسكندرية نتيجة لتجمع العلماء والادباء والمفكرين، فهي منارة يستقى منها العالم، في ذلك الزمان، العلم والمعرفة والحكمة.

واذا كانت مكتبة الاسكندرية القديمة قد دمرت او اندثرت ولم يعد لها اثر او جود، فلماذا اذن اتفق الجميع في العودة على ان تكون مدينة الاسكندرية هي موقع المكتبة الجديدة؟.

وبالتالي: فما هي علاقة المكتبة بمصر مادامت البطالمة هم الذين انشأوها؟ وبمعنى آخر:

هل كانت صرحاً علمياً اجنبيا مقطوع الصلة بمصر سوى مكان الوجود؟.

لقد تمت الاجابة على الشطر الثاني من السؤال عند ماذكرنا في السابق بشكل واف على ان مكتبة الاسكندرية القديمة لها ابعاد ثلاثة: مصرية وعربية وعالمية.

أما الشطر الاول من السؤال، فالاجابة عليه بأن اختيار مدينة الاسكندرية يعود الى المكان والمكانة في آن واحد.

- ان مصر التي قامت فيها واحدة من اقدم الحضارات والديانات وأرقى الثقافات مدعوة بحكم موقعها الجغرافي، ورصيدها التاريخي، وتراثها الثقافي، لاحياء واحد من أهم معالمها التاريخية، ورمز من ارقى رموزها الحضارية، وهو مكتبة الاسكندرية. وحمل رسالتها وتحقيق اهدافها مع العصر الذي تعيش فيه ولتنطلق الثقافة الى اطار العالمية كما كانت.

- ان الاسكندرية بفضل موقعها المتميز عند مفارق الطرق الرئيسية بين افريقيا واوروبا وآسيا، ظلت زمناً طويلاً مركزاً رئيساً للاشعاع العلمي والفلسفي والفني، وملتقى للفكر تسنى فيه لممثلين بارزين للثقافات المصرية واليونانية والفارسية وغيرها ان يلتقوا ويتحاوروا ويتبادلوا المعارف والخبرات المثرية لهم، وذلك وفقاً لأمنية منشئها الذي سميت باسمه.

- تنفيذاً لسياسة انقاذ تراث البلد التاريخي الفريد وصيانته، وحيث ان مدينة الاسكندرية هي المدينة التي تزخر بالصروح الاثرية كالفنار الذي يعتبر احدى عجائب الدنيا السبع، فان مكتبة الاسكندرية بدورها قد أنارت طريق التقدم والمعرفة على مر العصور.

- ان الهدف المباشر من انشاء مكتبة الاسكندرية الجديدة، هو ان تكون مثل سابقتها القديمة التي تأسست في مدينة الاسكندرية: مكتبة عامة للبحث العلمي قادرة على ان تساعد المنطقة بأسرها على استعادة سمعتها السابقة في مجال البحث العلمي على اسس حديثة.

- نصت المادة (٢) من قرار السيد رئيس جمهورية مصر العربية رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨

بانشاء الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية على مايلي:

«تهدف الهيئة الى تنفيذ وادارة مشروع احياء مكتبة الاسكندرية القديمة لتكوين مكتبة عالمية ومركز للاشعاع الثقافي والفكري في خدمة البحث العلمي وتحتوي على كل ما انتجه العقل البشري في اية صورة متاحة من شتى الحضارات القديمة والحديثة وبجميع اللغات، فضلاً عن اجراء الدراسات المتصلة بالاسس التاريخية والجغرافية والثقافية لمصر ومنطقة الشرق الاوسط بصفة عامة ولمدينة الاسكندرية بصفة خاصة».

– ذكر الدكتور نبيل راغب في كتابه الضخم والثمين «عصر الاسكندرية الذهبي» المدعم بالوثائق والادلة والاستنباطات التاريخية، ان الاسكندرية في عصرها الذهبي كانت اوضح واخصب نبع للحضارتين الهيلينية والرومانية كمرحلة من مراحل الحضارة القديمة العريقة و«الاسكندرية هي المدينة الوحيدة التي تحدت الزمن في الوقت الذي اندثرت فيه سبع عشرة مدينة تحمل الاسم نفسه و «الاسكندرية» لم تعرف بمكتبة الاسكندرية وحدها، انما دخلت التاريخ من أوسع أبوابه بمنارة الاسكندرية، احدى عجائب الدنيا السبع، التي بناها المعماري – سوستراتس. حوالي عام ٢٧٠ ق.م في عهد بطلميوس الثاني فوق جزيرة فاروس على قاعدة صخرية محيطها ١٢٦ متراً بارتفاع ١٤١متراً.. و«الاسكندرية» دخلت التاريخ كذلك بمدرسة الاسكندرية التي انشئت في العصر الذهبي كمؤسسة ثقافية وعلمية تتخطى دور المعهد والاكاديمية والجامعة على الرغم من انها ثاني جامعة في التاريخ بعد جامعة عين شمس.. فيها وبمكتبة الاسكندرية ازدهرت علوم الدين والفلك والرياضة والفيزياء والكيمياء والطب والتشريح والزراعة والجغرافيا والتاريخ والفكر والفلسفة واللغة والاداب والنقد والفنون التشكيلية.. فيها وبمكتبة الاسكندرية وضعت نظريات علماء من امثال اقليدس وارشميدس وابو للونيوس ويوديموس وهيبسكليبس وأراتو ستثنيس وسيرابيون.

– بالرغم من ان مكتبة الاسكندرية القديمة قد اندثرت او دمرت، الا انه من الثابت بما لاخلاف عليه، انها كانت قائمة في مدينة الاسكندرية، ومن الطبيعي لذلك ومما يفرضه المنطق ان يكون احياء مشروع المكتبة القديمة في المدينة ذاتها، اي في الاسكندرية وليس في مدينة اخرى.

موقع مكتبة الاسكندرية الجديدة:

بالنظر الى اهمية هذا المشروع الحضاري، فلابد لذلك من اختيار موقع فريد متميز ذي قيمة تاريخية تتصل بعبيق التاريخ القديم رغم اندثار المكتبة، وعلى هذا الاساس فقد قدمت جامعة الاسكندرية قطعة ارض مساحتها، ٤٠٠٠٠ متر مربع بالسلسلة، ويمثل هذا اسهام مصر في

المشروع عن الموقع الاستراتيجي الفريد الذي تقدر قيمته بحوالي ٦٠ مليون دولار مشتملاً على مركز المؤتمرات الدولية وتقدر تكاليفه بحوالي ٢٠ مليون دولار.

ويقع حد هذه الارض الشمالي على طريق كورنيش البحر، في منطقة وسط مدينة الاسكندرية بالسلسلة في مواجهة الميناء الشرقي والواجهة البحرية للبحر الابيض المتوسط، كما يقع الى الجنوب من الموقع مجمع الكليات النظرية التابعة لجامعة الاسكندرية.

وكان اختيار هذا الموقع، في الواقع، اختياراً موفقاً، لانه يقع تقريباً في نفس موقع مكتبة الاسكندرية القديمة، ضمن التخطيط الشرقي للحي الملكي الذي وضعه المهندس الاغريقي دينوقراطيس عام ٣٣٢ قبل الميلاد في عهد الاسكندر الاكبر. ونعرف ذلك من كتابات القدماء مثل بلوتارك وغيره.

وعلى امتداد البصر، عبر الميناء الشرقي من موقع المكتبة، تقف في شموخ، القلعة المملوكية القديمة التي بناها السلطان فايتباي عام ١٤٨٠، على نفس موقع فنار فاروس الشهير احدى العجائب السبع للعالم القديم.

ويتضمن الموقع ايضا مركزاً للمؤتمرات تبلغ سعته ٣٢٠٠ مقعداً وقد تم استكماله بتكلفة قدرها ٢٠ مليون دولار، وسيصبح هذا المركز من العناصر الهامة المتكاملة مع مجمع المكتبة الجديدة.

النموذج المقترح لمشروع مكتبة الاسكندرية الجديدة

من المعلوم ان مكتبة الاسكندرية القديمة قد اندثرت تماماً فلم يبق منها اثر يشهد بما كان. ولم تتوفر التفاصيل التاريخية المستوحاة من المكتبة الجديدة في تصميمها. وكل ما تم نشره بهذا الصدد انه تمت اقامة مسابقة معمارية للمشروع ليسترشد في تصميمه وتنفيذه بما يتوافر لمعماري العالم اجمع من قدرات ابداعية. وكان المشروع الفائز عبارة عن اسطوانة مائلة كشكل واحد بسيط متكامل يضم جميع انشطة المكتبة، وسقف المبنى مائل ومصمم بحيث يعكس ويشتت الضوضاء داخل المبنى ويوحي من الداخل بصور ورؤى مختلفة للواجهة البحرية للمدينة. اما الجدار الخارجي للاسطوانة فهو اصم ومغطى بنقوش هيروغليفية ، وحروف باللغات المختلفة الاخرى.

اما التصميم الداخلي للمكتبة فهو عبارة عن مستويات متعاقبة كشلال من المناسيب المتتابعة، مضاءة من سقف واحد مما يعطي للمكتبة جواً موحداً في مختلف انحائها وهذه الفكرة مبتكرة وجديدة في تصميم المكتبات.

واذا كنا نرى ان العودة الى النموذج الاصلي للمكتبة امر عسير بل ومتعذّر، الا ان قراءة التاريخ القديم قراءة متأنية استنباطية ستهدينا ولاشك الى بعض الملامح التي ستمكننا من نبذ التصورات التاريخية بشكل نهائي، وذلك من اجل الحصول على ظلال منها على الاقل بما يرتفع من شأن المكتبة الجديدة وتعزز فكرة احياء المكتبة القديمة، ولابأس بعد ذلك من اضافة ابداعات المعماريين العالميين والمستلزمات الحديثة.

ففي استعراض موجز لما كتبه الفريد هيسيل في كتابه «تاريخ المكتبات»[١٤] ذكر المؤلف ان مكتبة الاسكندرية القديمة كانت مقسّمة الى قسمين: القسم الاكبر منها في القصر الملكي في حي البروكيوم BRUCHEUM من المدينة، والقسم الاصغر في معبد سيرابيس SERAPES وبعد ان تهدم القسم الاكبر من المكتبة اثر غارة قيصر على الاسكندرية عام ٤٧ ق.م اصبح السرابيوم المركز الحقيقي للمكتب في المدينة.

وكان المؤرخون خلال ابحاثهم حاولوا ان يكشفوا عن المؤسسات التي اتخذ منها البطالمة نماذج لمكتباتهم. وقد ذهب الباحثون القدماء والمحدثون منهم، في محاولتهم هذه الى عصر ماقبل الطوفان. اما هيسيل فقد اقتصر في بحثه على القرون القليلة السابقة على تأسيس مكتبة الاسكندرية واوضح بعدم وجود ما يؤيد ان هناك مكتبات يمكن ان تقارن بمكتبة الاسكندرية، وكل ما هنالك ان المعابد كانت بها مكتبات متصلة بالمحفوظات التي كانت تستخدم للاغراض الدينة والتعليمية.

وهناك مجموعات مشابهة لهذه في السجلات الادارية والبقايا الادبية في المعابد الآشورية والبابلية. واهمها في الحجم والمضمون مكتبة آشور بانيبال التي كشف عن الواحها الطينية عمليات التنقيب بالقصر الملكي في مدينة نينوى حوالي منتصف القرن الماضي. وكان آشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٦ ق.م) من ملوك اسرة سرجون متعلماً ومهتماً بالثقافة حتى انه كان يفخر بأنه يستطيع ان يقرأ النقوش الحجرية التي ترجع الى ماقبل عصر الطوفان. و كان لمكتبته هيئة من الموظفين المختصين بها. وهناك شبه كبير بين مكتبتي نينوى والاسكندرية من حيث ان كلتيهما ذات طابع عالمي. ويلاحظ ايضا ان التنظيم الداخلي للمكتبة الهيلينية يذكرنا بالمكتبة الاشورية، كما كانت هناك تشابها كبيراً في معالجة المواد المكتبية في المكتبتين برغم اختلاف مادة الكتابة (الالواح الطينية في نينوي ولفائف البردى في الاسكندرية)، الا انه يتعذر تأييد قيام صلة مباشرة بين الاسكندرية ونينوي، حيث كان يفصل بينهما اربعة قرون من الزمن، وهي فترة حكم ملوك الميديين الفرس الذين لم يهتموا بالمكتبات.

والواقع ان كلمة «مكتبة» في اللغات الاوروبية تشير الى اليونان كموطنها الاصلي، فالمصطلح المستخدم في معظم اللغات الغربية مأخوذة عن الكلمتين اليونانيتين المدمجتين، biblos (كتاب) TBEKE (مستودع او اناء).

ويعود الى الاكاديمية ومدرسة المشائين الفضل في ايجاد الحركة العلمية لا في اليونان وحدها، بل في العالم القديم كله. فقد قام هنا للمرة الاولى «تنظيم للعمل المشترك على نطاق واسع بقيادة رجل فرد» فقد نهض افلاطون بالبحث المنظم في ميادين الرياضيات والعلوم الطبيعية، وجاهد ارسطو في ان يجمع على اساس سليم الحقائق المتصلة لجميع فروع المعرفة. ولاشك في ان عمل افلاطون وارسطو اقتضى وجود مكتبة ضخمة. ورغم عدم وجود دليل محدد لمثل هذه المكتبة بالنسبة الى افلاطون، فقد كان ارسطو يجمع المخطوطات بشكل منظم.

ومن المعلوم ان الاسكندر الاكبر تلميذ ارسطو قد فتح آفاقاً جديدة للتاريخ القديم خلال ما قام به من حملات، فاتسع نطاق الثقافة اليونانية حتى غدت عالمية مع ازدياد عدد طلاب المعرفة والمفكرين، كما بدأت فروع المعرفة المختلفة في الاستقلال والاختصاص.

وقد توفي الاسكندر مبكراً دون ان يتّسع له الوقت لتنظيم الدراسات العلمية على نطاق واسع وجعلها برنامجاً حكومياً. فاضطلع بذلك بطليموس الاول الذي اتخذ من ديمتريوس الفالرمي DE-METRIUS OF PHALERUM مستشاره الخاص وانشأ المتحف على النمط الاثيني، واستدعى اكبر علماء العصر الى البلاط المصري وسرعان ما اصبحت الاسكندرية مركز التعليم الهيلنستي، وكانت المكتبة انشط المرافق في المتحف.

اما عن تقسيم مكتبة الاسكندرية من حيث المباني فليس معروفاً على الوجه اليقين، غير ان مكتبة برغاموم PERGAMUM[١٥] التي انشأها الآتاليون[١٦] فقد تمّ الكشف عليها في الحفريات الالمانية في نهاية القرن الماضي، ويعتبر يومنيس الثاني[١٧] «١٩٧ – ١٥٨ق.م» مؤسس هذه المكتبة. فقد اكتشفت بالقرب من معبد اثينابولياس ATHENA POLIAS ردهة مكشوفة يحيط بها رواق ذو اعمدة مكون من طابقين والحقت به اربع قاعات. وقد وجد في كبرى هذه القاعات تمثال كبير لاثينا على قاعدته نقوش عن بعض كبار الكتاب في آسيا الصغرى، ومنها نص منشور عن هوميروس. ويتمثل في هذه المكتبة نمط بناء المكتبة القديمة، فالرواق فيها كان يمثل قاعة الدرس، والمدخل تجمله التماثيل، والقاعات الباقية تخزن فيها الكتب، والمبنى كله محلق بمعبد.

وفي بداية القرن الرابع الميلادي، اصبحت المكتبات العامة في تراجان[١٨] كغيرها مقسمة الى قسمين: يوناني وروماني، كما كانت تعتبر دار محفوظات لوثائق الدولة الهامة.

لقد كان التنظيم الداخلي للمكتبات الرومانية يتبع على العموم المبادئ المتبعة في مكتبة برغاموم رغم احتمال وجود اختلافات فردية، ومن ذلك ما كشفت عنه الحفريات المتأخرة في افيسوس EPHESUS(١٩) فقد وجدت فيها قاعة كتب ليس لها رواق بل لها واجهة مزينة بالاعمدة ودرج خارجي، مع بناء جدار خارجي حول الجدار الداخلي حفظاً للفافات البردى من ان تصيبها الرطوبة، ولذلك فقد اقيم ممر ضيق بين الجدارين. وفيما عدا ذلك كانت المكتبات تشبه في عمارتها مباني العصر الاخرى من حيث الحجرات والطراز المعماري والزخرفة الفنية، ويبدو انه كان هناك دائماً تمثال لاحد الآلهة يقام في معزل عن القاعة الكبرى وحوله تماثيل نصفية ولوحات بارزة للعلماء والكتاب.

وكان في المكتبة قدر كبير من الزخرفة، ولكنها غير مذهبة. ولتغطية الارضية فقد اختير نوع من الرخام يميل لونه الى الخضرة، ويتم الوصول الى الصفوف العليا بواسطة شرفات تستند على اعمدة.

ان تاريخ المكتبات اليونانية الرومانية يمتد فترة تقترب من ستمائة عام، وقد كان ما حققه العالم المسيحي الغربي مبنياً على اساس ما تحقق من تقدم في الشرق على مدى فترة تبلغ ثلاثة اضعاف الفترة الغربية.

المسابقة المعمارية الدولية لمشروع احياء مكتبة الاسكندرية:

لاشك ان الهيئات الثلاث الراعية لمشروع مكتبة الاسكندرية (مصر واليونسكو وبرنامج الامم المتحدة للتنمية) قد اولت اهتماماً كبيراً في ان يكون تصميم المشروع قد استوفى ما يجمع بين اصالة الحضارات القديمة وامتدادها الى المستقبل.

وقد وضعت لجنة التحكيم المعايير التالية في المسابقة المعمارية الدولية للمشروع:

١- وضع المبنى من حيث الموقع وعلاقته بالصورة العامة للمدينة.

٢- التشكيل المعماري للمبنى

٣- ارتباط المبنى بالموقع وعلاقته بالبيئة المحيطة.

٤- التصميم الوظيفي العام.

٥- الامكانية الاقتصادية لتنفيذ المشروع

٦- المحتوى الرمزي للمبنى.

ويبدو لي ان المعيارين، الاول والثالث، يكادان أن يتشابها، كما ان المعيار الخامس المتعلق بالامكانية الاقتصادية لتنفيذ المشروع ليس من اختصاص المتسابقين، ولايدخل في اختصاص هيئة التحكيم التي يتألف اعضاؤها من معماريين، الا اذا قصد بذلك عدم تجاوز التكاليف التقديرية للمشروع، علماً بأن اجمالي تكاليف المشروع بحوالي ١٥٠ مليون دولار ولم يبين تكليف البناء في المشروع الفائز. واوضحت النشرة الصادرة من الهيئة العامة للمكتبة بأن تمويل مثل هذا المشروع بالمقاييس العالمية يستلزم مبالغ طائلة من العملات المصرية والاجنبية، مما يتطلب تعاوناً وطنيا ودولياً ، ليس من اجل البناء الفعلي للمكتبة بملحقاتها فحسب، ولكن ايضا لتمويل شراء الكتب وتدريب اخصائيي المكتبة .

ولاضفاء الملامح التاريخية المناسبة على المشروع، نرى من المفيد لو تم استقطاب آراء المؤرخين العالميين بل وحتى المكتبات العالمية الكبرى مثل مكتبة الفاتيكان وموسكو وواشنطن ولندن وباريس وغيرها قبل وضع التصميم النهائي او ما يلزم من التعديلات بعده، فذلك من شأنه ان يوثق اواصر التعاون في المستقبل.

لا اشاطر الدكتور لويس عوض فيما ذهب اليه[٢٠] حين قال في مقاله بعنوان «الطريق الى الاسكندرية».

«وربما احسن المخططون صنعاً انهم لم يتقيدوا بالعمارة المعبدية، فرعونية كانت او يونانية او رومانية او اسلامية، بل التزموا مباشرة بطراز العمارة الحديثة حتى ينتفعوا من كل شبر من الارض متاح لهم».

فالبرغم من ان مكتبة الاسكندرية القديمة قد اندثرت تماماً، الا ان المكتبة الجديدة لاتزال تحمل نفس الاسم، وكان الاهتمام كبيراً حتى تم التوصل الى فكرة تقريبية عن موقع مكتبة الاسكندرية القديمة، مما يدل على محاولة الاهتداء الى بعض النبضات التاريخية للمكتبة قائمة.

ولا اعتراض مطلقاً ان يكون مبنى المكتبة الجديدة على احدث طراز ومنتهى ما وصل اليه ابداع العصر، بل هو ينبغي ان يكون كذلك، لاننا نعيش في عصر غير ذلك العصر القديم، ونملك من الوسائل الحديثة، ما كان غير متوفر. وحين استوحينا فكرة احياء هذه المكتبة العريقة، فتقضي الامانة التاريخية والاعتراف بالجميل، ان لانحجب الملامح التاريخية على الاقل، ويمكن ابراز ذلك في بعض القاعات والاروقة والاعمدة والاقواس والنقوش والتماثيل وما الى ذلك مع الاحتفاظ بالطراز الحديث في شكله العام.

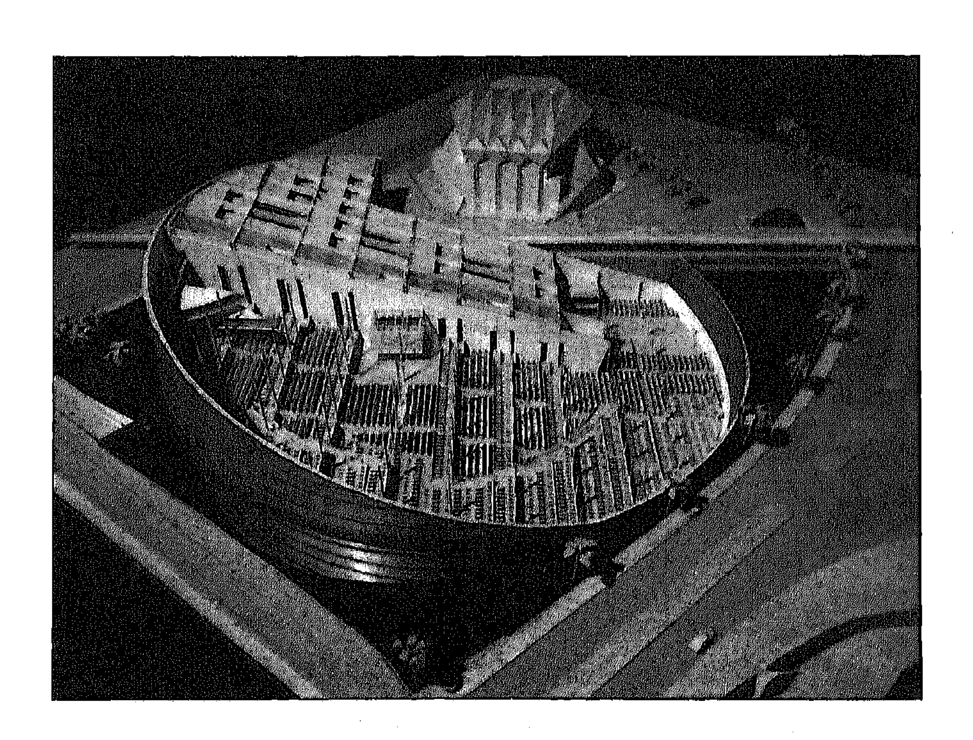
اما ما ذكره الدكتور لويس عوض ان استبعاد الانماط التاريخية هو من اجل الانتفاع من كل شبر متاح من الارض، فرأي لا يستند الى تبرير مقبول، اذ يمكن تعويض ضيق المساحة بالارتفاع عمودياً، وهو من فنون العمارات الحديثة التي يتضمن فيها المعماريون العالميون.

المشروع الفائز في المسابقة:

تقدم الى هذه المسابقة حوالي ١٤٠٠ معماري من ٧٧ دولة، وقد اختارت هيئة التحكيم المشروع المقدم من الفريق النرويجي (سنوهيتا SNOHETTA) الذي فاز بجائزتها الاولى وقدرها ستون الف دولار. ويتكون الفريق الفائز من ٣ نرويجيين، وامريكي، واسترالي، ومصري.

وقد وصفت هيئة التحكيم التصميم الفائز بأنه يجمع بين اصالة الحضارات القديمة وامتدادها الى المستقبل. والمشروع الفائز عبارة عن اسطوانة مائلة كشكل واحد بسيط متكامل يضم جميع انشطة المكتبة، وسقف المبنى مائل ومصمم بحث يعكس ويشتت الضوء داخل المبنى. ويوحي من الداخل بصور ورؤى مختلفة للواجهة البحرية للمدينة. اما الحائط الخارجي للاسطوانة فهو اصم ومغطى بنقوش هيروغليفية، وحروف باللغات المختلفة الاخرى.

اما التصميم الداخلي للمكتبة، فهو عبارة عن مستويات متعاقبة كشلال من المناسيب المتتابعة، مضاءة من سقف واحد مما يعطي للمكتبة جدا موحدا في مختلف انحائها.



الندوة القومية لمشروع احياء مكتبة الاسكندرية:

«عقدت الشعبة القومية لليونسكو في٣ مايو ١٩٩٠، ندوة قومية عن مشروع احياء مكتبة الاسكندرية بفندق فلسطين بالاسكندرية، وذلك لمناقشة المشروع النرويجي الفائز بالجائزة الاولي لتصميم المكتبة، وقد رأس هذه الندوة الاستاذ الدكتور احمد فتحي سرور وزير التعليم ورئيس مجلس ادارة الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ورئيس الشعبة القومية لليونسكو.

وضمت الندوة نخبة من كبار اساتذة العمارة والهندسة المدنية من جامعة القاهرة وجامعة الاسكندرية وجامعة عين شمس، وهيئة ابحاث البناء والاسكان والتخطيط، كما حضره لفيف من الخبراء البارزين في العمارة والهندسة المدنية، بالاضافة الى مساعد مدير عام اليونسكو وممثل برنامج التنمية التابع للامم المتحدة وممثل الاتحاد الدولي للمعماريين. ولقد قام الحاضرون على مدى عشر ساعات بمناقشة الفريق النرويجي في النقاط المختلفة التي اثيرت حول المشروع، كما ابدى الاساتذة المتخصصون ملاحظاتهم حول المشروع من النواحي الانشائية والمعمارية، والتخطيط الحضري وعلاقة التصميم بالمواقع المحيطة والبيئة الحضرية. وقد ابدى الفريق النرويجي تجاوبه تجاه تلك الملاحظات ووعد بأن يأخذها في الاعتبار عند عمل التصميمات التنفيذية للمشروع».

بالرغم من اننا لا نعلم تفاصيل المناقشات التي دارت مع الفريق النرويجي الفائز، ولا تفاصيل الملاحظات التي ابداها الاساتذة المتخصصون حول المشروع، الا ما ذكر اعلاه بصورة عامة كما ورد في نشرة الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، الا ان ما يهمنا في هذا الموضوع ان هناك تأييداً بوجود ثغرات في التصميم النهائي للمشروع بدليل مناقشته في هذه الندوة وابداء الملاحظات التي وعد الفريق النرويجي بأخذها بعين الاعتبار في التصميمات التنفيذية للمشروع.

وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه في ضرورة عدم اغفال الملامح التاريخية في مشروع تاريخي حضاري ضخم كهذا، وكما قال الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية في الكلمة التي القاها في ختام الاحتفال التاريخي لاصدار اعلان اسوان العالمي في ١٢ فبراير ١٩٩٠:

«وقد نشطت مصر لاحياء واحد من اهم معالمها التاريخية، ورمز من أرقى رموزها الحضارية، وهو مكتبة الاسكندرية الاكاديمية، التي نرجو ان تضم كل الوثائق والموسوعات والمؤلفات القديمة والحديثة، التي تتصل بمصر وحوض البحر المتوسط، وافريقيا والشرق الاوسط، مع الاهتمام بصفة خاصة بالاسكندرية، كنقطة التقاء لتلك المجالات جميعاً، وكعاصمة حضارية عريقة، التقت

على ارضها ثقافة المصريين القدماء، والاغريق، والرومان، والعرب. وسوف تقدم المكتبة خدماتها البحثية و الاكاديمية على احدث الطرق وبارقى الاجهزة لكل الباحثين والدراسين من كل انحاء العالم».

آفاق رسالة مكتبة الإسكندرية الجديدة:

انها رسالة سامية تنطلق أضواؤها الى ابعد الافاق، يستنير بها جيل بعد جيل، وتسامر التطور الحضاري كلما انبثقت شمس جديدة لاثراء العلم والمعرفة. تصل الماضي بالحاضر وتفتح افاق المستقبل.

وقد كانت الجهود المبذولة منذ البداية حتى وضع فكرة احياء المشروع موضع التنفيذ، جبارة وضخمة ولاشك، كما ان التعاون بين جميع الهيئات المعنية، سواء من الحكومة المصرية بمختلف هيئاتها، او جامعة الاسكندرية، او منظمة الامم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة «اليونسكو» وبرنامج الامم المتحدة للتنمية، وغيرها من الهيئات في الداخل والخارج، مثار اعجاب وتقدير.

وقد تدفق تشجيع الملوك والرؤساء والامراء وممثلو الدول والمؤسسات والجمعيات الدولية، مادياً ومعنوياً، حيث شهد اجتماع اسوان التاريخي تظاهرة عالمية لتكريم مصر الحضارة في الاحتفال العالمي لاحياء مكتبة الاسكندرية.

وقد وصف محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية مشروع احياء مكتبة الاسكندرية انه منارة انسانية عالمية قبل ان تكون صرحاً مصرياً محلياً.

واكدت السيدة سوزان مبارك ان هذا الحدث التاريخي سوف يعيد مجد مصر الحضاري منذ قديم الزمان ومجد مدينة الاسكندرية المعروف عنها، اذ انها كانت ملتقى الحضارات من خلال مكتبتها القديمة، وان هذا الحدث الحضاري العظيم ليس فخراً لمصر والمصريين فقط بل لكل الدول لاعادة مجد وعظمة المكتبة القديمة.

وقال الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران لقد كانت مصر هي «الدولة التي اهتمت بالمكتبات والثقافات المختلفة منذ اكثر من ثلاثة آلاف عام. لقد جاء في اوراق البردى القديمة ان الكتاب أفضل من المنزل المبني، وان الاحتفاظ بكتاب اجمل من انشاء مبنى او معبد».

ثم القى الاستاذ احمد خليفة السويدي، ممثل صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان، رئيس دولة الامارات العربية المتحدة، كلمة اعلن فيها مشاركة سموه في تنفيذ هذا المشروع الحضاري لاحياء مكتبة الاسكندرية القديمة الذي سيصبح، بعون الله صرحاً ثقافيا عالمياً، ومنارة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لتوصيل الحضارات في هذا الوطن العزيز، ومهد الحضارة الانسانية.

ثم القت الملكة نور – عن المملكة الاردنية الهاشمية – قالت فيها «ان ابناء المنطقة يعيشون ويمارسون التراث الحي الذي أورثته لنا حضارات البحر المتوسط».

وبعد ذلك توالت الكلمات من اعضاء اللجنة الدولية، والضيوف المشاركين في الاجتماع، اشادوا فيها بالمشروع والتأكيد على حرص المجتمع الدولي على صيانة حضارته والحفاظ على التراث الانساني.

اهداف مكتبة الإسكندرية الجديدة:

تزداد الاهداف مع زيادة التطلعات، وتزداد معها الجهود المطلوبة، والامكانات اللازمة، والاموال الضرورية، والاعباء الجسمية التي تزامنها، والمسؤوليات الكبيرة التي تعقبها.

وقد اشارت النشرةالخاصة التي اصدرتها الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ما يلي:

ان الهدف المباشر من انشاء مكتبة الاسكندرية الجديدة هو ان تكون مثل سابقتها القديمة: مكتبة عامة للبحث العلمي، قادرة على ان تساعد المنطقة بأسرها على استعادة سمعتها السابقة في مجال البحث العلمي على اسس حديثة. فهي تهدف الى الاهتمام بالبحوث بجانب الخدمات المكتبية العامة بغرض اعلاء شأن ونهضة الثقافة المصرية، وكذلك اثراء ثقافات العالم العربي ومنطقة البحر المتوسط وافريقيا، وسوف يكون للمكتبة ملامح خاصة بها تميزها عن غيرها من المكتبات الكبرى، فسوف يكون لها امكانات فعالة حديثة للاتصال والمعلومات لتكون همزة وصل ونواة هامة في شبكة الاتصالات الدولية التي تضم مكتبات العالم الكبرى في الوقت الحاضر. كما سيكون هناك اهتمام خاص بالدراسات التي لها اتصال مباشر بالاسس التاريخية والجغرافية للاسكندرية ومصر والشرق الاوسط فالعزم منعقد على ان المكتبة الجديدة سوف تحتوي على كل ما انتجه العقل البشري من انجازات في شتى الحضارات واللغات. فالمكتبة سوف تصبح جسراً يربط الحاضر بالماضي ونافذة متفتحة على المستقبل فهي بمثابة مركزاً لنقل الدراسات التي تهتم بالمنطقة بأسرها.

وتحدثت نشرة اخرى موجزة اصدرتها الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية عن اهداف المشروع قائلة:

«يهدف المشروع الى تكوين مكتبة عالمية وانشاء (مركزاً) للاشعاع الثقافي والفكري في خدمة البحث العلمي وتحتوي المكتبة على كل ما انتجه العقل البشري في اية صورة متاحة، سواء تقليدية

او الكترونية، من شتى الحضارات القديمة والحديثة وبجميع اللغات، بالاضافة الى ذلك تهدف المكتبة الى اجراء الدراسات المتصلة بالابعاد التاريخية والجغرافية والثقافية لمصر ومنطقة الشرق الاوسط بصفة عامة ولمدينة الاسكندرية بصفة خاصة».

وفي قرار السيد رئيس جمهورية مصر العربية يحمل رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨ بانشاء الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، اشارت المادة (٢) منه حول اهداف الهيئة الى مايلي:

«تهدف الهيئة الى تنفيذ وادارة مشروع احياء مكتبة الاسكندرية القديمة لتكوين مكتبة عالمية ومركز للاشعاع الثقافي والفكري في خدمة البحث العلمي ويحتوي على كل ما انتجه العقل البشري في اية صورة متاحة من شتى الحضارات القديمة والحديثة وبجميع اللغات، فضلاً عن اجراء الدراسات المتصلة بالاسس التاريخية والجغرافية والثقافية لمصر ومنطقة الشرق الاوسط بصفة عامة ولمدينة الاسكندرية بصفة خاصة».

يتضح مما تقدم ان اهداف المشروع واهداف الهيئة العامة اهداف طموحة ذات ابعاد امتدت الى آفاق واسعة، حتى ليخيّل للمرء انها منسوجة بعبارات انشائية فضفاضة. ويشدنا الامل في ان لا تكون كذلك، لان المكتبة القديمة كانت بحد ذاتها تحمل اشعاعات وتطلعات واسعة المدى، ولاشك ان مشروع احيائها مع متطلبات العصر الحديث واتساع النطاق العالمي وتقدم العلم والمعرفة مع تقدم وسائل الاتصالات والتقنية الحديثة، من شأن كل ذلك ان تكون الاهداف أوسع من ذي قبل.

ومع ضخامة الاهداف وتعددها، تزداد الاعباء والجهود التي يجب بذلها، وبالتالي تتعاظم المسؤوليات والتبعات، الامر الذي ينبغي معه تجنب عوائق التنفيذ مما سنأتي على ذكره فيما بعد.

وقد اوضح الاستاذ الدكتور، محسن زهران مدير الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية في مقدمة الطبعة الثانية للنشرة التي اصدرتها الهيئة بان المكتبة الجديدة ستركز في بدء عملها على المجموعات المتخصصة المتعلقة بالحضارة المصرية وسائر حضارات الشرق الاوسط والحضارة اليونانية والرومانية ونشوء المسيحية القبطية والتراث الاسلامي، مع الاهتمام بوجه خاص بتاريخ العلوم والمصنفات التي يرجع وجودها الى المكتبة القديمة. وسيتسع نشاطها بعد ذلك لتشمل فروعا واهتمامات اخرى وفقاً لاهدافها ورسالتها العلمية.

مساهمة اليونسكو والمجتمع الدولي:

في فبراير ١٩٨٦، قام المدير السابق لمنظمة اليونسكو السيد احمد مختار امبو بزيارة رسمية الى مصر، وقد طرح خلال اجتماعه مع المسؤولين في جامعة الاسكندرية موضوع تقديم معونة

دولية لتنفيذ المشروع، وقد أبدى السيد المدير العام موافقته وتأييده للمشروع.

ودعا المجلس التنفيذي لليونسكو، في دورته التي عقدها في يونيو ١٩٨٦ المدير العام الى «ان يتعاون مع الحكومة المصرية في اعداد وتنفيذ هذا المشروع».

وفي يناير ١٩٨٧، مولت منظمة اليونسكو دراسة جدوى المشروع، تبعتها سلسلة من المشاورات التقنية، وقد اتضح خلال هذه الدراسات ان مشروع «احياء مكتبة الاسكندرية القديمة»، من الممكن بل من الضروري، ان ينفذ لانه يلبي ضرورة مطلقة للمجتمع المثقف ومفكري الاسكندرية. وقد احتوت دراسة الجدوى الابتدائية على تقويم نموذجي للعمليات التي ستتم تباعاً في فترات زمنية محددة. كذلك تحدد موعد افتتاح المكتبة في عام ١٩٩٥ على ان يتم تجميع الكتب والدوريات سنوياً حسب الاولويات المحددة ليصل عدد المجلدات الى ٢٠٠,٠٠٠ مجلد و ١٥٠٠ دورية عند الافتتاح.

وفي اكتوبر ١٩٨٧، اصدر المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو بباريس موافقته على اصدار نداء دولي لدعم مشروع احياء مكتبة الاسكندرية القديمة، وقد اصدر هذا النداء المدير العام لليونسكو بخمس لغات هي الانجليزية، الفرنسية، الاسبانية، الروسية والعربية، موجها الى الدول والمؤسسات والافراد لدعم مشروع المكتبة بصور الدعم المختلفة.

وفي يونيو ١٩٨٨، وضع السيد الرئيس محمد حسني مبارك، رئيس جمهورية مصر العربية، والسيد المدير العام لليونسكو السيد فيديريكو/ مايور، حجر الاساس لمكتبة الاسكندرية.

التكلفة والتمويل

لاشك ان تمويل مشروع ضخم كهذا يستلزم مبالغ طائلة وبشكل مستمر، مما يتطلب تعاوناً وطنياً ودولياً، ليس من اجل البناء الفعلي للمكتبة بملحقاتها فحسب، ولكن ايضاً لتمويل شراء الكتب وتدريب اخصائي المكتبة.

وقد قدر اجمالي تكاليف المشروع بحوالي ١٥٠ مليون دولار، يتمثل اسهام مصر في المشروع - كما ذكرنا سابقا - بقيمة الموقع الاستراتيجي بالسلسلة ومساحته ٤٠٠٠٠ متر مربع وتقدر قيمته بحوالي ٦٠ مليون دولار مشتملاً على مركز المؤتمرات الدولية وتقدر تكاليفه بحوالي ٢٠ مليون دولار.

كما ساهم برنامج الامم المتحدة بمبلغ ٦٠٠ الف دولار لاقامة مسابقة معمارية دولية باشتراك الاتحاد الدولي للمعماريين.

وفي اجتماع اسوان التاريخي يومي ١١ - ١٢ فبراير ١٩٩٠ وصلت المساهمة العربية لبناء

المكتبة ٦٤ مليون دولار امريكي.

يلاحظ ان تكاليف المباني قد استنفدت قد راً كبيراً من المبالغ المتجمعة، حوالي ٦٠ مليون دولار مقابل ٤٠ مليون دولار للكتب والمعدات، فميزانية الكتب تكاد تكفي لشراء مليون ونصف كتاب وذلك على اساس المتوسط بأقل من ٣٠ دولار للكتاب العلمي الواحد بالاسعار الحالية في حين ان الحد الادنى المقدر لمحتويات المكتبة هو ٤ ملايين كتاب، هذا عدا اسعار المخطوطات والكتب النادرة والكمبيوترات والعقل الالكتروني المركزي والمعدات المختبرية في الطبيعة والكيمياء والفلك وغيرها، مع الاخذ بنظر الاعتبار ما ستتلقاه مكتبة الاسكندرية من كتب ومخطوطات ووثائق على شكل هدايا وتبرعات.

واذا عدنا الى موارد الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، فان المادة (٨) من قرار السيد رئيس جمهورية مصر العربية رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨ بانشاء الهيئة نصّت على مايلي:

مادة ٨:

تتكون موارد الهيئة ممايلي:

١- ما تدرجه الدولة من اعتمادات لها في الموازنة.

٢- الاعانات والتبرعات والهبات والوصايا والاسهامات الداخلية والخارجية.

٣- القروض التي تعقد لصالح الهيئة.

٤- مقابل الخدمات التي تقدمها الهيئة.

٥- عائد استثمار اموال الهيئة.

٦- اية موارد اخرى تقررها الهيئة.

وغني عن البيان ان رأسمال التشغيل يستنفد مبلغاً غير قليل من الميزانية، الامر الذي يجعلنا ننظر الى موارد الهيئة مجرد موارد مرنة لا تستدعي الى كثير من التفاؤل، حيث ان معظم بنود موارد الهيئة هي بنود غير مضمونة وغير مستقرة وتخضع لعديد من الاوضاع والظروف الداخلية والخارجية. فتوفر المال اللازم لدعم المكتبة وتمكينها من تحقيق اهدافها الواسعة، هو الاساس الذي يمثل الوقود لشحن الطاقة اللازمة للتشغيل. والامل وطيد في ان تنبري الدول العربية الاخرى، لاسيما الغنية منها، للمساهمة في تمويل هذا المشروع الكبير الذي ستمتد خدماته وفوائده الى جميع الاقطار، علماً بان في مقدمة الدول التي ساهمت في بناء المكتبة في اجتماع اسوان كما ورد في النشرة شملت : دولة الامارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، والجمهورية العراقية، حيث بلغ مجموع هذه التبرعات ٦٣ مليون دولار.

هذا مع الاخذ بنظر الاعتبار احتمال قيام دول ومكتبات عامة وخاصة وقيام مؤسسات وافراد باهداء بعض الكتب والمصنفات والمخطوطات وغيرها الى مكتبة الاسكندرية.

ومما لاشك فيه ان السنوات الاولى من تاريخ افتتاح المكتبة وتشغيلها ستكشف الكثير من الثغرات التي ينبغي تداركها وتلافيها.

ومما يذكر بهذا الشأن انه تم تشكيل اللجنة التنفيذية الدولية لمشروع احياء مكتبة الاسكندرية بناء على الاتفاقية المعقودة بين حكومة مصر ومنظمة اليونسكو لتنفيذ المشروع، والتي تم التصديق عليها من مجلس الشعب في فبراير ١٩٩١. ففي الاجتمع الاول الذي عقدته اللجنة بتاريخ ١٩٩٢/٤/٢٦بمركز المؤتمرات بالاسكندرية، اصدرت القرارات الآتية:

١- الاحاطة بقرارات تعيين رئيس اللجنة التنفيذية الدولية ومدير المشروع ونائب مدير المشروع.

٢- الموافقة على الهيكل التنظيمي للامانة التنفيذية لمشروع احياء مكتبة الاسكندرية وهي الجهاز المناط به تنفيذ قرارات اللجنة والاشراف على تنفيذ المشروع.

٣- الموافقة على خطة وبرنامج العمل في المشروع على المدى الطويل ٩٢ - ١٩٩٦ من حيث المبدأ، والذي قدرت تكاليفه المبدئية بحوالي ١٧١ مليون دولار امريكي.

٤- الموافقة على الموازنة التقديرية لعام ١٩٩٢، وان يتم الصرف على البنود الواردة حسب المصروفات الفعلية لكل بند.

٥- الموافقة على تشكيل لجنتين فرعيتين: الاولى لدراسة واقرار مشروع التعاقد المقدم من المكتب الهندسي النرويجي «سنوهيتا SNOHETTA» لاعداد تصميمات المشروع الهندسية، والثانية لدراسة مجالات وتخصصات المجموعة المكتبية والانشطة الثقافية الخاصة بالمكتبة ذاتها.

٦- موافقة اللجنة من حيث المبدأ على شراء ١٥٠٠ متر مسطح كمقر للامانة التنفيذية والهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية في احد عقارات وسط مدينة الاسكندرية.

وباصدار هذه القرارات يبدأ جهاز وادارة المشروع في ممارسة اعمال التنفيذ الفعلية ومباشرة الصلاحيات المخولة له في الافتتاحية مع اليونسكو.

وتنفيذاً لنص القرار الجمهوري رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨ بانشاء الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية يتم عمل اطار تفصيلي للمجالات والحقول التي ستغطيها المجموعات المكتبية بالتعاون مع المجتمع الدولي، وخاصة مع ايطاليا وفرنسا اللتين تم التفاهم معهما على خطوات محددة في هذا المجال. ولقد رصدت ايطاليا مايزيد عن ٤٠٠ الف دولار من اجل تمويل معمل للحفاظ على الوثائق والكتب النادرة ودعم هياكل المعهد الدولي لدراسات المعلومات بالمكتبة.

كما تم، من جهة اخرى، اعداد برنامج طموح بالتعاون بين ادارة المشروع والهيئة العامة لمكتبة

الاسكندرية لتدريب الكوادر المختلفة العاملة في الهيئة على المهام المكتبية المختلفة، وذلك بالتعاون ودعم من منظمة اليونسكو وبرنامج التنمية التابع للامم المتحدة.

ويلاحظ ان اللجنة التنفيذية الدولية تتألف من شخصيات بارزة، يتمتع البعض منهم بمناصب رسمية ومسؤولة تؤهلهم ممارسة الصلاحيات المطلوبة منهم بعيدة عن التعقيدات الادارية، كما ان البعض الآخر من ذوي الخبرة والاختصاص، وهم بحكم مكانتهم سيدعمون مجالات التعاون والاستفادة بما لديهم من خبرات وتجارب في مجالات اختصاصاتهم.

وتتألف اللجنة التنفيذية الدولية كمايلي:

اعضاء اللجنة التنفيذية الدولية

مصر

الاستاذ الدكتور/ حسين كامل بهاء الدين،

وزير التعليم، رئيس مجلس ادارة الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ورئيس اللجنة.

* الاستاذ الدكتور/ محمد فتح الله الخطيب، مستشار وزير التعليم.
* الاستاذ الدكتور/ محمد سعيد عبد الفتاح، رئيس جامعة الاسكندرية.
* المستشار/ محمد محمود الدكروري، نائب رئيس مجلس الدولة.
* الدكتور/ ممدوح البلتاجي، رئيس هيئة الاستعلامات.

اليونان

* الاستاذ/ سولون كيدونياتيس، استاذ المكتبات.

فرنسا

* السيد/ جان ماري ارنولت، مدير مركز المحفوظات بالمكتبة الوطنية الفرنسية.

ايطاليا

* الدكتور/ بيير جيورجيو راموندو اورلاندو، خبير ومدير التعاون الثقافي بوزارة الخارجية الايطالية.

النرويج

* السيدة/ آن ميرشنت، المديرة الادارية بسفارة النرويج، وقد حضرت بالنيابة عن السيد / بورجر لينث.

عمان

* السيد/ علي بريك الربيعي، ممثلا عن وزارة الثقافة والتراث الوطني العماني

المملكة العربية السعودية

* الدكتور/ حمد بن محمد الشغرود، مدير التعليم والعضو الوفد الدائم للسعودية باليونسكو.

تركيا

* السيد/ معمر اولكر، مدير المكتبة السليمانية باسطنبول.

دولة الامارات العربية المتحدة

* السيد / حمد عبدالرحمن المدفع، وزير التعليم.

الولايات المتحدة الأميركية

* السيد/ روبرت رولف، مدير مكتبة هينيبن – مينا بولس – ميناسوتا.

اليونسكو

* السيد/ وولفجانج لونر، مدير عام البرنامج، وممثل عن الدكتور/ فيديركو مايور مدير عام اليونسكو.

تبادل الزيارات بين المكتبات:

ان قيام ممثلين عن المكتبات العالمية بزيارة الى مشروع مكتبة الاسكندرية والالتقاء بالمسؤولين فيه، كذلك قيام ممثلين من مكتبة الاسكندرية الى مختلف المكتبات العالمية من شأنه ان يدعم مجالات التعاون وتبادل الخبرات وفتح باب المساهمة لمقتنيات مكتبة الاسكندرية. وقد استجاب العديد من الدول لاتخاذ مثل هذه الخطوات. كما توالي الهيئة العامة للمكتبة، نشر مثل هذه الاخبار، ففي النشرة الاعلامية ١٤ سبتمبر ١٩٩٢ افادت انه:

بدعوة من اللجنة الوطنية الفرنسية لليونسكو سافر الاستاذ الدكتور حشمت قاسم مستشار

المكتبات بالهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية الى فرنسا لبحث مساهمة الجانب الفرنسي في مشروع احياء مكتبة الاسكندرية، في الفترة من ٢٩ مايو الى ٧ يونيو ١٩٩٢ وتضمن البرنامج زيارة عدد من المؤسسات العاملة في مجال المكتبات والمعلومات، والتقى ببعض المسؤولين في اللجنة الوطنية الفرنسية لليونسيكو، وبسفير مصر لدى اليونسكو والبرنامج العام للمعلومات.

ومن الاماكن التي شملتها الزيارة:

١- مكتبة مركز العلوم والصناعة. حيث تباحث مع مديرها حول احتمالات الافادة من هذه المكتبة لصالح مشروع مكتبة الاسكندرية في مجالات التدريب والادارة واسترجاع المعلومات.

٢- المكتبة الوطنية بباريس والتقى بالمسؤولين فيها، ووقف على خططها المستقبلية في ضوء انشاء مكتبة فرنسا الكبرى، حيث تقرر قصر دور المكتبة الوطنية على الفنون بينما تحول باقي مقتنياتها الى المكتبة الجديدة.

٣- مركز التوثيق الفرنسي، الذي يقوم بتحليل المعلومات لصناع القرار الفرنسيين في ميادين السياسة والاقتصاد والاستراتيجية، ويقوم بمهمة النشر لصالح الهيئات الحكومية، ويرصد كل ما ينشر عن فرنسا، وتم التباحث حول امكانية التعاون بينه وبين مكتبة الاسكندرية.

٤- مشروع مكتبة فرنسا وتعرف على نظمه ومقتنياته وتجهيزاته.

٥- وفي ليون زار الدكتور قاسم المعهد القومي الاعلى لعلوم المعلومات والمكتبات. واعرب المسؤولون به عن استعدادهم لاستقبال من ترشحهم مكتبة الاسكندرية للدراسة او التدريب فيه.

٦- مؤسسة كوستل Questel التي تقوم بدور الوسيط في خدمة استرجاع المعلومات على الخط المباشر Online وكوسل هي المؤسسة الوطنية الوحيدة في هذا النشاط وتتعامل مع الشبكة القومية للمعلومات في مصر. وفرنسا مستعدة لمنح مكتبة الاسكندرية قدرا من الوقت في التعامل مع النظام المضيف لهذه المؤسسة.

٧- وفي مدينة نانسي زار سيادته المعهد القومي للمعلومات العلمية والتكنولوجية، ووقف على الخدمات التي يؤديها في مجالات العلوم والتكنولوجيا والانسانيات والامداد بالوثائق، وبحث احتمالات مساهمة الجانب الفرنسي في دعم مقتنيات مكتبة الاسكندرية وقد ابدت السيدة ميشيل ديليج، المستشار الفني باللجنة الوطنية الفرنسي لليونسكو، استعداد فرنسا لتقديم حوالي عشرين منحة للعاملين بمكتبة الاسكندرية للدارسة والتدريب.

- ورحب رئيس اللجنة الوطنية الفرنسية لليونسكو بالتعاون بين الحكومة الفرنسية ومصر في

مجالات تنمية الموارد البشرية والمقتنيات وتكنولوجيا المعلومات.

والتقى الدكتور قاسم خلال الزيارة بمسؤول الاتصال الخاص بمشروع مكتبة الاسكندرية لدى اليونسكو.

وتمت مناقشة بعض القضايا الخاصة بمكتبة الاسكندرية، ومنها حملة جمع التبرعات، والنداء الدولي للمكتبيين لاهداء المقتنيات لمكتبة الاسكندرية، وتابع سير العمل بموقع المشروع - وفي ختام زيارته التقى الدكتور قاسم بالملحق الثقافي المصري بباريس لمتابعة نتائج الزيارة.

وفي ختـــام تقريره عن هذه الزيارة شكر الدكتـور قـاسم القـائمين على مـشـروع مكتبـة الاسكندرية و العاملين باللجنة الوطنية الفرنسية لليونسكو، الذين احسنوا التخطيط والتنظيم لهذه الزيارة.

اليابان تدعم مكتبة الاسكندرية:

وعد السفير الياباني خلال زيارته الاخيرة للاسكندرية بارسال مجموعة من الكتب للعديد من الناشرين في اليابان مساهمة من الحكومة اليابانية لمشروع احياء مكتبة الاسكندرية.

زيارات اخرى:

زيارة أ. د. محمد امان عميد كلية المكتبات والمعلومات بجامعة ويسكونسن الامريكية ورئيس الجمعية الامريكية المهتمة بمكتبة الاسكندرية بزيارة الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية يوم ٦ يوليو ١٩٩٣.

كما قام الاستاذ الدكتور عادل صادق عضو جمعية اصدقاء مكتبة الاسكندرية في لندن بزيارة الى مقر الهيئة اللعامة يوم ٢٧ /١٩٩٢/٧ والالتقاء بالمسؤولين فيها.

وقامت ايضاً السيدة كارول ريد مندوبة دار نشر مطبوعات واشنطن ونيويورك بتاريخ ١٩٩٢/٥/٦ بزيارة الى مقر الهيئة العامة وتداولت مع المسؤولين كل ما من شأنه الارتقاء بمجالات التعاون المثمر لاثراء المكتبة بما تحتاج اليه.

وفي زيارة للسيدة سيندي والسيد شارلز اللذين يمثلان المكتبة الاكاديمية الامريكية بتاريخ ٩٢/٢/٤ والالتقاء بالمسؤولين بالهيئة العامة، اوضحت السيدة سيندي سياسة تنظيم الكتب في

المكتبة الاكاديمية الامريكية كما انها ستحاول ان تقدم المنح من خلال الـ USIS وسيسعدها تقديم العون للمشروع وخاصة في مجال التدريب.

هذه الزيارات المتبادلة وغيرها واشتراك الهيئة في معرض القاهرة الدولي للكتاب تدل علي مدى الاهتمام والجهود المبذولة من اجل اثراء المكتبة بالمراجع والخبرات المتخصصة في مجالات المكتبات والمعلومات وحفظ التراث والتدوين والتبويب والفهرسة، وعقد دورات تدريبية عن طريق خبراء من الولايات المتحدة الامريكية وايطاليا وبريطانيا في اطار بروتوكولات التعاون الثقافي والعلمي بين مصر وهذه الدول.

مساهمة مكتبة بلدية الإسكندرية:

تطرق الاستاذ الدكتور عبد اللطيف ابراهيم استاذ كرسي الوثائق بكلية الاداب/ جامعة القاهرة في مقال نشر له في النشرة الاعلامية ١٣ عدد يونيو ١٩٩٢ تطرق فيه الى ان مجموعات مكتبة بلدية الاسكندرية من المخطوطات والمطبوعات هي أثمن ما يجب اقتناؤه في مكتبة الاسكندرية الجديدة، ولهذا تتجه النية الى اهداء هذه المجموعات الى مكتبة الاسكندرية الجديدة، مع المخطوطات والمطبوعات المتناثرة باعداد كبيرة في انحاء مختلفة بالاسكندرية سواء في المكتبات والمتاحف والمساجد والاديرة والكنائس.

وكان السيد جان ماري ارنولت رئيس قسم الحفظ والترميم بالمكتبة الوطنية الفرنسية قد قام بزيارة الى مكتبة محافظة الاسكندرية، بناء على تكليف من الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية لمعاينة مجموعات الكتب والوثائق القديمة، وقدم تقريراً مفصلاً اشار فيه الى مايلي:

ان المكتبة تحتوي على ٢٥٠٠٠ كتاب مطبوع و ٤٦٢٤ من المخطوطات.

- وان مجموعة الكتب التي تضاف اليها سنويا حوالي مائتي كتاب.

وان اخر كتالوج صدر بالكتب المطبوعة كان عام ١٩٥٦ وآخر كتالوج بالمخطوطات كان في عام ١٩٥٥.

واوضح التقرير ان جميع رفوف المكتبة خشبية والنوافذ غير معزولة وبدون ستائر. كما تبين وجود جهاز لاطفاء الحريق بينما لايوجد جهاز انذار للحريق او حوادث السطو، كذلك اشار الى ان القيمة الثقافية لمشتملات المكتبة مصدرها غير معروف.

ويبدو ان جانبا منها يرجع الى الامير عمر طوسون ويوجد ايضا جانب اخر من المشتملات الهامة بالمكتبة تعرف بمجموعة طلعت.

وتوجد بالمكتبة نسخ فوتوغرافية من مخطوطات موجودة في مكتبات اجنبية مثل مكتبة برلين ومكتبة باريس ومكتبة اسكوريال.

وبالنسبة لحالة الكتب فقد ذكر السيد ارنولت انها ليست جيدة لان التجليد الناعم المستخدم في القرنين ١٩ و ٢٠ اصبح ضعيفاً ومشققاً كما ان التجليدات الورقية متهالكة والخياطات اكثرها مفكك وان العديد من الكتب قد تعرض لاصابات حشرية مما ادى الى اتلاف الورق والاغلفة بالاضافة الى تلفيات اخرى حدثت بسبب اعمال الترميم غير المتقنة واستعمال الورق اللاصق من نوع السكوتش والتجليد الرديء باستعمال مواد رديئة النوع.

وانتهى التقرير بتقديم العديد من التوصيات يمكن تلخيصها بما يلي:

- من الضروري سرعة المحافظة على محتويات المكتبة القيمة وصيانتها على ان يتم التعامل معها بعد دراسة مستفيضة مع عمل التدريب والتطوير والصيانة على صعيدين:

اولاً - عمل دراسة لبحث تاريخ المجموعة لمعرفة مصادرها الاصلية.

ثانياً- حصر وتقييم الاقتراحات الخاصة بالترميم والصيانة والاصلاح والعمل على ايجاد نظام وسياسة ثابتة فيما يتعلق بالصيانة والترميم.

وانتهى التقرير الى توجيه الاهتمام الى اهمية ضم مجموعة الكتب القيمة الموجودة حاليا بمكتبة محافظة مكتبة الاسكندرية الى مجموعة مكتبة الاسكندرية الجديدة ودعا السيد ارنولت الى انه لضمان صيانة هذه المجموعة فمن الضروري عدم التردد في اتخاذ اسلوب الحفظ الواجب بوضع الكتب في بيئة مناسبة من حيث درجة الحرارة والرطوبة والعزل والابتعاد عن المؤثرات في الجو المحيط من اجل صيانة هذه الثروة القومية من الضياع.

(النشرة الاعلامة للهيئة ١٣ يونيو ١٩٩٢)

دور المكتبات العربية والاسلامية:

تزخر في بعض الاقطار العربية مخطوطات ووثائق قديمة نفيسة وكتب ومجلدات ثمينة لاسيما في العراق وسوريا واليمن والمملكة العربية السعودية (مكة المكرمة والمدينة المنورة بصورة خاصة) وبعض دول الخليج والمغرب ومكتبة دير سانت كاترين.

وانه لما يثير العجب عدم ارسال مندوبين الى تلك الدول للاطلاع على الكنوز الثقافية في مكتباتها التي تتكدس فيها المخطوطات القديمة والكتب التي تحكي التراث العربي والاسلامي. بل

ان غياب اهتمام هذه المكتبات بمكتبة الاسكندرية الجديدة ودورها الحضاري في احياء التراث وبالتالي تدعيم سبل التعاون فيما بينها في الوقت الذي نجد الدول الاجنبية قد سبقتها في هذا المضمار.

وفي الوقت الذي يعتبر ان مثل هذه الزيارات المتبادلة ودعم مجالات التعاون امر طبيعي ومتوقع، الا اننا نأمل ان لانكون متخلفين عن غيرنا بل في مقدمة من يعمل لاحتضان المعرفة واثرائها كما يحدثنا بذلك تاريخنا المجيد، وبالتالي الابتعاد الى مايمكن ان يفسر في قياس الامور بنظرة اقليمية، بل ان البحث عن المعرفة هو الهدف الاساسي ولو امتد الى اقاصي الصين.

ولا استثني الدول الاسلامية الاخرى كتركيا وايران، فمكتباتها الوطنية غنية بالتراث التاريخي والدور الحضاري للمنطقة مما يمكن ان نجده في المخطوطات والمصنفات والكتب التي تزخر بها مكتباتها الكبرى، اضافة الى مكتبات الدول التي لعبت دوراً بارزاً في تاريخ الخليج كأسبانيا والبرتغال وهولندة وفرنسا.

وقد اتجاوز قليلاً اذا قلت بان هناك احتمالاً كبيراً في ان نجد مخطوطات نفيسة متناثرة في بعض المكتبات والمساجد في بعض الجمهوريات التي استقلت عن الاتحاد السوفييتي، حيث كانت تلك الدول قد لعبت دوراً ملحوظاً في تاريخ المنطقة اضافة الى ابعادها الحضارية.

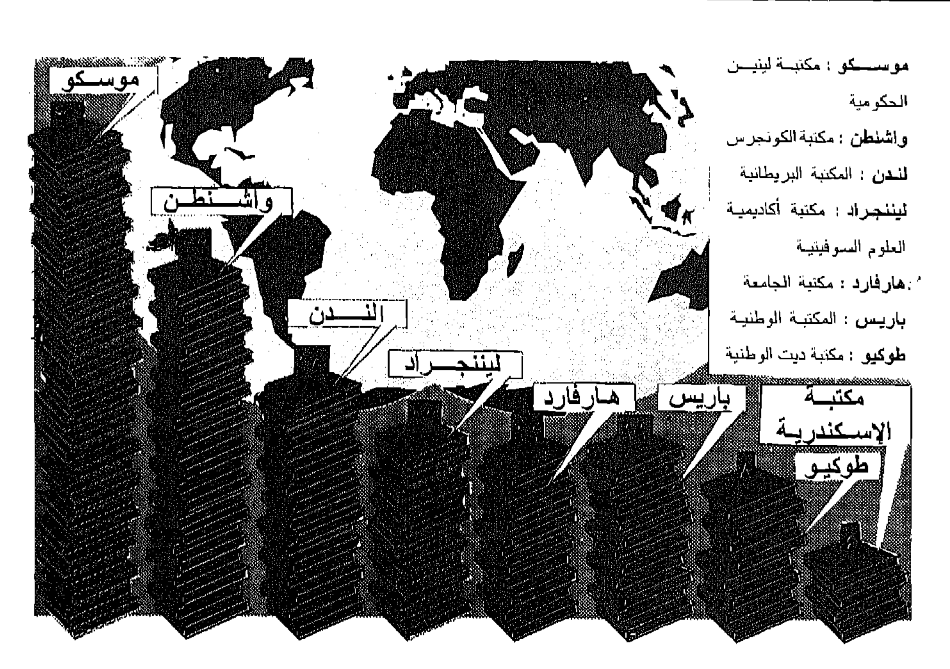
مكانة مكتبة الإسكندرية بين المكتبات العالمية

رغم غياب معايير عالمية متفق عليها يمكن على اساسها قياس ترتيب المكتبات من حيث السعة والحجم، الا ان الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية قد قامت بوضع الرسم البياني الموضح اسفله لمجرد تكوين فكرة تقريبية عن الحجم النسبي لبعض افضل مكتبات العالم المعروفة.

وعلى اساس الاخذ بطريقة احصاء حجم المجموعات، فان مكتبة لينين الحكومية في موسكو تحتل المركز الاول، حيث تشمل على ٣٠ ميونا مجلداً ودورية وسلسلة كتب مختلفة، وقد استخدمت نفس هذه الطريقة للاحصاء في مكتبة لينغراد

وتعتبر مكتبة الكونجرس في واشنطن، كما هو معروف، من اكبر المكتبات في العالم، تليها المكتبة البريطانية في لندن ثم مكتبة جامعة هارفرد بالولايات المتحدة الامريكية التي تتساوى مع المكتبة الوطنية بباريس.

وباتباع هذا المقياس ، فان مكتبة الاسكندرية بمجموعتها ذات الاربعة ملايين ستحتل الموقع الثامن، ولكنها من المتوقع ان تكون في مركز متميز كواحدة من افضل المراكز في العالم، لانها ستخصص في اعمال حوض البحر الابيض المتوسط والعالم العربي.



وهنا ينبغي ان لا نغفل دور النوعية في شهرة مكتبة من المكتبات، فقد تشتهر مكتبة ما وتحتل المكانة الاولى لابحجمها وبقدر عدد كتبها، ولكن بقدر ما لديها من مراجع ومخطوطات قديمة تعود الى عصر من العصور لاحداث امة معينة من الامم او لقائد بارز من القواد ممن ترك بصمات واضحة في التاريخ، كما هو الامر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم مثلاً، والاحتلال البرتغالي والهولندي والانكليزي والعثماني والفارسي على الخليج العربي، ومن القادة الاسكندر الكبير ونابليون والمأمون وغيرهم.

ان المخطوطات والمصادر التي تضمها مكتبة معينة من المكتبات عن هذه الاحداث بشكل وافر تختص بها، تجعلها تحتل المقام الاول من حيث النوعية، لذا فان المكتبات العالمية الكبرى تتسابق في الحصول على مثل هذه المخطوطات لاثراء مالديها من المصادر.

والامل معقود على ان تعني مكتبة الاسكندرية بمثل هذه المصادر سيما وانها ستولى اهتماما خاصاً بأعمال حوض البحر الابيض المتوسط والعالم العربي عن طريق الاتصال والتعاون مع المكتبات النوعية في هذا المجال.

دور جامعة الإسكندرية

لقد بدأ التفكير في احياء مكتبة الاسكندرية القديمة عام ١٩٧٤م خلال رئاسة الاستاذ الدكتور

محمد لطفي دويدار، رئيس جامعة الاسكندرية الاسبق، وشجع فكرة المشروع كثير من اعضاء هيئة التدريس بالجامعة والعلماء وذلك باجراء دراسات وبحوث دقيقة وتحقيقات علمية متسعة عن مكتبة الاسكندرية القديمة. وبمرور الوقت ونتيجة لهذه الدراسات تأكد للمسؤولين في الجامعة اهمية المشروع وضرورة السير قدماً في تنفيذه.

وتحقيقاً لان يكون المشروع في وقع فريد متميز. فقد قدمت جامعة الاسكندرية قطعة ارض مساحتها ٤٠٠٠٠ متر مسطح يقع حدها الشمالي على طريق الكورنيش في مواجهة شاطئ البحر الابيض المتوسط. وهذا الموقع تقريباً هو نفس موقع مكتبة الاسكندرية القديمة حيث كانت في الحي الملكي.

ويتضمن الموقع ايضاً مركزاً للمؤتمرات تبلغ سعته ٣٢٠٠ مقعداً، وقد تم استكماله بتكلفة قدرها ٢٠ مليون دولاراً، وسيصبح هذا المركز من العناصر الهامة المتكاملة مع مجمع المكتبة الجديدة.

من هذا يتضح الدور الكبير الذي لعبته جامعة الاسكندرية في احياء مشروع مكتبة الاسكندرية القديمة، لذا فلم تغفل الجهات المعنية في ان لا يغيب دورها في تنفيذ وتشغيل المشروع الجديد. فكان ان اختير الاستاذ الدكتور محسن محرم زهران نائباً لهيئة التحكيم في المسابقة المعمارية الدولية لاختيار المشروع الفائز.

واذا اطلعنا على قرار السيد رئيس جمهورية مصر العربية رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨ بانشاء الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، نجد ان المادة الرابعة منه قد خصت جامعة الاسكندرية بدور كبير في تحمل اعباء الهيئة، فضمن تشكيل مجلس ادارة الهيئة يعتبر رئيس جامعة الاسكندرية نائبا للرئيس كما يعتبر ثلاثة من الاساتذة بجامعة الاسكندرية يختارهم مجلس الجامعة لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد اعضاء في المجلس.. ويتم ايضا تعيين مدير للهيئة عضواً للهيئة وقد تم تعيين الاستاذ الدكتور محسن زهران لهذا المنصب وللمجلس ان يفوض مدير الهيئة في القيام بمهمة محددة..

واشارت المادة السادسة من القرار المذكور ان تتولى جامعة الاسكندرية دعم تنفيذ مشروع احياء مكتبة الاسكندرية علمياً واكاديمياً وفقاً للنظم التي تقررها ادارة الهيئة بالاتفاق مع مجلس الجامعة.

ونصت المادة السابعة من القرار ان مدير الهيئة يتم تعيينه من قبل رئيس الجمهورية بناء على عرض من وزير التعليم. ويتضمن القرار تحديد مرتباته وبدلاته، ويكون مدير الهيئة مسؤولاً عن تنفيذ سياسة الهيئة التي يخطها مجلس الادارة، ويتولى متابعة تنفيذ قراراته وتعريف شؤون الهيئة وفقا للقانون ولاحكام هذا القرار وتحت اشراف مجلس الادارة وفي حدود الاختصاصات الاخرى المخولة له في لوائح الهيئة.

مجلس ادارة الهيئة:

تناولت المادة الرابعة من القرار آنف الذكر كيفية تشكيل مجلس ادارة الهيئة على النحو المبين فيه على ان يصدر بذلك قرار من مجلس الوزراء.

ان تشكيل المجلس على النحو المبين في القرار منسجم مع متطلبات العمل في الهيئة ولو اننا كنا نحبذ ان تمثل وزارة المالية في هذا المجلس باعتبارها الجهة المهيمنة على الصرف وشؤون الميزانية، وبالتالي فان رأيها واستشارتها لاتخلوان من فائدة.

وكان قراراً موفقاً يتسم بالحكمة والمرونة حين اتاحت المادة اعلاه تعيين عدد لايتجاوز خمس من الشخصيات العامة ممن لهم مكانة خاصة في مجال الثقافة والفكر يختارهم وزير التعليم وذلك لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

وقد يثور هنا تساؤل في جواز تعيين غير المصريين بموجب هذا القرار، الامر الذي قد ينسحب معه هذا التساؤل، الى تساؤل آخر: هو هل ان مكتبة الاسكندرية هي مسؤولية مصر لوحدها، في نجاحها او اخفاقها؟ علماً بأن منظمة اليونسكو قد شاركت مصر في عضوية اللجنة.

ونترك هذا الموضوع مجالاً للمناقشة وصولاً الى افضل الآراء التي لاتبعدنا كثيراً عن الدعم العربي والدولي.

العناصر الوظيفية لمكتبة الاسكندرية:

ستكون المكتبة مؤسسة عامة لها شخصيتها القانونية المستقلة، وتتمثل السلطة العليا فيها في مجلس ادارة يتألف من عدد من الشخصيات البارزة، ويعين لها مدير عام يعهد اليه بتنفيذ السياسات والقرارات الصادرة عن مجلس الادارة، وكبير امناء المكتبة هو الذي يتولى سلطة البت في كل ما يتصل بالنشاط الداخلي للمكتبة: ادارتها وتعيين موظفيها ورسم سياسة الاقتناء وحل المشكلات الفنية، يعاونه في ذلك نائبان يتولى كل منهما الاشراف على قطاع يضم ثلاث ادارات.

اما المعهد الدولي لدراسات المعلومات فيتولى ادارته عميد يخضع للسلطة المباشرة لرئيس جامعة الاسكندرية.

وتتوزع انشطة المكتبة على ست ادارات يتولى المسؤولية عن كل منها رئيس ادارة.

قطاع الخدمات العامة

اولاً: ادارة الانشطة الثقافية

ليست المكتبة مجرد مجموعة من الكتب وانما هي مركز احياء ثقافي رفيع المستوى وينبغي ان يجري فيها نوعان من الانشطة:

- تنظيم معارض مؤقتة (للكتب - والنقوش وما الى ذلك).
- تنظيم مناسبات فنية (محاضرات، حفلات موسيقية وما الى ذلك).

تعد هذه الادارة بمثابة الواجهة التي تطالع بها المكتبة الجمهور، تضم مساحات واسعة تتيح حرية الحركة لافراد الجمهور المترددين على المكتبة. وذلك احد الاهداف التي تتوخاها مكتبة النشئ (ممن تتروا ح اعمارهم بين ١٤ و ١٨ سنة) الذين يتدربون على كيفية الاستفادة من المكتبة.

وتنطلق جميع انشطة هذه الادارة من قاعة واسعة هي «قاعة بطليموس» التي تذكر الزوار بمجد الاسكندرية في الازمنة القديمة، وبالدور الهام الذي لعبه البطالمة ودور العدد الكبير من العلماء الذين ارسوا اسس الروح العلمية منذ الفي سنة.

وسيكون من بين اسباب جذب جمهور الاسكندرية المثقف: قاعات متعددة الاغراض ومقصف ومحل لبيع الكتب والادوات الكتابية ومتاحف ومناطق العرض (متحف للخطوط ومتحف لتاريخ العلوم) وجناح فلكي.

وسيفضي احد منافذ قاعة بطليموس الى المكتبة الرئيسية عبر ممر واحد مراقب يطل على قاعة كاليماخوس.

ثانياً: ادارة مجموعات الكتب والدوريات

يشمل بهو المكتبة مساحة مخصصة للاستعلامات وقسما لاعارة الكتب فضلا عن اقسام توفر خدمات مفيدة للبحث ويذكر منها الاطلاع على الفهرس بواسطة الحاسب واستشارة قواعد البيانات وما الى ذلك. ومن البهو ايضا يمكن النفاذ الى الاقسام الخمسة التي توضع فيها الكتب، مصنفة تبعا للتخصصات المختلفة.

- مراجع عامة ، معاجم ، دوائر معارف ، الخ.
- الجغرافيا وعلم الاثار والتاريخ.
- تاريخ الفنون والعلوم والافكار والعلوم الاجتماعية، الخ.

- اللغات والاداب.

- العلوم والتقنيات.

مجموعة لكل بلد: ومن الاهداف التي تتوخاها المكتبة ان تتسم بطابع العالمية، اي ان تتيح الاطلاع على كتب تتناول جميع الموضوعات وصادرة عن جميع البلاد، لذلك فان كل بلد مدعو الى ان يهب المكتبة نخبة من انتاجه الوطني تتيح للعلماء الحصول على كافة المعلومات المفيدة لبحوثهم: دوائر معارف وطنية، اطالس تاريخية وجغرافية، مصنفات في القضاء، جداول احصائية واقتصادية وديموغرافية، ببلوغرافيات وطنية، نصوص كتبها مؤلفون قدامى ومعاصرون، مصنفات عن تاريخ الفنون والمعمار.. الخ. وسوف تحظى تلك المؤلفات والمصنفات بالاولوية نظرا للاهمية القصوى التي تتسم بها المجموعات المتماسكة.

ثالثاً: ادارة المجموعات الخاصة

استكمالا للكتب والدوريات، سيقتني ويحفظ في اربعة اقسام ما يظهر في الاسواق من دعامات معرفية متزايدة التعدد والتنوع.

- الوسائل السمعية البصرية والالكترونية التي يتطلب استخدامها اجهزة متطورة.

- ستجمع مخطوطات الكتب النادرة في هذا القسم لكي يتسنى الاطلاع عليها تحت اشراف المسؤولين، وكذلك الحال بالنسبة للوثائق الثمينة والفريدة.

- الخرائط الجغرافية والجيولوجية والبحرية وخرائط اعمال التنقيب الاثري وخرائط المدن الخ.

- المجموعات الموسيقية، وهي تتكون من ثلاث فئات من الوثائق: الكتب المؤلفة عن الموسيقي والمدونات الموسيقية والتسجيلات الصوتية.

وفي هذه الادارة تجمع المقتنيات تبعا لطبيعتها او كيفية الاطلاع عليها.

وسيورد الفهرس العام للمكتبة وصفا لجميع الوثائق مصنفة تبعا للمؤلف وتبعا للعنوان ووفقا للتخصص والموضوع، وكذلك بحسب مواضعها على الرفوف.

قطاع المرافق الداخلية:

اولاً: ادارة المرافق الادارية

تضم هذه الوحدة مكاتب الادارة وجميع الاقسام الادارية البحتة التي تحتاج اليها المؤسسة :

السكرتارية ، الموظفين، المواصلات السلكية واللاسلكية، الشؤون المالية، الترجمة، معالجة المعلومات.

ثانياً- ادارة المرافق العلمية

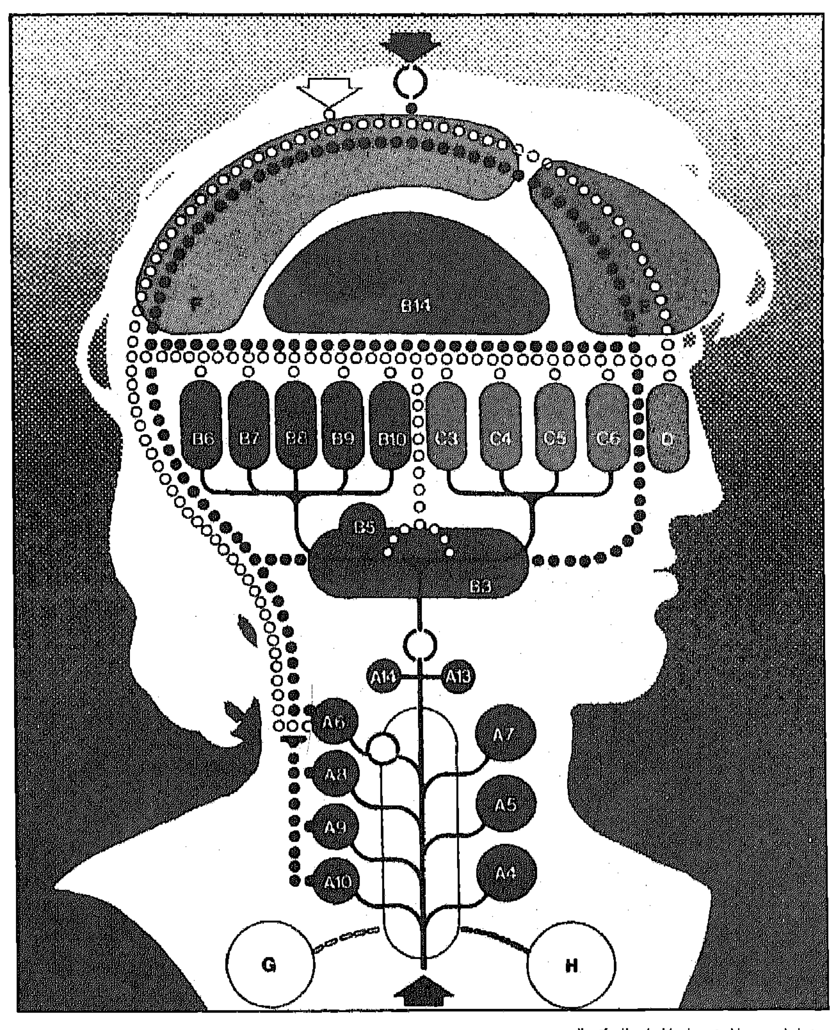
تجري في هذه الوحدة جميع الاعمال الضرورية لاقتناء كتب المكتبة وفهرستها وتكشيفها وخزنها في الحاسب، ففي حين ان قسماً خاصاً يتولى امر الدوريات، فان الكتب تأتي الى هذه الوحدة عبر ذلك القسم فقط.

ثالثاً: ادارة المرافق التقنية

تقدم هذه الادارة نوعين من الخدمات التقنية:

- الخدمات المتعلقة بالمكتبة مثل تجليد الكتب والمخطوطات ولصق البطاقات عليها وصونها وترميمها.

- الخدمات المتعلقة بالمبنى مثل اعمال النظافة والصيانة التقنية والامن وغرف الآلات.



مخطط يبين التشغيل العام للمكتبة

Public
Public
الجمهور

Personnel
Staff
الموظفون

Étudiants et personnel de l'ISIS (facultatif)
ISIS students and staff (optional)
طلبة وموظفو المعهد الدولي لدراسات المعلومات (ISIS) (اختياري)

Accès aux services du Centre de conférences (facultatif)
Access to Conference Centre Services (optional)
المدخل ال مرافق مركز المؤتمرات (اختياري)

OOO
Livres et documents
Books and Documents
الكتب والوثائق

(A) Département des activités culturelles
Cultural Activities Department
ادارة الأنشطة الثقافية

(B) Département des collections de livres et de périodiques
Books and Periodicals Collections Department
ادارة مجموعات الكتب والدوريات

(C) Département des collections spéciales
Special Collections Department
ادارة المجموعات الخاصة

(D) Département des services administratifs
Administrative Services Department
ادارة المرافق الادارية

(E) Département des services scientifiques
Technical Services Department
ادارة المرافق التقنية

(F) Département des services techniques
Operational Support Services Department
ادارة مرافق المساندة العملية

(G) École internationale des sciences de l'information
International School of Information Studies
المعهد الدولي لدراسات المعلومات

(H) Services complémentaires du Centre de conférences
Conference Centre Ancillary Services
المرافق المكملة لمركز المؤتمرات

نقاش حول مجالات اختصاصات المكتبة

تطرق الدكتور لويس عوض في مقاله «دراسات في الحضارة» (دار المستقبل العربي - بيروت ١٩٨١) بعنوان «الطريق الى الاسكندرية» آراء مستفيضة وطموحة حول مكتبة الاسكندرية الجديدة. وما يلفت نظري بصورة خاصة قوله:

«هذا إذن هو الطريق الى احياء مكتبة الاسكندرية: أن تجعل من نفسها أعظم مكتبة مراجع ووثائق لكل ما يتصل بالبحر المتوسط في كافة التخصصات منذ فجر التاريخ الى اليوم. أما أن تحاول المكتبة ان تحيط بكل شيء علما، فلن يؤدي إلاّ الى تبديد الجهد والمال. ولذا تجدني أنظر في تحفظ الى دعوة المشروع أن يكون هدفه السادس استيعاب «منجزات البحث العلمي الحديث»، فلست أظن أننا مستطيعون أن ننافس العالم المتقدم في تجميع أبحاث الفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة والبيولوجيا والجيولوجيا والفلك والرياضيات والهندسة والميكانيكا والديناميكا والهيدروليكا والملاحة والطيران الخ.. الخ.. لا أظن أننا نستطيع في العالم الحديث أن نصبح مركز الكون كما كنا في العالم القديم».

ويستطرد الدكتور لويس عوض بعد ذلك في مواضع متناثرة من المقال، ليقترح انشاء مركز للبحوث في البداية في دراسات تخصصية عليا تنتهي بوضع رسالة للدكتوراه بعد أربع سنوات في موضوع متصل بتخصص الأستاذ أو زميليه، على أساس تحديد المراجع الأساسية والمراجع العامة والكتب والدوريات التي يجب ان تقتنيها المكتبة لطالب البحث، وتكون مهمة المكتبة اقتناء هذه المراجع والكتب والدوريات اللازمة لأبحاث الباحثين.. الى أن قال: «فاذا نحن تواضعنا وقصرنا تصوّرنا لمكتبة الاسكندرية الجديدة على أنها مركز لدراسات البحر المتوسط، أمكن لنا في خلال ثلاثين سنة أن ننشيء.. الا لكساندريانا» المنشود: مكتبة متخصصة من مليون كتاب يؤمها العلماء من كل العالم بسبب تخصصها. وليس في هذا أمر معجز لو تقاسمت الأعباء دول البحر المتوسط والدول العربية والاسلامية الداخلة في كردون بمنح غير مشروطة وهبات غير ممنونة، وإذا أعان اليونسكو بالدعم والخبرة والتوجيه والتنسيق» الى آخر المقال.

<u>تعقيب :</u>

بالنسبة للشطر الأول، حول تحفظ الدكتور صاحب المقال في دعوة المشروع أن يكون أحد أهدافه استيعاب «منجزات العلم الحديث» مبرّراً شكّه في أن تستطيع مصر منافسة العالم المتقدم في تجميع الأبحاث العلمية المختلفة وبامكانها بالتالي في العالم الحديث ان تصبح مركز الكون كما كانت في العالم القديم.

بهذا الصدد نود أن نشير الى ان المادة الثانية من قرار رئيس الجمهورية قد أوضحت بأن الهيئة تهدف الى تكوين مكتبة عالمية ومركز للاشعاع الثقافي والفكري في خدمة البحث العلمي وتحتوي على كل ما أنتجه العقل في أية صورة متاحة من شتى الحضارات القديمة والحديثة وبكل اللغات.

ومعروف ان عبارة «في أية صورة متاحة» تعني المحاولة في الحصول على ما يمكن الحصول عليه ونستبعد عبارة (عدم امكان الاستيعاب) لأنها تؤدي الى اسدال منافذ الفكر والبحث والدراسة في مؤسسة عملاقة ترتوي من كل المناهل وتروي كل الحقول.

أما القول بأننا لن نستطيع في العالم الحديث أن نصبح مركز الكون كما كنا في العالم القديم، فيكفينا أن نكون أحد مراكزه، ولا ضرر في ذلك، فالمراكز العلمية، اليوم، متكاملة لا تكاد تكون متخصصة.

بالنسبة للشطر الثاني، حول انشاء مركز للبحوث، في البداية، في دراسات تخصصية عليا تنتهي بوضع رسالة للدكتوراة بعد أربع سنوات في موضوع متصل بتخصص الاستاذ أو زميليه، فاني أكاد أتخيل بأن المكتبة وقد استحالت في منهاجها الى دراسة أكاديمية وفق الطريقة التي تنهجها في قليل أو كثير.

وقد ارتأى الاستاذ الدكتور في أن تكون مكتبة الاسكندرية الجديدة مركزاً لدراسات البحر المتوسط حيث يمكن عندئذ في خلال ثلاثين سنة انشاء «الالكساندريانا» المنشودة: مكتبة متخصصة من مليون كتاب يؤمها العلماء من كل العالم بسبب تخصصها، وليس في هذا أمر معجز لو تقاسمت الأعباء دول البحر المتوسط والدول العربية والاسلامية الداخلة في كردون البحث بمنح غير مشروطة وهبات غير ممنوعة، واذا أعان اليونسكو بالدعم والخبرة والتوجيه والتنسيق.

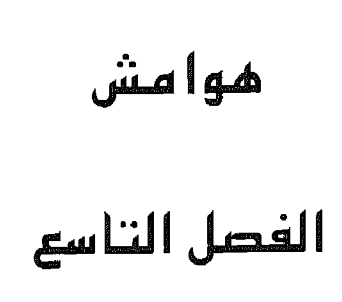
وفي هذا الصدد، أود أن أشير الى كلمة السيد الرئيس محمد حسني مبارك في ختام الاحتفال التاريخي لاصدار اعلان أسوان العالم في ١٢ فبراير ١٩٩٠ التي ورد في احدى فقراتها النص التالي:

«... نرجو أن تضم مكتبة الاسكندرية الأكاديمية كل الوثائق والموسوعات والمؤلفات القديمة والحديثة، التي تتصل بمصر وحوض البحر المتوسط، وأفريقيا والشرق الأوسط، مع الاهتمام بصفة خاصة بالاسكندرية».

وبغضّ النظر الى القيود الافتراضية التي اقترحها الدكتور. فان النص المذكور وكذلك قرار السيد رئيس الجمهورية رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨ خاصة في المادتين (٢) و (٣/٢/١/٣) فقد تضمنا بأكثر مما هو مقترح.

وأخيراً وليس آخراً، ونحن نختتم هذا الفصل، أن نشيد بالذكر، والثقة تغمرنا، بأننا نأمل الكثير والكثير من مكتبة الاسكندرية الجديدة، على أن لا ننسى بأنه يتعذر قبل هذا الكثير في المراحل الأولى من قيام هذه المكتبة بكل أنشطتها، فلابد من مرور بعض الوقت لتتفاعل هذه الأنشطة مع الممارسات والاتصالات والخبرات العلمية وغير ذلك من الأمور التي ستجليها بواعث التطلعات وتحقيق ما نصبو اليه.

والله ولي التوفيق،،



هوامش

الفصل التاسع

هوامش الفصل التاسع

١- نينوى NINEVEH:

عاصمة أشور القديمة. تقوم أطلالها على الضفة الشرقية من نهر دجلة، تجاه مدينة الموصل بشمال العراق، دمرّها عام ٦١٢ ق. م. ملك بابل نيبوبولاسر NABOPOLASSAR (حكم من عام ٦٢٥ الى ٦٠٥ ق. م.) ومؤسس الامبراطورية الكلدانية (عام ٦٢٥ ق. م.) تحالف مع الميديين MEDES ضد الآشوريين، فُوفِق الفريقان الى تدمير نينوى والقضاء على الامبراطورية الأشورية (عام ٦١٢ ق. م.).

وقد كشفت الحفريات التي أجريت فيها، ابتداء من عام ١٨٤٥، عن قصر الملك «سنحاريب SENNACHERIB» وقصر الملك «أشوربانيبال ASHURBANIPAL».

٢- أوغاريت UGARIT:

مدينة كنعانية قديمة كشفت الحفريات عنها في رأس شمرا RAS SHAMRA الواقعة الى الشمال من مدينة اللاذقية بسوريا. ورد ذكرها في النقوش المصرية، وفي رسائل تل العمارنة(*)، وفي المدوّنات الحيثية. يرقى تاريخها الى الألف السابع قبل الميلاد، وقد بلغت أوج ازدهارها في الفترة الممتدّة ما بين عام ١٤٥٠ وعام ١١٩٥ قبل الميلاد، على وجه التقريب. وتشمل خرائب هذه الفترة مجموعة من القصورة والهياكل والمكتبات، وألواحاً فخارية تحمل بالخط المسماري. وقد كشفت عن ذلك كله بعثة آثارية فرنسية بدأت العمل في العام ١٩٢٩.

(*) تل العمارنة TAL AL-AMARNA (أخناتون AKHETATON):

بلدة قديمة في مصر العليا تقع الى الشمال من أسيوط بناها أخناتون AKHENATON حوالي العام ١٣٧٥ قبل الميلاد، عندما نادى بواحدانية الله، وجعل منها عاصمةً جديدة لملكته. ولكنها سرعان ما هُجرت بعد وفاته. اسمها القديم «اخناتون».

أ ما رسائل العمارنة أو ألواح العمارنة AMARNA LETTERS OR TABLETS فهي مجموعة رسائل دبلوماسية تبادلها فرعونا مصر «أمنحتب الثالث AMENHOTEP III» و«أمنحتَب الرابع (أخناتون AKHENATON)» خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد، مع عدد من أمراء آسيا الغربية وملوكها. يربو عددها على ثلاثمائة رسالة منقوشة بالخط المسماري على ألواح من طين عثر عليها في بلدة تل العمارنة بمصر عام ١٨٨٦ ومن هنا جاء اسمها.

٣- بلينيوس PLIVY (٢٣ - ٧٩):

موسوعي روماني. عمّ بلينيوس الأصغر (القنصل والمؤلف الروماني المشهور برسائله في عشرة مجلدات) صاحب موسوعة «التاريخ الطبيعي HISTORIA NATURALIS» التي تقع في ٣٧ مجلّداً وتغطّي موضوعاتها علوم الفلك والتشريح والحيوان والنبات والجغرافية والطب والمعادن وغيرها. قضى نحبه اختناقاً قرب بومبيي يوم ثار بركان فيزوف VESUVIUS عام ٧٩ للميلاد. يعرف بـ «الأرشد THE ELDER».

٤- أتالوس: راجع الهامش (١٥) من الفصل السادس.

٥- بطلميوس الظاهر (٢٠٥ - ١٨١ ق. م.):

هو بطلميوس الخامس (أبيفانس EPIPHANE)، ابن بطلميوس الرابع، وقد تزوّج كليوبترة ابنة انيتوخس الثالث الملك السليوقي.

٦- يومنيس الثاني: راجع الهامش رقم (١٦) من الفصل.

٧- كان الرق (والجلد) يعرف أيضا في اليونانية باسم DERMA وفي اللاتينية باسم MEMBRANA. وقد درج الابحثون الآن على تسميته باسم VELLUM (وهي تقابل كلمة VELLUS اللاتينية بمعنى جلد الماعز أو الماشية)، وفي الانكليزية باسم PARCHMENT (وهي مشتقة من كلمة PERGAMENA أو PERGAMINA التي تدل أيضا على الرق).

(مصادر التاريخ الروماني / د. عباللطيف أحمد علي)

٨- بلوتارك PLUTARCH (٤٦ - ١٢٠م):

كاتب سيريوناني. كان لأعماله أبعد الأثر في تطوّر فن «المقالة» وفن «السيرة» في أوربا ابتداء من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر. وضع كتابين شهيرين هما «سير متوازية لنبلاء الاغريق والرومان PARALLEL LIVES OF NOBLE GREEK AND ROMANX» و«الاخلاق ETHICA أو MORALIA» وهو يشتمل على أكثر من ستين مقالة في الأخلاق والدين والسياسة والأدب وغيرها.

٩- منارة فاروس بالاسكندرية PHAROS OF ALEXANDRIA:

فاروس PHAROS جزيرة سابقة قرب الاسكندرية. وقد أمر الاسكندر المقدوني بوصلها بالبرّ. أقيمت عليها منارة (فنار) LIGHTHOUSE اعتُبرت احدى عجائب الدنيا السبع وعرفت بمنارة الاسكندرية.

وقد بنى هذه المنارة بطليموس الثاني PTOLMY II (فيلادلفوس) حوالي عام ٢٨٠ قبل الميلاد. وكان ارتفاعها يزيد على ٤٤٠ قدماً (حوالي ١٣٥ متراً)، وانها كانت تتألف من ثلاثة أدوار، أولها مربع، وثانيها ثماني الأضلاع، وأعلاها اسطواني الشكل.

وكانت هذه المنارة تؤدي مهمتها عن طريق عاكسات تركزّ الضوء المنبعث من أخشاب تُضرَم فيها النار فيلمحها الملاحون من على بعد مقداره خمسة وثلاثون ميلاً (حوالي ٥٦ كيلومتراً).

وقد دمّر الزلزال منارة الاسكندرية، تدميراً جزئياً في ٧ أغسطس ١٣٠٣ للميلاد، ثم دمّرها تدميراً كلّياً حوالي العام ١٣٤٦. وقد حلت قلعة قايتباي مكان المنارة.

١٠- ايسخيلوس AESCHYLUS (٥٢٥ - ٤٥٦ ق. م.):

شاعر اغريقي شارك في معركة ماراثون MARATHON التي هزم فيها الأثينيون القوات الفارسية (عام ٤٩٠ ق. م) يعتبر أبا المأساة أو التراجيديا اليونانية وضع نحواً من تسعين مسرحية وصلتنا منها سبع كاملات. عُني بصورة خاصة اظهار عدالة الآلهة. من أشهر مآسيه الباقية: «أغاممنون AGAMEMNON»، و«الفرس THE PERSIANS» و«برميثيوس مصفّدا PROMETHEUS BOUND».

١١- سوفوكليس (سوفوكل) ٤٩٦ - ٤٠٦ ق. م:

مؤلف مسرحي يوناني. يعتبر هو وايسخيلوس ويوريبيدس أعظم المسرحيين التراجيديين في الأدب اليوناني القديم. وضع نحواً من ١٢٣ تراجيديا شعريا لم يصلنا منها غير سبع. وأشهر هذه التراجيديات «أوديب ملكا OEDIPUS REX» و «الكترا ELECTRA» و «أنتيغوني ANTIGONE».

١٢- يوريبيدز EURIPIDES ٤٨٤ - ٤٠٦ ق. م:

أحد أعظم شعراء التراجيديا اليونان. وضع نحواً من ٩٢ مسرحية لم يبق منها غير ثماني عشرة. استمدّ عقد مسرحياته من الميثولوجيا، ولكنه رسم شخصيات تلك المسرحيات بحيث بدت وكأنها رجال ونساء من أهل العصر الذي عاش فيه.

من أشهر آثاره الباقية «هيلانة HELEN» و «اندروماك ANDROMACHE» و «الكترا ELECTRA» و«أوريست ORESTES» و «النساء الطروادیات TROADES» و «النساء الفينيقيات PHOENISSAE».

١٣- د. سعد محمد الهجرسي:

المكتبات والمعلومات - دار المريخ للنشر - الرياض ١٩٩١ - ص ٦٤٩

١٤- الفرد هيسيل - ترجمة: د / شعبان عبدالعزيز خليفة

تاريخ المكتبات - دار المريخ للنشر ط ٢ - الرياض ١٩٨٠ - ص ٩.

١٥- برغاموم (أو برغامون أو برغاموس) PERGAMUM (OR PERGAMON OR PERGAMOS):

مملكة يونانية قديمة شملت أراضيها القسم الأعظم من آسيا الصغرى. بلغت أوج ازدهارها ما بين عام ٢٦٣ وعام ١٣٣ قبل الميلاد.

وبلدة برغاما BERGAMA هي في الجزء الغربي من تركيا في ولاية أزمير، وكانت فيما مضى عاصمة مملكة برغاموم القديمة.

١٦- الأتاليون (الهلنسية) ATTALUS:

اسم لثلاثة ملوك برغاموم:

أ - أتالوس الأول: حكم ٢٤١ - ١٩٧ ق. م ومؤسس مكتبة برغاموم

ب- أتالوس الثاني: ١٦٠ - ١٣٨ ق. م

جـ - أتالوس الثالث : ١٣٨ - ١٣٣ ق. م

١٧- يومينس الثاني EUMENES II (حكم من ١٩٧ الى ١٥٩ ق. م):

أكبر أبناء «أتالوس الأول ATTALUS 1» ملك برغاموم (الهامش ١٦ أعلاه). وقد كان يومينس حليفاً لروما ضد «أنطوخيو الثالث ANTIOCHUS III ٢٤٢ - ١٨٧ ق. م» ملك سوريا السلوقي THE KING OF SYRIA OF THE SELEUCID DYNASTY وضد مقدونيا MACEDONIA.

وأعطى بمقتضى صلح أباميا ١٨٨ شبه جزيرة تراقي (غاليبولي GALLIPOLI) وأكثر آسيا الصغرى السلوقية. وقد جعل يومينس برغاموم مركزاً للعلم والمعرفة، وأسّس فيها مكتبة عظيمة، كما بنى مذبحاً كنسياً ALTAR OF PERGAMON منحوتا لبرغاموم (هي الآن موجودة في متحف برلين) وعندما أخفقت روما في احراز نصر سريع على برسيوس (آخر ملوك مقدونيا) في الحرب المقدونية الثالثة (١٧١ - ١٦٨) وقيام يومينس بالتفاوض سرّاً مع برسيوس، فقد ثقة السناتو الروماني الذي منح ثقته لأخيه أتالوس الثاني.

١٨- تراجان: الفرد هيسيل ص ١٧.

١٩- أفيسوس EPHESUS:

مدينة يونانية قديمة، تعتبر واحدة من أعظم المدن الأيونية IONIAN في آسيا الصغرى. تقع على مقربة من ساحل بحر ايجه. أخضعها ملك ليديا كروسّوس (أو قارون) CROESUS، في القرن السادس قبل الميلاد، لحكمه، ثم خضعت بعد ذلك لحكم الفرس والأثينين وأهل اسبارطة. وبعد عام ١٣٣ قبل الميلاد خضعت لسلطان روما. كان فيها هيكل آرتميس ARTEMIS الذي عدّه القدماء احدى عجائب الدنيا السبع، عُقد فيها مجمع كنسي عام ٤٣١، اعتبر نسطوريوس NESTORIUS مهرطقاً.

٢٠- دراسات في الحضارة ص ٨١ - ٨٣.

الملاحــــق

الملاحـــق

ملحق (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار السيد رئيس جمهورية مصر العربية

رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨

بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية

رئيس الجمهورية:

بعد الإطلاع على الدستور، وعلى القانون رقم ٦١ لسنة ١٩٦٣م بإصدار قانون الهيئات العامة، وعلى القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٢م بشأن تنظيم الجامعات، وعلى القانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٧٢م بشأن الموازنة العامة للدولة، وعلى القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٨١م بشأن المحاسبة الحكومية، وعلى القانون رقم ١٣٩ لسنة ١٩٨١م بإصدار قانون التعليم، وعلى قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ١٣٦٩ لسنة ١٩٨٧م بتشكيل لجنة قومية عليا لمشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة، وبعد موافقة مجلس الوزراء، وبناء على ما ارتآه مجلس الدولة، قرر:

مادة ١:

تنشأ هيئة عامة تسمى: الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية: تكون لها الشخصية الاعتبارية ومقرها مدينة الإسكندرية وتتبع وزير التعليم.

مادة ٢:

تهدف الهيئة الى تنفيذ وإدارة مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة لتكوين مكتبة عالمية ومركز للإشعاع الثقافي والفكري في خدمة البحث العلمي وتحتوي على كل ما أنتجه العقل البشر في أية صورة متاحة من شتى الحضارات القديمة والحديثة وبجميع اللغات، فضلا عن اجراء الدراسات المتصلة بالأسس التاريخية والجغرافية والثقافية لمصر ومنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة ولمدينة الإسكندرية بصفة خاصة.

مادة ٣:

للهيئة في سبيل تحقيق أغراضها مباشرة جميع الأعمال المتصلة بأنشطتها ولها على الأخص ما يأتي:

١- الحصول على كل ما هو متاح من الكتب والدوريات والمخطوطات أو مصوراتها بأنواعها المختلفة، خاصة مما له صلة بالتراث العلمي والثقافي والفكري للبلاد الكائنة على حوض البحر المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط.

٢- الحصول على الدراسات الخاصة بالحضارة المصرية في جميع العصور وتجميع كل منشورات البردية والنقوش الكتابية في اللغات المختلفة سواء المصرية القديمة أو اليونانية أو اللاتينية أو الأرامية أو القبطية أو العربية أو غيرها.

٣- الحصول على المخطوطات أو مصوراتها باللغات العربية والفارسية والتركية والعبرية والسريانية واللغات الشرقية الاخرى التي الإنجازات الفكرية للعالم الاسلامي.

٤- تكوين مجموعات خاصة بالدراسات الأفريقية تضم جميع المنشورات المشتملة على النقوش التقليدية وكذلك الدراسات العلمية الحديثة التي تتناول شؤون القارة الافريقية.

٥- الحصول على جميع الدراسات المتعلقة بتاريخ العالم وخصوصاً تاريخ منطقة الشرق الأوسط.

٦- الحصول على حميع الدراسات الخاصة بتاريخ الطب والعلوم الأخرى المختلفة وإنجازات الحركة العلمية الحديثة.

٧- إنشاء معهد عالي دولي للمكتبات أو غيره من معاهد أو مراكز البحوث والدراسات.

٨- إنشاء قاعات لعرض القبة السماوية ولعرض تاريخ الكتابة وأدواتها ووسائلها وقاعات للموسيقى.

٩- إنشاء قاعة لتخليد الأعلام من رجال الفكر والعلم في التاريخ الإنساني.

١٠- إنشاء مكتبات للأسطوانات والأفلام وأرشيف للصور والشرائح التصويرية للشخصيات والمعالم ذات الأهمية في المنطقة.

١١- إعداد شبكة إلكترونية لتبادل المعلومات مع مكتبات العالم والجهات الخارجية.

١٢- إعداد فهارس متكاملة بالكمبيوتر في شتى مجالات أنشطة الهيئة.

١٣- إنشاء مركز للوثائق والإحصاء.

١٤- إنشاء مطبعة حديثة تزود بأحرف الكتابة الهيروغليفية واليونانية واللاتينية العبرية وغيرها ومجموعة متكاملة للرموز والعلامات العلمية والرياضية.

١٥- إنشاء ورشة لصيانة الكتب وترميمها وتجليدها وتقديم جميع التسهيلات للتصوير بأنواعها المختلفة.

مادة ٤:

يشكل مجلس إدارة الهيئة من مجلس الوزراء على الوجه الآتي:

- وزير التعليم رئيساً
- رئيس جامعة الإسكندرية نائبا للرئيس.
- محافظ الإسكندرية أو من ينيبه.
- ثلاثة من الأساتذة بجامعة الإسكندرية يختارهم مجلس الجامعة لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.
- ممثل لكل من وزارات الثقافة والإعلام والسياحة والتعليم العالي والتربية والتعليم والخارجية يختارهم الوزراء المختصون، أعضاء.
- عدد لا يجاوز خمسة من الشخصيات العامة ممن لهم مكانة خاصة في مجال الثقافة والفكر يختارهم وزير التعليم وذلك لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.
- مدير الهيئة.

ولمجلس الإدارة أن يشكل لجانا من أعضائه للقيام بدراسات أو أبحاث أو مهام معينة، وله أن يعهد إليها ببعض اختصاصاته. وللمجلس أن يفوض مدير الهيئة في القيام بمهمة محددة. وتحدد بقرار من رئيس مجلس الوزراء المكافآت التي تصرف لأعضاء مجلس الإدارة.

مادة ٥:

مجلس إدارة الهيئة هو السلطة المهيمنة على شؤونها وتصريف أمورها وإقرار السياسة التي تسير عليها وله أن ما يراه لازما من قراراته لتحقيق الغرض الذي أنشأت الهيئة من أجله وذلك في حدود السياسة العامة للدولة في مجال العلم والفكر وتنمية القيم الإنسانية والحضارية. وله على الأخص ما يأتي:

١- إصدار اللائحة الداخلية للهيئة واللوائح المنظمة للشؤون العلمية والإدارية والفنية، ويكون إصدار اللوائح المالية بعد موافقة وزارة المالية.

٢- إقرار الخطط اللازمة لإتمام تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الاسكندرية والعمل على تذليل ما يعترضه من عقبات.

٣- وضع اللوائح المتعلقة بشؤون العاملين بالهيئة وتحديد مرتباتهم ومكافآتهم دون التقيد بالنظم

الحكومية، وذلك بمراعاة الحدود القصوى للمرتبات المنصوص عليها في قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة.

٤- وضع الهيكل التنظيمي للهيئة وجداول الوظائف بها.

٥- اجراء الاتصالات بالهيئات وبالدول الأجنبية والمؤسسات العامة والشخصيات البارزة التي تهتم بتنفيذ المشروع لدعوتها للمساهمة فيه بالأساليب التي تتراءى لها ويقبلها مجلس الإدارة.

٦- قبول الإعانات والهبات والتبرعات والوصايا والإسهامات الداخلية منها والخارجية التي تتفق مع أغراض الهيئة وذلك في حدود النظم المقررة.

٧- النظر في التقارير الدورية التي تقدم عن سير العمل بالهيئة ومركزها العالي.

٨- الموافقة على مشروع الهيئة وحسابها الختامي.

٩- مباشرة جميع التصرفات اللازمة لإدارة الهيئة.

١٠- النظر في كل ما يرى رئيس مجلس الإدارة عرضه من مسائل تدخل في اختصاص الهيئة وتعرض قرارات مجلس الإدارة على وزير التعليم لأعتمادها.

مادة ٦:

تتولى جامعة الإسكندرية دعم تنفيذ مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية علميا وأكاديميا وفقا للنظم التي يقررها مجلس إدارة الهيئة بالاتفاق مع مجلس الجامعة.

مادة ٧:

يصدر بتعيين مدير الهيئة قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض وزير التعليم ويتضمن القرار تحديد مرتباته وبدلاته.

ويكون مدير الهيئة مسئولا عن تنفيذ سياسة الهيئة التي يخطها مجلس الإدارة. ويتولى متباعة تنفيذ قراراته وتعريف شؤون الهيئة وفقا للقانون ولأحكام هذا القرار وتحت إشراف مجلس الإدارة وفي حدود الاختصاصات الأخرى المخولة له في لوائح الهيئة.

مادة ٨:

تتكون موارد الهيئة مما يأتي:

١- ما تدرجه الدولة من إعتمادات لها في الموازنة.

٢- الإعانات والتبرعات والهبات والوصايا والإسهامات الداخلية والخارجية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣- القروض التي تعقد لصالح الهيئة.

٤- مقابل الخدمات التي تقدمها الهيئة.

٥- عائد استثمار أموال الهيئة.

٦- أية موارد أخرى تتقرّر للهيئة.

مادة ٩:

يكون للهيئة موازنة خاصة في إطار الموازنة العامة للدولة وتبدأ السنة المالية للهيئة ببداية السنة المالية للدولة وتنتهي بنهايتها. ويفتح حساب خاص للهيئة بالبنك المركزي المصري أو بأحد البنوك التجارية بموافقة وزارة المالية تودع فيه أموالها، ويرحل فائض هذا الحساب من سنة مالية الى أخرى.

مادة ١٠:

ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية، ويعمل به من اليوم التالي لتاريخ نشره.

صدر برئاسة الجهورية في (٤ جمادى الأولى سنة ١٤٠٩ - ١٤ ديسمبر سنة ١٩٨٨)

البرنامج الزمني لمشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة



المصادر الرئيسية
العربية والانكليزية
الموسوعات والمعجمات

المصادر الرئيسية
العربية والانكليزية
الموسوعات والمعجمات

المصادر الرئيسية
- العربية -

- أ -

١- الأدب اليوناني القديم (ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي)

د / علي عبدالواحد وافي

دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة ١٩٧٩.

٢- الاسكندر الأكبر (المقدوني)

بسام العسلي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٨٠.

٣- الاغريق والرومان والشرق الاغريقي الروماني

د / حسن صبري بكري

عالم الكتب - الرياض ١٩٨٥.

٤- كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء

الوزير جمال الدين أبوالحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القنطي

مكتبة المتنبي - القاهرة.

٥- الأسرة المصرية في عصورها القديمة

د / عبدالعزيز صالح

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨.

٦- الأساطير الاغريقية والرومانية
ب. كوملان - ترجمة: أحمد رضا محمد رضا
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢.

٧- افلاطون
عبدالرحمن بدوي
دار القلم - بيروت ١٩٧٩.

٨- افلاطون
د / مصطفى غالب
مكتبة الهلال - بيروت ١٩٧٩.

٩- افلاطون
غاستوف مير - تعريب: د. بشارة صارجي
سلسلة أعلام الفكر العالمي - بيروت ١٩٨٠).

١٠- أرسطو / ط ٢
عبدالرحمن بدوي
دار القلم - بيروت ١٩٨٠.

١١- اختراعات واكتشافات
الشركة الشرقية للمطبوعات - لبنان.

١٢- أساطير اغريقية ط ٢
د / عبدالمعطي شعراوي
مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٩٢.

- ت -

١- تاريخ التمدّن الاسلامي - ج ٢
جرجي زيدان
منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

٢- التاريخ الروماني - عصر الثورة
د / عبداللطيف أحمد علي
دار النهضة العربية - بيروت.
٣- تاريخ مختصر الدول
ابن العبري
دار الرائد اللبناني - بيروت ١٩٨٣.
٤- تاريخ الفن المصري القديم
محرم كمال
مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٩١.
٥- تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي
جيمس المفري برستد - ترجمة: د / حسن كمال
مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٩٠.
٦- تاريخ مصر الى الفتح العثماني
عمر الاسكندري و ا. ج. سفرج
مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٩٠.
٧- تاريخ الرومان وأدبهم وآثارهم
آ. بتري A. PETRIE - ترجمة: د / يؤذيل يوسف عزيز
مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ١٩٧٧.
٨- تاريخ العالم
بول أوروسيوس PAULUS OROSIOUS - ترجمة: د / عبدالرحمن بدوي
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٨٢.
٩- التاريخ اليوناني (العصر الهللاردي)
د / عبداللطيف أحمد علي
دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧١.

١٠- تاريخ العلوم عند العرب ط ٤
عمر تروخ
دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٤.

١١- تاريخ الفلسفة اليونانية – من طاليس (٥٨٥ ق. م) الى أفلوطين (٢٧٠م) وبرقليس (٣٨٥م)
د / ماجد فخري
دار العلم للملايين – بيروت ١٩٩١.

١٢- تاريخ الفلسفة اليونانية
وولتر ستيس W. T. STACE – ترجمة: مجاهد عبدالمنعم مجاهد
دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٨٤.

١٣- تاريخ الفلسفة اليونانية
يوسف كرم
دار القلم – بيروت ط ٣.

١٤- تاريخ المكتبات ط ٢
الفريد هيسيل – ترجمة: د / شعبان عبدالعزيز خليفة
دار المريخ للنشر ١٩٨٠.

١٥- تاريخ الحضارات العام ٨ أجزاء
اندريه ايمار وجانين أوبايه – نقله الى العربية: فريدم داغر وفؤاد ج. أبو ريحان
منشورات عويدات – بيروت – بارس.

١٦- تاريخ العالم ط ٢ – ٧ أجزاء
السيرجون: ا. هامرت – الاشراف على الترجمة: ادارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم
مكتبة النهضة المصرية – القاهرة.

١٧- تاريخ الفلسفة الغربية ط ٣
براتراند رسل – ترجمة: د / زكي نجيب محمود
لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧٨.

١٨ – تاريخ الطبري – ١٣ جزء – ط ٢
محمد بن جرير الطبري
مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ١٩٨٧.

– ج –

١- جمهورية افلاطون ط ٥
نقلها الى العربية: حنا خباز
دار القلم – بيروت ١٩٨٥.

٢- الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ط ٢
د / محمد عبدالرحمن مرحبا
منشورات عويدات – بيروت ١٩٨٨.

– ح –

١- حضارة روما
دونالد ر. دودلي (ترجمة: جميل يواقيم الذهبي)
دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩.

٢- حضارات الشرق القديم
وهيب ابنى فاضل
مكتبة حبيب ١٩٨٥.

٣- حضارة مصر أرض الكنانة
د / سليمان حزيّن
دار الشروق – بيروت ١٩٩١.

٤- الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى
د / محمد فتحي الشاعر
توزيع: دار المعارف – مصر ١٩٩١.

٥- حضارة العربُ في عصر الجاهلية
د / حسين الحاج حسين
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٨٤.
٦- حمورابي البابلي وعصره
دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر - دمشق ١٩٩٠
د / هورست كلينكل - (تعريب: محمد وحيد خياطة).
٧- حكام مصر من الفراعنة الى اليوم ط ٤
د / ناصر الأنصاري
دار الشروق - القاهرة ١٩٩١.

- خ -

١- خزائن الكتب القديمة في العراق (منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة) ط ٢
كوركيس عواد
دار الرائد العربي - بيروت ١٩٨٦.

- د -

١- دراسات مختارة في المكتبات والتوثيق والاعلام
اعداد: عبدالله عمر البارودي
مركز الخدمات والأبحاث الثقافية - عالم الكتب - بيروت ١٩٨٣.
٢- دراسات في الحضارة
د / لويس عوض
دار المستقبل العربي - بيروت ١٩٨١.

٣- دراسات في تاريخ الشرق القديم ط ٤

٤- دراسات في الكتب والمكتبات

د / عبدالستار الحلوجي

مكتبة مصباح - جدة ١٩٨٨.

٥- الدولة البيزنطية

الدكتور السيد الباز العريني

دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٢.

٦- دراسات نقدية في المصادر التاريخية

د / محمد كمال الدين عزالدين علي

عالم الكتب - بيروت ١٩٩٣.

٧- دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم (مصر، العراق، ايران)

د / أحمد أمين سليم

دار النهضة - بيروت ١٩٩٢.

٨- دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية

انعام الجندي

مؤسسة الشرق الأوسط للطباعة والنشر - بيروت.

- ر -

١- ربيع الفكر اليوناني (ط ٥)

عبدالرحمن بدوي - دار القلم

بيروت ١٩٧٩.

٢- رحلة ابن بطوطة

شرح: طلال حرب

دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧.

٢- رحلة ابن بطوطة

شرح: طلال حرب

دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧.

- س -

١- سقراط

أ- محمد كامل حسن

منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٩.

ب - اندريه كريسون - تعريب: بشارة صارحي

(سلسلة أعلام الفكر العالمي - بيروت ١٩٨٠).

- ش -

١- شمس العرب تسطع على الغرب ط ٨

زيغريدهونكة - ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي

دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٨٦.

- ع -

١- العصور القديمة (نقله الى العربية: داود قربان)

الدكتور جايمس هنري براستد

مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٣.

٢- علم المكتبات والمعلومات

محمد ماهر حمادة

مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٦.

٣- العالم البيزنطي ط ٣
ج. م. هسّي - ترجمة: د / رأفت عبدالحميد
دار المعارف - القاهرة ١٩٨٤.
٤- عندما حكمت مصر الشرق
ج. شتيندرف، ك. سيل، - ترجمة: محمد العزب موسى
مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٩٠.
٥- العرب قبل الاسلام
جرجي زيدان
دار مكتبة الحياة - بيروت.
٦- عبقرية عمر
عباس محمود العقاد
منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت.

- ف -

١- فتوح البلدان
البلاذري
منشورات مؤسسة المعارف - بيروت ١٩٨٧.
٢- في سبيل موسوعة فلسفية (٤)
د / مصطفى غالب
منشورات دار ومكتبة الهلال.
٣- فتوح مصر وأخبارها
ابوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله القرشي المصري
مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٩١.

٤- فتح العرب لمصر

د / الفرد. ج. بتلر - تعريب: محمد فريد ابوحديد بك

مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٩٠.

٥- الفهرست

لابن النديم

دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

- ق -

١- قصة الكتابة العربية

ابراهيم جمعة

دار الهناء - القاهرة.

٢- قصة الأدب في العالم

تصنيف: أحمد أمين وتركي نجيب محمود

مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

- ك -

١- الكامل في التاريخ (٩ أجزاء) ط ٦

ابن الأثير

دار الكتاب العربي - بيروت.

٢- الكامل في التاريخ ٢٩ جزء

لابن الاثير - تحقيق: ابي الفداء عبدالله القاضي

دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧.

- ل -

١- لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات

د / عبدالستار الحلوجي

دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة ٩٠ / ١٩٩١.

- م -

١- مصر القديمة (جزءان)

سليم حسن

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣.

٢- أ- مصر القديمة في عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العهد الأهناسي (الجزء الأول).

ب - مصر القديمة في مدنية مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الأهناسي (الجزء الثاني)

سليم حسن.

٣- مختصر دراسة للتاريخ (٤ أجزاء)

أرنولد توينبي - ترجمة: فؤاد محمد شبل

الادارة الثقافة في جامعة الدول العربية ط ٢ - ١٩٦٥.

٤- مصادر التاريخ الروماني

د / عبداللطيف أحمد علي

دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٠.

٥- مصر في فجر الاسلام ط ٣

سيدة اسماعيل كاشف

دار الرائد العربي - بيروت ١٩٨٦.

٦- المكتبات والمعلومات

د / سعد محمد الهجرسي

دار المريخ للنشر - الرياض - ١٩٩١.

٧- مصر في العصور القديمة

ابراهيم نمير سيف الدين - زكي علي - احمد نجيب هاشم

مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٩١.

٨- الملف الوثائقي لمكتبة الاسكندرية

مؤسسة الاهرام.

٩- ماوراء التاريخ

وليام هاولز w. wowells - ترجمة: د / أحمد أبو زيد

دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٤.

١٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤ أجزاء ط ٥

المسعودي

دار الفكر - بيروت ١٩٧٣.

١١- مصر الرومانية

نفتالي لويس NAPHTALI LEWIS - ترجمة: د / فوزي مكاوي

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤.

١٢- مصر: من الاسكندر الأكبر الى الفتح العربي

د / مصطفى العبادي -

مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٩٢.

١٣- المعنى الاجتماعي للمكتبة

د / أحمد أنور عمر

دار المريخ للنشر - الرياض ١٩٨٣.

١٤- مكتبة الاسكندرية القديمة (سيرتها ومصيرها)
د / مصطفى العبادي
ترجمة: اليونسكو - فرنسا ١٩٩٢.

١٥- الموجز في تاريخ العلوم عن العرب ط ٣
د / محمد عبدالرحمن مرحبا
دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨١.

١٦- موجز تاريخ العالم
هـ. ج. ويلز - ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد
مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

- ن -

١- نوابغ الفكر الاسلامي
أنور الجندي
دار الرائد العربي - بيروت ١٩٨٣.

- ي -

١- يوليوس قيصر
بسام العسلي
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٨٠.

- الموسوعات الأجنبية -

1. THE NEW ENCYCLOPEDIA
   BRITANNICA 29 VOLS.
   U.S.A. 1991

2. PURNELL'S 12 VOLS
   NEW ENGLISH ENCYCLOPEDIA
   U.K.

3. INTERNATIONAL ENCYCLOPEDIA OF THE SOCIAL SCIENCES
   17 VOLS - DAVID L. SILLS - EDITOR
   THE MACMILLAN CO. & THE FREE PRESS. NEW YORK
   COLLIER - MACMILLAN PUBLISHERS, LONDON

4. DICTIONARY OF WORD DRIGNS
   JOHN AYTO
   ARCADE PUBLISHING - NEW YORK 1991

5. THE GREAT WORLD ENCYCLOPEDIA
   GALLEY PRESS
   ENGLAND 1984

6. CHAMBERS
   BIOGRAPHICAL DICTIONARY 2 VOLS.
   JEWETT ZWORYRIN
   U.K.

7. THE KING FISHER
   ILLUSTRATED OF THE WORLD - 10 VOLS
   GEN. EDITOR CHARLOTTE EVANS
   PRINTED IN ITALY

8. ENCYCLOPEDIAN OF KNOWLEDGE - VOLS 20
   GROLIER INCORPORATED
   DANBURY, CONNECTICUT 1993

9. CHAMBERS BIOGRAPHICAL DICTIONARY
   MAGNUS MAGNUSSOR
   CHAMBERS HARRAP PUBLISHERS LTD
   EDINBURGH 1993

10. THE ENCYCLOPEDIA OF RELIGION (16 VOL.)
EDITOR IN CHIEF
MACMILLAN PUBLISHING COMPANY
NEW YORK 1993

11. THE COLUMBIA ENCYCLOPEDIA
5TH EDITION 1993
COLUMBIA UNIVERSITY PRESS

12. A BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF ANCIENT EGYPT
ROSALIE AND ANTONY E. DAVID
PRINTED BY BIDDLES LTD. GUIDFORD, SURREY FOR THE
PUBLISHERS B A SEABY LTD. LONDON WIY ILL - 1992

13 SMITHS DICTIONARY OF GREEK AND ROMAN
TOPOGRAPHY AND MYTHOLOGY
ED WM SMITH
LONDON 1867 AND 3RD ED. 1891-3VOLS.

14 SMITHS DICTIONARY OF GREEK AND ROMAN
GEOGRAPHY AND MYTHOLOGY
ED WM SMITH - 2VOLS. 1854 LONDON
BY J.H.

الموسوعات والمعاجم
«العربية»

١- الكامل في التاريخ لابن الاثير ط ٦ - ١٠ أجزاء - دار الكتاب العربي - بيروت.

٢- الاعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء - ٨ أجزاء ط ٦ - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٤.

٣- موسوعة التاريخ الاسلامي ط ٢ - ١٩٨٣ - د / أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

٤- معجم المؤلفين ١٥ جزء - عمر رضا كحالة - دار احياء التراث العربي - بيروت ١٩٥٧.

٥- الموسوعة الفلسفية - د / عبدالمنعم الحفني - دار ابن زيدون - بيروت.

٦- القاموس الاسلامي ٥ أجزاء - احمد عطية الله - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٣.

٧- الموسوعة العربية الميسرة ط ٢ - دار الشعب ومؤسسة فرانكلين.

٨- الموسوعة ٢١ جزء - مجموعة من العلماء - ١٩٩٤.

٩- الموسوعة الثقافية - اشراف: د / حسين سعيد - مؤسسة فرانكلين - نيويورك ١٩٧٢.

١٠- موسوعة المورد ١١ جزء - منير البعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٣.

١١- موسوعة العلماء المخترعين ط ٣ - اعداد: د / ابراهيم بدران و د / محمد فارس - المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٧.

١٢- موسوعة العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين - دار مطابع المستقبل - القاهرة.

١٣- مداخل المؤلفين والاعلام العرب - اعداد: ناصر محمد السويدان ومحسن السيد العريني.

١٤- في سبيل موسوعة فلسفية (افلاطون، ارسطو، نيتشه) - د / مصطفى غالب - دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٩٨٥.

١٥- الفلسفة الاسلامية وأعلامها - اعداد: د / يوسف فرحات - تراد كسيم - جنيف ١٩٨٦.

١٦- علماء العرب . تراد كسيم - جنيف ١٩٨٦.

١٧- معجم المصطلحات المكتبية - د / محمد أمين البنهاوي - دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٨٥.

١٨- المعجم الموسوعي للمكتبات - أحمد محمد الشامي - سيد حسب الله - دار المريخ.

١٩- معجم الفلاسفة - اعداد: جورج طرابيشي - دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت.

٢٠- الموسوعة الفلسفية المختصرة - اشراف: د / زكي نجيب محمود - دار القلم - بيروت.

٢١- موسوعة عباقرة الاسلام (في الطب والجغرافية والتاريخ والفلسفة) - د / رحاب خضر عكاوي - دار الفكر العربي - بيروت ١٩٩٣.

٢٢- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة جزءان - ترتيب: يوسف الياس سركيس - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة.

٢٣- المعجم التاريخي للبلدان والدول ط ٢ - مسعود الخوند - لبنان ١٩٨٥.

٢٤- معجم اعلام المورد - منير البعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٩٢.

٢٥- الموسوعة الفلسفية العربية - د / معن زيادة - معهد الانماء العربي ١٩٨٦.

٢٦- معجم العالم الاسلامي - كلوس كريزر، فارنرديم، هانس جورج ماير - ترجمة: د / ج. كتّورة - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٩١.

٢٧- موسوعة الحضارة العربية الاسلامية ٣ مجلدات - مجموعة من العلماء والكتاب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٨٧.

٢٨- موسوعة تاريخ العالم ٨ أجزاء - وليام لانجر - الاشراف على الترجمة: د / محمد مصطفى زيادة - مكتبة النهضة المصرية.

٢٩- معجم الحضارة المصرية القديمة - جورج بوزنر ورفاقه - ترجمة: أمين سلامة - مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢.

٣٠- موسوعة المستشرقين ط ٢ - د / عبدالرحمن بدوي - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٩.

٣١- معجم المؤلفين ١٥ جزء - عمر رضا كحالة - مؤسسة دار احياء التراث العربي - بيروت.

٣٢- موسوعة الحضارة العربية - بطرس البستاني (١٠ أجزاء)
دار كلمات للنشر ١٩٩٥

- المصادر الأجنبية -

13. HISTORY OF THE WORLD
J.M. ROBERTS
OXFORD UNIVERSITY PRESS
NEW YORK -1993

14. MYTHOLOGY
EDITH HAMILTON
LITTLE BROWN AND COMPANY
BOSTON

15. ANCESTORS
DONALD JOHANSON, LENORA JOHANSON & BLAKEEDGAR
VILLARD BOOKS
NEW YORK 1993

16. THE ARAB CONQUEST OF EGYPT
BUTLER ALFRED J.
OXFORD, THE CLARENDON PRESS 1902

17. FAMOUS LIBARIES OF THE WORLD
LONDON, GRAFTON & CO 1937

18. BOOKS AND READERS IN ANCIENT GREECE AND ROME
END.ED. OXFORD THE CLARENDON PRESS 1951

19. THE ALEXANDRIAN LIBRARY
EDWARD ALEXANDER PARSON
THE ELSEVIER PRESS
AMSTERDAM, LONDON, NEWYORK

20. AMMIANUS MARCELLINUS
THE SURVIVING BOOKS OF THE HISTORY OF J.C. ROLFE-3 VOLS
L.C.L.

21. BEVAN, EDWIN ROBERT
HISTORY OF EGYPT UNDER THE PTOLEMAIC

22. BURY, J.B.A.
HISTORY OF EGYPT UNDER THE PTOLEMAIC DYNASTY
LONDON 1914-27

23. BUSHNELL G . H.
THE WORLD EARLIEST LIBRARIES
LONDON

24. BUTLER ALFRED J.
THE ARAB CONQUEST OF EGYPT AND THE LAST THRITY YEARS OF THE ROMAIN DOMAINION
OXFORD 1902

25. EDWARDS EDWARD
MEMOIRS OF LIBRARIES
LONDON 1838

26. GOOD LT.COL P.G
THE PTOLOMIES OF EGYPT
LONDON 1938

27. GLANVILLE S.R.K. ED
THE LEGACY OF EGYPT
OXFORD 1942 ESPECIALLY THE GREEK PSPYRI BY C.H. ROBERTS, EGYPT AND ROME 29.
JESUS CHRIST
JOSEPH RHYMER
GROVE WEIDENFELD
NEWYORK 1991

30. THE EGYPTIAN BOOK OF THE DEAD
CHRONICLE BOOKS
SAN FRANCISCO 1994

31. THE POWER OF MYTH
JOSEPH CAMPBELL
NEWYORK LONDON TORONTO SYDNEY AUCKLAND 1995

32. THE CIVILIZATION OF EUROPE IN THE RENAISSANCE
JOHN HALE
MAXELL MACMILLAN INTERNATIONAL
NEW YORK 1994

33. THE CIVILIZATION OF THE MIDDLE AGES
(MEDIEVAL HISTORY. THE LIFE AND DEATH OF A CIVILIZATION)
NORMAN F. CANTOR
HARPER COLLINS PUBLISHERS 1993

34. THE ORIGIN OF LANGUAGE
MERRITT RUHLN
JOHN WILEY & SONS INC
NEW YORK 1994

35. THE HOUSE OF PTOLEMY
EDWYN BEVAN
ARGONAUT INC PUBLISHERS
CHICAGO 1968

36. A HISTORY OF GREECE
(TO THE DEATH OF ALEXANDER THE GREAT)
J.B. BURY, D.LITT -3RD EDITION
MACMILLAN
ST MARTINS PRESS
NEW YORK 1967

37. A SURVEY OF THE GREEK CIVILIZATION
J.P.MAHAFFY
CHAUTAUQUA CENTRUP PRESS
NEWYORK 1896

38. TRANSLATING RELIGIOUS TEXTS
DAVID JASPER
ST. MARTIN PRESS 1993

39. TRANSLATION AND INTERPRETING : BRIDGING EAST AND WEST
(SELECTED CONFERENCE PAPERS)
RICHARD K. SEYMOUR
UNIVERSITY OF HAWAII AND HT EAST -WEST CENTER1994

40. WHO WROTE THE DEAD SEA SCROLLS?
NORM GOLB PROF. OF HEBRAIC STUDIES AT THE UNIVERSITY OF CHICAGO
ORIENTAL INSTITUTE ARCHIVES

41. THE IDEA OF HISTORY
R.G. COLLINGWOOD (REVISED EDITION 1993)
OXFORD UNIVERSITY PRESS NEWYORK

42. NICHOLS CHARLES L.
THE LIBRARY OF RAMSES THE GREAT AND SOME OF ITS BOOKS
BOSTON 1909

43. THOMPSON JAMES WESTFALL
ANCIENT LIBRARIES
BERKELEY 1940

تنويـــه

لقد حصل تعديل في موعد إفتتاح مكتبة الاسكندرية الجديدة بسبب أعمال التنقيب الأثري وإكتشاف بعض القطع الأثرية عند البدء في الحفر بالموقع، وقد انتهى ذلك حالياً، على أن يباشر في هذا الربيع أعمال الانشاءات حيث تبدأ المرحلة الأولى في التنفيذ خلال شهر مايو ١٩٩٥، ويتوقع أن يكون موعد الافتتاح في عام ١٩٩٨ بإذن الله.

المؤلف



التصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	٧	نشوة	نشوء
١٦	١٥	الأول	الدول
١٦	١٦	العطاء	العلماء
١٩	٧	تسيهلات	تسهيلات
٢٢	٦	من	عن
٤٢	١٢	PARYRUS	PAPYRUS
٤٣	١٩	استعلمها	استعملها
٥٠	٢٥	تعاويد	تعاويذ
٥٢	٧	تواراة	توراة
١٤٥	١٧	وان	من
٢٢٢	٨	الزمير	الأمير
٢٤٣	٥	تزود	يزوّد
٢٤٣	١٠	على رقي وسعيه	على رقي ذلك القطر وسعيه
٢٤٩	١٥	جديرة	جزيرة
٢٥٢	١٢	مصرس	مصري
٢٥٥	٢٤	الي	الذي
٢٥٨	٢	اكتبور	اكتوبر
٢٩٧	١٠	وأبتاعه	وأتباعه
٢٩٨	٨	فحب	فحسب
٣٣٣	١٣	فقرة ١٣	Romen Empirell, 505 Gibbon's وابن خلكان جـ ٢
٣٣٣	٢١	كانت	وكانت
٣٤٧	١٤	التاريخ(٤٣)	التاريخ(٤٢)
٣٥٨	٢	سيرتها وتطورها	سيرتها وتطورها(١)
٣٨٠	٣	أثام	أيام
٣٩١	١٧	تاريخ السلام	تاريخ الاسلام
٣٩٧	٦	١٣- لمحات من تاريخ	١٢- لمحات من تاريخ
٤١٣	٢٨	بها	به
٤٣٥	٥	وتسامر	وتساير
٤٣٦	٩	الجسمية	الجسيمة
٤٤٠	٢٢	الصالاحيات	الصلاحيات





هذا الكتاب

عندما تتجه الأنظار إلى مكتبة الإسكندرية الجديدة ، وتجول في مرافق وزوايا هذا الصرح الثقافي الحضاري ، يسرح الخيال إلى جذور الزمن حيث يختزن التاريخ تراثاً تتدفق ينابيعه ليمدّ العالم بشتى مناهج العلوم والمعرفة . ورغم العواصف التي اجتاحت الكنوز الثقافية في المكتبة القديمة ، إلا أن روحها ظلت تحوم عبر الآلاف من السنين لتجد أخيراً من يمد لها أسباب الحياة من جديد مع إضافة كل المستحدثات التي جاد بها الزمن

ومن أجل الوصول إلى هامة هذا الإعجاز الثقافي ، لابد من جولة في الأحداث التي مرّت والوقوف في البعض منها ، في وقفة تأمل وتحليل وتقييم ، لتكتمل الصورة بعض الشيء ، ولندرك سلفاً أنه عمل شاق محفوف بالصعوبات تغلبت عليه الإرادة الصامدة في تحمل أعباء هذه المسؤولية الضخمة التي تضافرت الجهود العربية والأجنبية لدعمها ، وبصورة خاصة مصر العربية التي حازت قصب السبق ونالت شرف الإنجاز في أرضها الطيبة التي اكتظت بالمآثر العلمية والثقافية والحضارية .

فكان هذا الكتاب .